فتح الفاطميين للشام

في مرحلته الأولى
من ٣٥٨ هـ إلى ٣٦٢ هـ
(دراسة في المصادر والمراجع)

تأليف

دكتور درويش النخيلي

مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٧٩



فتح الفاطميين للشام

في مرحلته الأولى

من ٣٥٨ هـ إلى ٣٦٢ هـ

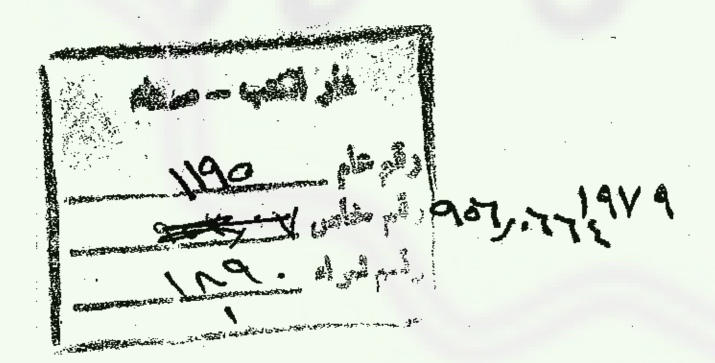
(دراسة في المصادر والمراجع)

تأليف

دكتور درويش النخيلي

مدرس التاريخ الإسلامي

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



مؤسسة الثقافة الجامعية

ت ٣٥٢٢٤ الاسكندرية



تصدير

الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

الدكتور درويش النخيلي من الشخصيات الجامعية الممتازة التي عرفتها في حياتي الجامعية ، فهو يمتاز - إلى جانب مزاياه الخلقية ، وما يتصف به من تواضع جم واستعداد دائم للعطاء والبذل - بصبره على الاطـــلاع الطويل والدراسة الهادئة المتعمقة . وقد تمضي به الساعات وتتواصل وهو مستغرق في القراءة والدراسة لا ينتبه إلا عندما يدركه الصباح . وهو يميل في أبحاثه إلى المقابلة بين النصوص وعقد مقارنات بينها وتحليلها تحليلا دقيقا ، مستهـــدفا استخلاص حقائق علمية تعينه على إعادة تصور مجريات الأحداث على حقيقتها ؛ وهذا الميل إلى مثل هذا المنهج العلمي السليم دفعه إلى الإقبال على تطبيـق المنهج القائم على الحوار والجدل تمهيدا للتوصل إلى نتائج مقبولة . ولقد أهلتـه هـذه الصفات لإعداد رسالتين في التاريخ الفاطمي من أعظم وأقيم ماقدم حتى الآن في تاريخ جامعاتنا ، وتعده لدور طليعي أتوقعه له في مجال البحث التاريخي .

وموضوع هذا الكتاب هو نفس موضوع رسالته الأولى الماجستير التي حصل عليها بتقدير ممتاز ، وهو موضوع لم يستقر على صورته النهائية إلا بعد جملة من التعديلات أجراها الدكتور درويش منذ قيد لهـذه الدرجـة في سنة ١٩٦٩ م إلى أن نوقش للحصول عليها في سنة ١٩٧٢ م ، المرة بعد المرة ، بسبب ضخامة المادة العلمية التي أمكنه أن يجمعها وتشعب الدراسات التي تطرق إليها وما تمخض من حقائق أسفر عنها تعمقه في هذه الدراسات . لقد عاصرت

موضوع هذا البحث منذ بدايته عندما كان موضوعا ضخما عنوانه « تاريخ الشام في العصر الفاطمي » ، فهو موضوع يتسع لكثير من الدراسات التي يمكن أن تتفرع من هذا العنوان الكبير . ثم رأيت ـ بالاتفاق معه ـ أن يحدد هذا الموضوع زمنيا مع قصره على الجانب السياسي، فأجرى عليه تعديلا ثانيا ، وجعل عنوان الرسالة : «تاريخ الشام السياسي في العصر الفاطمي الأول» . ثم تكشف له ـ بعد أن أغرق في تفاصيل هذا البحث وتكاثرت حصيلة ما جمعه من مادة علمية ـ أن هذا العنوان لا يزال ضخما ، وأن بإمكانه أن يزيد من تحديده ، فأقدم للمرة الثانية على تضييق مجال البحث فيه وقصره على مشكلة تأريخ الفتح الفاطمي لبلاد الشام في مرحلته الأولى من خلال المصادر العربية وما يقترن به من دراسة لطبيعة العلاقات في هذه الفترة بين الفاطميين وبين قوى القرامطة من جهة والحمدانيين وبقايا الإخشيدية من جهة ثانية والبيزنطيين من جهة ثالثة ، وهي القوى التي كانت تؤدي دورها آنذاك على مسرح الأحداث ببلاد الشام . وقد وفق الدكتور درويش عندما قصر البحث على هذه المشكلة المتعلقة بتأريخ الفتح الفاطمي للشام ؛ وهو موضوع كان لا يزال مجالا للنقاش والجدل . ولا شك أن الدكتور درويش قد بذل جهودا ضخمة لكي يصل إلى هذا التحديد الحاسم لموضوع رسالته ، وكان في البداية أشبه بثوب فضفاض يتهدل على كتفي صاحبه ويدوه بجر ذيوله وأطرافه ، فما زال به حتى أصبح ينسجم مع الحقائق العلمية التي توصل إليها ، بعد فحص الروايات المتناقضة لقدامى المؤرخين وتحليل نصوصها مع الاسترشاد بآراء المحدثين ، وأعانته هذه الحقائق على إعادة النظر في سير العمليات الحربية والوقائع التي تمت منذ أن شرع الفاطميون في فتح الشام حتى وصول المعز لدين الله إلى مصر . والواقع أن مناقشة الباحث لهذه

الروايات وأخذه لها بالنقد والتحليل يشكل - فى حد ذاته - الجانب الرئيسى من هذا البحث ؛ وعلى نتائج هذه الدراسة المستفيضة اعتمد الباحث فى تحديد مسار الحملات الفاطمية إلى الشام فى المرحلة الأولى من الفتح .

وعلى هذا النحو قصر الدكتور درويش بحثه على هذه الدراسة المتعمقة التى اعتمد فيها على منهج قوامه المقارنة والتحليل والاستنباط ، وقد وفق غاية التوفيق فى اختيــاره لهذه المشكلة موضوعا لدراسته ، مخالفا بذلك مسار غيره من الباحثين المحدثين الذين جروا على اختيار موضوعات تقليدية قل أن يخرجوا منها بنتائج حاسمة ، ولا تخرج هذه الموضوعات عن وقائع معينة أو دراسة فى العلاقات أو فى سير المشاهير من الشخصيات التاريخية أو فى المدن أو فى مراحل تاريخية معينة ، وإنما آثر أن يكسر هذه القيود ويخرج عليها ، فلا يجد - بعد أن استوسعت مادته العلمية الغامضة المضطربة ويحاول جاهدا التوفيق بين الروايات المتعلقة بالفتح الفاطمى الأول لبلاد الشام ويفحصها تحت منظار التحليل ليصل إلى الحقيقة الكامنة ، مستعينا فى ذلك بمكتبة غنية من المصادر المتخصصة والدراسات التى أجراها المحدثون من المستشرقين والباحثين العرب على السواء . فدراسته الحاضرة قد تبدو فى نظر التقليديين الذين يقيسون البحوث باتساع الحقب ورحابة المدد جهدا قليل النتائج ، وقد يستهين بعضهم بقيمة النتائج التى توصل إليها الباحث فى أعقاب دراسات عميقة طويلة الأمد استغرقت ست سنين من البحث والتحصيل والمقارنات بين الروايات والتحليل ، ولكنهم يجهلون فى الواقع القيمة الحقيقية لهذه الدراسة المنهجية الأصيلة وما تشتمل عليه من مقومات أساسيه للبحوث العلمية المبتكرة ترفعها إلى مصاف الدراسات العالمية ، وأهمية ما توصل إليه

الباحث من نتائج صحيحة بحق المسار التاريخي لحملات الفاطميين الأولى على الشام ، وأوضحت التسلسل المنطقي للأحـــداث وانتهت إلى نتـــائج يمكن الاطمئنان إليها والوثوق بصحتها ، وحددت بصفة نهائية التأريخ الحقيق لهذا الفتح الفاطمي الأول لبلاد الشام .

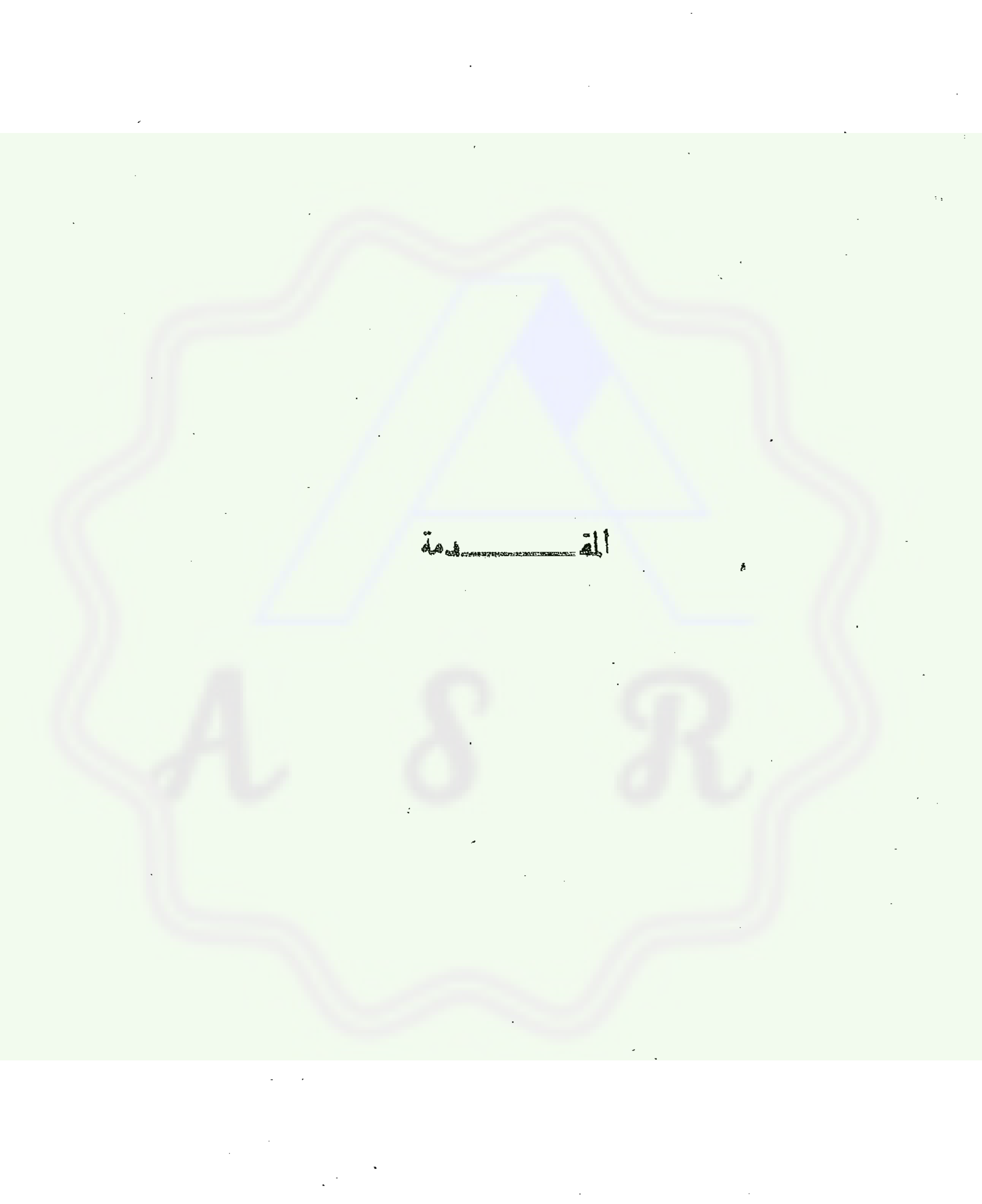
لكل ذلك ، علينا أن نعتبر هذا البحث ثروة علمية هائلة ، وإضافة لهـــا قيمتها لتاريخ الدولة الفاطمية فى مصر والشام . وأعتقد أن مثل هذا البحث يجب أن يكون أنموذجا يحتذى للبحوث العلمية الرائدة .

إنى لا أخفى اعتزازى بأنى توليت الإشراف على هذه الرسالة القيمة بعد وفاة أستاذنا المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال الذى كان يتولاه فى السنة الأولى التى أعقبت تاريخ القيد . كما أسجل تقديرى لقيمة ما توصل إليه الدكتور درويش من نتائج باهرة فى حقل التاريخ الفاطمى . واليوم قدر لهذه الرسالة الممتازة أن تشهد النور بعد أن مضى على مناقشتها نحو ست سنوات ، وإنى أرجو أن يسعى الدكتور درويش لنشر رسالته للدكتوراه التى أشرفت عليهـــا كذلك وموضوعها « مصادر المقريزى فى كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا فى العصر الفاطمى الأول » ، وهى رسالة لها وزنها العلمى وقيمتها العالية التى استحق صاحبها أن ينال مرتبة الشرف الأولى بالإجماع .

كما أرجو أن يستمر الدكتور درويش فى نشر مزيد من الدراسات عن العصر الفاطمى فى مصر والشام وإثراء مكتبتنا العربية بهـذه الدراسات القيمـة عن تاريخ الفاطميين ، وهى دراسات أصبح متخصصا لها .

وفقه الله وأعانه فيما هو مقبل عليه ؟

السيد عبد العزيز سالم



المقـــــــدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

نجح الفاطميون - كما هو متواتر - فى إقامة خلافة لهم فى شمالى أفريقية فى سنة ٢٩٦ هـ بعيداً عن متناول يد الحكومة المركزية فى بغداد ، وذلك بعد مغامرات أسطورية أنهت دور التكتم والستر الذى تدرج به الفاطميون الأوائل فى مدينة سلمية (١) بالشام لنشر دعوتهم الإسماعيلية المناوئة لمذهب السنة مذهب خلفاء بنى العباس .

ولم يفت الفاطميين ابتداء من أول خلفائهم عبيدالله المهدى حتى المعز لدين الله أن ينظروا دائماً إلى ناحية الشرق لتحقيق أمل عزيز لديهم ألا وهو السيطرة على أراضى الدولة الإسلامية وانتزاعها من يد العباسيين كعملية انتقام من بنى عمومتهم الذين حرموهم - بل وسلبوهم - حقهم الطبيعى فى خلافة العالم الإسلامى. ويبدو أن هذا الدافع كان هو المحرك الأكبر الذى استكن فى أعماق الفاطميين مدة طويلة حتى استطاعوا تحقيق الشطر الأكبر منه ، هذا إلى جانب العوامل

---

(١) سلمية : مدينة بأرض حمص ؛ راجع : ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومي البغدادى) ، معجم البلدان ، نشر دار صادر ودار بيروت ١٣٧٤ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م ، وانظر فى رحلة عبيد الله المهدى - أول خلفاء الفواطم بأفريقية - من سلمية بالشام إلى المغرب : اليمانى (محمد بن محمد) ، سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة ، فى (و . إيفانوف ، مذكرات فى حركة المهدى الفاطمى (استتار الإمام وسيرة جعفر الحاجب) ، فى: مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى (ديسمبر ١٩٣٦ م) ، ص ١٠٧ وما بعدها ، القاهرة ١٩٣٦ م) ؛ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ؛ وانظر أيضاً : خريطة كور أو أجناد الشام .

الأخرى من سياسية وحربيـــة بالدرجة الأولى ، وهى العوامل التى حفزت الفواطم كقوة ناشئة فتية على بسط نفوذهم شرق وغرب دولتهم الوليـدة فى أفريقية ، فكان مما ساعدهم على النجاح تلك الأحوال العامة التى اتسم بها العصر خاصة فى مشرق دولتهم ، ومدى ما وصلت إليه الأمور فى مصر بالذات من ضعف ووهن ، مما أفسح المجال أخيرا لاستيلاء الفاطميين على مصر والقفز منهـا على الشام لسلخه بدوره من نطاق السيادة العباسية .

ولقـــد تكررت محاولات الفاطميين لفتح مصر عشية تأسيس دولتهم فى أفريقية ، واستغرقت منهم هـذه المحاولات – فى فترات متقطعة – قرابة نصف قرن من الزمان ، فقد بدأت هـذه الإرهاصات الباكرة منذ سنة ٢٩٧ هـ حتى تكللت جهودهم أخـــيراً بالنجاح ففتحوا مصر فى عام ٣٥٨ هـ(٢) ، ومن ثم تطلعوا إلى مد نفوذهم شرقا إلى ناحية الشام ليصاقبوا بصورة واقعية مقر الخلافة العباسية فى العراق .

---

(٢) راجع هذه المحاولات حتى استيلاء جوهر على مصر فى عام ٣٥٨ هـ ، فى : الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ١١ ، ص ٤٠٨ (سنة ٣٠١ هـ ، ٣٠٢ هـ) الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ؛ عريب بن سعـد (القرطبى) ، صلة تاريخ الطبرى ، ص ٢٥ – ٢٦ ، ٢٧ – ٢٨ (سنة ٣٠٢ هـ) ، ص ٤١ (سنة ٣٠٧ هـ) ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ؛ المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) ، التنبيه والإشراف ، نشر دى غويه M. J. De Goeje ، ص ٣٣٤ (سنـــة ٣٠٢) ، مطبعة بريل Brill ، ليدن Leyden ١٨٩٣ م ؛ وله أيضا : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، ص ٥١٣ (سنة ٣٠٢ هـ) ، ص ٥٥١ (سنة ٣٠٩ هـ) ، المطبعـة البهية المصرية ، القاهرة ١٣٤٦ هـ ؛ الـكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ، الولاة والقضاة ، نشر رفن جست Rhuvon Guest ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ (سنة ٢٩٧ هـ) ، ص ٢٦٩ وما بعـدها (سنة ٣٠٢ هـ) ، ص ٢٧٥ – ٢٧٦ (سنة ٣٠٧ هـ) ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م ؛ =

وقد ساعدت الأحوال فى مصر (٣) على نجاح الفاطميين أخيراً فى تحقيق جزء كبير من الأمل الذى راودهم طويلا . فالدولة الإخشيدية المنهارة لم تعد تستطيع مقاومة أية محاولة جدية لغزوها من الغرب ، فسقطت أخيراً فى قبضة جوهر الصقلى - قائد المعز الفاطمى - الذى دخل الفسطاط فى يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان

= مسكويه (أبو على أحمد بن محمد)، تجارب الأمم، نشر هـ . ف آمدروز H. F. Amedroz، ج ١ ، ص ٣٦ (سنة ٣٠١ هـ) ، ص ٧٥ (سنة ٣٠٨ هـ) ؛ ج ٢ ص ٢٥٧ (سنة ٣٥٨ هـ) ، مطبعة شركة التمدن ، القاهرة ١٣٣٢ - ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ - ١٩١٥ م ؛ ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم)، الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٢ (٣٠١ هـ) ، ص ٣٤ (سنة ٣٠٢ هـ) ، ص ٤٢ - ٤٣ (سنة ٣٠٦ هـ) ، ص ١٠٧ (سنة ٣٢٢ هـ) ، ص ٢٣٢ (سنة ٣٥٨ هـ) ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأزهرية المصرية ، القاهرة ١٣٠١ هـ ؛ أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل) ، المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٦٧ (سنة ٣٠١ هـ) ، ص ٦٧ - ٦٨ (سنة ٣٠٢ هـ) ، ص ٦٩ (سنة ٣٠٦ هـ) ، ص ١٠٩ (سنة ٣٥٨ هـ) ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة (بدون تاريخ) ؛ الذهبى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز) ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٣٤ (سنة ٣٠١ هـ ، ٣٠٢ هـ) ، ص ١٣٦ (سنة ٣٠٦ هـ) ، ص ١٦٢ (سنة ٣٥٨ هـ) ، الطبعة الثانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٦٤ هـ ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٦٨ (سنة ٣٠١ هـ) ، ص ٦٩ (سنة ٣٠٢ هـ) ، ص ٧١ (سنة ٣٠٦ هـ) ، ص ٩٧ ، ١٠٢ (سنة ٣٥٨ هـ) ؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٣ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ (سنة ٢٩٧ هـ) ، ص ١٧٣ ، ١٨٤ (سنة ٣٠٢ هـ) ، ص ١٨٧ ، ١٩٦ (سنة ٣٠٧ هـ) ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م ؛ ج ٤ ، ص ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٠ (سنة ٣٥٨ هـ) .

(٣) راجع ما جاء هنا فيما بعد بالفصل الأول عند الكلام على تلك الأحوال بعد وفاة كافور الاخشيدى .

سنة ٣٥٨ ﻫ (٤) (٩ يوليـة سنة ٩٦٩ م) ، وشرع يخطط لخطواته التالية لضم الشام إلى مصر ليـكون بمثابة خط دفاع أمامى عن مصر (٥) التى ستصبح بعد بناء القاهرة ـ مقر الخليفة الفاطمى ومركز إمبراطورية شيعية واسعة الأرجاء ضمت شطرا كبـيراً من العالم الإسلامى فى المشرق والمغرب .

وقد اندفـع الفاطميون ـ بصورة أو بأخرى ـ بعـامل القصور الذاتى فى غزوهم لبلاد الشام . إلا أن هـذه العملية تمت ـ فوق هذا ـ طبقا لتخطيط سابق على فتح مصر ذاتها . وبمعنى آخر ، يمكن القول بأن الأسباب التى دعت إلى فتـح الفاطميين للشام لم تنفصل انفصالا تاما عن الدواعى التى أدت بهـم إلى دفع جيوشهم من إفريقية صوب الشرق الأدنى الإسلامى للاستيلاء على الأراضى الغنية التى تحد مقر الخلافة العباسية إلى الغرب من العراق . وقد أدرك ذلك طائفة من القدماء ، كما تبعهم ـ وزاد عليهم ـ الكثير من المحدثين الذين استشفوا من النصوص المتناثرة طبيعة الأسباب التى حدت بالفاطميين إلى الانسياح صوب الشرق لفتحه وسلخه من يد العباسيين ، وهو ماسوف نتدارسه بعد قليل .

وقد شهد العصر تفاقم الخطر البيزنطى على المشرق الإسلامى ، وكيف وقفت

---

(٤) ابن خلـكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) ، وفيـات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ، الطبعـة الأولى ، القاهرة ١٩٤٨ ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٥) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف ، المعز لدين الله امام الشيعـة الإسماعيليـة ومؤسس الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٩٢ ، مكتبة النهضة المصـرية ، القاهرة ١٣٦٧ ﻫ ـ ١٩٤٨ م .

القوى الإسلامية ـ فى بلاد الشام خاصة ـ عن التصدى بصلابة لهذا الخطر حتى كاد الشام يقع فريسة سهلة فى أيدى الروم . هذا فى الوقت الذى كانت فيه ثورة القرامطة قد بلغت مداها هى الأخرى حتى لقد تمكنوا من الاستيلاء على دمشق فى عام ٣٥٧ هـ (٦)، كما وطدوا لنفوذهم فى جنوبى الشام ، فى حين كانت الخلافة العباسية محجورا عليها من البويهيين الذين لم يتطلعوا بأبصارهم إلى أبعد من العراق نفسه بعد أن قنعوا بفرض نفوذهم على مقر الخلافة (٧)، هذا مع تشجيعهم القرامطة على التصدى ـ بعد قليل ـ للغزو الفاطمى للشام (٨) .

وليس لنا أن نتغاضى ـ فى الوقت نفسه ـ عن تقييم الحالة العامة فى الصراع الدائر بين القوى الكبرى المختلفة فى ذلك الحين سواء فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى أو فى غرب العالم الإسلامى ، إذ يفسر هذا إلى حد بعيد طبيعة السياسة الخارجية التى أخذ بهـــا الفاطميون فى اندفاعهم صوب المشرق لفتحه (٩)، فالصراع السياسى والحربى بين الخلافات الإسلامية الثلاث ، وطبيعـة العلاقات بين تلك الخلافات والأعداء التقليديين للإسلام فى الشرق والغرب تفسير أيضاً بصورة عميقة تلك الأسباب التى أدت بالفاطميين إلى التصدى لبسط نفوذهم على

---

(٦) راجع ـــ على سبيل المثال ـــ : يحيى بن سعيد الأنطاكى ، صلة كتاب سعيـــد بن بطريق (الموسوم بكتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصـــديق) ، ص ١٢٣ ، مطبعـــة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٩ . وسوف نشير إلى هذا المصدر فيما بعد بعنوان : (تاريخه)

(٧) انظر ما جاء هنا فيما بعد ، « (٢٣) بالفصل الثالث .

(٨) راجع ما جاء هنا فيما بعد ، بالفصل الرابع ، بدءاً بعبارة « وقبل التعرض لتاريخ وصول القرامطة إلى دمشق » .

(٩) قارن : أحمد مختار العبادى ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، فى : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ ـــ ٢ (١٣٧٧ هـ ١٩٥٧م)، ص ٢٠٨ ـــ ٢٠٩ ، مدريد ١٣٧٧ هـ ـــ ١٩٥٧ م .

المشرق، خوفاً من وقوع هـــذه المنطقة - محط آمال الفاطميين - فى أيدى البيزنطيين بالدرجة الأولى، أى أن طبيعة الغزو الفاطمى لمصر والشام يفسره النهج الذى أخذ به الفاطميون لتحقيق تلك السياسة، وهو ما يعبر عنه بالجهاد ضد أعداء الدين.

ولعل أبرز النصوص المعاصرة التى تمس موضوع الجهاد هذا مسا مباشرا هو ما أورده الجوذرى فى كتابه « سيرة الأستاذ جوذر (١٠) » والقاضى النعمان فى كتابه « دعائم الإسلام (١١) » . وإلى جانب هذا، لدينا عهد الأمان الذى كتبه جوهر إلى وجهاء المصريين وأعيانهم بعد أن انتهى من فتـــح مصر، ونقله المؤرخ المعاصر ابن زولاق واحتفظ لنا به المقريزى (١٢)، وهو العهد الذى استمد شهرته من كثرة ما استشهد به المحدثون فى هذا المقام(١٣)، وفيه ينص على أن المعز « لم يكن إخراجه العساكر المنصورة والجيوش المظفرة إلا لما فيـــه

---

(١٠) الجوذرى (أبو على منصور العزيزى) سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى، مطبعة الاعتماد بمصر (بدون تاريخ)؛ فى صفحات متفرقة.

(١١) النعمان (أبو حنيفة بن محمد المغربى، القاضى)، دعائم الإسلام، تحقيق آصف على فيظى، ج ١، ص ٣٩٩، القاهرة ١٩٥١ م.

(١٢) اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٠٣ - ١٠٦.

(١٣) راجع منهم - على سبيل المثال لا الحصر - : على إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى، ص ٤٣، الطبعة الأولى، القـــاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م؛ حسن وشرف، المعز، ص ٨٧؛ محمد جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، ص ١٧، نشر دار الفـــكر العربى، مطبعة الاعتماد بمصر، ١٩٥٧ م؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١١٧، نشر دار الفكر العربى، القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م.

أعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم (١٤) » . وقد ركز الدكتور جمال الدين سرور على هذه العبارة بالذات كإشارة واضحة فى كتاب الأمان المذكـــور إلى خطر القرامطة الذين اجتاحوا بلاد الشام وانزلوا الهزيمة بالإخشيدية هناك فى عام ٣٥٧ ﻫ وبات خطرهم الداهم على مصر متوقعا مرتقبا . إلا أنه يمكن التوسع فى هذا الاستدلال بحيث يصدح تفسير نفس النص أيضـــا التعرف على طبيعـة سياسة الفاطميين إزاء أعدائهم جميعا من قرامطة وبيزنطيين وعباسيين ، وإن كان موضوع الجهاد فى مضمونه لدى المسلمين عامة فى العصور الوسطى إنمـا يوجه فى المقام الأول إلى العـــدو التقليدى للإسلام فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى وهـو المعسكر البيزنطى ، وهـــذا ما أشار إليـه بوضـوح كل من الدكتورين حسن إبراهيم وطه شرف فى تحليلهما لكتاب جوهر الموجه إلى أهالى مصر .

وعلى هذا ، يمكننا إجمال دواعى فتح الفاطميين الشام مما ساقه المحدثون اعتمادا عـلى تلك النصوص القليـلة المبتسرة التى أوردها القـدامى من ناحيـة ، وعلى استنتاجاتهم وتخريجاتهم المستندة إلى نظرتهم الشاملة للعلاقات العدائية أو السلمية بين القوى المتنازعة على بلاد الشام .

وقد أكد الدكتور على إبراهيم حسن أن اتجاه الفاطميين للاستيلاء على الشام كان ضمن نطاق السياسة التوسعية الفاطمية إزاء الشرق والغرب ، لانتزاع مناطق النفوذ العباسى فى كافة أرجاء العالم الإسلامى ، حتى إذا تمكنوا من

(١٤) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

تحقيق هذه السياسة ، استطاعوا أخيرا مد نفوذهم بل وسيطرتهم على بغداد نفسها حاضرة العباسيين (١٥) .

وقد أدت هذه السياسة من جانب الفاطميين إلى ازدياد مخاوف بغداد من امتداد هذا النفوذ ، مما اعتبره العباسيون تهديدا فعليا لبغداد نفسها ، وليس أدل على ذلك من أن العباسيين أدركوا أهداف تلك السياسة الفاطمية ، فبذلوا كل جهدهم لاجتذاب القسم الأكبر من القرامطة — المعروفين بقوتهم الحربية الكاسحة إلى صفهم واتخاذهم أداة هجوم على الشام بعد أن ظهرت فى الأفق تباشير الخطر الفاطمى المرتقب على منطقة الشرق الأدنى الإسلامى ، كما استمر تحالف القرامطه والعباسيين بعد فتح الفاطميين لمصر ، فاتجه القرامطة إلى الديار المصرية نفسها لتخليصها من يد الغزاة الجدد (١٦) .

وفى الوقت نفسه ، لا يستبعد الدكتوران حسن وشرف أن يكون الفاطميون قد عمدوا إلى فتح الشام لتأمين الحدود الشرقية لمصر إذ كان يتملكهم الخوف من أن يبادر العباسيون بالانتقام السريع منهم بسبب استيلائهم على مصر التى كانت تعد أخصب وأغنى أقاليم الدولة الإسلامية ، ويضيفان إلى ذلك أن الفاطميين نظروا إلى الشام ليكون خط الدفاع الأول عن مصر من الناحيتين الحربية والسياسية (١٧) . أو بمعنى آخر أن فتح الفاطميين

---

(١٥) تاريخ جوهر الصقلى ، ص ٤٨ ؛ وانظر نفس المعنى فى : عارف تامر ، القرامطة (أصلهم ، نشأتهم ، تاريخهم ، حروبهم) ، ص ١١٧ ، دار الكاتب العربى ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد (بدون تاريخ) .

(١٦) تامر ، القرامطة ، ص ١١٧ ؛ وانظر ما جاء هنا فيما بعد بالفصل الرابع ، بعنوان عبارة : « اتجه القرمطى بعد فتحه دمشق إلى الرملة » .

(١٧) المعز ، ص ٩٢ .

القدام إنما كان ضرورة سياسية وحربية حتمتها الظروف الراهنة لتأمين حدود مصر من ناحية الشمال الشرقى (١٨) من الخطرين القرمطى (١٩) والبيزنطى. (٢٠)

وإلى جانب ذلك ، لا يمكن لنا أن نغفل عامل الجهـــاد الذى نظر إليه الفاطميون كمهمة طبيعية أنيطت بهم لتخليص الأراضى التى احتلها أعداء الدين الإسلامى ، إذ كان الجهاد لدى الفاطميين أساسا جوهريا من أسس سياستهم الحربية ودعامة من دعائم العقيدة الإسلامية الشيعية (٢١) إلى حد أنهم أطلقوا على واحد من دواوين الحرب اسم ديوان العمائر (٢٢) أو ديوان الجهاد (٢٣) ، وهو نفس الديوان الذى عرف عند الأيوبيين باسم ديوان الأسطول (٢٤) .

---

(١٨) سرور ، النفوذ الفاطمى ، ص ١٧ ؛ وله أيضاً : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٧ تامر ، القرامطة ، ص ١١٨ .

(١٩) حسن وشرف ، المعز ، ص ٩٢ .

(٢٠) سرور ، النفوذ الفاطمى ، ص ١٧ ؛ وله أيضا : سياســة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٧ .

(٢١) عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، التاريخ السياســى ، ص ١٢١ ، نشر دار المعارف بمصر ، الإسكندرية ١٩٦٨ م ؛ السيد عبد العزيز سالم ، فى (أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصـر والشام ، ص ٦٧ — ٦٨ ، بيروت ١٩٧٢ م) .

(٢٢) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، لوحة ١٦٩ أ ، مخطوطة طوب قبو سراى ، ومنهـا صور شمسية محفوظة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية تحت رقم ٢٠ م .

(٢٣) القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ج ٣ ، ص ٤٩٢ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩١٣ م ؛ وأنظر أيضا : سالم ، فى : تاريخ البحرية فى مصر والشام ، ص ٨٧ .

(٢٤) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ .

فقد تمكن البيزنطيون من الانسياح فى الشام وسلخوا منه بعض أراضيه ، كما بسطوا سيطرتهم الإسمية على مناطق منه (٢٥) . وقد تنبه المحدثون إلى أهمية هذا الدافع الذى حفز الفاطميين إلى فتح الشام ، علاوة على إدراكهم لهذه السياسة الفاطمية من الوجهة النفسية على المسلمين فيما إذا تمكن الفواطم من تخليص الأراضى الإسلامية التى وقعت تحت وطأة الاحتلال البيزنطى بالشام حتى يظهروا بمظهر المدافعين عن حوزة الإسلام فى هذه البلاد ، عامدين بذلك إلى تحقيق هدفين أساسيين هما استمالة قلوب المسلمين عامة والمصريين خاصة اليوم ، هذا إلى رغبة الفاطميين فى التصدى للبيزنطيين حتى لا يقع بقية الشام فى أيديهم ؛ وليس أدل على ذلك مما أفرده هؤلاء المحدثون فى كتاباتهم سواء فى عبارات مقتضبة كما فعل الدكتور سرور (٢٦) ، أو فى جمل وجيزة كما أورد الدكتوران حسن وشرف (٢٧) والدكتور عمر كمال توفيق (٢٨) والأستاذ تامر (٢٩) ، أو فى شيء من الإسهاب فيما ساقه كل من الدكتور ماجد (٣٠) والدكتور سالم (٣١) اللذين يدللان على قولهما بما استندا إليه عن ابن تغرى بردى من أن المعز نفسه لما جاء إلى الإسكندرية قادما من المغرب لمح إلى

---

(٢٥) راجع ما جاء هنا فيما بعد بالفصل الثالث ، بدءا بعبارة : « فبعد استيلاء نقفور على كريت فى عام ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م » .

(٢٦) النفوذ الفاطمى ، ص ١٧ ؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٧

(٢٧) المعز ، ص ٩٢ — ٩٣ .

(٢٨) عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبى ، الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية (٩٦٩ — ٩٧٦ م) ، ص ١٠٤ ، نشر دار المعارف بمصر ، الإسكندرية ١٩٦٦ م .

(٢٩) القرامطة ، ص ١١٨ .

(٣٠) ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١٢٢ — ١٢٣ ؛ وقارن له . نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ م .

(٣١) فى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٦٨ .

الجهاد (٣٢) ، كما يستشهد الدكتور ماجد بما رواه ابن خلكان من أن المعز إنما سار للجهاد ، يعنى ضد الروم (٣٣) ، وهو قريب مما استأنس به الدكتور سالم عن المقريزى (٣٤) . وقد ترجم الفاطميون هذه السياسة المعبر عنها بالجهاد — كما يوضح الدكتور عمر كمال بجلاء — عمليا بذلك الصدام السريع الذى تم بينهم وبين البيزنطيين حول أنطاكية سنة ٣٦٠ هـ مما أنذر بتهديد المصالح البيزنطية فى الشام بعد ظهور قوة الفاطميين الفتية على مسرح الحوادث هناك (٣٥) .

وقد ربط المحدثون بين موضوع الجهاد هذا وبين وحدة المنطقة التى تضم مصر والشام ، واستندوا فى ذلك إلى السوابق التاريخية القديمة والحديثة ، ولم يهمل البعض منهم موقع مصر الجغرافى المميز الذى أملى بالضرورة ما يجب أن

---

(٣٢) يقول ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٢ : « وجد المعز فى السير فى خزائنه وجيوشه حتى دخل الإسكندرية فى شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، فتلقاه قاضى مصر أبو طاهر الذهلى والأعيان ، وطال حديثهم معه ، وأعلمهم بأن قصده القصد المبارك من إقامة الجهاد والحق . . وكان السبب فى مجيئه إلى مصر أن الروم كانوا قد استولوا على الشام والثغور . . الخ » .

(٣٣) ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١٢٣ ؛ والنص عند ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣١٥) : « إنه لم يرد دخول مصر لزيادة فى ملكه ولا لمال ، وإنما أراد إقامة الحق والحج والجهاد »

(٣٤) فى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٦٨ - ٦٩ ؛ ونص المقريزى هو نفسه ما أورده ابن خلكان مع بعض التغيير ، وفيه يقول (اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٣٣) : « إنه لم يسر لازدياد فى ملك ولا رجال ، ولا سار إلا رغبة فى الجهاد ونصرة المسلمين » .

(٣٥) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٠٤ .

يترسمه الفاطميون إزاء سياستهم الحربية بعد فتحهم لمصر ، وهي نفس السياسة التي انتهجها من سبقهم وحكموا مصر الإسلامية كولاة شبه مستقلين بغض النظر عن تغيير الأحوال المحيطة بمصر في أي زمان ، إذ كان من الطبيعي وقد استولى الفواطم على مصر من يد الإخشيديين أن يمدوا إلى ضم الممتلكات الإخشيدية في الشام ليعيدوا هذه الوحدة وليضمنوا السيطرة القوية على الشام ومن ثم مجابهة أية أخطار خارجية على مصر من جهة الشرق ، إذ أن طبيعة الموقع الجغرافي لمصر يحتم على من يمتلكها أن يتجه إلى الشرق لتأمين حدودها هناك أكثر من اتجاهه إلى الغرب نظراً لوجود الصحاري الواسعة غربي مصر التي تمثل إلى حد كبير حدودا طبيعية صعبة الاجتياز للاستيلاء عليها من جهة الغرب ، حتى ليعتبر غزو القائد جوهر الصقلي لمصر فريداً في نوعه إذ لم يسبق أن فتحت مصر من حدودها الغربية إلا في تاريخها القديم (٣٦) . فالشام يمثل بالنسبة لمصر منطقة أمان ملاصقة لأراضيها ، كما يعتبر ميدانا لجهاد أعداء الإسلام نظراً لوجود الثغور الإسلامية على حدوده الشمالية ، هذا إلى أهمية الساحل الشامي لأية سيطرة بحرية في شرقي البحر المتوسط (٣٧) .

---

(٣٦) كان ذلك أيام الفراعنة عندما غزاها الليبيون أيام الأسرتين ٢٢ و ٢٣ ؛ راجع : العبادي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢٠٩ .

(٣٧) راجع الأفكار الواردة في هذه الفقرة — مع ما أشرنا إليه في الحاشية السابقة عن الدكتور العبادي — في : حسن وشرف ، المعز ، ص ٩٣ ؛ تامر ، القرامطة ، ص ١١٨ ؛ ماجد ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١٢٣ — ١٢٤ ؛ وانظر أيضا :

O'Leary (De Lacy) , A Short History of the Fatimid Khalifate, p. 107, London 1923 .

على كل حال ، كانت الأسباب التى أشرنا إليها الآن هى الدوافع الظاهرية - فيما يبدو للوهلة الأولى - التى حركت الفاطميين إلى الاتجاه صوب المشرق لبسط سلطانهم عليه وفتحه . إلا أنه لا يمكن إغفال طبيعة الأحداث نفسها التى شهدتها منطقة الشرق الأدنى الإسلامى فى المدة التى عاصرت تدهور الأحوال السياسية والحربية فى كل من مصر والشام ، وهى الأحداث التى كشفت إلى حد بعيد عن مدى القوة المستجدة فى نشاط البيزنطيين الحربى الذى لا يقاوم فى شمالى الشام والذى اتخذ أسلوب الحرب المقدسة لاسترداد ما فقدوه هناك منذ ما يزيد على ثلاثة قرون ، وكذلك النمو الزائد فى قوة القرامطة المندفعين صوب جنوبى ووسط الشام لابتلاعهما ، حتى ليمكن القول إن الأمور كانت تسير سيرها الطبيعى لتقرر مصير منطقة الشرق الأدنى الإسلامى ومن ثم تشهد نوعا من الصراع جديد بين قوة البيزنطيين العتيدة وقوة القرامطة العاتية ما لم يتدارك الأمر قوة أخرى فتية تفوت عليهما الفرصة لتعيد ما يمكن أن نطلق عليه بلغة العصر ميزان القوى إلى وضعه الطبيعى فى هذه المنطقة الحساسة من العالم الإسلامى .

وقد كان من الممكن أن يتأخر ظهور هذه القوة الفتية أو تحبط محاولاتها المتكررة مثلما حدث لها على مدى ما يقرب من نصف قرن وقت أن كانت مصر بالذات تدافع عنها جيوش الخلافة العباسية - بعد القضاء على الدولة الطولونية - ثم جيوش الدولة الإخشيدية . وبمعنى آخر ، كانت الأحوال فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى قبيل فتح الفاطميين لمصر والشام تتطلب مثل هـذه القوة الجديدة لتعيد الأمور من جديد إلى وضعها الطبيعى ، وهو ما يمكن تفسيره بما يردده بعض المحدثين - كما أشرنا منذ قليل - بالوحدة التقليدية بين مصر والشام . ولم تكن هذه القوة الجديدة إلا قوة الفاطميين الذين نجحوا أخيرا - بعد مصاعب جمة - فى إعادة ما أسميناه بالتوازن فى المنطقة .

وليس فى هذا - على ما يبدو - كثير من التجوز فى تفسير طبيعية تاريخ المنطقة فى تلك الحقبة ، إذ أن الشواهد التاريخية السابقة منها أو اللاحقة تدعم هذه النظرة عندما يمدنا التاريخ نفسه - على مدى العصور - بطبيعة نشوء الدول وارتقائها واضمحلالها ثم انهيارها . فضعف الدولة أو انحلالهـا قد يؤدى إلى مايشبه الفراغ فى المنطقة التى تحتازها ، ويمثل هـذا ظاهرة تشكل مايمكن أن نطلق عليه المقدمات أو المسببات التى تمهد لظهور دولة أخرى فتية تسد هـذا الفراغ ، وهو ما يعنيه المؤرخون دائما بالاستمرار التاريخى لمنطقة ما . ولقد كانت دولة الفاطميين الناشئة - كما أشرنا الآن - هى هذه القوة الجـديدة التى وفدت إلى الشرق لكى يكتب تاريخ منطقـة الشرق الأدنى الإسلامى بصورة تغاير تماما تلك الصورة التى كان من الممكن أن تكون عليها فيما لو كان الشام قد ضاع بين البيزنطيين والقرامطة .

وحين فرغ الفاطميون من فتح مصر فى عام ٣٥٨ هـ اتجهوا فى طريقهم الطبيعى نحو الشام لفتحه حتى وصلوا إلى أنطاكية ومشارف الإسكندرونة فى عام ٣٦٠ هـ . وكان نجاحهم الأولى شيئا طبيعيـا وهم فى فورة انتصاراتهم . إلا أن الجيوش الفاطمية وقد بلغت مداها فى تقدمها ، أصابها ما يصيب الجيوش عادة فى تلك الأحوال من الحاجة إلى فترة لالتقاط الأنفاس كما نقـول بلغة العصر . بيد أن الظروف التى أحاطت بعملية الفتح السريعة هذه لم تتح للفاطميين تلك الفرصة . فعلى الرغم من أنهم قضوا نهائيا على النفوذ الإخشيدي فى الشام وبدأ صراعهم الحربى ضد البيزنطيين فى الوقت الذى لم يكن رد الفعل البيزنطى من القوة بحيث تبدو بوادر الفشل السريع لمحاولة الفاطميين الاستيلاء على أنطاكية . هذا إلى جانب أن الحمدانيين فى شمال الشام لم يحركوا ساكنا لمناوأة الفاطميين

الذين مدوا سيطرتهم حتى حدودهم الجنوبية ، بل إنهم اعترفوا بالسلطة الروحية أو الإسمية للخليفة الفاطمى المعز ؛ نقول، على الرغم من كل ذلك ، أصيبت عملية الفتح فى مرحلتها الأولى بما يشبه النكسة وذلك بعد أن اصطدم الفاطميون بعنف بقوة القرامطة المندفعين من الجنوب لاستعادة نفوذهم الضائع فى جنوب ووسط الشام ، مما أفضى إلى انحسار النفوذ الفاطمى سريعا ـ بعد سنتين فقط من فتحهم الشام ـ ولكى يتقهقروا إلى الديار المصرية وقد تبعهم القرامطة حتى دقوا أبواب القاهرة نفسها ، ولم يتمكن الفاطميون من استعادة ما فقدوه إلا بعد قدوم المعز من إفريقية إلى مصر ودخوله القاهرة فى عام ٣٦٢ هـ ، لكى يشهد الشام تاريخا جديدا ليس من موضوع هذا الكتاب .

هذا ، ومن المهم أن نذكر هنا أن دراسة موضوع فتح الفاطميين للشام فى مرحلته الأولى يستلزم الوقوف طويلا أمام روايات القدامى وكتابات المحدثين ومحاولة تحليلها ونقدها للخروج منها بما يصح أن يكون محاولة لإضافة شىء للدراسات التى تناولت الموضوع ، خاصة وأننا سنواجه الكثير من التناقضات فيما أتى به القدامى ومن ثم المحدثون . ولذا ، كان من المفيد أن نحاول جلاء ذلك خلال تناولنا للمرحلة الأولى لفتح الشام بالدراسة ، وهذا يعنى ـ قبل كل شىء ـ أن نتناول الموضوع حسبما أورده المؤرخون القدامى ومن تبعهم من المحدثين ثم نحاول ـ كما أشرنا منذ قليل ـ تحليل الروايات القديمة والحديثة ونقدها ، لكى نخلص بعدها إلى ما يمكن تسميته بإعادة تنظيم Reconstitution العمليات الحربية والوقائع التى تمت منذ شرع الفاطميون يحركون جيوشهم صوب الشام لفتحه حتى قدوم المعز لدين الله إلى مصر .

وعلى هذا ، كان المنهج المتبع فى الدراسة التمهيدية لموضوع هذا الكتاب

هو محاولة إلقاء نظرة عامه على الأحوال السياسية والحربية فى الشام قبل فتح الفاطميين له . وهنا نلاحظ أن أهم القوى التى كان الشام ينتظمها فى ذلك الوقت تتمثل فى قوتين لهما تأثيرهما الفعال على الأحداث من الداخل بصورة مباشرة ، وهما النفوذ أو الوجود الإخشيدى فى جنوبى ووسط الشام وإمارة الحمدانيين فى الشمال ، هذا إلى جانب قوة أخرى ثالثة لها تأثيرها من الخارج وكانت ممثلة فى البيزنطيين . ولذا أفردنا الباب الأول من هذا الكتاب لدراسة الوضع السياسى والحربى لهذه القوى التى سيحتك بها الفاطميون فى المرحلة الأولى لفتح الشام ، فقسمنا هذا الباب إلى ثلاثة فصول يهتم الأول منها بالإخشيديين فى جنوبى ووسط الشام ، والثانى بالحمدانيين فى الشمال ، والثالث بالبيزنطيين على الحدود الشمالية للشام .

أما الباب الثانى ، فيتضمن أربعة فصول ، تتناول جميعا بالدراسة والتحليل تلك المرحلة الأولى للفتح الفاطمى والتى تستغرق المدة من آخر سنة ٣٥٨ هـ إلى رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، وهو التاريخ الذى دخل فيه المعز القاهرة قادما من المغرب. وقد استعرضنا فى أول فصل من فصول الباب الثانى - وهو الفصل الرابع من فصول الكتاب - روايات المؤرخين القدامى عن تلك المرحلة ، فى حين انتظم الفصل الخامس أقوال المحدثين فى الموضوع . أما الفصل السادس فهو دراسة مقارنة تحليلية لما أتى به القدامى والمحدثون عن خط سير الفتح الفاطمى فى مرحلته الأولى ، اجتهدنا فيها لإعادة بناء الموضوع والخروج بنتائج نرجو أن تكون إضافة للدراسات الأخرى التى تناولته . وأما الفصل السابع والأخير ، فهو محاولة أخرى تعتمد أيضا على منهج المقارنة والتحليل وإعادة البناء لبيان مدى النفوذ الفاطمى على المدن الداخلية والساحلية إبان مرحلة الفتح الأولى مما لم يرد

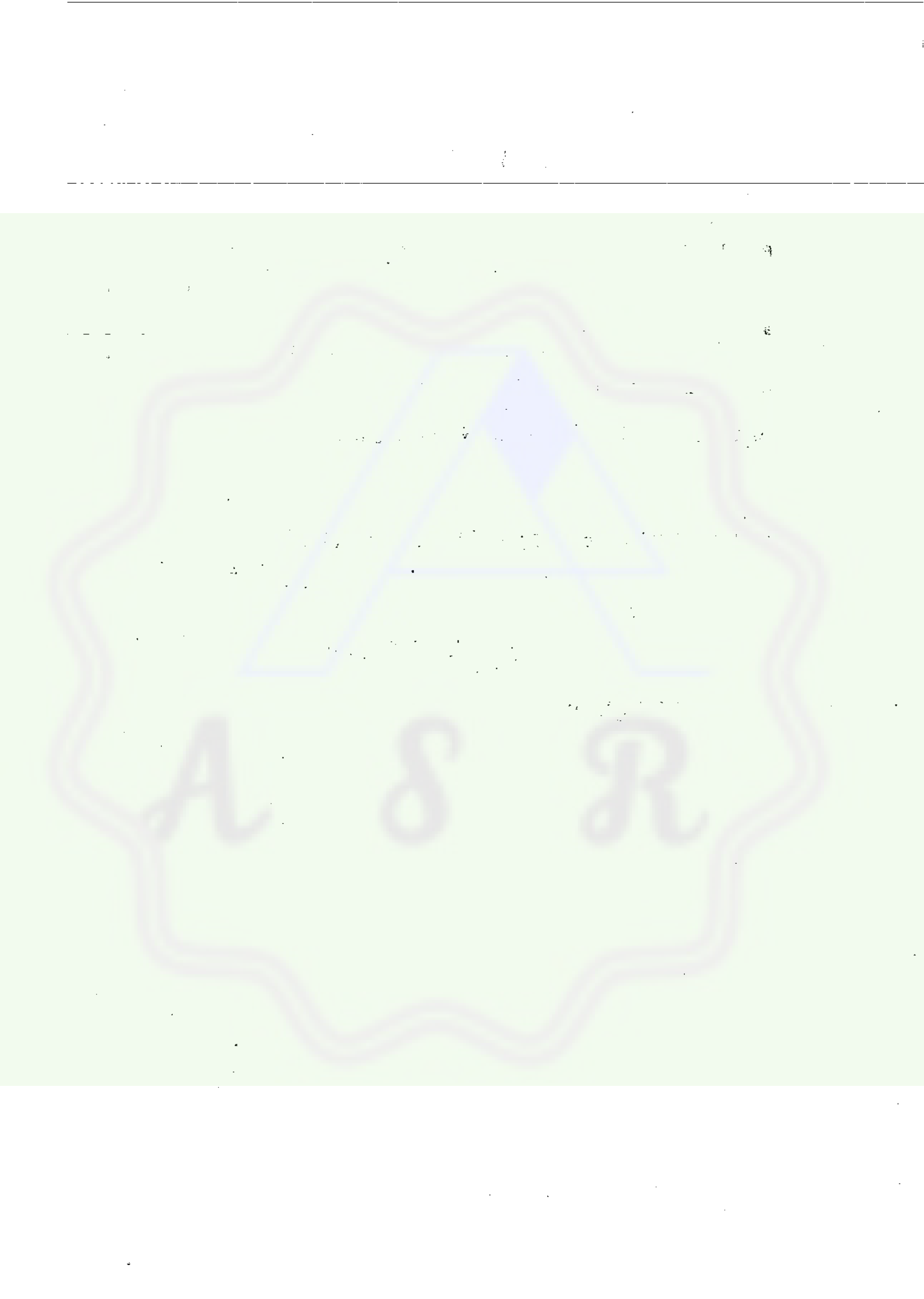
ذكره فى خط سير الفتح وليكون ذلك مكملا لما سبق الخــــروج به فى الفصل السادس .

وإذا كنا لم نفرد دراسة حول المصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها فى هذا الكتاب ، فلعل ما استعرضناه منها فى حواشى فصول البـــاب الأول وفى متن وحواشى فصول الباب الثانى يمثل دراسة ونقدا وتحليلا لها يفى ببعض الغرض إن لم يكن كله .

وأخيرا ، فلعلنا بهذه الدراسة نكون قد أضفنا جديدا إلى المكتبة العربية الإسلامية .

والله ولى التوفيق ؟

درويش النخيلى



الباب الأول

القوى السياسية فى الشام قبيل الفتح الفاطمى

الفصل الأول : الإخشيديون فى جنوب ووسط الشام

الفصل الثانى : الحمدانيون فى شمالى الشام

الفصل الثالث : البيزنطيون على الحدود الشمالية للشام

الفصل الاول

الاخشيديون فى جنوبى ووسط الشام



الباب الأول

القوى السياسية فى الشام قبيل الفتح الفاطمى

الفصل الأول

الإخشيديون فى جنوبى ووسط الشام

لم تعمر الدولة الإخشيدية فى مصر أكثر من خمس وثلاثين سنة [1] . وكان لشخصية الإخشيد أثر كبير فى قوة الدولة ومنعتها ، فلما مات ، وتولى الأمر كافور ـ سواء متغلبا أو مستقلا بالملك ـ بقيت الدولة على حالها من القوة والمنعة باستثناء بعض الحوادث فى مصر أو فى الشام . وحين توفى كافور ، لم تلبث الدولة أن انهارت فجأة تحت ضربات الغزو الفاطمى . وقد كان للحوادث التى وقعت فى أيام الإخشيد وكافور ـ والتى كان مسرحها ما انتظمته الدولة الإخشيدية بالشام ـ أثرها فى تحديد الرقعة التى بسط الإخشيديون عليها سيطرتهم فى هذه المنطقة . وإذا كان لنا أن نحدد مدى طبيعة هذه السيطرة ، فمن الأجدى أن نرجع إلى الأيام الأولى التى بدأ فيها الإخشيد بتوليه مصر والشام لكى تتضح الصورة بأبعادها المختلفة .

---

(١) ابتدأت الدولة الإخشيدية فى مصر باستيلاء عساكر الإخشيد على الفسطاط فى أواخر شهر رمضان من سنة ٣٢٣ هـ (أغسطس ٩٣٥ م) ، وانتهت بالغزو الفاطمى لها فى شعبان ٣٥٨ هـ (يونيه ٩٦٩ م) . وكان الراضى ـ الخليفة العباسى ـ قد قلد الإخشيد مصر والأخير مقيم بدمشق ؛ انظر : ابن سعيد (على بن موسى الأندلسى) ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق زكى محمد حسن وآخرين ، ج ١ ، من القسم الخاص بمصر ، ص ١٥٧ ، ١٥٩ ،

كان الإخشيد يتولى الحكم فى الشام قبل ولايته على مصر (٢) ، فلما تولى حكم مصر ، انضاف إليه ما بيده من الشام (٣) . ولم يكد الأمر يستقر للإخشيد فى مصر (٤) ، وتطيب له العلاقة مع الحكومة المركزية فى بغــداد ، حتى بدأته

= القاهرة ١٩٥٣ م ؛ فى حين يورد ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٥ ، أن الراضى قلده أعمال مصر فى سنة ٣٢٤ هـ . ويبدو من المعقول أن يرجع تاريخ التقليد إلى سنة ٣٢٣ هـ استناداً إلى أن ابن زولاق — وهو ما ينقل عنه ابن سعيد — كان معاصراً للأحداث ، فقد توفى سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) أى بعد ٢٩ عاما فقط من قيام الدولة الفاطمية فى مصر ؛ وهــو علاوة على هذا ينص (فى : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٤٩) على أنه حين شرع فى كتــابة سيرة الإخشيد — عندما سئل فى ذلك سنة خمسين وثلاثمــائة — لم يضمن هــذه السيرة « إلا ما شاهدته أو أخبرنى به من أثق به حسبما أمكننى » ؛ وهو قد عاصــر كذلك قيــام الدولة الإخشيدية فى مصر ، إذ ولد سنة ٣٠٦ هـ (٩١٨ — ٩١٩ م) ، فلا يعقل على هــذا أن يخلط فى تاريخ قيامها . وهناك مصدر آخر معاصر هو أبو عمر محمــد بن يوسف الــكندى المصرى ، المتوفى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) فهو يحدد أيضا تاريخ دخول الإخشيد مصــر (الفسطاط) بأواخر شهر رمضان سنة ٣٢٣ هـ ؛ أنظر : الــكنــدى ، الولاة ، ص ٢٨٦ . راجع أيضا فى هذا الصدد : سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الإخشيــديين ، ص ٧٩ ، القاهرة ١٩٥٠ م ، وما أشارت إليه من مصادر متأخرة ترجع تاريخ التقليد إلى سنة ٣٢٤ هـ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٥٥ — ١٥٧ .

(٣) ابن الأثير ، الـكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٥ ؛ وانظر أيضا : سيدة كاشف ، مصــر فى عصر الإخشيديين ، ص ٧٩ .

(٤) لاقى الإخشيد — أول الأمر — فى الواقع بعض المتاعب التى ربما كانت ستقرر مصيره ، وبالتالى مصير الدولة التى كان بسبيل إنشائها فى مصر فيما لو نجحت المقاومة التى اصطدم بها بعد استيلائه على الفسطاط . فعندما دخلت جيوشه مصر ، كان ثمة رئيس للمغاربة يدعى حبشيــا رفع لواء المقاومة فى وجه الإخشيد . وبعــد جولات فى الفيــوم وفى الفسطاط نفسها وأخيرا فى الإسكندرية ، تمــكن الإخشيد من إحباط هذه المقاومة ، التى انتهت بهروب حبشى هذا وجماعته إلى برقة من أعمال القائم بأمر الله الفاطمى ، وكانوا قبل ذلك قد كتبوا إليه يستحثونه على =

المتاعب تواجهه فى الشام . فقد كان ما يجرى من أمور فى العراق تكاد نتائجه تقرر مصير الشام باقتطاعه من مصر ، فى الوقت الذى كانت فيه جهود الإخشيد موجهة أساسا نحو الاحتفاظ بولاية الشام (٥) ، إذ وجد الإخشيد فى القوى المتغلبة على الإمارات الإسلامية المجاورة للشام خطرا يدعو إلى اليقظة حتى لا تسلخ منه سورية . إلا أن الأحداث كانت تدور بسرعة ، فبعد الصراع بين أبى عبد الله البريدى — المتغلب على الأهواز (٧) — ومحمد بن رائق — أمير الإمراء

= إنفاذ العساكر إلى مصر واعدين بأخذها له . وكادت تنجح المحاولة بعد أن بعث إليهم القائم الفاطمى بالعسكر ، فى الوقت الذى توفى فيه حبشى ، إذ تمكن المغاربة من دخول الإسكندرية مرة ثانية ، ولكن المحاولة انتهت بالفشل الذريع ، انظر : ابن سعيد ، المغرب ص ١٥٩ — ١٦٠ ، ١٦١ ؛ الكندى ، الولاة ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ — ٢٨٨ ؛ ثم قارن : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ . وجدير بالذكر أن اثنين من قادة المغاربة الهاربين عادا من برقة فى عام ٣٢٨ هـ إلى الإخشيد مستأمنين ، فأمنهما ؛ انظر الكندى ، الولاة ، ص ٢٨٩ .

(٥) Lane - Poole (Stanley), A History of Egypt in the Middle Ages, 5 th ed. , p. 83, London 1936.

(٦) يقول Lane-Poole , loc. cit. فى هذا الصدد : « بدأت السلطة الزمنية للخليفة العباسى فى الزوال بعد أن حقق حكام الولايات المختلفة سلطات واسعة . فقد تسلط البويهيون على فارس ، والسامانيون على أراضى ما وراء نهر جيحون ، والحمدانيون على أرض الجزيرة ، كما قام صراع بين عدد من الأمراء الأتراك الذين تطلعوا إلى امتلاك بغداد وإلى حجب الخليفة » .

(٧) الأهواز — أو خوزستان — : ما يقع إلى الشرق من حد إقليم واسط وأعمالها حتى فارس واصبهان ؛ راجع : ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى) ؛ صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ٢٢٥ ، منشورات دار مكتبة الحياة ؛ بيروت (بدون تاريخ) ، المقدسى البشارى ، =

= فى سنة ٣٢٠ هـ (٨) (٩٢٧م)، وبعد الوحشة بين الأخير وبين القائد بجكم الديلمى فى سنتى ٣٢٦ هـ (٩٣٠ م) و ٣٢٧ هـ (٩) (٩٣٩ م)، منح ابن رائق حكم المناطق العليا لنهر الفرات وحران (١٠) والرها (١١) وقنسرين (١٢)

= أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، نشر دى غويه De Goeje ص ٤٠٤ ؛ الطبعة الثانية، مطبعة بريل Brill، ليدن Leyden ١٩٠٦ م ؛ ياقوت (معجم البلدان)

(٨) الصولى (أبو بكر محمد بن يحيى)، أخبار الراضى بالله والمتقى بالله (أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣ هـ) من كتاب الأوراق، نشر ج. هيورث دن J. Heyworth Dunne، ص ٨٨ — ٨٩، مطبعة الصاوى، مصر ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م (وسوف نشير إلى هذا المصدر فيما يلى هنا من صفحات باسم : الأوراق) ؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٢٦ — ١٢٩.

(٩) الصولى، الأوراق، ص ١٠٥ — ١٠٩، ١١٧ — ١٢١ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٣٣ — ١٣٤، ١٣٦.

(١٠) حران : مدينة الصابئة بأرض الجزيرة فى ديار مضر، وتقع على الطريق بين الموصل والشام جنوبى الرها ؛ راجع : ابن حوقل، صورة الأرض، القسم الأول، ص ٢٠٤ ؛ ياقوت (معجم البلدان) ؛ ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان، ج ١، ص ١١، هـ ٢، دمشق ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م.

(١١) الرها : تقع إلى الشمال من مدينة حران بأرض الجزيرة وعلى الطريق الممتد من الموصل إلى الشام ؛ انظر : ابن حوقل، صورة الأرض، القسم الأول، ص ٢٠٤ ؛ ياقوت (معجم البلدان).

(١٢) قنسرين : اسم لكورة — عاصمتها حلب — ومدينة ؛ راجع : ابن حوقل، صورة الأرض، القسم الأول، ص ١٦٣، ١٦٤ ؛ المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ١٥٤ ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٦ ؛ وانظر أيضا : خريطة كور أو أجناد الشام.

والعواصم (١٣) فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٧ ه (١٤) (يناير - فبراير ٩٣٩ م).

وبدأ بذلك الخطر على الولاية الشمالية للدولة الإخشيدية الناشئة ، ولم يجد الإخشيد بدا من مدافعة ابن رائق ليحد من أطماعه التى أخذت فى الظهور ، إذ لم يكتف الأخير بما فى يده من أعمال ، وإنما عمد إلى ممتلكات الإخشيد يريد التغلب عليها واقتطاعها منه .

ووجد الإخشيد نفسه مضطراً إلى الدخول فى صراع مع ابن رائق . وقد تمثل هذا الصراع فى دورين ، بدأ الأول بتحرك ابن رائق فى ذى القعدة سنة ٣٢٧ ه (أغسطس - سبتمبر ٩٣٩ م) نحو أعمال الإخشيد ، عندما استولى على دمشق والرملة (١٥) ، فى حين انقضى هذا الدور فى مستهل جمادى الأولى سنة

---

(١٣) قال ياقوت (معجم البلدان) : « العواصم : جمع عاصم ، وهو المانع ... والعواصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبتها أنطاكيـة ... فلما استخلف الرشيد ، أفرد قنسرين ... فصيرها جندا ، وأفرد منبـج ودلوك ورعبان وقورس وأنطاكية وتيزين وما بين ذلك من الحصون فسماها العواصم لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها » ؛ انظر أيضا : ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسـم الأول ، ص ١٦٥ ؛ وراجع : خريطة العواصم والثغور .

(١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٣٧ ؛ وقارن : الصولى ، الأوراق ، ص ١٢١ . ويضيف ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٩٩ ، أن الراضى ولى ابن رائق حلب وأعمالها . انظر أيضا : سيدة كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٨٠ . وانظر عن موقع الرملة : خريطة كور الشام ، وكانت الرملة قصبة فلسطين ؛ راجع : ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١٥٨ ؛ المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ١٥٤ ، ١٦٤ .

(١٥) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٤ ؛ وانظر أيضا : الكندى ، الولاة ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ ؛ سيدة كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٨١ .

٣٢٨ هـ (١٣ فبراير ٩٤٠ م) - بعودة الإخشيد إلى مصر (١٦) - بعد أن التقى الخصمان عند الفرما ، وتصالحا على أن تكون الرملة للإخشيد ، ومن طبرية (١٧) وما خلفها لابن رائق (١٨) .

وأما الدور الثاني من دوري الصراع ، فقد بدأ في شعبان (مايو - يونيه ٩٤٠ م) من نفس السنة عندما خرج ابن رائق من دمشق موليا وجهه شطر الديار المصرية (١٩) . ولم تجد محاولات الإخشيد المفاوضة مع خصمه لإيجاد

---

(١٦) الكندي ، الولاة ، ص ٢٨٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ ؛ سيدة كاشف ، مصر في عهد الإخشيديين ، ص ٨٣ ؛ ولكن انظر : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٥ .

(١٧) طبرية : قصبة جند الأردن ؛ راجع : ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١٦٠ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٥٤ ، ١٦١ ، وعنها يقول ياقوت (معجم البلدان) : « طبرية . . . مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية ، وهي في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور . . . وهي مستطيلة على البحيرة » ؛ انظر أيضا : خريطة كور أو أجناد الشام .

(١٨) تم اللقاء في المحرم من السنة ؛ راجع : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٤ ؛ الكندي ، الولاة ، ص ٢٨٩ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ ؛ وانظر أيضا : سيدة كاشف ، مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٨٢ ؛ ولكن راجع كذلك إشارة إلى هذا الصلح في : الصولي ، الأوراق ، ١٣٨ .

(١٩) الكندي ، الولاة ، ص ٢٨٩ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ؛ سيدة كاشف ، مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٨٣ . أما ابن سعيد — مصدرنا الأساسي — فهو لا يذكر المكان الذي خرج منه ابن رائق صوب الديار المصرية ، وإنما يكتفي بقوله (المغرب ، ص ١٧٨) : وفي شعبان ، وصلت الأخبار بعودة محمد بن رائق إلى الرملة » ، وكان قبل ذلك (ص ١٧٦) قد ذكر — بدون أن يحدد تاريخا =

حل سلمى ، فالتقيا أولا عند العريش(٢٠) ثم عند اللجون (٢١) . وانتهى هـذا الدور بالصلح بينهما مرة أخرى بأن يكون الإخشيد من الرملة إلى مصر ، وما وراءهما لمحمد بن رائق ، على أن يدفع الإخشيد لابن رائق جـزية سنوية

= لذلك — مسير محمد بن رائق من العراق إلى أعمال الإخشيد ووصوله إلى الرملة ، وهو بذلك ينفرد عن غيره بذكر خروج ابن رائق من العراق لا من دمشق التي أهمل ذكرها كما أشرنا.

(٢٠) ابن سعيـد ، المغرب ، ص ١٧٨ ؛ الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٠ ؛ يحـيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ٩٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ ؛ راجع أيضا : Lane-Poole, op. cit., p, 83. ؛ سيدة كاشف ، مصر فى عصـر الإخشيديـين ، ص ٨٣ ؛ وعن موقع العريش ، انظر : خريطة كور أو أجناد الشام .

وتحت عنوان : « ذكر استيلاء ابن رائق على الشام » فى حوادث سنة ٣٢٨ هـ ، يدمج ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٠ ، دورى الصراع المذكورين ، فينتهى إلى الخلط بين خروج ابن رائق فى الدفعة الأولى التى يستولى فيها على دمشق والرملة ، وفى الدفعة الثانية التى يصل فيها إلى العريش ، فتظهر الأحداث بذلك وكأنها سلسلة واحـدة لا يقطعهـا ذلك الصلح بين الخصمين الذى انتهى فى الدور الأول بالاتفاق الذى ألمنا إليه ، فيورد ابن الأثير خروج ابن رائق إلى الشام وامتلاكه حمص ثم دمشق ، فالرملة ، ثم مسيره تجـاه العريش حيث يلتقى بالإخشيد ، ثم انهزام ابن رائق نحو دمشق ، وأخيرا التقاءه بالإخشيديين عنـد اللجون ، وبعدها يأتى إلى ذكر الصلح الذى أبرم بين الطرفين فى الدور الثانى .

(٢١) لا تكاد تتفق المصادر أو المراجع على المكان الأخير الذى التـقى فيه الخصمان ، وهو المكان الذى قتل فيه أبو نصر الحسين بن طغج أخو الأخشيد . فابن سعيد يغفل اسـم المكان ؛ انظر : المغرب ، ص ١٧٨ . أما الكندى (الولاة ، ص ٢٩٠) ، ويحيى الأنطاكى (تاريخه ، ص ٩٦) ، وابن الأثير (الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٠) فهم يحـددون المكان باللجون ، وقد تبعهم فى ذلك كل من : بكر (C. H. Beeker) ، الإخشيد ، فى : دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد ١ ، ص ٥١٣ من الطبعة العربية ، القـاهرة ١٩٣٣ م ؛ Lane-Poole , op. cit. , p. 83. ؛ فى حين أغفلت سيدة كاشف هى الأخرى مكان =

مقدارها مائة وأربعون ألف دينار سنويا (٢٢) . ومن الطريف أن هذا الصلح قد توج أخيرا بالمصاهرة بين الخصمين ، إذ زوج الإخشيد ابنته فاطمة من مزاحم بن محمد بن رائق (٢٣) .

= الوقعة (انظر : مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٨٣) . أما ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ ، فهو يرى أن هذا اللقاء الذى انتهى بمقتل أخى الإخشيد حدث فى العريش ، وإن كان يشير إلى ما أورده أبو المظفر فى مرآة الزمان من أن ذلك كان باللجون . راجع ما وقع فيه ابن تغرى بردى من خلط ، فى : الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٠ ، ه ١ ؛ ولكن راجع أيضا فى انهزام ابن رائق نحو دمشق : الصولى ، الأوراق ، ص ١٤٣ . أما عن موقع اللجون ، فقد قال ياقوت (معجم البلدان) : « اللجون . . . بلد بالأردن ، وبينه وبين طبرية عشرون ميلا ، وإلى الرملة ـ مدينة فلسطين ـ أربعون ميلا » ؛ راجع أيضا : خريطة كور أو أجناد الشام .

(٢٢) يلاحظ أن ابن زولاق لم يذكر قيمة الجزية ، وإنما اكتفى عند الإشارة إلى شروط الصلح بقوله : (فى : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٩) : « . . . ومال يحمله الإخشيد » . انظر فى ذكر تداعى الصلح بين الخصمين : الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٠ ؛ وفى ذكر شروط الصلح وقيمة المال الذى يحمل لابن رائق ، انظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٠ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ ؛ وراجع أيضا : Lane-Poole, op. cit., p. 83 ؛ سيدة كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٨٣ .

(٢٣) Lane-Poole, loc. cit. ؛ سيدة كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٨٣ .

هذا وينفرد ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٠ — ١٠٢ ، بذكر تسيير الإخشيد لكافور فى عسكر إلى شمالى الشام بعد مقتل أخى الإخشيد ؛ وقد قصد هذا العسكر حلب وأخذها من يد واليها من قبل ابن رائق ؛ وبعدها يذكر ابن العديم أن الإخشيد اتفق وابن رائق على أن يخلى الاخشيد حمص وحلب ويحمل إليه مالا ؛ ثم يسوق ابن العديم بعد ذلك قصة المصاهرة التى أشرنا إليها بالمتن . انظر أيضا فى استيلاء كافور على حلب : زامباور =

وهكذا تخلص الإخشيد من مضايقات ابن رائق نهائيا بذلك الصلح الأخير ، كما اطمأن على أعماله فى الشام من الغزوات المفاجئة من صديقه اللدود .

ثم جاءت الأنباء إلى مصر فى شعبان سنة ٣٢٩ ﻫ (مايو ٩٤١ م) بتولية المتقى بعد وفاة الراضى (٢٤) فى ربيع الأول من السنة (٢٥) (ديسمبر ٩٤٠م)، فدعا الإخشيد للمتقى الذى وصل كتابه إليه بإقراره على ما بيده من أعمال. (٢٦) وبدا وكأن المفاجآت الخارجية قد انقضى عهدها ، ولكن ظهرت فى الأفق البعيد بوادر تنبىء عن نفس المتاعب التى مرت بالإخشيد ، فلم يجد سعة عن الدخول فى صراع جديد فى منطقة الشام للاحتفاظ بولايته على أعماله هناك . وكان الخطر الجديد يتمثل فى خصم عنيد آخر هو سيف الدولة على بن حمدان .

فبعد مرور سنة على تولية المتقى ، بدأت الحوادث تتجمع فى سلسلة مترابطة لتدفع كلا من الإخشيد وسيف الدولة إلى المصير المحتوم بالدخول فى صراع مسرحه أعمال الإخشيد فى الشام .

وقد بدأت أولى حلقات هذه السلسلة من الحوادث حين اشتدت وطأة البريدى على المتقى (٢٧) ، الذى استنجد بالحمدانيين المتغلبين فى أرض

= (ادوارد ، فون Edward von Zambaur) ؛ معجم الأنساب العربية ، أخرجه زكى محمد حسن وآخرون ، ج ١ ، ص ٥٠ ، القاهرة ١٩٥١ م .

(٢٤) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٩ .

(٢٥) الصولى ، الأوراق ، ص ١٤٩ ؛ المسعودى ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٨٨ ؛ وله أيضا : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٥١٩ .

(٢٦) كان ذلك فى شوال من السنة (يونيه — يوليو ٩٤١ م) ؛ انظر : الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٠ — ٢٩١ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٩ .

(٢٧) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٤ — ٢٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٦ — ١٤٨ .

الجزيرة (٢٨) – والذين كانوا يجاورون أعمال ابن رائق بالشام – ، وكان المتقى من قبل قد استحث ابن رائق على المسير إليه ليعتضد به على استبداد الديلم(٢٩) .

وتدور الحوادث بسرعة ، إذ يعمل الحمدانيون على الإيقاع بابن رائق طمعا فى أملاكه بالشام ، فينتهزون فرصة وجوده بين ظهرانيهم فيعاهدونه لإظهار حسن نيتهم ؛ ثم يساق ابن رائق لنهايته الدامية ، وينتهى الأمر بقتله بالموصل فى رجب سنة ٣٣٠ هـ(٣٠) (مارس – أبريل ٩٤٢ م) .

---

(٢٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٨ .

(٢٩) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٠ . ولا يشير ابن زولاق (فى : ابن سعيد ، المغرب) صراحة إلى السبب فى كتابة المتقى لابن رائق ، بل يلمح إلى أن المتقى كتب إليه من بغداد فحسب ؛ انظر : (ص ١٧٩ – ١٨٠) ؛ وانظر أيضا : سيدة كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين، ص ٨٥ . وعن استبداد الديلم ، راجع : ابن الاثير، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٤ – ١٤٥ . ومن الملاحظ أنه بعد انتهاء خطر الديلم بانهزامهم على يد ابن رائق ، ظهر خطر البريدى الذى استطاع أخيرا أن يهزم المتقى وابن رائق ؛ انظر فى ذلك : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٥ ، ١٤٨ .

(٣٠) انظر تفاصيل مقتل ابن رائق ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٧ – ٢٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٨ ؛ وراجع أيضا : الكندى ، الولاة ، ص ٢٩١ .

وينفرد ابن العديم بذكر مقتل ابن رائق بين يدى المتقى نفسه ، إذ يقول (زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٢) : « وقتل ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله حمدان أبا بكر محمد ابن رائق ، فى رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة بين يدى المتقى » ؛ راجع فى هذا الصدد أيضا : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، ١٠٨ .

أما ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ ، فهو يشير إلى أن ابن رائق لقى مصرعه فى قتال كان بينه وبين بنى حمدان بالموصل ؛ وهذا يخالف ما جاء بالمتن هنا بما يفيد أنه قتل غيلة .

وبدأت تظهر فى الأفق ومضات من خطر الحمدانيين الخصم المرتقب ، فقد بدأت نواياهم تظهر تجاه أملاك ابن رائق فى الشام. ولم ينتظر الحمدانيون كثيرا، إذ سيروا عسكرا انتزع حلب فى نفس السنة من يد واليها من قبل ابن رائق،(٣١) فتحقق بذلك الخطر الحمدانى على أملاك الإخشيد فى الشام .

وعلى كل حال ، لم يكد الإخشيد يبلغه خبر مقتل ابن رائق ، حتى عمل على تأمين حدوده فى الشمال ، فأسرع وأنفذ جيوشه إلى الولاية الشمالية ، ثم سار هو بنفسه إلى الشام (٣٢) ، وحتى دخل دمشق وأصلح أمورها ، وأقام بها

= هذا ، وتشير الدكتورة سيدة كاشف (مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٨٦) عند التكلم عن عبور الخليفة المتقى نهر الفرات لمقابلة الإخشيد عند الرقة سنة ٣٣٢ هـ ، إلى أن الإخشيد خاف عبور الفرات حتى لا يجرى عليه ما جرى على ابن رائق بعد أن عبر الفرات وقتله الحمدانيون . ويبدو أن الدكتورة سيدة كاشف تعتمد فى هذا على نص ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، من أن الحمدانيين بعد اغتيالهم ابن رائق قد ألقوا بجثته فى الفرات . وفى هذا ما يناقض النصوص الأخرى التى تنص صراحة على أن واقعة الاغتيال كانت بالموصل ؛ فقد نص على ذلك كل من مسكويه ؛ وابن الأثير ؛ وابن تغرى بردى — وإن لم يقل بأنه اغتيل — ؛ بل إن الدكتورة سيدة كاشف (نفس المرجع ، ص ٥٨) تلمح إلى ذلك أيضا ؛ فهى تشير إلى أن المتقى وابن رائق خرجا إلى الموصل حيث كان ناصر الدولة بن حمدان ؛ كما يشير ابن الأثير (نفس الجزء والصفحة) إلى إلقاء جثة ابن رائق فى نهر دجلة لا الفرات والآراء متفقة — فيما عدا ابن زولاق فى مغرب ابن سعيد — بصورة منطقية على أن الواقعة كانت بالموصل ، إذ ليس ثمة معنى لأن يجشم الحمدانيون أنفسهم مشقة المسير إلى الفرات بجثة ابن رائق لإلقائها هناك ، وبجانبهم نهر دجلة ، فالموصل — كما هو معروف — تقع على نهر دجلة . انظر أيضا إشارة سريعة إلى مقتل ابن رائق ، فى : الصولى ، الأوراق ، ص ٢٢٦ .

(٣١) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٣٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٨ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٨٠ .

مدة ، ثم خرج منها عائدا إلى الديار المصرية حتى وصلها فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة »(٣٣).

وفى بغداد – حيث تستبد الشخصيات القوية ، الممثلة فى أمراء الأمراء ، الواحدة تلو الأخرى بالأمور دون الخليفة ، وحيث الخليفة لاحول له – انتهى الأمر بتغلب توزون أمير الأمراء الجديد (٣٤) ، كما تمكن الحمدانيون من الخليفة المتقى (٣٥) ، مما أدى إلى استنجاد الخليفة بالإخشيد ، فكاتبه بالمسير إليه حيث كان بالرقة (٣٦). وكان الإخشيد قد خرج إلى الشام (٣٧) ليستعيد حلب من

(٣٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ . ويعزو الصولى موافاة الإخشيد دمشق إلى رغبته فى إنفاذ جيش ينتزع الموصل ، إلا أنه رجع عن عزمه بعد أن كتب إليه المتقى يمنعه من ذلك ؛ راجع له : الأوراق ، ص ٢٣٧ . هذا ويشير Lane - Poole, op. cit., pp 83 - 4 إلى دخول الإخشيد دمشق « دون أن يضرب ضربة واحدة » وذلك بعد سنتين من موت ابن رائق ، وفى هذا مخالفة لنص ابن تغرى بردى ؛ ويظهر أن لين بول Lane - Poole قد أخذ نصه هذا من ابن تغرى بردى نفسه ، إذ يشير الأخير فى موضع آخر من نفس الصفحة (٢٥٤) إلى أن الإخشيد عندما توجه إلى الشام سنة ٣٣٢ هـ – أى بعد مقتل ابن رائق بسنتين – لموافاة الخليفة المتقى عند الرقة ، وصل إلى دمشق ، ثم سار عنها إلى الرقة . وفى تصحيح هاتين الواقعتين الأخيرتين اللتين يوردهما ابن تغرى بردى عن توجه الإخشيد إلى الشام ومن ثم خروجه من دمشق إلى الرقة ، انظر ما جئنا به هنا فيما بعد بالحاشية رقم (٤٠) والحاشية رقم (٤١) من حواشى هذا الفصل .

(٣٤) انظر تفاصيل العلاقة بين توزون والمتقى من بدء تلقيب توزون بأمير الأمراء إلى سمله عينى المتقى ثم القبض عليه وخلعه ، فى : الصولى ، الأوراق ، ص ٢٤٣ – ٢٨٣ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٤٤ – ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ – ٥١ ، ٦٧ – ٧٥ .

(٣٥) الصولى ، الأوراق ، ص ٢٦١ .

(٣٦) نفس المصدر السابق . ولا نرى لدى مسكويه أية إشارة إلى أن المتقى قد كتب إلى الإخشيد يستدعيه ؛ راجع له : تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٦٧ . أما عن الرقة ، فهى تقع =

أيدى الحمدانيين (٣٨) ، وتمكن فعلا من دخولها (٣٩) ، فأقر الأمور بهـا ، ثم خرج عنها موليا وجهه شطر الرقة (٤٠) – بعد أن وصلته رسالة المتقى – حيث وافى هنالك الخليفة الذى كان بصحبة بنى حمدان وفيهم سيف الدولة (٤١) .

= على الشاطىء الشرقى لنهر الفرات قرب صفين ؛ راجع : أبن حوقـل ، صـورة الأرض ، القسم الأول ، ص ٢٠٣ ؛ وانظر أيضا فى تحديد موقعها : خريطة العواصم والثغور .

(٣٧) أورد ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ ، تاريخ خروج الإخشيد فى هذه السفرة فى شهر رجب لثمان خلون منه سنة ٣٣٢ هـ (٧ مارس ٩٤٤ م) ؛ إلا أن الكندى ، لولا ة ، ص ٢٩٢ ، كان أدق منه حينما روى أن الإخشيد قد أمر بعضربه « فأخرج لثمـان خلون من رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، ثم سار إلى الشام يوم الأربعاء لست خـلون من رمضان سنة اثنتين وثلاثين » ؛ أما ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩١ ، فقد أغفـل ذكر أى من التاريخين .

(٣٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجـوم ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ ؛ ولـكن قارن : ابن سعيد ، المغرب ، ص ٢٩١ ؛ ابن الأثـير ، ج ٨ ، ص ١٦٢ – ١٦٣ ؛ وانظر أيضا : Lane - Poole, op.cit., p. 84.

(٣٩) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(٤٠) ينص ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ ، على أن الإخشيد خرج إلى مصر ، فوصل إلى دمشق ، ومنها وافى المتقى بالرقة ؛ ويبدو أن هذا ما جعل Lane - Poole, op. cit., pp. 83-4 يشير إلى خروج الإخشيد من مصر بعد سنتين من مقتل ابن رائـق متوجها إلى دمشق . راجع مافات هنا من قبل بالحاشية رقم (٣٣) فى هذا الفصل .

(٤١) راجع : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٦ ؛ فقـد نص على إنفـاذ الخليفة المتقى رسولا إلى الإخشيد بعد دخول الأخير حلب ، يسأله « أن يسير إليه ليجتمع معه بالرقة ، ويجدد العهد به ، ويستعين به على نصرته ، ويقتبس من رأيه » ؛ انظر أيضا : Lane - Poole, op. cit., P. 84 ؛ ولـكن قارن : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٢ ، فهو يناقض ابن العديم حين يذكر – أى ابن الأثير – أن المتـقى قـد كتب إلى الإخشيد « يشكو حاله ويستقدمه إليه ، فأتاه من مصر » ؛ فى حين يتفق مع ابن العديم فى =

وعند الرقة ، كادت تتكرر مأساة الموصل ، والتى راح ضحيتها محمد بن رائق ، ولكن الإخشيد كان أكثر حذرا ، ولم يشأ أن يمر بنفس التجربة الدامية ؛ فعبر الخليفة لمقابلته . وقد امتازت هذه المقابلة بحدثين هامين ، لم يكتب لأولهما أن يرى النور ؛ أما الحدث الأول ، فهو فشل محاولة الإخشيد بعث فكرة أحمد ابن طولون لنقل الخلافة العباسية إلى مصر(٤٢) ؛ وأما الحدث الثانى ، فهو تقرير

= خروج الإخشيد من حلب لموافاة المتقى بالرقة وذلك فى قوله (نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ١٦٣) : « . . . وسار الإخشيد من حلب ، فوصل إلى المتقى منتصف المحرم، وهو بالرقة »؛ وانظر نفس الاختلاف ، فى : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ — ٢٨١ ؛ وانظر له أيضا فى صحبة المتقى للحمدانيين فى توجهه إلى الرقة ، ما أورده عن وصول الإخشيد إلى دمشق ومسيره منها — لا من حلب — إلى الرقة : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ ؛ ولكن راجع إشارتنا إلى هذه العبارة الأخيرة فى تعليقنا المذكور بالهامش رقم (٣٣) فى هذا الفصل .

(٤٢) انظر : جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٦٦ — ١٦٣، ١٩٨ ، الإسكندرية ١٩٦٧ م ، وما بهوامش هذه الصفحات من مصادر ومراجع ؛ وأضف إلى المصادر: مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٦٨ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه، ص ١ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٧ . ولكن ابن زولاق — فى الوقت الذى يغفل فيه موضوع نقل الخلافة — يشير إلى أن الإخشيد كان يتطلع فى تلك المقابلة إلى منصب إمرة الأمراء ببغداد ، ولكنه تراجع سريعا عن تلك الفكرة حين وازن بين ما بيده من أعمال وعوائد المنصب الجديد ، فيقول (فى : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٢) مترجما أفكار الإخشيد فى هذا الصدد : « أسير بين يدى أمير المؤمنين وأخدمه فى بغداد ، فأجابه المتقى إلى ذلك ؛ وأحب الإخشيد أن يكون أمير الأمراء » ؛ راجع فى هذا أيضا : بروكلمان (كارل Carl Brockelmann) ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ٢ ، الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، ص ١٠٢ ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٤ م . وانظر أيضا فى كتابة الخليفة التالى — المستكفى بالله — إلى الإخشيد يغريه بنفس المنصب ، وتعنع الإخشيد : ميتز (آدم Adam Mitz) ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، ج ١ ، =

قاعدة الوراثة فى إمارة مصر الإخشيدية بعد أن استخلف المتقى الإخشيد ولده أنوجور من بعده (٤٣) .

وأيا ما كان الأمر ، فقد ظهر الخطر الجديد على أعمال الإخشيد بالشام ممثلا فى الحمدانيين ، إذ شكلوا بظهورهم خطرا على الولاية الشمالية ، فقد عمدوا إلى تركة ابن رائق يريدون تصفيتها واحتجانها لأنفسهم . وكانت أولى عملياتهم الحربية تتمثل فى احتلالهم لحلب (٤٤) التى ستصبح فى يوم ما قاعدة لدولتهم الجديدة بالشام ، والتى سيكون لها دور يذكر باعتبارها دولة حاجزة بين المعسكرين الإسلامى والبيزنطى فى صد إغارات الروم أوفى شن الغارات عليهم .

استرد الإخشيد إذن حلب من أيدى الحمدانيين ، وفى أثناء عودته من الرقة - بعد مقابلة الخليفة المتقى - عرج على حلب وولى عليها واحدا من الكلابيين (٤٥).

وهنا بدأ نجم سيف الدولة على بن حمدان - مؤسس الدولة الحمدانية بعد قليل بالشام - يلمع . وقد واتته الظروف التى أسفرت له عن وجهها فى حلب بالذات ، إذ تحاسد الكلابيون ، ونفسوا على والى حلب - الكلابى - ولايته ،

= ص ٤١ ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م ؛ سيدة كاشف ، مصر فى عهد الإخشيديين ، ص ٨٩ (التى تنقل نفس الشيء عن ميتز ، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٠ م) ، و هـ ٢ بنفس الصفحة .

(٤٣) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٢ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

(٤٤) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٣٥ .

(٤٥) هو أبو الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن الوليد الكلابى ، راجع : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١١ .

ولم يجدوا من يتوجهون إليه غير سيف الدولة ليسلموا إليه حلب (٤٦)، فقد كان لسيف الدولة ماضيه القريب المشرق فى مجاهـــدة البيزنطيين (٤٧)، حتى لقب فى بغداد بالغازى(٤٨)، وبسيف الدولة (٤٩).

وفتحت هذه الدعوة لسيف الدولة آفاقا واسعة ، خاصة بعد أن طلب من أخيه ناصر الدولة - المتغلب على الموصل - إحدى الولايات ، فحول الأخـــير أنظاره نحو الشام ، وحثه على طلب الولاية هناك (٥٠) . فانتهـــز سيف الدولة فرصة اختلاف الكلابيين ودعوتهم له ، فسار إلى حلب ، ودخلها فى ربيع الأول سنة ٣٣٣ هـ(٥١) (أكتوبر - نوفمبر ٩٤٤ م) . ثم استطاع الاستيلاء على قنسرين والثغور الشامية (٥٢) وحمص وأنطاكية ، وأراد أن يضـــفى على تصرفاته الصفة

---

(٤٦) راجع فى ذلك : نفس المصدر السابق .

(٤٧) انظر ما جاء هنا فيما بعد ، هـ ٥ (من الفصل الثالث الخاص بالحمدانيـين) ، فى تعليقنا على ماورد بالمتن هناك .

(٤٨) أسد رستم ، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ج ٣ ، ص ٣١ ، الطبعة الأولى ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٦ م ؛ ولم يحدد لنا مصدره.

(٤٩) كان ذلك فى أول شعبان سنة ٣٣٠ هـ (٢١ أبريل ٩٤٣ م) ؛ راجــع : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٣٨ ؛ ابن ظافر ، فى , Canard (Marius) Sayf al - Daula, pp. 12 , 14 , Alger 1934 ؛ ابن الأثـير ، الكامـل ، ج ٨ ، ص ١٤٨ ؛ مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ٣٧ ، الطبعة الأولى ، نشر دار القلم ، القاهرة ١٩٥٩ م .

(٥٠) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٥١) نفس المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١١ — ١١٢ ؛ وانظر أيضا : ابن الأثير، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٥ .

(٥٢) انظر : خريطة العواصم والثغور .

الشرعية ، فأقام الدعوة للمستكفى ، ولأخيه - ناصر الدولة - ولنفسه (٥٣).

وبذلك أصبح الإخشيد بعيدا عن الأمان فى حدوده الشمالية ، وأصبحت الحرب أمراً محتوما بين الحمدانى والإخشيد. وقد كتب الإخشيد إلى المستكفى شاكيا سيف الدولة (٥٤)، ولكن موقف الخليفة السلبى اضطر الإخشيد إلى إتخاذ الخطوات الإيجابية تجاه الخطر الجديد.

وانتهز الإخشيد فرصة خروج سيف الدولة إلى أرض الروم غازيا ، فسير عسكرا تحت إمرة خادمه كافور ويانس المؤنسى لاسترداد ما فقد من أعمال ، ولدفع الخطر المرتقب عن دمشق (٥٥).

---

(٥٣) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٣ .

(٥٤) نفس المصدر السابق .

(٥٥) لا تكاد تتفق المصادر على تعاقب الأحداث بصورة منطقية لتفسير السبب الذى حدا بالإخشيد لأن ينفذ عسكرا لمحاربة سيف الدولة ، وهى لا تكاد تتفق أيضا على أسماء قواد هذا العسكر ؛ فيذكر ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٣ ، أن الإخشيد بلغه أن سيف الدولة قد سار إلى حمص يريد دمشق ، فبادر بتجريد عسكر كبير تحت قيادة أربعة من القواد ؛ ولكن الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٢ ، يورد الواقعة فى سطر واحد مغفلا الأسباب، ويضع على رأس الجيش الذى أنفذه الإخشيد كلا من كافور وفاتك ، ثم يسوق الكندى (ص ٢٩٢ — ٢٩٣) ما جرى بين الإخشيد نفسه وسيف الدولة من أحداث فى اختصار شديد ؛ ثم يأتى ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٥ ، فيرجع بالأحداث إجمالا من وقت دخول سيف الدولة حلب لأول مرة وانتزاعها من يد يانس المؤنسى — عامل الإخشيد — ثم مسيره منها إلى حمص لينتزعها من كافور ، وبعدها يتجه إلى دمشق ليحاصرها ولا ينجح فى فتحها ، ثم يورد بعد كل ذلك خروج الإخشيد من مصر ليلتقى بسيف الدولة فى قنسرين ، وهو بذلك يغفل التقاء سيف الدولة بكافور عند الرستن ؛ أما مؤرخ حلب ابن العديم ، زبدة =

... ...

— الحلب ، ج ١ ، ص ١١٣ ، فهو أكثر تفصيلا ، وربما كان أكثر تدقيقا ، إذ يفسر تسيير الإخشيد عسكره تحت إمرة كافور ويانس المؤنسى لرغبته فى استرداد حلب فى الوقت الذى كان سيف الدولة يغزو فى الروم .

والذى يبدو — حتى تتصل الأحداث بصورة منطقية — أن سيف الدولة بعد استيلائه على حلب وإخراج يانس المؤنسى منها ، انشغل بمجاهدة البيزنطيين ، فى الوقت الذى أنفذ فيه الإخشيد عسكراً إلى الشام لاسترداد حلب . وحدث فى الوقت نفسه أن انتهى سيف الدولة من غزوته تلك ، فانكفأ راجعا إلى حيث واجه خطر العسكر الإخشيدى بقيادة كافور ، فالتقيا بالرستن من أرض حمص ، فانهزم كافور ، وتقهقر إلى حمص ، ومنها إلى دمشق ، حيث كتب للاخشيد بالهزيمة ، فسار الأخير من مصر إلى الشام ليلتقى بسيف الدولة عند قنسرين .

وأما ما أورده ابن الأثير من أن سيف الدولة لم يستطع دخول دمشق بعد حصارها ، فإن ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٤ ؛ يقدم — كالعادة — تفسيرا لذلك ، فهو يسوق خبر وصول سيف الدولة — بعد التقائه بكافور عند الرستن — إلى دمشق فيدخلها ، ولكن يبدو أن الإخشيد بعد وصوله إلى الشام قد ألب عليه أهل دمشق فمنعوه من دخولها عندما كان خارجا عنها لبعض الوقت ، وهذا — فى أغلب الظن — هو الذى حدا بابن الأثير (نفس المصدر) إلى أن يورد أن سيف الدولة سار إلى دمشق « فحصرها فلم يفتحها » .

وأما الاختلاف فى أسماء قادة الجيش الذى أنفذه الإخشيد أول الأمر ، فلا يبدو أن ثمة سببا فى استبعاد اسم أى من فاتك أو يانس ، فنحن إذا أخذنا بما أورده ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٣ ، من أن أربعة كانوا على رأس هذا الجيش ، لكان ذلك تفسيرا بأن الجيش كان عليه كل من كافور ويانس وفاتك ورابع أغفلت اسمه جميع المصادر التى تعرضت للموضوع .

قارن ما جاء هنا عن غزاة سيف الدولة سنة ٣٣٣ هـ : الذهبى ، تاريخ الإسلام ، فى : Canard , Sayf al - Daula, p. 82 ؛ وما جاء عن يانس — عامل الإخشيد — : Sadruddin (Muhammad) , Saifuddaula , p. 42 , Lahore 1930 ؛ سامى الكيالى ، سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، ص ٦٧ ؛ القاهرة ١٩٥٩ م .

ولكن الهزيمة حاقت بالمعسكر الإخشيدى عند الرستن(٥٦) من أرض حمص على نهر العاصى (٥٧)، وتمكن سيف الدولة من دخول دمشق والاستقرار بها فى رمضان سنة ٣٣٣ هـ (٥٨) (أبريل - مايو ٩٤٥ م). ولما علم الإخشيد بهزيمة الرستن، اضطر للخروج بنفسه من مصر فى هذه المرة أيضا لمواجهة سيف الدولة(٥٩)، وكاتبه ملتمسا منه الموادعة فلم يستجب له سيف الدولة (٦٠). فعمد الإخشيد إلى الحيلة بأن ألب أهل دمشق على سيف الدولة، فمنعوه فعلا من دخولها عندما خرج لبعض شأنه، فاهتبل الإخشيد الفرصة - وكان معسكرا بالرملة(٦١) - فسار يتبع سيف الدولة حتى وصل إلى حمص(٦٢).

---

(٥٦) قال ياقوت (معجم البلدان) : «الرستن : بلدة قديمة كانت على نهر الميماس، وهذا النهر هو اليوم [أى على زمن ياقوت] المعروف بالعاصى الذى يمر قدام حماة . والرستن بين حماة وحمص فى نصف الطريق » ؛ انظر أيضا خريطة العواصم والثغور .

(٥٧) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٣ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٣ ؛ الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(٥٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ص ١١٤ ؛ وقارن : الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(٥٩) كان ذلك فى يوم السبت ٥ شعبان سنة ٣٣٣ هـ (٢٣ مارس ٩٤٥ م) ؛ الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٢ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ . وقد كانت هذه هى السفرة الخامسة والأخيرة التى يخرج فيها الإخشيد من مصر لمواجهة تحديات خصومه ببلاد الشام ؛ راجع الفقرة التى أحصى فيها ابن زولاق (فى : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٨٨) عدد هذه السفرات ودواعيها فى كل مرة .

(٦٠) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(٦١) نفس المصدر السابق .

(٦٢) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٤ ؛ وراجع عن هذه الفقرة والتى تليها هـ ٥٥ فى هذا الفصل .

ثم تلاقى الخصمان عند قنسرين فى شوال سنة ٣٢٣ هـ (مايو - يونيه ٩٤٥ م) ودارت الدائرة أخيرا على عسكر سيف الدولة (٦٣)، الذى انهزم إلى الرقة ولم يدخل حلب ، ومن ثم دخلها الإخشيد حيث أفسد فيها أصحابه (٦٤).

ولم يلبث الإخشيد أن عاد إلى دمشق ، وأظهر ميلا للصلح ، فترددت الرسل بينه وبين سيف الدولة ، واستقر الأمر على قاعدة الصلح ، وانتهى النزاع بينهما نهاية تشبه تلك التى كانت بين الإخشيد وابن رائق فى صلحهما الأخير ، إذ ارتبط الإخشيد وسيف الدولة برباط المصاهرة ، فتزوج سيف الدولة بفاطمة ابنة عبيد الله بن طغج أخى الإخشيد (٦٥).

أما معاهدة الصلح ، فقد تضمنت موافقة الإخشيد على أن يترك لسيف الدولة حلب وحمص وأنطاكية (٦٦)، فى حين يكون للإخشيد دمشق وما حولها

---

(٦٣) ابن العديم، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٤ ؛ ارجع : الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(٦٤) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٤ ، وبنص ابن زولاق (فى : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٤) على أن سيف الدولة لم ينصرف بعد الوقعة ، بل « عسكر مواجها للإخشيد ، فاختار الإخشيد المسالمة » ؛ وقد يفهم من هذا أن سيف الدولة لم يبرح مكانه ؛ وهذا يخالف ما جاء فى كلام ابن العديم ؛ وابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ ؛ إذ يقول الأخير فى معرض كلامه عن الوقعة بين الإخشيد وسيف الدولة : « فحاربه فكسره ، وأخذ منه [أى من سيف الدولة] حلب » ؛ انظر أيضا : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ؛ ولكن راجع كذلك : سيدة كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٣٠١ ، وهـ ٥ بنفس الصفحة .

(٦٥) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٥ .

(٦٦) نفس المصدر السابق ؛ وقارن : الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، فهو يضيف حماة إلى هذه القائمة .

من أعمال(٦٧)، وأن يدفع لسيف الدولة جزية سنوية نظير احتفاظه بدمشق(٦٨).

وعلى الرغم من أن الإخشيد كانت له - حتى ذلك الوقت - الكفة الراجحة، إلا أنه وافق على التسليم بهذه الشروط، لشعوره بصعوبة حماية حدوده الشمالية، لما يتطلبه ذلك من جهد وقد بلغ السادسة والستين (٦٩)، ولاقتناعه بالدور الهام الذى يلعبه سيف الدولة بحجزه الخطر البيزنطى عن ممتلكاته فى شمالى الشام (٧٠)؛ وكذلك لإدراكه ما تتعرض له مصر بين الحين والآخر من أخطار فى حدودها الغربية من جراء محاولات الفاطميين المتكررة لغزو مصر، ولتوقعه عدم زوال هذا الخطر كلية (٧١).

ومهما كان الأمر، فقد تقرر الوضع على هذه القاعدة فى ربيع الأول سنة ٣٣٤ هـ (٧٢) (أكتوبر - نوفمبر ٩٤٥ م). ثم وافت الإخشيد منيته - وهو بدمشق - فى ذى الحجة(٧٣) سنة ٣٣٤ هـ (يوليو ٩٤٠ م)، فعاد الخطر الحمدانى

---

(٦٧) ابن سعيد، المغرب، ص ١٩٤.

(٦٨) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١١٥

(٦٩) الذهبى، دول الإسلام، ج ١، ص ١٥٣؛ ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٣، ص ٢٩٠؛ وقارن Lane - Poole, op. cit., p. 85، فقد ذكر أنه توفى عن أربعة وستين عاماً، فى حين ولد الإخشيد فى ١٥ رجب سنة ٢٦٨ هـ (٨ فبراير ٨٨٢ م)؛ راجع: ابن سعيد، المغرب، ص ١٥٠.

(٧٠) سيدة كاشف، مصر فى عصر الإخشيديين، ص ٣٥٣؛ وانظر أيضاً فى ميل الإخشيد إلى الصلح وسعيه إليه، ما ساقه: ابن سعيد، المغرب، ص ١٩٥.

(٧١) ابن سعيد، المغرب، ص ١٦٦، ١٧٥

(٧٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١١٥

(٧٣) كان ذلك فى يوم الجمعة لثمان بقين منه؛ انظر: المسعودى، التنبيه والإشراف، ص ١٩٤؛ الكندى، الولاة، ص ٢٩٣؛ ابن سعيد، المغرب، ص ١٩٦؛ ابن العديم، =

مرة أخرى يهدد ممتلكات الإخشيدية فى الشام . ودخل كافور ـ الحاكم الفعـــلى لمصر بعد وفاة الإخشيد ـ فى صراع جديد مع سيف الدولة ، وساعد على ذلك توتر الحالة فى كل من مصر والشام . فقد كان لوفاة الإخشيد رد فعل سريع فى كل من القطرين ، إذ قامت الفتنـــة بدمشق (٧٤)، وتحركت أطماع سيف الدولة من جديد لانتزاع الشام من أيدى الإخشيديين ؛ كما ثار بمصر وتغلب عليهـــا واحد من حكام الأقاليم يدعى غلبون (٧٥).

وتراءى وكأن الأمر قد بدأ يخرج نهائيا من يد خلفاء الإخشيد ، إلا أن أبا المسك كافور ـ خادم الإخشيد ـ استطاع المحافظة على كيان الدولة وإقرار الأمور فى كل من مصر والشام ؛ فانتهت الحـــال فى مصر بالقضاء على حركة غلبون الثائر وقتله (٧٦) ، كما استقرت الأحوال فى منطقة الشام بعد الصراع الذى دار بين سيف الدولة والإخشيدية .

= زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٥ ـ ١١٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجـــوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ ؛ وراجع أيضـا : الذهبى ، دول الإسـلام ، ج ١ ، ص ١٥٣ ؛ ولـكن قارن : Lane - Poole, loc. cit.

(٧٤) اندلعت هذه الفتنة لنهب خزائن الإخشيد عقيب وفاته ، وقد انتهت هـذه الفتنـة بعد أيام ثلاثة بتغلب كافور على القائمين بها ؛ انظر : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٦ .

(٧٥) انظر الحاشية التالية .

(٧٦) عن ثورة غلبون هذه تضطرب المصادر المعاصرة والمتأخرة ـ والمراجع الحـــديثة بالتالى ـ فى إيراد المعلومات الخاصة بالناحية التى كان يتولاها غلبون هذا فى مصر ، وأين ثار ، والعـوامل التى حـركته للثـورة ، ومن الذى واجـه هـذه الثـورة ، ومن الذى قضى عليها . كما يتصل بالموضوع زمن وصول كافور من الشام للقضـاء على هـــذه الثورة : هل كان بعد وفاة الإخشيد مباشرة ، أم بعد خروجه ـ أى كافور ـ من مصـــر =

... ...

= وعوده إليها بعد ما انتهت الحرب بينه وبين سيف الدولة ؟ وهل كان يصحب أنو جور بن الإخشيد فى المرة الأولى ، أم فى المرة الثانية ؟ وهل هو الذى قضى على هذه الثورة ، أم أنه حضر إلى مصر فى أعقابها أو على الأقل وهى على وشك الانتهاء ؟ كل هـذه أسئلة تطرح نفسها فى الوقت الذى تقدم فيه المصادر والمراجع إجابات مضطربة تزيد الأمر تعقيدا .

فالمسعودى — المؤرخ المعاصر ، والذى كان موجودا بمصر إبان هذه الأحداث حيث أنهى كتابه « مروج الذهب » فى جمادى الأولى من سنة ٣٣٦ (راجع فيه : ج ٢ ، ص ٥٦١) ، أى قبل القضاء على ثورة غلبون فى الشهر الأخير من نفس السنة ، وحيث أنهى كذلك كتابه « التنبيه والإشراف » فى عام ٣٤٥ هـ (راجع فيه : ص ٤٠١) — نقول ، يغفل المسعودى تماما أى ذكر لهذه الثورة ولا يشير إليها حتى مجرد إشارة واحدة .

أما الكندى — الذى وصل بكتابه « الولاة » إلى سنة ٣٣٥ هـ (وإن كان من المرجح أن المعلومات الواردة بكتابه من هذه السنة حتى سنة ٣٦٢ هـ إنما ذيل بها ابن زولاق ، أو مؤلف آخر مجهول (راجع فى ذلك : سيدة كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٤ — ٥ ، ٩٨) على كتاب الكندى هذا) فهو يذكر أن غلبون كان يتولى عمل الأشمونين ، فظلم التجار بها ، فأشاعوا عزمه على القيام بالثورة بها ، فتوجه إليه قائد من قواد الدولة هو شادن فى يوم الإثنين سلخ جمادى الآخرة سنة ٣٣٥ هـ ، وانتهى الأمر بانهزام شادن إلى الفسطاط ، ليخرج معه قادة آخرون من بينهم الحسين بن لؤلؤ وتكين الخاقانى ، فلاقاهم غلبون فى الفسطاط نفسها ، ودخلها ، ثم خرج عنها منهزما الى الشرقية ، وانتهت الوقائع بقتله لخمس بقين من ذى الحجة سنة ٣٣٠ هـ ؛ ثم ينص الكندى بعدها على قدوم كافور من الشام ؛ انظر : الولاة والقضاة ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

وأما ابن زولاق (فى : ابن سعيد) — مصدرنا الأساسى — فهو يغفل أيضا ، مثل المسعودى ، ذكر هذه الثورة بالمرة ، ولا يورد الا عبارة غامضة قد تؤخذ على محمل ما حدث ، أو قد تفسر تفسيرا ظاهريا استنادا الى النص الذى يسوقه ابن زولاق : « ولما ورد نعى =

... ...

= الإخشيد إلى مصر فى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فى المحرم ، اضطرب البلد » ؛ انظر : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٧ .

وأما يحيى الأنطاكى ، فغلبون عنده وال على بعض أعمال صعيد مصر الأعلى ، خالفه بعد موت الإخشيد ، ودخل الفسطاط بعد وقائع ، ثم ورد غلام من الإخشيدية يعرف بمرتاح الشرائى ، واقع غلبون خارج الفسطاط ، فانهزم الأخير ، وسارت الجيوش فى طلبه حتى قتل ؛ ثم يورد يحيى دخول كافور إلى مصر قادما من دمشق ؛ راجع : تاريخه ، ص ١١١ .

ويشير ابن العديم إلى كل ذلك ، فيقول فى اقتضاب : « فلما مات الإخشيد ، سار كافور بعساكر مولاه إلى مصر من دمشق ، وكان قد استولى على مصر رجل مغربى ، فحاربه كافور ، وظفر به » ؛ انظر : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٦ ؛ ولكن انظر أيضا : تعليق الدكتور سامى الدهان — ناشر ابن العديم — بالحاشية رقم (٢) بنفس الصفحة ، فهذا المغربى هو « غلبون متولى الريف » ، اعتمادا على المصدر التالى .

ونستدل من كلام ابن تغرى بردى على أن ثمة سياقا منطقيا فى تتابع الأحداث ، وذلك فى قوله — وهو يترجم لأنوجور بن الإخشيد بعد وفاة الأخير ، مما يفيد أن أنوجور كان بالشام وقت وفاة أبيه — : « ... ولما تم أمر أنوجور بدمشق ، خرج منها وصحبته الأستاذ كافور إلى مصر ، فدخلها بعساكره فى أول صفر ، فأقام بها مدة ، ثم خرج منها بعساكره ، إلى الشام أيضا لقتال سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان ؛ فإن سيف الدولة كان بعد خروج أنوجور من دمشق ملكها . ولما خرج أنوجور من مصر إلى الشام فى هذه المرة ، خرج معه عمه الحسن بن طغج أخو الإخشيد ، ومدبر دولته الخادم كافور الإخشيدى » ؛ انظر : النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩١ . ثم يأتى ابن تغرى بردى على ما دار بين الطرفين من قتال ، إلى أن يقول : « وعاد أنوجور وعمه الحسن بن طغج وكافور الإخشيدى إلى الديار المصرية سالمين . ولما كان أنوجور بالشام ، خرج بمصر غلبون متولى الريف فى جموع ونهب مصر وتغلب عليها ، فقدم أنوجور ، فهرب غلبون من مصر ، فتبعه أبو المظفر الحسن بن طغج أخو الإخشيد حتى ظفر به وقتله » ؛ راجع : النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ . إلا أن =

... ...

= ابن تغرى بردى يقدم أسبابا مناقضة لما أورده الآن لخروج كافور من مصر قبل ثورة غلبون ، إذ يقول : « ولما مات الإخشيد ، اضطربت أحوال الديار المصرية ، فخرج كافور منها بابنى الإخشيد [يقصد أنوجور وعليا] وتوجه بهما إلى الخليفة المطيع لله ، وأصلح أمرهما معه ، والتزم كافور للخليفة بالديار المصرية ، ثم عاد كافور بهما إلى الديار المصرية . وكان غلبون قد تغلب على مصر بعد موت الإخشيد فى غيبة كافور لما توجه إلى العراق ، فقدم كافور إلى مصر وتهيأ لحرب غلبون المذكور وحاربه وظفر به » ؛ انظر : النجوم ، ج ٤ ، ص ١-٢.

أما الدكتورة سيدة كاشف (مصر فى عصر الإخشيديين ، مرجعنا الأساسى) ، فقد أوردت فى صفحات متفرقة إشارات عن ثورة غلبون هذا معتمدة على مصادر مختلفة من بينها الكندى والمقريزى (فى مقفاه وخططه) وابن تغرى بردى ؛ فهى تشير فى عبارات عامة (ص ١٣١) إلى فضل كافور فى القضاء على الفتنة التى قامت بدمشق بعد وفاة الإخشيد مباشرة ، ثم فضله فى القضاء على ثورة غلبون وفى صد سيف الدولة وإعادة دمشق للاخشيديين ؛ وتعاقب الأحداث بهذا الترتيب الذى أوردته الدكتورة سيدة كاشف يفيد القضاء أولا على فتنة دمشق ثم على ثورة غلبون ، ثم التوجه إلى سيف الدولة واستعادة دمشق ؛ ولكن تشير النصوص المختلفة — كما أثبتنا بعضها هنا وكما سوف ندرجه من تحليل بعد قليل — إلى أن ثورة غلبون كانت تالية لكل ذلك. هذا ، فى الوقت الذى توردفيه الدكتورة سيدة كاشف (ص ١٤٦) إشارة صريحة إلى أن الحسن ابن طغج — أخا الإخشيد — كان صاحب الفضل الكبير فى القضاء على ثورة غلبون ، كما تنص صراحة على أن الحسن قد قام بمطاردة غلبون حتى ظفر به وقتله وذلك بعد عودته من عند ابن أخيه أنوجور من الشام ، أى أنه عاد وحده من الشام وليس صحبة أنوجور وكافور فى قفولهما إلى مصر ؛ ومعلوماتها هذه مستمدة من ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ ، الذى ينص صراحة — كما مر بنا منذ قليل — على عودة الثلاثة معا من الشام .

أما فى (ص ١٥٩) ، فهى تستشهد بالمقريزى فى كتابه « المقفى » (بدون ذكر رقم الصفحة التى أوردها جوتشلك Hans Gottschalk والتى نقلتها عنه فى مقالته عن الماذرائيين) من أن غلبون ثار بالصعيد فى سنة ٣٣٥ هـ وقدم إلى الفسطاط وأفلح فى هزيمة =

... ...

= أنوجور ، ولكن الأخير انتصر فى النهاية على غلبون

إلا أننا نراها فى آخر نص بكتابها (ص ٣٣٩) حول هذه الثورة ، تستدرك (راجع كذلك : هـ ١ بنفس الصفحة المشار إليها الآن) ما أثبتته فى (ص ١٥٩) من قيام ثورة غلبون فى الوقت الذى كان فيه أنوجور بالشام ، وتستأنس فى ذلك بما أدرجه الكندى — وهو ما أوردناه آنفـا — ، والمقريزى (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٦ من طبعة بولاق ، وهى الطبعة التى نعتمد عليهـا) ؛ وابن تغرى بردى الذى أثبتنـا كلامه فى نصوصه السابقة ؛ ثم تسوق الدكتورة سيدة كاشف المراحل التى مرت بها الثورة ، ومن الذى قام بقمعها ، ولا تذكر هنا من القادة سوى شادن المشار إليه منذ قليل ، وتنتهى بمقتل غلبون فى ذى الحجة سنة ٣٣٦ هـ .

ويبدو أن مرجع كل هذا الاضطراب فى النصوص — خاصة فى المصادر التى أشرنا إليها — هو الاختلاف فى تحديد زمن وجود كافور فى الشام أو مصر وقت قيام ثورة غلبون ، وكذلك فى معرفة الشخصية الرئيسية التى قامت بقمع هذه الثورة ؛ فهى تارة كافور ، وأخرى أنوجور ، وثالثة الحسن بن طغج ، ورابعة واحد أو مجموعة من قادة الإخشيدية . ويتصل بهذا أيضا ما إذا كان أنوجور موجودا بالشام بصحبة كافور وقت وفاة الإخشيد ؛ راجع : ابن تغرى بردى، النجوم ،ج٣،ص ٢٩١–٢٩٢ ؛ وانظر ، علاوة على الدكتورة سيدة كاشف ، فيمن ذهب غيرها من المحدثين فى بعض ما ذهبت إليه إلى أن ثورة غلبون اشتعلت فى مصر إبان وجود كافور بالشام بعد وفاة الإخشيد وقبل توجهه إلى مصر ثم عودة لمحاربة سيف الدولة : حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٢٣ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٨ ؛ سامى الكيالى، سيف الدولة ، ص ٦٨ .

ومن المفيد — قبل أن نخلص إلى بيان حقيقة الأمر — أن نسوق الحقائق التالية :

١ — أن الإخشيد مات فى ذى الحجة سنة ٣٣٤ هـ ، وكافور يقيم معه بدمشق (المصادر المختلفة) .

٢ — أن نعى الإخشيد ورد إلى مصر فى المحـرم سنة ٣٣٥ هـ (ابن زولاق ، فى : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٧ ؛ الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٣) . =

... ...

= ٣ ــ أن سيف الدولة دخل دمشق فى صفر سنة ٣٣٥ هـ بعد وفاة الإخشيد (يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١١) ، وبعد أن سار كافور عنها إلى مصر (ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٦) ، التى دخلها فى أول صفر ٣٣٥ هـ (ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩١ .

٤ ــ أن أنوجور سار لمحاربة سيف الدولة وقد صحبه كافور والحسن بن طغج (ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩١) فى الفترة ما بين استنجاد أهل دمشق بكافور ليدفع عنهم سيف الدولة وبين وصول أنوجور إلى حلب فى ذى الحجة من سنة ٣٣٥ هـ (ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٧ ، ١١٨) .

٥ ــ أن شادن ــ القائد الإخشيدى ــ توجه إلى غلبون لقمع ثورته فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٥ هـ (الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٥) .

٦ ــ أن سيف الدولة انهزم عن دمشق أمام كافور وأنوجور فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٥ هـ (ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٧ ــ ١١٨) .

٧ ــ أن الرسل ترددت بين سيف الدولة وابن الإخشيد فى الصلح ، وذلك بعد أن كبس سيف الدولة يانس المؤنسى ــ عامل الإخشيدية ــ بحلب فى ربيع الآخر سنة ٣٣٦ هـ (ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٩) .

٨ ــ أن غلبون قتل أخيرا فى ذى الحجة سنة ٣٣٦ هـ (الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٦)

على كل حال ، إذا نحن أسقطنا التناقض الظاهر فى النصوص ، والتى سببها ابن تغرى بردى فى انفراده بذكر وجود أنوجور بالشام أثناء وفاة الإخشيد ، أو ما أثاره ــ وانفرد به أيضا ــ من توجه كافور بابنى الإخشيد ــ أنوجور وعلى ــ من مصر إلى العراق لمقابلة الخليفة العباسى المطيع (راجع : النجوم ، ج ٤ ، ص ١ ــ ٢) ، وكذلك ما أورده ابن العديم عن مسير كافور إلى مصر بعد وفاة الإخشيد لمواجهة ثورة غلبون ــ ويسميه المغربى ــ ، وإذا نحن أغفلنا بعض التقديم والتأخير فى التسلسل المنطقى للأحداث التى أوردتها النصوص السابقة ، وأخيرا إذا أخذنا فى الاعتبار تلك الحقائق التى أدرجناها الآن بالقائمة السابقة ، لأمكن لنا أن نستخلص

وهكذا قدر لكافور – الذى سار له تدبير الأمور أيام أنوجـــور وعلى ولدى الإخشيد – أن يدخل فى صراع مع سيـــف الدولة الذى بدأ يتحرك للاستيلاء على دمشق خاصة بعد أن خلت – أو كادت – من العساكر المصرية برحيل كافور عنها ، واستطاع سيف الدولة فعلا دخولها وامتلاكها (٧٧) .

ويبدو أن سيف الدولة قد كلف أهـــل دمشق مالا يطيقون ، فكاتبوا كافورا يستدعونه لتخليصهم من سيف الدولة (٧٨) . فكان الرد المنطقى لذلك

= حقيقة ضاعت فى زحمة اضطراب النصوص،وهى أن ثورة غلبون فى مصر لم تقم إلا بعدخروج كافور من مصر صحبة أنوجور لمحاربة سيف الدولة بعد استيلاء الأخير على دمشق ، وليس قبل حضور كافور الى مصر بعد وفاة الإخشيد ؛ ونص ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ – الذى أثبتناه هنا – ، صريح فى هذا ؛ ويسانده – وإن كنا لا نأخذ به للتدليل على أسباب خروج كافور من مصر فى هذه الآونة – نصه الآخر الذى أورده بنفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١ – ٢ (والذى يبدو فيه – مع التحفظ – أن توجه كافور بأنوجور وعلى إلى العراق لمقابلة الخليفة المطيع لله إنما تم بعد تلك الأمور التى جرت بالشام ؛ قارن : حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفـاطمية ، ص ١٣٢) ؛ فهذان النصان – على ما بينهما من تنـاقض فى أسباب الخروج – يفيدان غياب كافور ، ومعه أنوجور ، من مصر وقت نشوب ثورة غلبون . ولا يهم فى هذا المجال ما إذا كان كافور أو أنوجور أو الحسن بن طغج أو قادة الإخشيدية هم الذين قضوا على ثورة غلبون ، فالحقيقة تتضح إذا قلنا إن الثورة قامت فى الوقت الذى كان فيه كافور وأنوجور غائبين من مصر ، ثم يأتى كافور أخيرا من الشام والثورة على وشك الانتهاء ويشهد – هو وأنوجور – الفصل الأخير منها .

(٧٧) راجع : يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١١ ؛ ابن الأثير ، الـكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٩ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٧٨) انظر تفصيل ذلك فى : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٨ ؛ ابن الأثير ، الـكامل، ج ٨ ، ص ١٧٩–١٨٠ ؛ وراجع المزيد على ما جاء فى المصدرين السابقين فى : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٦ – ١١٧ .

أن سار كافور يصحبه أنوجور إلى الشام واشتبكا مع ابن حمدان عند اللجون (٧٩) . ولكن سيف الدولة انهزم إلى دمشق ، ثم تقابل الخصمان عند مرج عذراء (٨٠) قرب دمشق ، وانتهى الاشتباك بهزيمة سيف الدولة أيضا ، فهرب إلى حلب ، فتبعه المصريون ودخلوها (٨١)، ثم تقهقر سيف الدولة إلى الرقة (٨٢) .

بيد أن الصراع بين الحمدانيين والإخشيديين - فى هذا الدور - انتهى سريعا بالعودة إلى الصلح على القواعد القديمة التى كانت متبعة بين الإخشيد وسيف الدولة ، دون المال المحمول من دمشق ، (٨٣) . ومن ذلك التاريخ ، ساد السلام بين الطرفين فى المنطقة .

---

(٧٩) راجع : ابن العديم ،زبدة الحلب ، ج ١ ، ص١١٧ ، وانظرأيضا : Lane -Poole, op.cit., p. 87 ، ولكن قارن : يحيى الأنطاكى ، تاريخه،ص ١١١ ؛ ابن الأثير،الكامل، ج ٨ ، ص ١٨٠ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٨ : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

(٨٠) مرج عذراء : على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا من الشمال الشرقى لدمشق ، على مقربة من طريق حمص إلى الشام ؛ راجع شروح الدكتور سامى الدهان على هذا الموقع ، فى : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٨ ، ه ١ .

(٨١) كل ذلك فى : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٨ ؛ انظر أيضا : Lane—Poole, op.cit., 87. ،ولكن راجع : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج٣ ، ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

(٨٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ،ج٣ ، ص ٢٩٢ .

(٨٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٩ .

ولما انفرد كافور بالأمر ، باتفاق أعيان الديار المصرية وجندها ، (٨٤) وذلك بعد وفاة أنوجور وعلى ولدى الإخشيد (٨٥) ، لم يطل استقلاله بالملك غير سنتين وأربعة أشهر ، إذ توفى فى جمادى الأولى سنة ٣٥٧ هـ (٨٦) (أبريل ٩٦٨ م) .

وبعد وفاة كافور ، تقرر مصير البيت الإخشيدى ، فقد تولى الأمر بعده أحمد بن على حفيد الإخشيد ، وكان حدثا لا يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، فتوزعت السلطة وتدبير الأمور بين ابن عم أبيه الحسن بن عبيد الله بن طغج صاحب الرملة ، والوزير أبى الفضل جعفر بن الفرات ، وشمول مدبر العسكر (٨٧) وساءت الحال فى مصر والشام ، إذ وقع الغلاء العظيم بمصر (٨٨) ، واقترن به وباء

---

(٨٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٢٧ .

(٨٥) توفى على فى المحرم سنه ٣٥٥ هـ (أغسطس سنة ٩٤٦ م) وأنوجور فى ذى القعدة سنة ٣٤٩ هـ (ديسمبر ٩٦٠ - يناير ٩٦١ م) ؛ راجع : الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٦ ؛ راجع أيضا : زامباور ، معجم الأنساب ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

(٨٦) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٤ ، ص ١٠ .

(٨٧) تم الاتفاق على أن يكون الحسن بن عبيد الله بن طغج نائبا لأحمد بن على بن الإخشيد ، ويكون تدبير الأموال للوزير ابن الفرات ، ويختص شمول بتدبير الرجال ؛ راجع : يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٩ ؛ ولكن انظر أيضا : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٩ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٤ ، ص ٢١ - ٢٢ ؛ ثم قارن : الكندى ، الولاة ، ص ٢٩٧ .

(٨٨) ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٩٩ ؛ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، ص ١٢ ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ م .

هناك (٨٩) ، كما انهزم المصريون على يد القرامطة فى الشام (٩٠) ؛ فى حين وقع التحاسد والتنافس بين عسكر الإخشيدية نافسين على شمول تفرده بالتدبير ، فكاتبوا المعز عارضين عليه إنفاذ جيوشه إلى مصر لتسلمها (٩١) فلم يتردد المعز لدين الله الفاطمى فى اغتنام هذه البادرة ، خاصة بعد تأكده من استحالة تدخل الحكومة المركزية فى بغداد لما انتابها من عدم الاستقرار (٩٢) ، فسير جيوشه صوب مصر لتقويض آخر دعامة فى البيت الإخشيدى المترنح ، وسرعان ما سقط الشام هو الآخر فى يد الفاطميين .

---

(٨٩) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٩ ــ ١٣٠ ؛ وانظر أيضاً : سيدة كاشف،مصر فى عصر الإخشيديين، ص ٣٤٦ .

(٩٠) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٣٢ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٢ ــ ٢٣ ، ٢٤ .

(٩١) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٩ ؛ وانظر تفاصيل أخرى عن اضطراب الأحوال فى مصر من تلك الآونة إلى سقوطها فى يد جوهر قائد المعز : ابن تغرى بردى ، النجوم،ج ٤ ، ص ٢١ ــ ٢٥ .

(٩٢) راجع : Lane—Poole, op.cit., p.89.



الفصل الثانى

الحمدانيون فى شمالى الشام



الفصل الثانى

الحمدانيون فى شمالى الشام

حديثنا عن الدولة الحمدانية فى الشام فى الفترة التى نؤرخ لها ، وهى التى تسبق فتح الفاطميين للمنطقة ، يستهدف - قبل كل شىء - دراسة تاريخ هذه الدولة تركيزا على مؤسسها على بن حمدان - الملقب بسيف الدولة - وبالتالى على الأحداث التى جرت فى عصره حتى وفاته ، ثم ما استجد منها حتى الفتح الفاطمى .

والكلام على سيف الدولة يستلزم الرجوع بحياته قليلا إلى الوراء قبل أن ينجح فى تأسيس إمارته فى الشام واتخاذ حلب عاصمة له . اذ أن هذه الشخصية المحاربة الأديبة التى قامت بدور بارز على مسرح الأحداث فى المنطقة ، والتى أنجزت أعمالا عسكرية كان لها تأثير بعيد المدى فى التصدى للمد البيزنطى صوب الشام وعرقلة تقدمه تجاه الجنوب بعد أن بدأت الدولة البيزنطية إرهاصاتها فى تلك الفترة لاستعادة الشام والرجوع به إلى حظيرة السيادة البيزنطية كما كانت عليه الحال قبل الفتح العربى ، نقول إن هذه الشخصية قد فرضت نفسها على كل ما يكتب عن الدولة من وقت نشأتها حتى انتهائها .

وسيف الدولة على بن حمدان ، لم يظهر اسمه فجأة خلال خضم الأحداث التى كانت تتوالى فى تلك الفترة ، وإنما كان له نشاط سياسى وحربى تأثر إلى حد كبير بكونه عضوا فى أسرة عربيـــة طموحة كانت تلعب دورا هاما فى حقل السياسة العباسية ، وكان وجودها عاملا من عوامل التوازن بين القوى المتصارعة فى العراق الذى كانت تمزقه الصراعات الجنسية المختلفة ، وهى القوى

المتمثلة فى المتغلبين — ومن يستنجد منهم — على الخليفة العباسى ذى الهيبة الضائعة .

ولا يعنى هذا أننا سنتناول سيف الدولة من خلال سيرته الذاتية البحتة ، ولكنه يفرض علينا أن نركز عليه الضوء دائما وسط الأحداث حينما نتكلم عن دولته بالشام كقوة من القوى التى انتظمت جزءا هاما وحساسا فى شماله ، وهى القوة الثانية — بجانب الإخشيديين — التى ستدين بالتبعية الروحيــة أو الإسمية للخليفة المعز الفاطمى إبان المرحلة الأولى لفتح الفاطميين للشام .

كان الحمدانيون أصحاب نفوذ تركز فى أرض الجزيرة واتخذوا من الموصل — لمدة طويلة نسبيا — قاعدة لإمارتهم فى شمالى العراق (١) . وكان نفوذهم يمتد

---

(١) لم يكن حكم الحمدانيين بالموصل حكما متصلا فى الواقع . وقد بدأ ذلك فى عام ٢٩٣ هـ بتولية أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان عليها ، ولكنه يعزل فى سنة ٣٠١ هـ ، ويعاد إليها سنة ٣٠٢ هـ ليعزل مرة ثانية فى سنة ٣٠٣ هـ ، وأخيرا يعاد سنة ٣١٤ هـ ويبقى فى بغداد وينوب عنه ولده الحسن — الملقب بناصر الدولة فيما بعد فى شعبان سنة ٣٣٠ هـ ؛ راجع : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٨ ؛ ابن ظافر ، فى : Canard, Sayf al-Daula, pp. 12,14 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٨ — حتى سنة ٣١٧ هـ ، وفيها يتوفى عبد الله ، وتتأدى الولاية إلى ولده المذكور . ولكن الأمر لا يستقر للأخير كذلك ، إذ يتبدل على الموصل أكثر من واحد من قواد الدولة العباسية وصنائعها ، ثم يعاد تنصيب الحسن بن عبد الله سنة ٣٢٣ هـ ، لكى تتأرجح بعد ذلك بين الأتراك والبويهيين والحسن بن عبد الله . وأخيرا يموت ناصر الدولة سجينا فى سنة ٣٥٨ هـ بعد أن يقبض عليه ابنه أبو تغلب ، ثم تنتهى الإمارة باستيلاء عضد الدولة البويهى نهائيا على الموصل سنة ٣٦٧ هـ ، وبعد سنتين لا نسمع ذكرا لأبى تغلب ، إذ يقتل فى الشام سنة ٣٦٩ هـ انظر فى بدء قيام الإمارة سنة ٢٩٣ هـ إلى انتهائها سنة ٣٦٧ هـ : زامباور ، معجم الأنساب العربية ، ج ١ ، ص ٥٨ — ٥٩ ؛ ج ٢ ، ص ٢٠١ . وفى استيلاء عضد الدولة على الموصل ، ثم فى مقتل أبى تغلب ، انظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٦ ، ٢٧٨ — ٢٧٩ =

قبل وخلال ذلك إلى بغداد نفسها ، حينما كان يتطلع أفراد الأسرة العديدون إلى تولى جهة من الجهات . وقد أدى بهم ذلك إلى الدخول فى صراع متواصل مع العناصر التركية ثم الديلمية فى العراق ؛ ومع بعض القبائل العربيـة النازلة بأرض الجزيرة ؛ ومع البيزنطيين فى شمالى الجزيرة ؛ بل ولم يخـــل الأمر من صراع يقوم بين أفراد الأسرة نفسها طمعا فى أن يحل أحـــدهم محل الآخر فى أرض أو منصب ، يؤجج ذلك كله انحياز بعض أفراد من هـــذه الأسرة فى بعض الأحيان وقت الأزمات إلى العناصر غير العربية التى كانت تتنازع النفوذ والسلطة فى بغداد ، طمعا فى استقرار نفوذهم أو انتزاعه من البعض الآخر .

وفى وسط هذا الجو المشحون بالتوتر والمنازعات ، ولد سيف الدولة (٢)

= وقد اختلف المؤرخون المحدثون فى بدء قيام إمارة الحمدانيين بالموصل ، فالبعض يرجعهـا إلى سنة ٢٩٣ ﻫ بتولية أبى الهيجاء عليها لأول مرة ؛ والبعض إلى سنة ٣١٧ ﻫ وهـو تاريخ تولية الحسن بن عبد الله ؛ ولـكن يرى البعض الآخر أنها تبدأ بسنة ٣٢٣ ﻫ وهى السنة التى أعيد فيها تنصيب الحسن بن عبد الله على الموصل ؛ قارن فى ذلك — على التـوالى — كل من : Sadruddin , Saifuddaula , p. 7 ؛ عمر كمال ، مقدمات الـدوان الصـليبى ، ص ١٥ ؛ الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ٣٣ ، و ﻫ ١ بنفس الصفحة ، و ص ٣٥ .

(٢) ولد سيف الدولة على أرجح الأقوال عام ٣٠٣ ﻫ فى يوم الأحد ١٧ ذى الحجة منه (يونيه ٩١٦) ؛ انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٨٢ ؛ وانظر أيضا : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ؛ وراجع من المحـدثين : سامى الـكيالى ، سيف الدولة ، ص ٢٨ ؛ أحمد أمين ، المتنبى وسيف الدولة ، فى : محاضرات المجمـع العلمى العربى ، ج ٣ ، ص ٨١ ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٣٧٤ ﻫ — ١٩٥٤ م ؛ وانظر فيمن ذهب الى غير ذلك من المحدثين : Sadruddin , Saifuddaula, p 22 ؛ الشكعة ، سيف الدولة الحمـدانى ، ص ٤٢ ؛ Canard, Sayf al-Daula, p. 7 ؛ ثم قارن : زامباور ، معجم الأنساب ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

ونشأ ، وشاهد عن كثب تلك الأمور التي كانت تمزق المشرق الإسلامي ، بل وشارك فيها حينما اشتد عوده . فقد سار سيف الدولة في نفس الخط المغامر الذي كان يسير فيه أعضاء أسرته ، فنراه يشارك أفرادها الحياة السياسية وما يتبعها من الانغماس في معظم الحركات المتضاربة التي كانت تدور في ذلك الوقت بين العناصر المختلفة ، وكذلك في التيارات المتنازعة التي كانت إحدى الملامح المميزة لذلك العصر المضطرب (٣) .

ونسمع عن سيف الدولة لأول مرة بصورة واضحة وهو دون العشرين من عمره إبان إحدى فترات النزاع بين القبائل العربية في شمالي الجزيرة ، إذ يظهر بمظهر المحارب الذي يحقق النصر لقومه وهو في هذه المرحلة الباكرة من حياته (٤) .

---

(٣) قارن : الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، ٥٢ .

(٤) كان ذلك في عام ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) ، عندما اجتمعت بنو ثعلبة إلى بني أسد ومن معهم من بني طي وهم يقصدون أرض الموصل ليكونوا يدا واحدة على بني تغلب — قبيلة سيف الدولة — وبني مالك . وكان ناصر الدولة — أخو سيف الدولة الأكبر — يتولى ديار ربيعة في ذلك الوقت ، فحاول إصلاح ذات البين بين قبيلته والقبائل الأخرى . ولكن الأمور لا تسير وفق ما يشتهي ، إذ يقتل أحد أفراد بني ثعلبة أبا الأغر بن سعيد بن حمدان ، فيؤدي ذلك إلى القتال الذي ينتهي بانهزام القبائل الأخرى ، فيتبعها ناصر الدولة إلى الحديثة . وهناك يلتقي المنهزمون بيانس غلام مؤنس وقد ولي الموصل وهو مصعد إليها ، فينضم إليه بنو ثعلبة وبنو أسد ، ويعود الجميع إلى ديار ربيعة . وهنا ، يلعب سيف الدولة دوره ، فيوقع ببني أسد ومن انضاف إليهم من بني ضبة وبني تميم عند رأس عين ، ويحوز عليهم نصرا كبيرا . انظر في ذلك : البغدادي (عبد القادر بن عمر) ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٨١ ، الطبعة الأولى ، المطبعة الميرية ببولاق ، القاهرة ١٢٩٩ هـ ؛ ثم قارن ذلك بما جاء في : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٠٢ ؛ وراجع أيضا : =

ثم نسمع عنه مرة ثانية فى ميدان القتال أيضا ، ولكن القتال فى تلك المرحلة كان موجها إلى البيزنطيين العدو التقليدى للخلافة العباسية فى ذلك الوقت ، فنراه يخرج فى غزوتين ناجحتين إلى أرض الروم فى عامى ٣٢٦ و٣٢٨ هـ (٥).

وهناك مجال عسكرى آخـــر شارك فيه سيف الدولة قبل قيامه بتأسيس إمارته بحلب ؛ فهو لم يفصل نفسه تماما عن الأحداث التى كانت تدور فى العراق فى تلك الفترة المضطربة والتى تتصارع فيها العناصر المختلفة . ولذلك لم يتوان عن تلبية دعوة أخيه ناصر الدولة حين كتب إليه يستدعيه عندما استنجد الخليفة المتقى بالحمدانيين بعد أن تهدده خطر البريديين تهديدا سافرا ؛ وقد كنا ألمحنا إلى اشتداد هذا الخطر من قبل (٦) . وقد نجح سيف الدولة بعد أحداث عنيفة فى التخفيف من حدة خطرهم ، ولكنه قطع نشاطه ضدهم بعد أن ظهر العداء من جانب قادة الأتراك الذين كانوا يحاربون فى صفوفه باسم الخليفة ضد البريديين، وبعد أن ظهر فتور ناصـــر الدولة إزاءه وهو يطلب المساعدة لمواصلة عملياته

= Sadruddin, Saifuddaula, pp. 22 —23 ؛ الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ٤٣ — ٤٤ .

(٥) راجع تفاصيل هاتين الغزوتين ، فى : ابن ظافر ، فى : Canard, Sayf al-Daula, pp. 71 — 5 ؛ وتعتبر غزاة عام ٣٢٦ هـ (٩٣٨ م) أول غزاة لسيف الدولة تجاه الأراضى البيزنطية . إلا أن ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ ، يرجع تاريخ أول غزاة له إلى عام ٣٢٤ هـ .راجع كذلك فى الإشارة إلى أول غزوات سيف الدولة فى أرض الروم : Sadruddin, Saifudduala, pp. 26 .28 ؛ سامى الكيالى ، سيف الدولة ، ص ٢٠٥ ؛ الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ٤٥ — ٤٧ ، ١١٨ — ١١٩ .

(٦) انظر ما فات هنا من قبل ، ص ٣٣ — ٣٤ .

الحربية (٧) . ولكن الأحداث تدور بصورة لاتدق على بصيرة سيف الدولة ، فيعمد إلى انتهاز فرصة وقوع الخلاف بين قائدين من أبرز قادة الأتراك هما توزون وخجخج ـ وكانا قد تغلبا على الخليفة فى بغداد ـ فيعمل سيف الدولة على استنقاذ الخليفة والاستيلاء على بغداد ، إلا أن هذه المحاولة تنتهى بالفشل ، فيرحل من مكانه خارج بغداد ويلحق بأخيه ناصر الدولة فى الموصل . (٨) ثم تقع الوحشة بين توزون ـ القائد التركى وأمير الأمراء الجديد ـ والمتقى ، ويتدخل الحمدانيون ـ ومن بينهم سيف الدولة ـ مرة أخرى لصالح المتقى ، وينتهى الأمر سريعا بالصلح بين توزون وبين المتقى والحمدانيين (٩) . ولقد استغرقت هذه الأحداث التى شارك سيف الدولة فيها الفترة مابين عامى ٣٣٠ ﻫ (٩٤٢ م) و ٣٣٢ ﻫ (٩٤٤ م) ، وهى الفترة التى تخللها مقتل ابن رائق على يد الحمدانيين أنفسهم فى سنة ٣٣٠ ﻫ ، والتى انتهت بسمل عينى المتقى وخلعه من الخلافة على يد توزون (١٠) .

وأخيرا ، استقر سيف الدولة فى نصيبين (١١) ، وكاد ينزوى بين أركان

---

(٧) راجع تفاصيل ذلك فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٨ — ٣٠ ، ٣٩ — ٤١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٩ ، ١٥٣ — ١٥٤ .

(٨) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٤١ — ٤٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٥٤ .

(٩) مسكويه ، تجارب الأمم ، ص ٤٧ — ٤٩ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ٩٩ — ١٠٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٥٥ ، ١٥٧ — ١٥٨ .

(١٠) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٣٣ ـ ٣٤ و ﻫ ٣٤ (من الفصل الأول الخاص بالإخشيديين) .

(١١) الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ٥٣ ، ٥٨ ؛ من غير أن يحدد لنا مصادره .

النسيان بعد هذه الأحداث ، خاصة بعد أن تم الصلح بين توزون وناصر الدولة ، إذ أهمل الأخير أخاه ولم يكافئه بما كان يؤمل ، فقد تعداه إلى الحسين ابن حمدان وقلده حلب ـ وكانت فى يد الإخشيديين ـ وأعمالها وكل مايفتحه من الشام ، بيد أن الحسين فشل أخيرا فى الاحتفاظ بها ، فعادت للإخشيديين مرة أخرى (١٢) .

وعلى كل حال ، اتجهت أنظار الحمدانيين إلى الشام بصورة عملية بعد حادثين هامين ، أما الأول ، فهو مقتل ابن رائق فى عام ٣٣٠ ﻫ ومحاولة الحمدانيين مد سيطرتهم غربا بمنطقة الشام ، ثم فشلهم فى هذه المحاولة كما سبق وأن ألمعنا فى موضع سابق (١٣) ، وأما الثانى ، فهو ذلك الاتفاق الذى تم بين كل من توزون وناصر الدولة فى عام ٣٣٢ ﻫ بعد الحوادث التى مر ذكرها من الوحشة بين توزون والمتقى ، وهو الاتفاق الذى جعل من أعمال ناصر الدولة فى الجزيرة تتاخم بصورة واقعية أعمال الإخشيد بالشام (١٤)، بل ويمنحه شرعية العمل لسلخ المنطقة الشمالية من يد الإخشيديين ، وهو مايفسره تقليد ناصر الدولة حلب وأعمالها للحسين بن حمدان .

ولكن دعوة الكلابيين بحلب لسيف الدولة وصلت فى أوانها بعد هام واحد من هذه الأحداث ، فلم يفوت على نفسه هذه الفرصة ، وتوجه إليها ودخلها

---

(١٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

(١٣) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٣٤ — ٣٦.

(١٤) يقول ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٤ : « واتفق ناصر الدولة ابن حمدان وتوزون ، فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، على أن تكون الأعمال من مدينة الموصل إلى آخر أعمال الشام لناصر الدولة . . . » .

فاتحا (١٥) . ودخل تاريخ الحمدانيين بالتالى - ممثلا فى شخص سيف الدولة - دورا جديدا يتميز بتشييد إمارة فى شمالى الشام ، قاعدتها حلب ، عملت كدولة حاجزة بين البيزنطيين والمسلمين فى تلك المنطقة ، ولعبت دورها المشهور الذى استمر من سنة ٣٣٣ ﻫ (٩٤٤ م) بدخول سيف الدولة حلب ، وانتهت بالفعل فى سنة ٤٠٢ ﻫ (١٦) (١٠١١ م) بوفاة أبى المعالى بن سعيد الدولة الحمدانى صر فى تلك السنة .

وقد تمكن سيف الدولة فى مدة وجيزة من أن يوطد لدولته الفتية ، فاستولى على حمص وأنطاكية وقنسرين والثغور الشامية ، كما حاول الاستيلاء على دمشق ،ولكن الإخشيد دفعه عنها بعد أن نجح فى دخولها ، ثم دخلها مرة ثانية بعد وفاة الإخشيد لكى يخرج منها سريعا أيضا بعد انهزامه على يد كافور خادم الإخشيد(١٧). كما انتظمت دولته الجديدة بعضا من قليقية بآسيا الصغرى، وجزءا كبيرا من شمالى أرض الجزيرة (١٨) ، علاوة على امتداد نفوذه فى

(١٥) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٤٠ .

(١٦) انظر انتهاء الدولة الحمدانية فى هذا التاريخ ، فى : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ . ولكن نلاحظ أن غلامين من غلمان الحمدانية استمرا فى السيطرة على حلب فى الفترة ما بين ٤٠٢ ﻫ — ٤٠٦ ﻫ ، وهما لؤلؤ الجراحى وابنه منصور بن لؤلؤ ، وقد أظهر الأخير الطاعة للفاطميين ثم تولاها عمال فاطميون حتى سنة ٤١٥ ﻫ إذ وليها منصور بن لؤلؤ للمرة الثانية من قبل الفاطميين . ثم ظهر فى تاريخ حلب اللاحق بعض أسماء الحمدانية كولاة عليها من قبل الفاطميين ؛ وآخر من نسمع عنهم ناصر الدولة الحمدانى وذلك فى سنة ٤٥٢ ﻫ ؛ راجع فى ذلك : زامباور ، معجم الأنساب العربية ، ج ٢ ، ص ٥٠ — ٥١ .

(١٧) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٤٠ — ٤٤ ، ٤٥ — ٥٣ .

(١٨) Hitti (Philip. K.), History of Syria, p. 565, New York 1951 ؛ وانظر أيضا : سامى الكيالى ، سيف الدولة ، ص ٥٢ ؛ الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ٦٩ — ٧٠ .

أرمينية حيث خطب له بها (١٩) .

وتجد الدولة الجديدة نفسها فى موقف لاتحسد عليه من بدء مولدها ، إذ أن الظروف التى لابست طبيعة قيامها من انتزاع أجزاء من الشام كانت أصلاً تابعة للدولة الإخشيدية ، ومجاورتها لأمـــلاك الإخشيديين الباقية فى وسط وجنوبى الشام ، بالإضافة إلى موقعها الحساس المتاخم لأملاك البيزنطيين - أعداء الإسلام التقليديين - فى آسيا الصغرى ، وقيامها بالتـــالى فى منطقة الاحتكاك بين المعسكرين الكبيرين ؛ كل هـــذه الظروف مجتمعة أدى بها إلى تحرج موقفها واضطرارها إلى خوض الصراع مع كل من غريمتها فى الجنـوب وأعدائها فى الشمال ، فى حين لم تسلم فى الداخل من بعض الاضطـرابات التى كانت ترهـق طاقاتها المحدودة .

وعلى ذلك ، يمكن القول إن سيف الدولة بن حمدان دخل فى أدوار من الصراع مع كل من الإخشيديين والبيزنطيين ؛ أما الصراع مع الإخشيديين ، فقد بدأ - كما مر بنا - عام ٣٣٢هـ وانتهى عام ٣٣٦ هـ ؛ وأما احتكاك سيف الدولة بالبيزنطيين، فهو يمثل - فى واقع الأمر - تاريخ الدولة منذ نشأتها حتى وفاة سيف الدولة ، وهو الذى استغرق الفترة من سنة ٣٣٣ هـ إلى سنة ٣٥٦ هـ . وأما الفترة اللاحقة على هذا التاريخ ، فكانت بمثابة امتداد لها بما سوف يمر بين الطرفين فى عهد ابنه سعد الدولة أبى المعالى وخلفائه من أحداث ، وهى الفترة التى تميزت بظهور قوة جديدة دخيلة أتت من الجنوب الغربى (مصر) مندفعة فى طريقها الطبيعى صوب الشام لتربطه سياسيا مع مصر التى تركزت فيها قاعدتهم منذ سنة ٣٥٨ هـ ، ونعنى بهذه القوة دولة الفاطميين الغزاة الجدد للمنطقة .

وقد مر الصـراع الحربى بين سيف الدولة - بعـــد استقراره بحلب -

---

(١٩) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

والبيزنطيين بأدوار ثلاثة ، يمكن حصر أولها في الفترة مابين ٣٣٣ هـ و ٣٣٩ هـ (٩٤٤ و ٩٥٠ م) ؛ وثانيهـــا مابين ٣٤٠ هـ و ٣٤٩ هـ (٩٥١ - ٩٥٢ م و ٩٦٠ م) ؛ والأخير مابين عامى ٣٥٠ هـ و ٣٥٦ هـ (٩٦١ و ٩٦٧ م) .

أما الدور الأول ، فيبدو أن العمليـــات الحربية التى قام بها سيف الدولة ضد الدولة البيزنطية خلال هذه المرحلة لم تتخذ صفـة الجـدية تماما ، أو هى لم يرتب لها بصورة منظمة إلا فى عام ٣٣٦ هـ . بيـــد أن ذلك لم يمنع من أن يتخلل الفترة من ٣٢٣ هـ إلى ٣٣٦ هـ بعض الاحتكاكات بالبيزنطيين،وهى الفترة التى لم يستقر فيها الأمر تماما لسيف الدولة فى حلب ، فهو مازال فى حرب مع الإخشيديين زمن الإخشيد نفسه ثم كافور . ولكن سنة ٣٢٦ هـ ، تحدد تاريخ استقرار الأمر له فى حلب [٢٠] .

ولكن ما إن استولى سيف الدولة على حلب ودخلها لأول مرة سنة ٣٢٣هـ، حتى بادر بالغزو فى أرض الروم ووفق إلى حد كبير فى تلك الغزوة [٢١] .

---

(٢٠) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٢١) نلاحظ فى المصادر التى تكلمت عن نشاط سيف الدولة الحربى فى تلك السنة شيئا يلفت النظر ؛ فبعضها يغفل الشاهد الذى يورده سبب هذا الاحتكاك ولـكن ينتهى الى نتائجه ؛ والبعض الآخر يسوق هذا السبب فى الوقت الذى يهمل تحديد الأماكن التى أوقع فيهـا سيف الدولة بالروم ؛ ثم نرى آخر يأتى بعبارة عامة لا تجد تفسيرا إلا بالرجوع إلى هذا أو ذاك من الشواهد . ومن الملاحظ كذلك ، أن بعض المحدثين قد أخذوا عن هذا المصـدر أو ذاك بدون الوقوف أمام الشواهد المتاحة لمحاولة الربط بينها والخروج — من ثم — بنتيجة مفيدة .

فابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٥ ، يقول عند ذكر استيـــلاء سيف الدولة على حلب : « ولما ملك سيف الدولة حلب ، سارت الروم إليها فخرج إليهم فقاتلهم بالقرب منها ، فظفر بهم ، وقتل منهم » .

وفى السنتين التاليتين ، انشغل سيف الدولة فى حروبه مع الإخشيدية بعد وفاة على بن طغج ، وكاد الأمر يخرج من يديه بعد فشله فى الاستيلاء على

= وأما ابن العديم — مؤرخ حلب — فيقول (زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١١٢) بعد إشارته إلى قيام الإخشيد بإرسال عسكر إلى حلب لانتزاعها منه — كما مر بنا من قبل — : « وكان الأمير سيف الدولة غازيا بأرض الروم قد هتك الصفصاف وعربسوس فغنم ، ورجع فسار لطيته إلى الإخشيدية . . . . الخ » . وقد تبع ابن العديم فى ذلك : Sadruddin, Saifuddaula, p. 42.

أما الذهبى ، فى : Canard, Saif al-Daula, p. 82 ، فيقول : « وفيها غـزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم ، ورد سالما بعد أن بدع فى العدو . وسبب هذه الغزاة أنه بلغ الدمشق مافيه سيف الدولة من الشغل بحرب أضداده ، فسار فى جيش عظيم وأوقع بأهل بغراس ومرعش ، وقتل وأسر ، فأسرع سيف الدولة إلى مضيق وشعـاب فأوقـع بجيش الدمستق . . . واستنقذ الأسارى والغنيمة ، وانهزم الروم أقبح هزيمة » ؛ ونرى ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٨٣ — ٢٨٤ ، ينقل هذا النص حرفيا عن الذهبى مـع تغيير طفيف فى بعض الألفاظ . وقد أخذ الدكتور الشكعة عنهما فيما يبدو — وإن لم يشر إلى ذلك — ؛ راجع له : سيف الدولة الحمدانى ، ص ١١٩ .

ويمكن — على ذلك — ترتيب الأحداث على النحو التالى : بعد استيلاء سيف الدولة على حلب لأول مرة ، لم يؤد ذلك إلى نبذ الإخشيديين لفكرة محاولة استردادها ، فالخطر — على سيف الدولة — لا يزال قائما ، وهو مشغول بذلك ، كما لم يخف الأمر على البيزنطيـين ، فحاولوا انتهاز الفرصة لإحراز مكاسب على حساب الاثنين معا ، فساروا صوب منطقة الثغـور ، فأوقعوا بأهل مرعش ، ثم توجهوا جنوبا بغرب تجاه بغراس ، وبعدها تقدموا شرقا نحو حلب ، فتصدى لهم سيف الدولة قريبا منها ، فردهم على أعقابهم ، وطاردهم شمالا حـتى وصـل إلى الصفصاف (وهى كوره من ثغور المصيصة ؛ راجع : ياقـوت ، معجم البـلدان) وعربسوس (وهى بلد من نواحى ثغور المصيصة ؛ راجع : ياقوت ، نفس المصـدر) ، وهنـاك دارت الدائرة على الروم . انظر فيما ورد هنا من مواقع : خريطة العواصم والثغور .

دمشق نهائيا ، وبعد المواجهة الصلبة من جانب الإخشيديين ، حتى إن كافورا استولى على حلب مرة ثانية ؛ إلا أن الأمر انتهى باسترداد سيف الدولة حلب، وبتكافؤ الطرفين ، بعد أن وصلا إلى الاتفاق الذى ألمعنا إليه من قبل (٢٢) .

بيد أن هذا النزاع الجديد مع الإخشيديين لم يمنع سيف الدولة من أن يتم فداء جرى فى عام ٣٣٥ هـ على يد نصر الثملى أمير ثغر طرسوس (٢٣) ، بعد أن أقام الأخير الدعوة له بهذا الثغر (٢٤) .

---

(٢٢) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٥٣ .

(٢٣) تقع طرطوس على الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى إلى الغرب قليلا من خليج الإسكندرونة ، ويشقها نهر صغير يعرف بالبردان ، وقد تم تحصينها فى عام ١٧١ هـ على يدى هرون الرشيد . وقدر لطرطوس أن تصبح مركزا هاما للرباط وأعظم القواعد البحرية فى الثغور الشامية إبان العصر العباسى ؛ راجع على التوالى : الكندى ، الولاة ، ص ٢٢٩ ؛ اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب ، المعروف بابن واضح) ، تاريخ اليعقوبى ، ج٣،ص ١٤٢،من نشريات المكتبة المرتضوية فى النجف ، مطبعة الغرى، النجف١٣٥٨ هـ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١٦٨ ؛ سالم ، فى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٥٢ ؛ وانظر أيضا : خريطة العالم والثغور .

(٢٤) المسعودى ، التنبيه والإشراف ، ص ١٩٤ — ١٩٥ ؛ وانظر أيضا : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٤ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ — ٢٩٤ .

ويورد المسعودى تفاصيل هذا الفداء الذى كان الإخشيد قد بدأه حينما كان بدمشق قبيل وفاته — وكان المسعودى نفسه موجودا بدمشق فى ذلك الوقت — حين ورد عليه أبو عمير عدى ابن أحمد بن عبد الباقى شيخ ثغر اللامس — الذى تم فيه الفداء بعد ذلك — والناظر فى هذا الفداء يصحبه رسول ملك الروم . ولقد توفى الإخشيد فى نفس الشهر الذى ورد عليه فيه أبو عمير ، وقبل أن ينتهى من أمر هذا الفداء فسار كافور بالجيش راجعا إلى مصر وقد حمل معه أبا عمير ورسول ملك الروم إلى فلسطين حيث دفع لهما ثلاثين ألف دينار ، فذهب أبو عمير والرسول =

... ...

= إلى صور ، ومن هناك ركبا البحر إلى طرسوس حيث استقبلها نصر الثملى أمير الثغر ، ووقتها دعا لسيف الدولة على منابر الثغور الشامية ، وكتب إليه بالأمرين ، فما كان من سيف الدولة إلا أن جد فى إتمام هذا الفداء ، فعرف به ونسب إليه .

وعندما تكلمت الدكتورة سيدة كاشف (مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ١٠٦) من فداء عام ٣٣٥ هـ ، أحالت بعد أول عبارة على المصادر التى اعتمدت عليها بهامش يحمل رقم (١) بهذه الصفحة ، ذكرت فيه ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٨ ، ٢٣ ، من طبعة ليدن ١٨٩٩ م ، وهاتان الصفحتان تقابلهما ص ١٦٦ ، ص ١٧٣ من طبعة القاهرة ، وهى الطبعة التى شاركت فى تحقيقها الدكتورة سيدة كاشف نفسها . ولكن هذه الصفحات لا تتضمن (فى طبعة ليدن أو طبعة القاهرة) أى ذكر لفداء سنة ٣٣٥ هـ ، وكل ماورد فى ص ١٨ من طبعة ليدن و ص ١٦٦ من طبعة القاهرة فى سياق حوادث سنة ٣٢٤ هـ : « ووردت كتب الثغر فى أمر الفداء ، فأمر الإخشيد بصندوق فحمل فى الجامع العتيق ليطرح الناس فيه ، فلم يطرحوا فيه شيئا ، فأنفذ الإخشيد بالمراكب والمال للفداء » ؛ ولكن جاء فى ص ٢٣ من طبعة ليدن ، و ص ١٧٣ من طبعة القاهرة : « وفى هذه السنة ــ وهى سنة خمس وعشرين ــ جهز الإخشيد المراكب الحربية للسير إلى الثغور للفداء الذى كوتب فيه ، وشحنها بنصارى الروم ممن أهدى إليه ومن اشتراه ، وأنفذ الثياب والطيب والطعام لمن يحصل فى الفداء من المسلمين » . ويقع بين هاتين الصفحتين فى كلا الطبعتين كتاب رومانوس ملك الروم إلى الإخشيد ، وورد ذكره فى سياق حوادث سنة ٣٢٤ هـ ، ويتضمن الكتاب ــ فيما يتضمن ــ رد الإخشيد بالموافقة على العرض الذى تقدم به ملك الروم لفداء الأسرى (انظر : ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٧١ ــ ١٧٢ من طبعة القاهرة المحققة) فالإخشيد ــ على ذلك ــ يعزم على الفداء فى عام ٣٢٤ هـ ، ويتجهز له تماما فى عام ٣٢٥ هـ ، وينفذه فى عام ٣٢٦ هـ بما يتفق وما ذكره المسعودى ، التنبيه والإشراف ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ؛ وما أورده ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٣٦ ، وإن لم ينسبه هذان المؤرخان إلى الإخشيد نفسه صراحة ، وإنما يفهم ذلك مما ذكره المسعودى من تكليف الإخشيد الفضل بن جعفر بن الفرات ــ وزيره فى ذلك الوقت ــ بجمع المال اللازم له . والدكتورة سيدة كاشف تذكر هذا الفداء قبل فداء عام ٣٣٥ هـ ، فى حين لم تشر إلى المصادر التى استمدت منها معلوماتها . وقد بدا أن ثمة خطأ مطبعيا فى وضع الهامش عند =

وما إن دخلت سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧ م) حتى عاد الاحتكاك بالبيزنطيين مرة أخرى . فقد عمد سيف الدولة إلى محاصرة حصن برزويه (٢٥) ـ الذى كان

= آخر العبارة التى بدأت بها الدكتورة سيدة كاشف الفقرة الخاصة بفداء عام ٣٣٥ هـ ، فهى تقول : « وبدأ محمد بن طغج فداء آخر تم فى سنة ٣٣٥ هـ » ، ثم تضع رقم الهامش عند هذه السنة . فلو تحرك رقم الهامش إلى آخر الفقرة السابقة الخاصة بفداء سنة ٣٢٦ هـ لاستقام بذلك الأمر ، إلا أن الدكتورة سيدة كاشف تعتمد هنا إلى جانب ابن سعيد على مصدر آخر هو الكندى فى كتابه الولاة والقضاة ، ص ٥٦٨ ، فيما يختص بفداء عام ٣٣٥ هـ ، وفى هذه الصفحة أحد النصوص التى ألحقها جست ـ ناشر الكندى ـ من كتاب رفع الإصر لابن حجر العسقلانى . والإحالة على الكندى هنا صحيحة من الناحية التاريخية ، ولكن إذا افترضنا وضع الكندى بجوار ابن سعيد (وهو ما فعلته الدكتورة سيدة كاشف لتبين مصادرها عن فداء ٣٣٥ هـ) للاشارة إلى فداء ٣٢٦ هـ ، لكان الخلط واضحاً . فالمذكور فى ولاة الكندى (ص٥٦٨) هو مكاتبة الإخشيد إلى الوزير محمد بن على بن مقاتل ليجمع المال بسبب هذا الفداء ، والمعروف أن ابن مقاتل لم يكن فى مصر بالمرة فى سنة ٣٢٦ هـ ، إذ كان فى تلك السنة وما بعدها مشغولا مع ابن رائق فى أحداث العراق والشام (راجع : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٢٦ وما بعدها) ، ثم أصبح ابن مقاتل صنيعة للحمدانيين بعد مقتل ابن رائق ، فلسمع عن وجوده بحلب فى سنة ٣٣٢هـ وقت دخول الإخشيد إليها وانتزاعها من يد الحسين بن حمدان ، ثم اصطنعه الإخشيد فى هذه المرة وقلده أعمال الخراج والضياع بمصر من هذه السنة ، فكأنه لم يدخل مصر إلا فى سنة ٣٣٢ هـ أو ٣٣٣ هـ على أقصى تقدير (راجع فى ذلك : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦) . وعلى كل حال ، يمكن تصحيح هذه الإحالة بوضع الهامش رقم (١) فى ص ١٠٦ بكتاب الدكتورة سيدة كاشف مقتصرا على مغرب ابن سعيد لفداء ٣٢٦ هـ ، أما الكندى فيتحرك إلى الهامش رقم (٢) مع المسعودى والمقريزى وهو الهامش الذى أثبتته الدكتورة سيدة كاشف عند آخر الفقرة لفداء عام ٣٣٥ هـ .

(٢٥) يقع حصن برزويه على لشر عال إلى الشمال قليلا من أفاميه ، راجع : ياقوت (معجم البلدان) ؛ Canard, Sayf al-Daula, p. 85, n. 2 ؛ وانظر أيضا : خريطة العواصم والثغور .

بيد بعض الأكراد الموالين للروم — فى الوقت الذى نزل فيه الروم على حصن الحدث (٢٦) . إلا أن سيف الدولة لم يتمكن من فتح برزويه إلا فى العـــام التالى (٢٧) ، وهو العام الذى شهد أول هزيمة تحيق بسيف الدولة أمام الروم

---

(٢٦) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١١ — ١١٢ ، ويذهب يحيى الأنطاكى هنـا إلى أن الروم فتحوا الحصن المذكور فى هذه السنة ، إلا أنه من الثابت أنهم استولوا عليه فى عام ٣٣٧ هـ (٩٤٩ م) ؛ انظر ما أوردناه هنا فيما بعـد ، ص ٥٢ فى هذا الفصل ، ولـكن راجع أيضـا : المرجع البيزنطى الأول لفازيلييف فى الهامش رقم (٢٩) فى هـذا الفصل . وحصن الحدث من الثغور الجزرية ثم الشامية ، فتح فى أيام عمر بن الخطاب ، وكان يطلق عليه « درب السلامة » تطيرا ، وهدم الحصن وخرب أكثر من مرة حتى ولى الرشيد الخلافة فأمر ببناء مدينة الحدث وتحصينها وشحنها بالمقاتلة ؛ راجع : البلاذرى (أبو الحسن) ، فتوح البلدان ، عنى بمقابلته والتعليق عليـه رضوان محمد رضوان ، ص ١٩٢ — ١٩٥ ، الطبعة الأولى ، المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م ؛ وانظر فى موقع حصن الحدث : خريطة العواصم والثغور .

(٢٧) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٢ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٠ ؛ الذهبى ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١١٤ ، ٣٠٢ . ويفهم من نص ابن تغردى بردى — الذى ينقل حرفيـا عن الذهبى — أن فتح حصن برزويه تم فى سنة ٣٣٦ هـ ، إذ يقول فى سياق حوادث سنة ٣٣٦ هـ (النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩٥) : « ... ثم أخذ حصن برزويه من الأكراد بعد أن نازلهم مدة » ؛ وأما نص الذهبى ، فهو يتفق وما ورد فى تاريخ يحيى الأنطاكى وزبدة ابن العديم ، إذ يقول : « ... ثم أخذ حصن برزويه من الأكراد بعد أن نازلهم مدة ، ثم افتتحه سنة سبع » . وقـد ذكر الدكتـور الشكعة (سيف الدولة الحمدانى ، ص ١٢٠) أن حصن برزويه كان بيد الروم وقت أن حاصـره سيف الدولة ، وهذا يخالف النصوص التى أوردها كل من يحيى الأنطـاكى وابن العـديم والذهبى ، فقد ذكر الأول أن الحصن كان بيد أبى تغلب الـكردى ، أما ابن العـديم فهـو يذكر هذا الـكردى على أنه ابن أخت أبى الحجر الكردى ، وهذا ما جعلنا نفترض موالاة =

عند ما نزلوا على مرعش (٢٨) ، وفتحوها بعد هزيمة خصمهم (٢٩) ، كما تمكنوا في الوقت نفسه من الإيقاع بأهل طرسوس (٣٠) . إلا أن الروم انهزموا في سنة ٣٣٨ هـ (٩٤٩ م) أمام بوقا (٣١) من عمل أنطاكية ، ولكنهم تمكنوا من فتح قيليقية في نفس السنة (٣٢) .

وعاد سيف الدولة فدخل الأراضي البيزنطية في يوم الأحد النصف من ربيع الأول سنة ٣٣٩ هـ (أول سبتمبر ٩٥٠ م) ، وانتهت عملياته الحربية في

= هذا الكردي للروم ، فمدوا الضغط على الحدث للتخفيف عن برزويه .

(٢٨) مرعش : من الثغور الجزرية ثم الشامية ، أسكنها معاوية بن أبي سفيان الجند واهتم هو وبنو أمية من بعده بتحصيناتها ، ثم نهج العباسيون على منوالهم ؛ انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٩٢ — ١٩٣ ؛ وراجع أيضا : خريطة العواصم والثغور .

(٢٩) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١١٤ ؛ يحيى الأنطاكي ، تاريخه ، ص ١١٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٩ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٠ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ ؛ وانظر أيضا :

Vasiliev (A. A.) ; The Struggle with the Saracens (887-1057), in : Cambridge Medieval History, vol. IV, p. 143, Cambridge 1936 ; Ostrogrosky (George), History of the Byzantine State (translated by Joan Hussey), p. 250, Oxford 1956 .

(٣٠) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١١٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٩ ؛ ابن العديم ، ج ١ ، ص ١٢٠ ؛ وقارن : Ostrogorsky, loc. cit.

(٣١) بوقا : ذكر ياقوت (معجم البلدان) أنها تقع إلى الشمال من أنطاكية ؛ راجع : خريطة العواصم والثغور .

(٣٢) يحيى الأنطاكي ، تاريخه ، ص ١١٢ .

جمادى الآخرة من نفس السنة (٣٣) (نوفمبر - ديسمبر ٩٥٠ م) بهزيمة نكراء منى بها بلغت من القسوة إلى حد جعل المؤرخين يسمونها غزاة المصيبة (٣٤)، وذلك على الرغم من توغله فى أراضى الروم حتى بلغ صارخة (٣٥) التى لا تبعد أكثر من سبعة أيام عن القسطنطينية (٣٦).

---

(٣٣) نفس المصدر السابق .

(٣٤) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٣٥) صارخة ، لم يقل فيها ياقوت (معجم البلدان) سوى أنها « بلد غزاها سيف الدولة فى سنة ٣٣٩ ببلاد الروم » ، انظر أيضا : خريطة العواصم والثغور .

(٣٦) الذهبى، فى Canard, Sayf al-Daula, pp. 87 – 8؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٠٣ ، وانظر أيضا التفاصيل الضافية عن هذه الوقعة والمستقاة من المصادر المختلفة فيما أورده كنار Canard فى كتابه :

Histoire de la Dynastie des Hamdanides des Jazira et de Syrie, t. I. pp. 763 — 70, Paris 1953 .

وقد سجل المتنبى هذه الأحداث فى قصيدتين له ، يقول فى أحدهما عارضا ما حققه سيف الدولة من فوز :

لا يعتـق بلد مسراه عن بلد	كالموت ليس له رى ولا شبـع
حتى أقام على أرباض خرشنـة	تشقى بها الروم والصلبان والبيع
تخلى له المرج منصوبا بصارخـة	له المنابر ، مشهودا بها الجمع

(انظر : المتنبى ، فى : العكبرى (أبو البقاء) ، ديوان أبى الطيب المتنبى ، المسمى بالتبيان فى شرح الديوان ، ضبطه وصححه مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م). ويشير فى الثانية إلى تهديد سيف الدولة المتوقع للقسطنطينية حين اقترب من خليجها :

رضينا — والدمستق غير راض —	بما حكم القواضب والوشيج
فإن يقدم ، فقد زرنا سمندو	وإن يحجم ، فموعده الخليج

=

ويبدو أن جهل سيف الدولة بمسالك الدروب التي أراد الخروج منها من بلاد الروم ، ومفارقة أهل الثغور له من الطرسوسيين (٣٧) في وقت مبكر ، وكانوا أهل خبرة ودراية بتلك المسالك الوعرة، قد أدى إلى تلك الهزيمة المنكرة التي حاقت به والتي ضاع فيها جيشه ، حتى إنه لم ينج إلا بنفسه في نفر يسير (٣٨)، وهى الهزيمة التي حددت انتهاء الدور الأول من أدوار الصراع بين سيف الدولة

= (انظر : المتنبي، فى: العكبرى ، التبيان ، ج ١ ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠) .

ولعل من المناسب أن نذكر هنا أن الدكتور مصطفى جواد قد كتب مقالا بعنوان « شرح ديوان المتنبي لابن عدلان لا للعكبري » يثبت فيه أن شرح ديوان المتنبي المطبوع باسم التبيان ليس للعكبري ولكن لعفيف الدين أبي الحسن على بن عدلان بن حماد بن على الربعى الموصلي النحوى ، وذلك فى : مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد الثانى والعشرون ، الجزء الأول والثانى (كانون الثانى وشباط ١٩٤٧ م — صفر وشهر ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ) ، ص ٣٧ — ٤٣ ؛ ونفس المجلد ، الجزء الثالث والرابع (آذار ونيسان سنة ١٩٤٧ م — شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة ١٣٦٦ هـ) ، ص ١٣٠ وما بعدها ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧م. وفى ترجمة الدكتور شوقى ضيف للعكبرى فى كتابه (المدارس النحوية ، ج ١ ، ص ٢٧٩ — ٢٨٠ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ م) مساندة لرأى الدكتور مصطفى جواد . إلا أننا — على الرغم من هذا التصحيح — سوف ننص فيما يلى هنا من صفحات على أن العكبرى هو شارح التبيان ، أخذاً بما هو وارد فى طبعة التبيان التى نستأنس بها .

(٣٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢١ ؛ الذهبى ، فى : Canard , Sayf al-Daula , p. 88 .

(٣٨) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٢ ؛ الذهبى ، فى : Canard, Sayf al-Daula , p. 88 ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٠١ . =

والبيزنطيين (٣٩).

أما الدور الثانى من أدوار الصراع ، فقد بدأ فى العـام التالى ـ ٣٤٠ هـ (٩٥١-٩٥٢ م) - بخروج سيف الدولة غازيا فى بلاد الروم وتتميز أحداث هذا العام الحربية بشىء ملفت للنظر(٤٠)، فى حين تتميز سنة ٣٤١هـ(٩٥٢-٩٥٣م)

= وقد أحاطت بسيف الدولة ظروف مشابهة بعد عشرة أعوام ، حينما انتهى من غزوته فى تلك السنة ـ ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م ـ وهو فى طريقه الى الشام ؛ فقد اتبع البيزنطيون نفس الخـطة من حيث التصدى له فى الدروب والشعاب التى تخرج به الى أراضى المسلمين ، وحققـوا نفس نتائج عام ٣٣٩ هـ ، على الرغم من أن أهل طرسوس الذين كانوا يغزون معـه فى هـذه المرة الأخيرة قد أشاروا عليه بالخروج معهم لأنهم أعلم بالأماكن التى يكمن فيها الروم بالدروب ، إلا أنه ركب رأسه ورفض نصحهم ، فحاقت به الهزيمة . وقد أنحى المعاصرون باللائمـة على سيف الدولة بسبب استبداده برأيه ورفضه مشورة الطرسوسيين مما أدى إلى هـذه النتيجة الفاجعة ؛ انظر : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٨٠ — ١٨١ ؛ ولـكن انظـر أيضا ما ورد ذكره هنا بعد قليل عن غزاة سنة ٣٤٩ هـ .

(٣٩) سكتت جميع المصادر التى أتيح لنا الرجوع اليها عن متابعة الكلام عن أية أحـداث حربية أخرى فى سنة ٣٣٩ هـ بعد ذكر نجاة سيف الدولة فى نفر يسير بعد هزيمتـه التى أشرنا إليها ؛ إلا أن الذهبى ، فى : Canard , Sayf al-Daula , pp. 88 — 9 ينفرد عن غيره بذكر وصول سيف الدولة الى حلب فى أعقاب هذه الأحداث ، حيث أنفذ إليه الدمستق طالبا الهدنة ، ولـكن سيف الدولة رفض هذا العرض ، ثم جهز جيشا سار الى بلاد الروم يعاضده فى نفس الوقت أهل طرسوس غازين فى البر والبحر ، فى حين لحق هو بجيشـه فيما بعد حتى وصل إلى آمد وقاتل الروم ؛ وبعد عودته تمـكن الروم من امتلاك آمد .

(٤٠) راجع هذه الأحداث ، فى : العكبرى ، التبيـان ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ؛ ج ٤ ، ص ١٦٥ ؛ Canard, Sayf al-Daula , pp. 93 — 4 ؛ وانظر أيضـا : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

بأوجه مختلفة من النشاط . فقد أدت الزلازل التي حدثت في عام ٣٤٠ هـ بالشام وبمنطقة العواصم إلى تهدم حصن رعبان (٤١) ، فعهد سيف الدولة إلى ابن عمه أبي فراس الحمداني بإعادة عمارته (٤٢) . أما هو ، فقد توجه بنفسه إلى مرعش — وكانت قد خربت على أيدي الروم في عام ٣٣٧ هـ — فأعاد بناءها بعد أمور جرت له مع دمستق الروم الذي زحف إليه ليمنعه من متابعة أعمال الترميم والبنيان (٤٣).

---

(٤١) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ . وجاء في معجم البلدان لياقوت : « رعبان : بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة وآخره نون ، مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات ، معدودة في العواصم ، وهي قلعة تحت جبل » ؛ انظر أيضا خريطة العواصم والثغور .

(٤٢) ابن خلكان ، في : Canard, Sayf al-Daula, p. 95 .

(٤٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٢ ؛ ابن الشحنة (محب الدين أبو الفضل محمد) ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، نشر يوسف إليان سركيس ، ص ١٩٢ ، بيروت ١٩٠٩ م . هذا ويذهب ابن العديم الى أن الدمستق أتى سيف الدولة ليمنعه من بناء مرعش ، فأوقع به سيف الدولة « الوقعة العظيمة المشهورة » ؛ أما ابن الشحنة ، فيذكر أن الدمستق جاء ليمنعه من بنائها ، فقصده سيف الدولة ، فولى هاربا ، وتمم سيف الدولة عمارتها . ويبدو أن الاثنين لم يعدوا الحقيقة فيما ذهبا إليه ، إذ أن المتنبي (في : العكبري ، التبيان ، ج ١ ، ص ٦٢ وما بعدها) ينظم قصيدة في هذه المناسبة يسجل فيها الأحداث التي مرت ، ويفهم من أبيات القصيدة أن حربا دارت ولى بعدها الدمستق هاربا ، أو أن سيف الدولة قد أوقع به وبأصحابه وهو يمعن في الفرار ، فيقول المتنبي :

سراياك تترى والدمستق هارب ... وأصحابه قتلى وأمواله نهبى

أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا ... وأدبر — إذ أقبلت — يستبعد القربا

ويتمثل أهم حدثين شهدهما هذا العام فى استيلاء الروم على مدينة سروج (٤٤)، ومباحثات فداء الأسرى بحضور رسول ملك الروم الذى قــدم إلى حلب بشأنها (٤٥) .

وما إن استهل عام ٣٤٢ ﻫ (٩٥٣ م) ، حتى اضطر سيف الدولة إلى أن يوجه نشاطه الحربى وجهة أخرى ، فقد انتقضت عليه القبائل فى ديار مضر ،

---

(٤٤) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٧ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ ؛ وقارن : الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥٥ وليس ثمة تاريخ محقق فى هذه المصادر حتى يمكن تحــديد ما إذا كان ذلك قد تم قبل أو بعد بناء مرعش . وقد حدا هذا ببعض المحدثين إلى الاختلاف حول ذلك مع إغفال الإشارة إلى تاريخ محدد لــكل حادثة ، وإغفال ذكر المصــادر المؤيدة لوجهــات النظر . فنرى Sadruddin , Saifuddaula, p. 61 يضع حادثة استيلاء الروم عــلى سروج تالية لواقعة إعادة بناء مرعش ؛ فى حين نجد الكيــالى ، سيف الدولة ، ص ٨٥ ، يورد الحادثة قبل بناء مرعش ، كما أنه يستشهد بأبيات من قصيدة المتنبــى تتضمن البيتين اللذين أوردناهما فى الحاشية الـسابقة كدليل على وجهة نظره حين وصل الخبر إلى سيف الدولة باستيلاء الروم على سروج وهى قريبة من حلب ، فخرج إليهم وقاتلهم عنــدها ، ثم عرج على مرعش فأعاد بناءها ، وإلى كل ذلك — كما يذهب الدكتور الــكيالى — أشار المتنبى فى قصيــدته . ونلاحظ أيضا أن مؤرخى الدولة البيزنطية لا يحددون الشهر الذى استولى فيــه الروم عــلى سروج ، وإنما يكتفون بذكر السنة فحسب ؛ انظر — على سبيل المثال — : Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 143 ؛ أما مدينة سروج ، فهى تقع بأرض الجزيرة عن شمال طريق حران إلى جسر منبج ؛ راجع : ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ٢٠٧ ؛ وانظر أيضا : خريطة العواصم والثغور .

(٤٥) راجع : العكبرى ، التبيــان ، ج ٣ ، ص ٢ ؛ وانظــر أيضا : Sadruddin , Saifuddaula , pp. 61 — 2 . وفى موضوع مباحثات فداء الأســرى هذا ، يذهب صدر الدين إلى أنه تم فى ذى القعدة سنة ٣٤١ ﻫ ، وذلك بعد دخول الروم سروج ، ولم يشر صدر الدين إلى المصدر الذى استقى منه معلوماته فيما يتعلق بهذا التاريخ .

فاتجه إلى حران حيث أقر الأمور بعد أن أخـــذ رهائن من بنى عقيل وقشير وعجلان (٤٦) . ثم أخذ سيف الدولة سمته إلى بلاد الروم ، فشن غارته ، ولكنه لم يلبث أن حول وجهه سريعا نحو الشام عند سماعه بالخطر المحدق به ، فتلاقى أخـــيرا مع بردس فوقاس الدمستق قرب مرعش ، حيث أحرز عليه انتصارا كبيرا كان من نتائجه وقوع قسطنطين ابن الدمستق فى الأسر ، ماحـدا بأبيه إلى زهده فى الدنيا ودخوله الدير مترهبا(٤٧) وقد دارت وقعة مرعش هذه فى يوم الإثنين لعشر خلون من ربيـــع الأول سنة ٣٤٢ هـ (٤٨) (٢٥ يوليو ٩٥٣ م) .

---

(٤٦) لاتشير المصادر التى تعرضت لذكر هذه الاضطرابات إلى تاريخ محدد لها ، انظر: Extrait du Commentaire de Mutanabbi, in : Canard, Sayf al-Daula, p. 96 ، العكبرى ، التبيان ، ج ٢ ، ص ١٠٠ . ولـكن بعض المراجـع تحدد هذا التاريخ بجمادى الآخرة من السنة (أكتوبر — نوفمبر ٩٥٣ م) بدون إشـارة إلى المصدر المستأنس به ، راجع : Sadruddin , op. cit., p. 62 . ولـكن النـص الذى أشرنا إليه فى Canard يبىء لنا الشاهد الذى يكاد يحدد هذا التـاريخ ، إذ أنه يذكر (pp. 98 — 9) بعد حوادث اضطرابات القبائل والقضاء عليها ، تاريخ الإيقـاع ببردس فوقاس الدمستق والذى انتهى بأسر ابنه قسطنطين وهو يوم الإثنين لعشر خـلون من ربيع الأول (٢٥ يوليو سنة ٩٥٣ م) ، ثم يأتى بعد ذلك إلى ذكر القصيدة التى أنشـدها المتنبى بهذه المناسبة وتاريخ إنشادها وهو جمادى الآخرة من السنـة (أكتوبر — نوفمـبر ٩٥٣ م) ، ومطلعها :

ليالى — بعد الظاعنـين — شكول   طوال ، وليل العاشقـين طويل

(راجع أيضا نفس تاريخ إنشاد هذه القصيدة فى : العكبرى ، التبيان ج ٣ ، ص ٩٥) . وعلى هذا ، يمكن القول بأن انتقاض القبائل فى ديار مضر لم يحدث فى جمادى الآخرة من السنـة ، بل فى تاريخ سابق على ربيع الأول بشهر أو اثنين .

(٤٧) راجع تفاصيل وقائع سيف الدولة فى هذه الغزاة حتى أسـر قسطنطين =

... ...

= ابن بردس فوقاس فى كل من Extrait du Commentaire de Mutanabbi, in : Canard, Sayf al-Daula, pp. 97 — 8 ؛ الثعالبى (أبو منصور عبد الملك النيسابورى) ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٢١ — ٢٢ ، ط ١ ، مطبعة الصاوى ، مصر ١٥٣٢ هـ — ١٩٢٣ م ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٣ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٣ — ١٢٤ ؛ وانظر أيضا : الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

هذا ، وينفرد ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠١ ، بذكر مقتل قسطنطين بن بردس فى هذه الواقعة ، كما أنه ينفرد بذكر وقوعها فى سنة ٣٤٣ هـ (٩٥٤ م) ، مخالفا بذلك كل النصوص التاريخية والأدبية التى تعرضت للموضوع ؛ فقد سجل المتنبى قصة أسر قسطنطين عند مرعش فى أبيات أشار فيها كذلك إلى مسير سيف الدولة إلى الروم بعد سماعه بالخطر المحدق بالشام :

لبسن الدجى فيها إلى أرض مرعش	وللروم خطب فى البلاد جليل
على قلب قسطنطين منه تعجب	وإن كان فى ساقيه منه كبول
لعلك يوما يادمستق عائد	فكم هارب مما إليه يؤول
أتسلم للخطية ابنك هاربا	ويسكن فى الدنيا إليك خليل ؟!

(راجع : المتنبى ، فى : العكبرى ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٠٤ وما بعدها) .

كما يقول فى قصيدة أخرى عن هروب الدمستق بعد الوقعة وأسر ابنه :

سريت إلى جيحان من أرض آمد	ثلاثا ، لقد أدناك ركض وأبعدا
فولى وأعطاك ابنه وجيوشه	جميعا ، ولم يعط الجميع ليحمدا
وما طلبت زرق الأسنة غيره	ولكن قسطنطين كان له الفدا

(راجع : المتنبى ، فى : الثعالبى ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٢٢) .

ويقول الشاعر المعاصر أبو العباس أحمد بن محمد النامى فى ذلك أيضا :

ولم يمض سوى شهر واحد من عام ٣٤٣هـ إلا وقد وردت على سيف الدولة سفارة ملك الروم طالبا الصلح فى صفر من هـذه السنة (٤٩) (يونيه - يوليو ٩٥٤ م) . بيد أن متاعب سيف الدولة الداخلية عاودت الظهور عندما اضطر

= وأسلم قسطنطين للأسر فـردس ... وولى وقـد رخـدته فوهاء فى الخـد

فقد كان من آثار الوقعة أيضا أن جرح بردس فوقاس فى وجهه ؛ راجع : النامى ، فى : Canard, Sayf al-Daula, p. 105 . وفى ذكر جرح بردس فى وجهه ، انظر أيضا : الثعالبى ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٢٢ .

وفى أسر قسطنطين أيضا ، انظر من المراجع البيزنطية :

Vasiliev. in : C. M. H., vol. IV, P. 143 .

أما عن ترهب بردس فوقاس ، فيقول المتنبى :

فلو كان ينجى من على ترهب ... ترهبت الأملاك مثنى وموحـدا

(راجع : المتنبى ، فى :

(Canard , Sayf al-Daula , P. 104 .

ويشير النامى إلى ذلك أيضا :

لكنه طلب الترهب خيفـة ... ممـن له تتقاصـر الأعمـار

فكان قـائم سيفـه عـكازه ... ومـكان ما يتمنطـق الزنار

(راجع : النامى ، فى : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٤ — ١٢٥)

(٤٨) راجع ما فات هنا من قبل بالحاشية رقم (٤٦) فى هذا الفصل . ومن المفيد مراجعة قصيدة المتنبى « ليالى بعد الظاعنين شكول » ، إذ فيها قائمة تكاد تكون كاملة — وهى ما تفتقر إلى إثباته المصادر التاريخية والأدبية المختلفة — للبلاد التى توجه إليها سيف الدولة ودارت بها الوقعات المتعددة ، وذلك من بدء خروجه من حران إلى أن دارت وقعة مرعش المشار إليها . [تلحق هذه الحاشية بالهامش رقم (٤٨) المشار إليه بالسطر الثانى من أسفل متن صفحة (٨٠) هنا]

(٤٩) العكبرى ، التبيان ، ج ١ ، ص ١١٢ ؛ وهى المناسبة التى أنشد فيها المتنبى قصيدته التى مطلعها :

دروع لملك الروم هذى الرسائل ... يرد بها عن نفسه ويشاغل

سيف الدولة للإيقاع ببنى كلاب وتشريدهم - بعد أن كان يصطنعهم - لما بدر منهم مايدل على نية التمرد بعد أن علت كلمتهم ، ولكنه عاد فصفح عنهم حين وسطوا لديه ابن عمه أبافراس الحمدانى (٥٠) ، وكان ذلك فى جمادى الثانية من السنة (أكتوبر ٩٥٤ م) قبل أن يشرع فى بناء الحدث واصطدامه بالبيزنطيين هناك (٥١) .

ولم يكد سيف الدولة ينتهى من أمر بنى كلاب ، حتى توجه إلى ثغر الحدث لإعادة بنائه (٥٢) ، فكان رد الفعل من جانب الروم أن سار إليه الدمستق بردس فوقاس (٥٣) ، فتلاقيا عند الحدث حيث انتهت المعركة بانتصار سيف

---

(٥٠) الثعالبى ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ١٩ ، ٣٥ ؛ وانظر أيضاً ما أنشده المتنبى فى هذه المناسبة ، فى : العكبرى ، ج ١ ، ص ٧٥ وما بعدها .

(٥١) ناصيف اليازجى ، كتاب العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ ، بيروت ١٣٠٥ هـ ؛ عبد الرحمن البرقوقى ، شرح ديوان المتنبى ، ج ١ ، ص ٨٧ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م ؛ ديوان أبى الطيب المتنبى ، نشر عبد الوهاب عزام ، ص ٣٦٩ — ٣٧٠ ، القاهرة ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م ؛ وانظر أيضاً : Sadruddin , Saifuddaula , p. 67.

(٥٢) كان الروم قد خربوا سور الحدث لما تسلموها بالأمان من أهلها فى عام ٣٣٧ هـ (٩٤٩ م) ؛ انظر :

Extrait du Commentaire de Mutanabbi, in : Canard , Sayf al-Daula p. 106 ;

الثعالبى ، يتيمة الدهر ، ج ١ ص ٢٢ ؛ العكبرى ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ ؛ وراجع أيضاً : يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١١ — ١١٢ ، ١١٣ ؛ ولكن انظر ما فات هنا من قبل ، هـ ٢٦ فى هذا الفصل .

(٥٣) الثعالبى ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٢٢ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٣ ؛ =

الدولة(٥٤) .

وما إن بدأت سنة ٣٤٤ ﻫ (٩٥٥ م) حتى ورد على سيف الدولة رسول ملك الروم يطلب الهدنة (٥٥) ، وكان يرافقه فرسان طرسوس والمصيصة (٥٦)

= ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٥ . وقد مر بنا من قبل أن بردس فوقاس قد دخل الدير مترهبا ، إلا أنه خلع مسوح الرهبان فى تلك السنة مدفوعا بالانتقام من سيف الدولة لكى يمسح عن نفسه عار الهزيمة التى لحقته قرب مرعش فى العام السابق ، ولكى يثأر لابنه قسطنطين الذى توفى فى الأسر فيما بعد . راجع مشاعر بردس فوقاس فى تلك الآونة في كل من : الثعالبى ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٢٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل، ج ٨ ، ص ٢٠١ ؛ وراجع أيضا فى وفاة قسطنطين بن بردس فوقاس وهو فى الأسر : العكبرى ، التبيان، ج ٣ ، ص ١٠٦ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٣ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٤ ؛ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، فى : Canard, Sayf al-Daula, p. 106.

(٥٤) استغرقت المعركة من أول النهار إلى وقت العصر من يوم الإثنين آخر جمادى الثانية سنة ٣٤٣ ﻫ (٣٠ أكتوبر ٩٥٤ م) ، وبعد انتهائها حقق سيف الدولة هدفه المحدد وهو إعادة بناء الحدث،وقد انتهى من ذلك فى يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب(١٢ نوفمبر ٩٥٤ م) ؛ راجع :

Extrait du Commentaire de Mutanabbi, in : Canard, Sayf al-Daula. p. 107 ;

وانظر أيضا : الثعالبى ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٢٢ — ٢٣ ؛ العكبرى ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠١ (وهو ينفرد بتحديد تاريخ الوقعة بشهر شعبان من السنة) ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٥ ؛ الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣١١ .

(٥٥) العكبرى ، التبيان ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ .

(٥٦) قال ياقوت (معجم البلدان) : « المصيصة : مدينة على شاطئ جيحان من

لهذا الغرض (٥٧) ، وذلك فى شهر المحرم من السنة (٥٨) (أبريل ٩٥٥ م) . ووافق سيف الدولة على طلب الهدنة (٥٩) ، ليتفرغ لقبائل العرب التى خالفت عليه وتحالفت ضده - خلال انشغاله بمحادثات الهدنة - فى أرض الجزيرة وشمالى سورية (٦٠) . وإثر انتهائه من محادثات الهدنة هذه ، واجه الثورة بنفسه ، وتمكن أخيرا من قمعها (٦١) . إلا أن الهدنة المشار إليها لم تكن سوى

= ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس » ؛ راجع أيضا : خريطة العواصم والثغور .

(٥٧) ديوان المتنبى ، نشر عزام ، ص ٣٨٠ ؛ قارن : اليازجى ، العرف الطيب ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ ؛ وانظر أيضا : Sadruddin, Saifuddaula, p. 70 فهو يضيف أذنه إلى طرسوس والمصيصة ، ويبدو أنه يأخذ من ديوان المتنبى شرح ابن جنى أو المعرى ؛ قارن فى ذلك : ديوان المتنبى ، نشر عزام ، ص ٣٨٠ ، ه ٢ .

(٥٨) كان ذلك فى يوم الأحد لثلاث خلون من هذا الشهر (٢٩ أبريل ٩٥٥ م) ؛ انظر : ديوان المتنبى ، نشر عزام ، ص ٣٨٠ ؛ وقارن : اليازجى ، العرف الطيب ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ ، فهو يحدد هذا التاريخ بالثالث عشر من المحرم ؛ وما جاء فى ديوان المتنبى ، نشر عزام ، أصح ؛ راجع فى صحة هذا التاريخ : محمد مختار ، التوفيقات الإلهامية ، الطبعة الأولى ، المطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية ١٣١١ ه .

(٥٩) انظر : Sadruddin , Saifuddaula , p. 70. n. 3 ، وما بهذا الهامش من مصادر .

(٦٠) ديوان المتنبى ، نشر عزام ، ص ٣٨٢ — ٣٨٣ .

(٦١) راجع تفاصيل هذه المخالفة من جانب قبائل عامر بن صعصعة ، وعقيل ، وقشير ، وعجلان ، وكعب بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة بن عامر ، ونمير بن عامر ، فى : ديوان المتنبى ، نشر عزام ، ص ٣٨٢ — ٣٨٣ ؛ وانظر أيضا : العكبرى ، التبيان ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ؛ اليازجى ، العرف الطيب ، ج ٢ ، ص ٤١١ ، ٤١٨ .

هدنة مؤقتة بعد أن نقضها الروم بمحاصرتهم لحصن الحدث فى جمادى الأولى من السنة (أغسطس - سبتمبر ٩٥٥ م) ، مما أدى إلى معاودة سيف الدولة لنشاطه الحربى الذى لم يسفر عن شيء يستحق الذكر (٦٢) .

وافتتح سيف الدولة غزواته فى عام ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) بهزيمته القـــائد البيزنطى الكبير يوحنا تزيمسكس John Tzimisces - العـاهل المقبـل للإمبراطورية البيزنطية ، والمعروف فى الرواية العربيـــة باسم يانس بن الشمشقيق - قرب حصن تل بطريق (٦٣) ، واستولى على الحصن وأحرق وقتل

---

(٦٢) راجع تفاصيل الأحداث بعد نقض الهدنة في : ديوان المتنبي ، نشر عزام ، ص ٤٠١ — ٤٠٣ ؛ Extrait du Commentaire de Mutanabbi , in : Canard , Sayf al-Daula , pp 112 - 3 ؛ وقارن : يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٣ — ١١٤ ؛ وانظر أيضاً : اليازجى ، العرف الطيب ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ . ونرى فى : العكبرى ، التبيان ، ج ٣ ، ص ١٣٤ ، أن هذه الأحداث دارت فى سنة ٣٤٠ هـ ؛ ولـكن ناشرى العكبرى استدركوا هذا الخطأ فى الحاشية رقم (١) بنفس الصفحة استناداً بما جاء فى شرح الواحدى ، وهو ما يتفق وما ورد فى الديوان . ويبدو أن الخطأ فى نص العكبرى ناجم عن الناسخ ؛ راجع فى هذا الصدد : Sadruddin, Saifuddaula, p. 69 . n. 2 .

(٦٣) Vasiliev. in : C. M. H., vol. IV, p. 143 . أما عن تل بطريق ، فهو يقع على الضفة الغربية لنهر الفرات عند التقاء الفرات الأعلى (قره صو) بالفرات الأدنى (أرسناس ، أى مراد صو) على بعد أميال من حصن زياد ؛ راجع : Canard , Sayf al-Daula, p. 115 , n. 2 ؛ وابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٦ ، ٢٨ ؛ ويقول ياقوت (معجم البـلدان) عن تل بطريق : « بلد كان بأرض الروم خربه سيـف الدولة » ؛ انظر أيضا خريطة العواصم والثغور .

وسى(٦٤)، كما أوقع بالروم أثناء عودته فى درب يعرف بدرب الخياطين (٦٥).
وعاد سيف الدولة إلى آمد (٦٦)، حيث أنشده المتنبى قصيدته التى مطلعها (٦٧):

(٦٤) ديوان المتنبى، نشر عزام، ص ٤١١؛ يحيى الأنطاكى، تاريخه، ص ١١٤؛ ابن ظافر، فى: Canard, Sayf al-Daula, p. 115؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٢٦.

(٦٥) يحيى الأنطاكى، تاريخه، ص ١١٤؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٢٦؛ وقارن: ديوان المتنبى، نشر عزام، ص ٤١٢، إذ يجيء النص الوارد فى الديوان تفسيرا لهزيمة الروم فى تلك الوقعة فيعزوها إلى هطول المطر بغزارة مما أدى إلى ابتلال أقواس الروم فعدمت صلاحيتها. ويرجح كنار Canard (فى: Sayf al-Daula,p. 116. n. 3) مكان درب الخياطين فيما بين بحيرة جولجيك Goljik ومدينة آمد (نقلا عن مخطوطة فى شرح المتنبى نشرها كامل الغزى فى: كتاب نهر الذهب، ج ٣، ص ٥٠، حلب ١٩٢٧ م)؛ راجع أيضاً: خريطة العواصم والثغور.

(٦٦) دخلها فى آخر نهار يوم الأحد ١٠ صفر سنة ٣٤٥ هـ (٢٤ مايو سنه ٩٥٦م)؛ ديوان المتنبى، نشر عزام، ص ٤١٢.

(٦٧) ديوان المتنبى،، نشر عزام، ص ٤٢١؛ العكبرى، التبيان، ج ٤، ص ١٧٤؛ ابن ظافر، فى: Canard, Sayf al-Daula, p. 115؛ وانظر أيضاً: Canard, Sayf al-Daula, p. 118, n. 3.

وقد أنشد المتنبى فى نفس المناسبة قصيدة أخرى من المتواتر أنهـا كانت آخر قصائده فى سيف الدولة بحلب، ويقول فى مطلعها:

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم ؟!

انظر: ديوان المتنبى، نشر عزام، ص ٤١٦، و هـ (أ) بنفس الصفحه؛ العكبرى، التبيان، ج ٤، ص ١٥؛ وانظر أيضا: Mutanbhi, in: Canard, Sayf al-Daula, p. 118؛ البرقوقى، شرح ديوان المتنبى، ج ٤، ص ١٦٧؛ ثم قارن:

الرأى قبل شجاعة الشجعان .·. هو أول وهى المحـــل الثانى

وغزا سيف الدولة مرة ثانية فى جمادى الآخرة من السنة (سبتمبر ـ أكتوبر ٩٥٦م) مع أهل الثغور (٦٨)، انتقاما من إيقاع الروم بأهل طرسوس فى نفس الشهر (٦٩)؛ فكان رد الفعل لدى الروم أن ساروا إلى ميافارقين فأغاروا على نواحيها وخربوا ونهبوا (٧٠).

= Sadruddin, Saifuddaula, p. 70.

وهذه القصيدة تتضمن — مثل معظم سابقاتها فى غزوات سيف الدولة — إشارات هى شواهد فى حد ذاتها على مراحل مسير سيف الدولة من بدء خروجه إلى إنتهاء القتال عند الدرب المذكور فى المتن. وبمقارنتها بالقصيدة النونية نجدها أغزر معلومات عن المراحـــل الأولى والأخيرة لأحداث هذه الغزاة حتى الوقعة بدرب الحياطين كما سبق وأن ذكرنا؛ راجع هاتين القصيدتين فى: ديوان المتنبى، نشر عزام، ص ٤١٢ — ٤١٦، ٤١٧—٤٢٢؛ وقارن أيضا فى هذا الصدد ما جاء فى: Canard, Sayf al-Daula, p. 118, n. 3.

(٦٨) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٢٦. ونلاحظ أن ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٠٥، يحدد تاريخ هذه الغزاه بشهر رجب من السنـــة؛ ولـكننا نجـده فى: Sadruddin, Saifuddaula, p. 71 محددا بشهر جمادى الأولى بدون ذكر للمصدر الذى استند إليه.

(٦٩) ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٣، ص ٣١٤، ٣١٥؛ وقارن: الذهبى، دول الإسلام، ج ١، ص ١٥٦.

(٧٠) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٠٥؛ ابن تغرى برى، النجـــوم، ج ٣، ص ٣١٥. هذا ويغفل يحيى الأنطاكى ذكر هذه الغزاة ويسوق بدلا منها ذكراً لإنفاذ سيف الدولة سرية له نزلت على صمندو، ومحاصرة سيف الدولة لحصن زياد ورفعه هذا الحصار بعـد أن نمى إلى علمه توجه الدمستق إلى الشام؛ انظر: تاريخه، ص ١١٤؛ ثم قارن المحاولة التى قام بها Sadruddin, op. cit., p. 71 لإدماج هذه الوقائع — حسبما أوردها يحيى الأنطاكى — فى أحداث هذه السنة.

وتمكن الروم فى ربيع الأول ٣٤٦ ﻫ (يونيه ٩٥٧ م) من الاستيلاء على حصن الحدث (٧١) ، كما حاولوا التآمر على حياة سيف الدولة بمكاتبة بعض غلمانه فى جمادى الأولى من السنة (أغسطس ٩٥٧ م) ، ولكنه قضى على المؤامرة فى مهدها (٧٢) .

وواصل الروم انتصاراتهم فى العام التالى ؛ وتتلخص أهم الإنجازات العسكرية فى استيلاء يوحنا تزيمسكس على سميساط ، ثم هزيمته لسيف الدولة عند رعبان فى شعبان ٣٤٧ ﻫ (٧٣) (أكتوبر ٩٥٨ م) .

وفى أول شوال سنة ٣٤٨ ﻫ (٧٤) (ديسمبر ٩٥٩ م) ، فتح الدمستق ليون بن فوقاس الهارونية (٧٥) ، ثم مد نشاطه الحربى إلى أرض الجزيرة ، ولكنه

---

(٧١) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٤ ؛ Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 143 ; Ostrogorsky op. cit., p. 250 .

(٧٢) انظر تفاصيل هذه المؤامرة فى : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٧ ؛ وراجع أيضا : Sadruddin, op. cit., p. 72 ؛ الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(٧٣) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٤ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٨ ؛ وقارن : الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥٧ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣١٩ ؛ وراجع أيضا : Vasiliev , in : C. M. H., vol. IV, p. 143 ; Ostrogorsky , op. , p. 250.

(٧٤) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٦ .

(٧٥) الهارونية : يقول البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٧٥ : « ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة ، أمر [يقصد هرون الرشيد] ببناء الهارونية ، فبنيت وشحنت أيضا بالمقاتلة ومن نزح إليها من المطوعة ، ونسبت إليه ؛ ويقال إنه بناها فى خلافة المهدى ثم أتمت =

انفلت من سيف الدولة والأخير فى طريقه إليه ، حتى وصل ـ أى الدمستق ـ إلى الرها وحران (٧٦) .

وانتقم سيف الدولة فى العام التالى – ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) – من الهزائم التى حاقت به مؤخرا ، فغزا فى الروم حتى وصل خرشنة (٧٧) وهو يحقق انتصارات سريعة على البيزنطيين (٧٨) . ولكن انتقامه لم تدم نتائجه الطيبة كثيرا ، إذ تردى فى نفس الخطأ الذى وقع فيه منذ عشر سنوات ، فلحقت به الهزيمة فى الدرب المعروف بدرب مغارة الكحل (٧٩) بعد رفضه مشورة الطرسوسيين بالرجوع

= فى خلافته » . وهى حصن صغير من ثغور الشام ، يقع غربى جبل اللكام فى بعض شعابه ؛ راجع : ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١٦٧ ؛ انظر أيضا : خريطة الثغور والعواصم .

(٧٦) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٦ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٩ — ١٣٠ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٢١ — ٣٢٢ ؛ وانظر أيضا : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٧٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٨ ؛ الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٧٧) خرشنة : ذكرها ياقوت (معجم البلدان) ، فقال : « بلد قرب ملطية من بلاد الروم ، غزاه سيف الدولة بن حمدان ، وذكره المتنبى وغيره فى شعره » ؛ راجع أيضا : خريطة العواصم والثغور .

(٧٨) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٩ .

(٧٩) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٧ ، و هـ ١ بنفس الصفحة ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٣٠ ؛ ولكن انظر أيضا : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٩ ؛ وقارن : الذهبى ، دول الإسلام ، =

معهم من طريق آخر خرجوا منه بالفعل قبـــل الوقعة (٨٠)، وكانت النتائج مشابهة لنتائج تلك الوقعة التى دارت فى عام ٣٣٩ هـ. وبهـذا انتهى الدور الثانى من أدوار الصراع، ليبدأ آخـر دور ينتهى بانتهاء حياة سيف الدولة، وهو الدور الذى تميز بضعف موقف سيف الدولة المتواصل، وباشتداد وطأة الروم الحربية.

فقد شهد العامان التاليان ازدياد الضغط العسكرى البيزنطى إثر نقل نقفور فوقاس دمستقا للمنطقة الشرقية من الإمبراطورية البيزنطية (٨١). وعلى الرغم من بعض الانتصارات السريعة التى حققها نجا - غلام سيف الدولة - فى أراضى الروم عام ٣٥٠ هـ (٨٢) (٩٦١ م)، فقد تحرك الدمستق الجديد فى أواخر هذه

= ج ١، ص ١٥٧. ويرجح الدكتور سامى الدهان (فى: ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٣٠، هـ ٤) مكان درب مغارة الكحل قرب المصيصة استنادا إلى ظواهـر النصوص التى أوردها كل من ابن الأثير ومسكويه، وهما المصدران اللذان أدرجناهما فى هذه الحاشية. وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان) — فى مادة ثغر — مغارة الكحل وهو يتكلم عن هزيمة سيف الدولة عندها سنة ٣٤٩ هـ وظفر الروم بعسكره، ورجوعه إلى حلب فى خمسة فرسان.

(٨٠) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٨٠ — ١٨١؛ ابن الأثير، الكامـل، ج ٨، ص ٢٠٩ — ٢١٠؛ ولـكن راجع فيما فات هنا من قبل، هـ ٣٨ فى هـذا الفصل، ما ذكرناه عن مشاعر المعاصرين التى عبر عنها مسكويه (نفس المصدر) حول سـلوك سيف الدولة فى هذه الوقعة؛ ثم قارن رأى المتأخرين المشابه الذى أبداه ابن الأثـير فى المصدر المذكور؛ وانظر نفس الشىء فى: أبو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ١٠٢.

(٨١) انظر فى نقل نقفور فوقاس دمستقا للشرق: يحيى الأنطاكى، تاريخه، ص ١١٨؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٣٢؛ Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 144.

(٨٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢١١؛ وابن ظافر، فى:

السنة ووجهته عين زربى (٨٣) ، فنزلها فى المحرم من سنة ٣٥١ هـ (فبراير – مارس ٩٦٢م) وفتحها بالأمان (٨٤) ، كما فتح دلوك (٨٥) ورعبان ومرعش فى ربيع الأول سنة ٣٥١ هـ (٨٦) (أبريل – مايو ٩٦٢ م) . ثم نزل الروم على منبج (٨٧) ، وأسروا متوليها أبا فراس الحمدانى (٨٨) وذلك فى شهر شوال من

= Canard, Sayf al-Daula, pp.163 — 7 .

(٨٣) عين زربى : عرف بها ياقوت (معجم البلدان) وحدد مكانها فى قوله : « عين زربى : بفتح الزاى وسكون الراء وباء موحدة وألف مقصورة . يجوز أن يكون من زرب الغنم ، وهو مأواها . وهو بلد بالثغر من نواحى المصيصة » . وقد بناها وحصنها هرون الرشيد فى عام ١٨٠ هـ ؛ راجع : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٧٥ ؛ انظر أيضا فى موقع هذا الثغر الشامى : خريطة العواصم والثغور .

(٨٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٢ ؛ وانظر أيضا : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٩٠ . ويذهب كل من يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٨ ؛ وابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، إلى أن الروم استولوا على عين زربى فى شهر ذى القعدة من سنة ٣٥٠ هـ . راجع فى صحة التاريخ الذى أخذنا به : Sadruddin, op. cit., p. 80, n. 3 وما بهذه الحاشية من مصادر ومراجع .

(٨٥) دلوك : حدد ياقوت (معجم البلدان) موقعها بقوله : « بليدة من نواحى حلب بالعواصم » ؛ راجع أيضا : خريطة العواصم والثغور .

(٨٦) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٨ ؛ وانظر أيضا : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٤ ؛ Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 144 ; Ostrogorsky, op. cit., p. 252.

(٨٧) منبج : من العواصم ؛ راجع : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٠ . وهى تقع بالقرب من بالس ؛ راجع : ابن حوقل ، فى : Canard, Sayf al-Daula, p. 42 ; وانظر أيضا : خريطة العواصم والثغور .

(٨٨) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، =

السنة (٨٩) (نوفمبر ٩٦٢ م) ، ونقلوه إلى القسطنطينية (٩٠) .

ولكن فى أواخر عام ٣٥١ هـ ، نزلت بسيف الدولة أفدح هزيمة فى حياته الحربية بعد أن استولى الروم على حلب (٩١) . فقد نزل نقفور على المدينة بغتة (٩٢) فى شهر ذى القعدة من السنة (٩٣) ، وتمكن من دخولها بعد انسحاب

= ص ١١٨ ؛ الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥٩ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

(٨٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٥ .

(٩٠) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٨ .

(٩١) المصادر هى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٩٢ — ١٩٤ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٨ — ١١٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٢ — ٢١٣ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٣٣ — ١٣٤ ؛ الذهبى - من تاريخ على ابن محمد الشمشاطى - فى: Canard, Sayf al-Daula , pp. 145 — 9 ؛ وله أيضا: دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ . أما المراجع فهى :

Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 144 ; Sadruddin, op. cit., pp. 84 — 92 ; Ostrogorsky , op. cit., p. 252;

الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى ، ص ١٣١ - ١٣٦ .

(٩٢) يجمع معظم المؤرخين القدامى على وجود عنصر المفاجأة فى نزول نقفور على حلب ، إذ كان نزوله « كبسة » لم يعلم به سيف الدولة ولم يصل أحد خبره ؛ راجع : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ؛ يحيى الأنطاكى ، ص ١١٨ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٣٣ ؛ وانظر أيضا : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٣ ، فهو لا يستعمل نفس اللفظ ، ولكنه يقول : « ولم يشعر به [أى بنقفور] المسلمون » .

(٩٣) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٩ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ،

سيف الدولة وتركه أهل البلد لمصيرهم ؛ وأقام الروم يعيثون فيهـــا ويقتلون ويسبون أياما إلى أن أصابهم الكلال ؛ ثم خرج نقفور فى يوم الأربعاء مستهل ذى الحجة من السنة (٩٣أ) متوعدا بالعودة إليها مرة أخرى (٩٤).

وأدت الأحداث التى مرت فى عام ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) إلى ضعف موقف

= ص ١٣٥ ؛ الذهبى — عن تاريخ على بن محمد الشمشاطى — فى :

Canard, Sayf al-Daula, p. 145 . وهذا التاريخ يوافق شهر ديسمبر سنة ٩٦٢م ،

انظـر : : Canrd. Sayf al-Daula, p. 145, n. 2 ; Vasiliev , in

C. M. H., v.l. IV. p. 144 ; Ostrogorsky , op. cit. , p. 252.

وراجع أيضا فى مقابلة التاريخ الهجرى بنظيره الميلادى : التوفيقات الإلهامية .

(٩٣ أ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٤٠ ؛ وفى : يحيى الأنطـاكى ، تاريخه ، ص ١١٩ : الأربعاء سلخ ذى القعدة ؛ وابن العديم أصح ؛ راجـع : التوفيقـات الإلهاميـة .

(٩٤) توجد تفصيلات ضافية مؤثرة عما دار فى هذه الوقعة من بدء نزول نقفور علـى حلب إلى استيلائه عليها واستباحتها حتى خروجه منها متوجها إلى بلاده ، فى كل من : مسكويه ، وابن الأثير ، وابن العديم، والذهبى، المذكورين فى الهامش رقم (٩١) بهذا الفصل؛ ولـكن راجع أيضا ما أثبتناه من مصادر أخرى فى الهامش المذكور . هذا ويشير ابن الأثـير ، الكامـل ، ج ٨ ، ص ٢١٢ — فى العنوان الذى بدأ به هذه الأحداث — إلى رحيل الروم عن حلب بغير سبب بعد استيلائهم عليها ؛ ولـكن ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٤٠ — ١٤١ ، يورد أسبابا ثلاثة مختلفة لهذا الرحيل المفاجىء ، هى : ١ — ورود الخبر إلى نقفور بضـرورة رحيله إلى القسطنطينية ليلى الملك هناك ؛ ٢ — عودة نجا — غلام سيف الدولة — بالعسـكر وإغاراته المتواصلة على الروم ؛ ٣ — وصول نجدة من دمشق الإخشيدية إلى سيف الدولة .

راجع أيضا فى أسباب هذا الرحيل المفاجىء :

SadrudSin, op. cit. pp. 91 - 2 .

سيف الدولة . فقد كان سيف الدولة مريضا . إلا أنه عمل ـ مع ذلك ـ على محاولة إقرار الأمور فى الداخل ، ومواجهة الموقف الخطر على حدوده مع البيزنطيين. فقد شهد هذا العام انتقاض حران مرتين (٩٥) ؛ كما شهـد ضغط الأرمن على مدينة الرهـا (٩٦) . إلا أن المصاعب الداخلية لم تتوقف عند هـذا الحد ، إذ شهد هذا العام أيضا بوادر عصيان نجا ـ سيف الدولة ـ وبعد مسيره لمواجهة تمرد هبة الله بها (٩٧) . وقبل أحداث حران الأخيرة ، أنفذ سيف الدولة ـ فى شوال أيضا ـ غلامه نجـا ليغزو فى أرض الروم ، يؤازرة أهالى طرسوس الذين دخلوا من طريق آخـر ، على حين يقف سيف الدولة ـ نظرا لمرضه ـ على درب من الدروب ، ويعود بعد ذلك إلى حلب لمواجهة عصيان ابن عمه هبة الله (٩٨).

---

(٩٥) الأولى فى صفر من السنة (مارس ٩٦٣م) على يد واليه هبة الله بن ناصر الدولة ؛ راجع تفاصيل ذلك فى : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٥ . والثانية فى شوال من السنة (أكتوبر ـ نوفمبر ٩٦٣ م) على يد هبـة الله نفسه هوبا من غضب سيف الدولة ، بعـد أن قتل له أحد رجاله ؛ راجع : مسكويه ، تجـارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ؛ ابن الأثـير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٦ ؛ وانظر أيضا :

Sadruddin , op. cit., p. 94 .

(٩٦) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ . وقد حدث هـذا الضغط فى ربيع الأول من السنة (أبريل ٩٦٣ م) ؛ راجع : ابن الأثير، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٦.

(٩٧) انظر هذه البوادر وسلوك نجا مع أهل حران ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢١ ؛ ابن الأثـير ، الكامـل ، ج ٨ ، ص ٢١٦ . وفى مسير نجا بعد ذلك إلى ميافارقين ونزوله عليها لفتحها ـ وكان فيهـا زوجـة سيف الدولة ـ والأحداث التى جرت خلال ذلك ، انظر : يحى الأنطاكى ، تاريخه، ص ١٢١.

(٩٨) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ـ ١٩٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، =

واستمرت المضايقات الداخلية والخارجية طيلة عام ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) . فقد تقوى نجا بما حصل فى يده من أموال وما فتحه من بلدان بالأراضى الأرمنية (٩٩)، فأسفر عن العصيان ، وراسل معز الدولة البويهى - الذى كان قد انتزع الموصل من ناصر الدولة بن حمدان - لمعاضدته على مواليه الحمدانية (١٠٠) . ولكن أمر نجا ينتهى بعد أن يسير إليه سيف الدولة بنفسه إلى ميافارقين ، فيستأمن إليه نجا ، فيؤمنه ، ولكنه يقتل بين يديه بيد بعض غلمانه (١٠١)

= ج ٨ ، ص ٢١٥-٢١٦ ؛ وانظر أيضا : الذهبى ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، هـ ١ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٩٩) مسكويه، تجارب الأمم ، ج ٢، ص ٢٠٠ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢١؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٦ ؛ الفارقى ، تاريخ ميافارقين ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، هـ ١ .

(١٠٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٧ . ويفهم من النص الذى أورده الفارقى (المشار إليه فى الهامش السابق) أن نجا أظهر العصيان السافر قبل استيلائه على أجزاء من أرمنية من يد صاحبها الذى يدعى أبا الورد ، فقد راسل معز الدولة ابن بويه يعده بتسليم ميافارقين إليه ، وكان نجا قد نزل عليها إثر انتهائه من حران كما ذكرنا ، ولكنه عاد إليها بعد انتهائه من أبى الورد .

(١٠١) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٧ . وقد تم مقتل نجا فى العام التالى ؛ انظر فى قصة مقتله : الفارقى ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، هـ ١ ؛ ثم قارن: مسكويه ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٠٩؛ ابن الأثير: الكامل ، ج ٨ ، ص٢١٧؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

أما فيما يتعلق بصراعه مع البيزنطيين ، فقد عاود الروم نشاطهم الحربى تجاه أراضى المسلمين ، فضغطوا مرة ثانيـــة على إقليم الثغور ، وعانت أذنة (١٠٢) والمصيصة وطرسوس الكثير من جراء هذا الضغط ، ولكن الروم لم يتمكنوا من الاستيلاء على أى منها على الرغم من حصار المصيصة أكثر من مرة (١٠٣) .

ولكن المصيصة وطرسوس سقطتا بيد نقفور فى العام التالى (١٠٤) ، فانفتح

---

(١٠٢) تقع أذنة على نهر جيحان فى جنوب شبه جزيرة الأناضـول ، بـين المصيصـة وطرسوس ، وهى مدينة قديمة من بناء الروم ، وتجددت عمارتها فى سنة ١٤١ هـ ؛ راجـع : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٧٢ ؛ ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، ص ١٨١ ؛ وانـظر أيضا : خريطة العواصم والثغور .

(١٠٣) انظر تفاصيل العمليات الحربية التى قام بها الروم فى هذه السنة تجـاه أراضى المسلمين ، فى : مسكويه ، تجـارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ ، ٢٠٨ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢١ – ١٢٢ ، ١٢٢ – ١٢٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ — ٢١٩ ؛ الذهبى ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٣٧ ؛ ولـكن ينفرد ابن العـديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٤١ — ١٤٢ ، بإيراد هذه الأحداث فى عام ٣٥٤ هـ ؛ وكان يقود الروم فى هذه العمليات الحربية نقفور فوقاس أيضا الذى أصبح امبراطورا منذ عام ٣٥٢ هـ ؛ راجع : الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٠ ؛ ولكن انظر أيضا إشارات الى توليـة نقفور فوقاس ـ الدمستق ـ عرش بيزنطة فيما يلى هنا بالفصل الثالث (الخاص بالبيزنطيين)، ص ١١٥ وما بعدها ، وهـ ٣٨ فى الفصل الثالث وما فيه من مراجع بيزنطية .

(١٠٤) استولى نقفور على المصيصة عنوة بعد حصارها ، وذلك فى شهر رجب عام ٣٥٤ هـ (يونيه ٩٦٥ م) ؛ أما طرسوس ، فقد استأمن إليه أهلها ، فأمنهم ، ففتحوا له أبوابهـا ، وذلك فى شعبان من السنة (أغسطس ٩٦٥ م ؛ انظـر : مسكويه ، تجـارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢١١ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل، ج ٨ ، ص ٢٢٠ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٤٢ ؛ وراجع أيضا : الذهبى ، دول الإسلام ، =

بذلك أهم طريق من آسيا الصغرى إلى سورية (١٠٥). وكانت هذه الأحداث تدور فى الوقت الذى كان فيه سيف الدولة بميافارقين مشغولا بغلامه نجا(١٠٦). وكان سيف الدولة قد خرج فى سفرته هذه إلى ميافارقين على نية الفداء أيضا (١٠٧)، وقد أجابه نقفور إلى طلب الهدنة والفداء (١٠٨) بعد عودته إلى القسطنطينية (١٠٩).

= ج ١، ص ١٦١ ؛

Sadruddin , op. cit., pp. 101 — 2 ; Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 145 ; Ostrogorsky, op cit., p. 257

(١٠٥) Sadruddin , op. cit. , p. 103 .

(١٠٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٢١٠ ؛ الذهبى، فى : مسكويه، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢١٢، ﻫ ١ ؛ وراجع أيضا : ياقوت فى:

Canard, Sayf al-Daula, p. 189.

(١٠٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٤٦، ١٤٧ .

(١٠٨) الذهبى، فى : مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٢١٢، ﻫ ١ .

(١٠٩) بعد استيلاء نقفور على المصيصة وطرسوس، عاد إلى القسطنطينية ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٢١٣ . ومن المرجح أن رده بالموافقة على تبادل الأسرى والفداء قد وقع بالفعل بعد عودته هذه، يدل على ذلك ما أورده الذهبى، فى : مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٢١٢، ﻫ ١، من مبادلة محمد بن ناصر الدولة (الذى كان قد وقع فى الأسر عام ٣٤٨ ﻫ ؛ راجع : يحيى الأنطاكى، تاريخه، ص ١١٦) ومن معه من بنى عمه بجماعة من البطارقة الذين كانوا فى أسر سيف الدولة، ثم ما ذكره بعد ذلك من مجىء كتاب أبى فراس الحمدانى من القسطنطينية (وكان قد وقع فى الأسر عام ٣٥١ ﻫ ؛ راجع ما فات هنا من قبل، ص ٩٢—٩٣) بتصحيح أمر الفداء على شروط اشترطها ملك الروم وفيها خط الأخير. انظر أيضا فى واقعة فداء أبى فراس : ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٤٦ . وقد =

وكان سيف الدولة قد خلف فى ذلك الوقت غلامه قرعويه بحلب، فواجه فى غياب مولاه ثورة مروان القرمطى الذى هدد حلب ونجح فى دخولها ، ولكن أمره انتهى سريعا فى نفس السنة (١١٠) .

وعاد قرعويه إلى حلب ليواجه انتقاض أهل أنطاكية على سيف الدولة وتسليمهم المدينة إلى رشيق النسيمى - وكان من القواد المقيمين بطرسوس - الذى نزح إلى أنطاكية بعد تسليمه طرسوس إلى الروم . وقد عاون رشيقا أحد أهالى أنطاكيـــة ويدعى ابن الأهوازى . وسار رشيق إلى حلب نفسها وتمكن من دخولها أول ذى القعدة سنة ٣٥٤ هـ (٢٩ أكتوبر ٩٦٥ م) ، ولكن حياته انتهت سريعا بعد دخوله المدينة على يد أحد رجال سيف الدولة ، فقفل عسكره عائدا إلى أنطاكية حيث رأسوا عليهم دزبر الديلمى . ولم تنته هذه الأحداث إلا بعد عودة سيف الدولة فى العام التالى إلى حلب ، فقد خرج بنفسه

= حدد Sadruddin, op. cit., p. 103 تاريخ عودة نقفور إلى القسطنطينية بشهر أكتوبر عام ٩٦٥ م ، مستأنسا بما أثبته من المراجع بالهامش رقم (٣) بنفس الصفحة .

(١١٠) ينفرد كل من ابن الأثير وابن العديم بإيراد ثورة مروان القرمطى هذا ، وهو أحد القرامطة الذين استأمنوا إلى سيف الدولة. ويعود ابن العديم بعلاقة مروان القرمطى بسيف الدولة إلى عام ٣٣٨ هـ ، إلا أنه لم يرد ذكر لبدء هذه العلاقة فى زبدة ابن العديم وكامل ابن الأثير فى أحداث هذه السنة . وينص ابن الأثير وابن العديم على أن مروان كان يتقلد السواحل لسيف الدولة . كما يذكر ابن الأثير أنه ثار أول ما ثار فى حمص فملكها وغيرها . ولكن ينفرد ابن العديم بذكر استيلاء القرمطى على حلب ؛ ولكنهما يتفقان فى النهاية التى انتهت بها حياة مروان وهى إصابته بسهم مسموم رماه به أحد غلمان قرعويه ؛ انظر كل ذلك فى : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٣ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

إلى دزبر وابن الأهوازى ، وتمكن منهما فى ضيعـــة على طريق بالس تعرف بسبعين ، فأسرهما ، ثم قتلها (١١١).

وقد تمت عملية الفداء فى العام التالى - ٣٥٥هـ (١١٢) - ، وتسلم سيف الدولة أبا فراس (١١٣) ومحمد بن ناصر الدولة (١١٤). واستأنف الروم عملياتهم الحربية فى شوال من السنة ، فوجهوا ضربتهم هـذه المرة تجاه أرض الجزيرة ، فاجتاحوها من الشمال حتى قربوا من نصيبين (١١٥). ثم حولوا وجههم شطر الشام ، فنزل نقفور على منبج فى نفس الشهر (١١٦) ، ثم رحل عنها فواصل

(١١١) انظر تفاصيل هذه الفقرة فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢١٣ — ٢١٥ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٣ — ١٢٤ ، ١٢٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٤٨ — ١٥١ .

(١١٢) كان ذلك فى يوم الخميس مستهل رجب من السنة (٢٣ يونيه ٩٦٦ م) ، عندما نزل سيف الدولة على شاطىء الفرات بعد أن سار من ميافارقين الى سميساط؛يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٦ ؛ وانظـــر أيضـــا : الذهبى ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ ، هـ ١ .

(١١٣) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ ؛ يحيى الأنطـاكى ، تاريخـــه ، ص ١٢٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ٢٢٦ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص١٤٦ .

(١١٤) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٦ ؛ الذهبى ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ ، هـ ١ .

(١١٥) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٦ — ١٢٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٦ .

(١١٦) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٧ ؛ وانظر أيضـا : الذهبى ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ ، هـ ١ .

انسياحه فى أرض الشام من غير مقاومة حتى نزل على أنطاكية فى شهر ذى القعدة، إلا أنه لم يتمكن من فتحها (١١٧) ، فعاد إلى القسطنطينية بطريق طرسوس(١١٨).

واشتدت العلة بسيف الدولة ، فمات يوم الجمعة العاشر من صفر سنة ٣٥٦هـ (٢٥ يناير ٩٦٧ م) ، وحمل بجثمانه إلى ميافارقين حيث دفن هناك(١١٩). وانتهت بوفاته تلك الغصة التى كانت تقف فى حلق الروم بعد أن دوخهم سيف الدولة ما يقرب من ربع قرن لم يتمكنوا خلاله من إحراز انتصارات مؤكدة سوى ما كان فى الدور الأخير الذى تميز بازدياد ضغط الروم على أملاك سيف الدولة فى شمال الشام بعد أن انتقل نقفور دمستقا لحرب الشرق ، ثم بعد اعتلائه لعرش بيزنطة .

وتولى الأمر بعد سيف الدولة ابنه سعد الدولة أبو المعالى (١٢٠) ، فورث

---

(١١٧) يحيى الأنطاكى ، نفس المصدر والصفحة ؛ وانظر أيضا : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٦ .

(١١٨) Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 145 .

(١١٩) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٥١ . وكما اختلف المؤرخون فى تاريخ مولد سيف الدولة ، لم يتفقوا فى تاريخ وفاته ؛ فيحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٧ ، يحدد تاريخ الوفاة بيوم الجمعة لخمس بقين من صفر من السنة ، ويتفق معه فى ذلك : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٤ ، ص ١٨ — ١٩ ؛ ولكن انظر أيضا تنويها طريفا بسيف الدولة ، فى : الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(١٢٠) كان سعد الدولة بميافارقين وقت وفاة سيف الدولة ، وقد حضر إلى حلب فدخلها فى يوم الإثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ (مارس ٩٦٦ م) ؛ انظر : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

بذلك تلك التركة المثقلة بالمسئولية والتى لم يستطع النهوض بها كما أثبتت الحوادث فيما بعد . فى نفس العام ، تمرد أهل أنطاكية مرة أخرى على الحمدانية (١٢١) ، كما شاهد العام التالى الوحشة بين سعد الدولة وخاله أبى فراس الحمدانى والتى انتهت بمقتل الأخير (١٢٢) ، فى حين عاود نقفور – ملك الروم – ضغطه على الشام فى أواخر هذا العام – ٣٥٧ هـ (٩٦٨م) – ، فاجتاح الشام حتى وصل إلى طرابلس ، ثم كر راجعا إلى أنطاكية لحصارها ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها ، إلا أن اثنين من قواده تمكنا من فتحها فى العام التالى(١٢٣). وبعد خروج نقفور من الشام، عصى قرعويه – غلام سيف الدولة –

---

(١٢١) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٢٧ .

(١٢٢) راجع تفاصيل ذلك فى : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٥٦ – ١٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٢ ؛ وانظر أيضا : الذهبى ، فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ ، هـ ٢ .

(١٢٣) كان ذلك فى الثامن عشر من ذى الحجة (٢٨ أكتوبر ٩٦٩ م) ؛ راجع : يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٣٤ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٦٢ ؛ وينص ابن العديم هنا على أن عملية الاستلاء على أنطاكية قد تمت على يدى « الطربازى ويانس بن شمشقيق » وهما المعروفان فى الرواية البيزنطية باسمى « بيتر (أوبيير) فوقاس peter (= Pierre) Phocas وجون تزيمسكس Jhon Tzmisces » ، ولكن يذكر يحيى الأنطاكى (نفس المصدر والصفحة) اسمى بطرس الاسطراطوبدرخ Pierre le Stratopédarque (= بيتر فوقاس ؛ راجع : ابن العديم ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٦١ ، هـ ٢) وميخائيل البرجى Mechael Burtzes ، مما يتفق وما أوردته مراجع التاريخ البيزنطى ؛ انظر : Ostrogorsky , op. cit., p. 257 ؛ ولكن قارن ذلك بما جاء هنا فى الفصل الثالث الخاص بالبيزنطيين فيما أشير إليه بالهامش رقم (٥٠) . ؛ وانظر خط سير نقفور فى غزواته هذه ، فى : يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، =

على ابن مولاه الذى كان قد خرج من حلب - وقت غزاة نقفور الأخيرة - فسار إلى ميافارقين ، ولم يعد إلى حلب إلا فى رمضان من العام التالى - ٣٥٨ ﻫ (يوليو - أغسطس ٩٦٩ م) لمقاتلة قرعويه (١٢٤) .

= ص ١٣٠ — ١٣١ ؛ وراجع : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٥٨ — ١٥٩ ؛ وانظر أيضا :

Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV. p. 146 ; Ostrogorsky. loc. cit .

(١٢٤) يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١٣١ — ١٣٢ ، ١٣٣ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٦٠ — ١٦١ .



الفصل الثالث

البيزنطيون على الحدود الشمالية للشام



الفصل الثالث

البيزنطيون على الحدود الشمالية للشام

من نافلة القول أن نردد دور العداء التقليدى بين المسلمين والبيزنطيين فى تحديد العلاقات بين المعسكرين فى الفترة التى سبقت الفتح الفاطمى للشام ؛ أو بمعنى أصح فى الفترة التى عاصرت الدولة الإخشيدية فى مصر وفى وسط وجنوبى الشام ، والدولة الحمدانية فى الشمال ؛ إذ أن جذور هذا العداء الذى يرجع إلى الأيام الباكرة للفتوح الإسلامية الأولى والنتائج التى ترتبت على عملية الفتح تفسر إلى حد بعيد مدى طبيعة هذه العلاقات فى الفترة التى نتكلم عنها ، بل والفترات أخرى لاحقة .

ولم ينس البيزنطيون لمدة ثلاثة قرون ذكرياتهم عن الشام ، فى الوقت الذى كانوا يلتزمون فيه جانب الدفاع بصفة عامة طيلة هذه القرون (١) . ولقد حددت الظروف الداخلية فى كل من الشرق الأدنى الإسلامى والإمبراطورية البيزنطية فى أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) طبيعة الأحداث التى توالت حتى ظهور الفاطميين على مسرح هذه الأحداث ليشاركوا فيها وليخلقوا ميزانا جديدا للقوة اتسم بطابع النزاع العسكرى والسياسى على منطقة الشرق الأدنى الإسلامى - وعلى الأخص منطقة الشام - مع كل من الخلافة العباسية فى بغداد والإمبراطورية البيزنطية فى القسطنطينية . فلقد عاصر ظهور الفاطميين

---

(١) عمر كمال توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١١١ ، الإسكندرية ١٩٦٧ ؛ وله أيضا : مقدمات العدوان الصليبى ، ص أ (من المقدمة) ؛ وانظر أيضا :

Jorga, The Byzantine Empire (tran. from the French by Allen H. Powlers), pp. 106 - 7, London 1907.

فى أفريقية فى أواخر القرن الثالث الهجرى (أوائل العاشر الميلادى) تولية خلفاء ضعاف فى بغداد كانوا ـ فى الأغلب الأعم ـ مجرد أداة يحركها المستبدون بالأمور فى عاصمة الخلافة العباسية بجانب ظهور النزعات الإستقلالية فى بعض أطرافها سواء فى شرقها أو غربها ، هذا فى الوقت الذى كانت فيه القسطنطينية قد شهدت قيام أسرة حاكمة جديدة نجحت فى التوطيد لنفسها منذ ما يقرب من نصف قرن(٢) ، هى الأسرة المقدونية التى لعبت دورها المميز فى تاريخ العلاقات الإسلامية البيزنطية كما سيتضح بعد .

وفى الوقت الذى كانت فيه الدولة الفاطمية الناشئة تتلمس عوامل القوة ثم توكدها فى أفريقية عن طريق الفتوح شرقا وغربا وفى حوض البحر المتوسط وعن طريق قمع الثورات المضادة التى نشبت فى أملاكها فى شمالى أفريقية ، كانت الأحداث فى كل من الشرق الأدنى الإسلامى وفى داخل الإمبراطورية البيزنطية تدفع كلا المعسكرين الكبيرين إلى حتمية الصدام العسكرى على نطاق لم تشهده القرون الثلاثة السابقة التى أشرنا إليها فى مفتتح هذا الفصل .

ففى بيزنطة ، انتهج الأباطرة البيزنطيون نفس السياسة التى افتتحها باسيل الأول ـ رأس الأسرة المقدونية ـ (٨٦٧ - ٨٨٦ م) نحو العالم الإسلامى ، فتطلعوا إلى استعادة ممتلكاتهم التى فقدوها فى آسيا وفى حوض البحر

---

(٢) تأسست الأسرة المقدونية سنة ٨٦٧ م (٢٥٣ هـ) ، وكان أول أباطرتها باسيل الأول ؛ انظر المراجع البيزنطية المختلفة ، وعلى سبيل المثال :

Vasiliev (A. A.) . Histore de l'Epire Byzantine (trad. du Russe par P. Brodin et A Bourguina), I. pp. 397. 398 . Paris 1932 :

المتوسط(٣) . إلا أن التحول الجاد فى هذه السياسة بدأت بواكيره بعد فتور الصراع الذى انغمس فيه البيزنطيون مع البلغار - أعدائهم فى الشمال - الذين كانوا يشكلون خطرا حادا على الإمبراطورية البيزنطية فى بداية القرن العاشر الميلادى (٤) .

وبعد موت سيميون Symeon - قيصر البلغار - فى عام ٩٢٧ م (٣١٥هـ) بدء التحول الخطير فى السياسة العسكرية البيزنطية ، فاستطاعوا فى سنوات قليلة أن يحققوا انتصاراتهم على المسلمين ويمدوا حدودهم شرقا إلى إقليم الجزيرة فى شمالى العراق ، وإلى أرمينية والشام ، مع اهتمامهم باستعادة القواعد البحرية فى شرقى البحر المتوسط من المسلمين(٥)، ثم توجوا هذه الانتصارات بنقلهم أيقونة منديل المسيح من مدينة الرها إلى القسطنطينية فى عام ٩٤٤ م(٦)

---

(٣) عن هذه السياسة المبكرة فى تاريخ الأسرة المقدونية تجاه العالم الإسلامى ، راجع : Jorga , op. cit. p. 89.

(٤) انظر مراحل هذا الصراع : أسبابه ونتائجه ، فى :

Vasiliev, Hist. de l'Emp. Byz., I, pp. 418 — 22 ;
Ostrogorsky, Hist. of the Byz. State, pp. 231 — 9 ;

وراجع أيضا : عمر كمال توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١١٥ — ١١٩ .

(٥) راجع : عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٥ · ولكن انظر تفاصيل هذه الانتصارات وما استرده البيزنطيون فى المناطق المذكورة فى :

Ostrogorsky , op. cit., 244 — 5.

ثم قارن : أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

(٦) انظر قصة استلام البيزنطيين لمنديل السيد المسيح فى : يحيى الأنطاكى ، تاريخه : ص ٨٨ — ٩٩ . =

وعلى كل حال ، لم يتعرض الشرق الأدنى الإسلامى لهجوم بيزنطى على نطاق واسع فى الفترة الأولى من العهد المقدونى نظرا لانشغال البيزنطيين بدرء الخطر البلغارى ، ولكن يمكن تحديد البداية الحقيقية للهجوم البيزنطى الكبير بنهاية

= هذا ، ويورد يحيى الأنطاكى هذه الرواية فى حوادث سنة ٣٣١ هـ (المقابلة لسنة ٩٤٢ م) ، إلا أن المراجع البيزنطية — العربية منها والأوربية — تجمع على أن الواقعة كانت فى سنة ٩٤٤ م ، وهى الموافقة لسنة ٣٣٣ هـ ؛ وقد تبع يحيى فى هذا التاريخ كل من : ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على بن محمد) ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج ٦ ، ص ٣٣١ ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ هـ ؛ وابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٥٧ . ويبدو أن هناك وهما فى وضع كل من يحيى وابن الجوزى وابن الأثير الواقعة فى أحداث سنة ٣٣١ هـ ، إذ أن يحيى نفسه ينص على أن الروم نقلوا المنديل إلى القسطنطينية حيث حمل إلى كنيسة أيا صوفيا ومنها إلى البلاط « فى السنة الرابعة والعشرين منذ ملك رومانيوس الشيخ مع قسطنطين بن لاون » (انظر : ص ٩٩) ؛ والمعروف أن رومانوس شارك قسطنطين الحكم بدءا بسنة ٩١٩ م حتى سنة ٩٤٤ م ؛ فالسنة الرابعة والعشرون من حكم رومانوس — التى ذكرها يحيى — توافق عام ٩٤٣ — ٩٤٤ م ؛ هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، يذهب بعض المحدثين إلى أن الرها سقطت فى هذه السنة — أى فى سنة ٩٤٤م — فى أيدى البيزنطيين (انظر : عمر كمال توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١١٣) ، ونقلوا على أثر ذلك المنديل المذكور إلى القسطنطينية . إلا أن يحيى الأنطاكى — وهو المصدر العربى الثقة فى هذا الموضوع — لم يشر إلى ذلك (راجع : نفس المصدر) وإنما ينص فى روايته على أن الروم بلغوا قرب نصيبين « والتمسوا من أهل الرها أن يدفعوا لهم أيقونة المنديل . . . وبذل لهم الروم أنهم إذا سلموهم هذا المنديل أطلقوا من الأسارى المسلمين الذين بيدهم عددا ذكروه لهم » ، ثم يقول : « واستقر الأمر بين أهل الرها وبين الروم على أن دفعوا لهم مائتى نفس من المسلمين ممن كانوا أسروهم الروم ، وشرط أهل الرها عليهم ألا يعبروا فيها بعد على بلدهم ، وعقدوا معهم هدنه مؤبدة » . ويفهم من كل هذا أنه كان ثمة مساومة وشروط اشترطها أهل الرها على الروم ، ولا يعقل أن يكون أهل الرها فى موقف من يساوم وقد استولى اعداؤهم على مدينتهم ، ولكن من البديهى أن يتنازلوا عن هذا المنديل =

العقد الثالث من القرن العاشر الميلادى[٧] . ولا تعزى سلسلة الانتصارات التى حققها البيزنطيون فى هذه الفترة إلى جهود الأباطرة أنفسهم[٨] ، بل ترجع أساسا إلى ظهور الشخصيات العسكرية البارزة فى بيزنطه[٩]. ولعل أبرز هذه الشخصيات فى ذلك الوقت كانت شخصية حنا كوركواز[١٠] John Curcuas، وهو الذى حمل منديل المسيح إلى القسطنطينية ، والذى تمكن من دفع الإمبراطورية إلى طريق جديد للفتوح فى الشرق[١١] ، وجعل دجلة والفرات الحد الفاصل بين

= مقابل ما اشترطوه خاصة وقد كانوا يرزحون تحت وطأة حصار الروم لهم (راجع : Ostrogorsky; op. cit., 245 — 6) خلال هذا الوقت .

(٧) راجع : Vasiliev, Hist. de l'Empire Byz., I, p. 405 ; وانظر أيضا : عمر كمال توفيق : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١١٣ ؛ وقارن : Ostrogorsky, op. cit. , p. 244 .

(٨) Moss, The History of the Byzantine Empire : An Outline A. from A. D. 330 to the First Crusade, in : Norman H. Baynes and H. St. L. B. Moss, Byzantium, p. 22, Oxford 1948 .

(٩) Vasiliev, in C. M. H., vol. IV, p. 143 ; idem, Hist. de l'Emp. Pyz , I, P. 405 .

(١٠) كان للدور العسكرى الكبير الذى لعبه كوركواز وما حققه من انتصارات أثره على المعاصرين حتى إنهم أطلقوا عليه « تراجان الجديد أو بليزاريوس الجديد » ؛ راجع : Deihl (Charles), Pyzance, Grandeur et Décadence, p. 46; Paris 1930 ; Vasiliev, Hist. de l'Emp. Byz., I,p. 405 .

(١١) رنسيمان (ستيفن) ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، ص ٤٧ ، القاهرة ١٦٩١ .

المسلمين والبيزنطيين (١٢) ،

وكان ما أنجزه كوركواز بمثابة الإرهاصات التى اندفع بعدها البيزنطيون إلى تحقيق أهدافهم العسكرية فى منطقــة الشرق الأدنى الإسلامى . ومع أن الإنجازات العسكرية التى حققها البيزنطيون بعد كوركواز إبان حكم قسطنطين السابع (١٣) لم تكن ناجحة تماما بالنسبة للإمبراطورية البيزنطيـة ، إلا أن الانتصارات العسكرية على حساب المسلمين - والتى تمكنت من تحريك الحدود وراء نهر الفرات - فى السنوات الأخيرة من حكمه ، وضعت الأساس للانتصارات التالية لخلفائه (١٤) . ومما يلفت النظر أن الشخصيات التى لعبت أهم الأدوار - بعد كركواز - لتحقيق الأهداف العسكرية البيزنطيـة ، لم تكن من بين الأباطرة المقدونيين أنفسهم ، بل كانت من المغتصبين للملك ، أمثال نقفور فوقاس Nicephor Phocas ويوحنا تزيمسكس John Tzimisces (١٥). وقد عمل كل منهما - بجانب ما أنجزه كوركواز - على نقل المبادرة من يد المسلمين إلى يد البيزنطيين ، فأضحت العمليات الحربيـة البيزنطية حربا هجومية بعد أن

---

(١٢) أسد رستم، الروم، ج ٢، ص ٢٧؛ ولكن قارن ذلك بما فات هنا، ص ١٠٨-١٠٩.

(١٣) تولى قسطنطين السابع الحكم فى بيزنطية عام ٩١٣ م ، ثم شاركه الحكم إسطفانوس فى عام ٩٤٤ — ٩٤٥ م ، وانفرد قسطنطين أخيراً بالحكم فى الفترة من عام ٩٤٥ — ٩٥٩ م ؛ انظر جدول الأباطرة البيزنطيين فى الفترة من ٦١٠ م — ١٤٥٣ م فى : أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .

(١٤) انظر :

Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 144 ; idem. Hist. de l'Emp. Byz., I, p. 407.

(١٥) راجع فى ذلك : Moss, in : Byzantium, p. 19.

كانت تقتصر على النشاط الدفاعى فى الفترات السابقة(١٦). وعلى ذلك يمكننا القول بأن عصر الفتوح البيزنطية فى تلك الفترة قـــد بدأ فى عهدى نقفور فوقاس ويوحنا تزيمسكس (١٧).

بيد أن ظهور هؤلاء القادة العظام لم يكن وحده السبب فى نجاح تلك الإغارات البيزنطية على جبهة الحدود المشتركة ، إذ ينضاف إلى ذلك ـ بجانب ما ألمعنا إليه من قبل من تحال حدة الخطر البلغارى على كيان الإمبراطورية البيزنطية ـ تلك التنظيمات الإدارية والعسكرية التى استجدت فى تلك الفترة ببيزنطة والتى كان لها أثرها الكبير فى دعم الاتجاه الحربى الجديد لمناوأة المسلمين فى منطقة التخوم الإسلامية البيزنطية ، ذلك الاتجاه الذى أفضى إلى تحقيق الكثير من الإنجازات العسكرية فى ميادين القتال (١٨) .

---

(١٦) أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٣٠ ؛ وراجع أيضا :
Ostrogorsky, op. cit., p. 246.

(١٧) Ostrogorsky, op. cit., p. 251.

(١٨) على الرغم من أن طابع العصر المميز فى ذلك الوقت كان يتلخص فى إحاكة الدسائس وتدبير الانقلابات والاغتيالات السياسية ، وعلى الرغم من عمليــات اغتصاب الملك من أفراد الأسرة الشرعيين ، إلا أن الأباطرة البيزنطيين ـــ سواء أكانوا شرعيين أم مغتصبين ـــ فى المرحلة الأولى من حــكم الأسرة المقدونية فى الفترة الممتــدة من ٨٦٧ إلى ١٠٢٥ م ـ والتى عرفت بالعصر الذهبى ـ استطاعوا أن يجددوا فى النظم الإدارية والمالية والعسكرية عن طريق سن تشريعات جديدة تعدل من النظم القديمة التى كان يعمل بها حتى بداية حــكم الأسرة المقدونية. ويعنينا من كل ذلك تأثير هذه النظم الجديدة فى التنظيمات الإدارية العسكرية فى منطقة التخوم الإسلامية البيزنطية فيما يعرف بالثيمات Themes ، وكذلك ماعنى به الأباطرة على وجـــه الخصوص بالتنظيمات العسكرية من حيث فنون القتال وتكوين وتدريب الجيوش البيزنطية ، حتى إننا نجد صدى هذا الاهتمام فيما كتبه بعض الأباطرة أنفسهم فى هذا الميدان. راجع تفاصيل =

كل ذلك أدى إلى مد بيزنطة بمزيد من القوة فى موقفها الجديد ، بعكس ما كان عليه الشرق الإسلامى فى ذلك الوقت وبخاصة الخلافة العباسية التى عمات

= وافيه عن هذه التنظيمات الجديدة التى أثرت على الإطار الحربى العام فى الفترة التى نتكلم عنها فى كل من :

رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، الفصلان الرابع والسادس (فى صفحات متفرقة) ؛ عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٦ — ١٥ ، ١٩ — ٢٠ ؛ وله أيضا تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٢١ — ١٢٢ ، ١٢٤ - ١٢٦ ؛ أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ١٢ ، ١٦ ، ١٨ ، ٣٧ — ٣٩ ؛ أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، ص ١٧١ — ١٧٤ ، دار الفكر العربى ، القاهرة (بدون تاريخ) ؛

Vasiliev, Hist. de l'Emp. Byz., I, pp. 448—62;

Diehl, Byzance, pp. 47—8, 51 — 2, 67—79 ; Ostrogorsky, op. cit., ch. IV, passim.

ولكن راجع أيضا : فتحى عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ، طبعة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة (بدون تاريخ) ، وهو مكون من ثلاثة أجزاء ؛ والكتاب وإن كان يهتم بالموضوع قيد البحث إلا أنه يتناوله بالدراسة بدءا بالفتح العربى للشام حتى انتهاء عهد الخليفة العباسى المتوكل ، أى فى الفترة من ١٣-٢٤٧ هـ/ ٦٣٤ — ٨٦١ م فهو ينتهى بذلك قبل بداية حكم الأسرة المقدونية فى بيزنطة بست سنوات ، وبهذا يتعرض لكل تلك التنظيمات التى أشرنا إليها قبل الأسرة المقدونية ، ويمدنا بخلفية أو بإطار عام واسع عن الموضوع خلال نظرته فى الأجزاء الثلاثة فى فصول متفرقة ، فهو مفيد بهذه الصفة .

وانظر أيضا فكرة واسعة عن الفن الحربى البيزنطي على وجه الخصوص والنظم العسكرية المتعلقة به فى :

Oman (Ch.), A History of the Art of War in the Middle Ages, Vol. I, b. IV, chs, I-III, London 1924, passim.

بطريق آخر على مضاعفة قوة بيزنطة أيضا لما كان ينتابها - أى الخلافة العباسية - حينئذ من ضعف تشهد عليه تلك الاضطرابات الداخلية والانحلال السياسى وبؤس الخلفاء . وقد نتج عن ذلك أن الجهود التى بذلت لمجابهة الخطر البيزنطى الجديد كانت جهودا شبه فردية اضطلع بهما فى أوائل القرن الرابع الهجرى حتى العقد السادس منه الشخصيات البارزة فى الأسرة الحمدانية فى كل من الموصل وحلب. وقد وقع العبء الكبير لصد الضغط البيزنطى المتزايد على منطقة الثغور الشامية والجزرية(١٩) وعلى شمالى الشام - فى الثلاثينات من القرن الرابع الهجرى وما بعدها - على كاهل سيف الدولة بن حمدان أمير حلب . وقد كان للقوة البشرية المحدودة المتاحة لإمارة حلب ، بجانب المتاعب والفتن الداخلية التى كانت تستنزف جانبا من موارد سيف الدولة أثرها الكبير فى نجاح البيزنطيين العسكرى وبخاصة فى الفترة التى تولى فيها نقفور فوقاس القيادة فى الجبهة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ثم بعد اعتلائه عرش بيزنطة فى سنة ٩٦٣ م (٣٥٢هـ) .

وعلى الرغم من أن سيف الدولة قد نجح فى بادىء الأمر فى التصدى للهجمات البيزنطية الكبيرة بل وكان يمثل خصما عنيدا يهدد أملاك البيزنطيين حينما كان ينقل عملياته الحربية إلى داخل أراضيهم فى آسيا الصغرى ، إلا أن الأمر انتهى قبيل وفاته بشدة الضغط العسكرى البيزنطى على منطقة الثغور ، بل وتعدى الأمر إلى تهديد شمالى الشام نفسه حتى إن نقفور نجح فى احتلال حلب سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م ثم راح يجول فى أراضى الشام فى الشمال وفى طريق الساحل بدون أن يجد مقاومة تذكر .

---

(١٩) راجع : خريطة العواصم والثغور .

وبعد وفاة سيف الدولة تمكن البيزنطيون من احتلال أجزاء هامة فى شمالى الشام ، كما مدوا نفوذهم حتى منطقة العواصم والساحل فى الوقت الذى بدأ فيه الفاطميون يغزون الشام ويصطدمون بالمد الغامر للاندفاع البيزنطى فى شماله .

وعلاوة على ذلك ، شهدت هذه الفترة - فى العقود الأولى من القرن الرابع الهجرى - زيادة نشاط البيزنطيين البحرى (٢٠) فى شرقى البحر المتوسط ، فاستطاعوا استعادة جزيرة كريت سنة ٣٥٠ ﻫ / ٩٦١ م بقيادة نقفور فوقاس بعد محاولات فاشلة لاستردادها استمرت ما يقرب من قرن ونصف من الزمان (٢١).

---

(٢٠) عن اهتمام البيزنطيين بعمارتهم البحرية فى تلك الفترة ، راجع ما أثبتناه هنا من مراجع بالحاشية رقم (١٨) من هذا الفصل الخاص بالبيزنطيين .

(٢١) استولى المسلمون على كريت فى عام ٢١٢ ﻫ / ٨٢٧ م ؛ إبراهيم أحمد العدوى ، إقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى ، فى : المجلة التاريخية المصرية ، منشورات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثالث ، العدد الثانى (أكتوبر ١٩٥٠م)، ص ٥٤ — ٥٩ ؛ وله أيضا : الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ، ص ٩٦ ، القاهرة ١٩٥٧ م ؛ وله أيضا : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ، ص ١٠٧ — ١٠٨ ، الطبعة الثانية ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ ؛ فتحى عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ ؛ فازيليف (أ. أ.) ، العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، ص ٥٤ ، ٥٦ ، نشر دار الفكر العربى بالقاهرة (بدون تاريخ) ؛ السيد عبد العزيز سالم (بالاشتراك مع أحمد مختار العبادى) ، فى : تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ٨٠ — ٨٢ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٩ ؛ وله أيضا : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٣٩ ؛ وقارن : Ostrogorsky, op. cit., p. 183, n. 1 . ومنذ ذلك التاريخ ، قام البيزنطيون بعدة محاولات فى فترات متقطعة لاسترداد الجزيرة باءت جميعها بالفشل حتى تمكن نقفور فوقاس من استعادتها فى =

وعلى كل حال ، كانت العوامل التى ذكرناها (٢٢) ـ من حيث زوال الخطر البلغارى على الإمبراطورية البيزنطية ، وظهور القـــادة العظام ببيزنطة ، والتنظيمات الداخلية التى استحدثها الأباطرة المقدونيون ، والحالة المهينة التى تردت فيها الخلافة العباسية (٢٣) على أيدى المستبدين بالخلفاء الضعاف ـ قد أدت

= التاريخ المذكور بالمتن . راجع المحاولات الأولى فى : فازيلييف، العرب والروم، ص ٥٨، ٦٠ — ٦١ وفى المحاولات المتكررة حتى فتحها ، انظر : أومان ، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٩ ؛ Ostrogorsky op. cit., pp. 196, 206, 502 ؛وفى فتحها ، راجع : أرشيبلد لويس ، القوى البحرية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى، ص ٢٩٦ ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (بدون تاريخ) . وانظر من المصادر العربية فى تاريخ استيلاء البيزنطيين عـلى كريت فى عام ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م : النعمان (أبو حنيفه بن محمد ، القاضى) ، قضية إقريطش فى عهد المعز لدين الله ، (نص من المجالس والمسايرات) ، تحقيق فرحات الدشراوى ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثانى (١٩٦٥م) ، ص ٣٣ ؛ يحيى الأنطاكى ، تاريخه ، ص ١١٧ ؛ وقارن : البـــلاذرى ، فتوح البـلدان ، ص ٢٣٨ .

(٢٢) راجع التحليل القيم الذى أورده الدكتور عمر كمال توفيق عن العوامل التى أدت إلى الهجوم البيزنطى على الشرق الأدنى الإسلامى فى عهد تزيمسكس ، فى الفصل الرابـــع من كتابه « مقدمات العدوان الصليبى » ، فهذا الفصل يفسر إلى حـد كبير العوامـل التى نحن بصددها الآن فى الفترة السابقة على حملات تزيمسكس — كإمبراطور — على الشرق الإسلامى، ولـكن طالع قبل ذلك ما كتبه فى الفصل الثالث — بنفس الـكتاب — محللا الأوضاع فى الشرق الأدنى الإسلامى قبل هجوم تزيمسكس ، ففيه خطوط عريضـة عن الموضـوع الذى نتناوله بالدراسة هنا .

(٢٣) تحفل كتب التاريخ التى تسجل أحداث تلك الفترة بالعوامل التى أفضت إلى تلك الحالة التى وصلت إليها الخلافة العباسية والتى أثرت بلا شك على الإطار الحربى العـام لمناوئة البيزنطيين . فى الفترة المعاصرة لاتجاه البيزنطيين إلى التمهيد لهجماتهم الكبرى على الشرق =

كلها إلى تطلع بيزنطة إلى استعادة نفوذها على الشرق . وفى الواقع ، لولا دور إمارة حلب الحمدانية لكان البيزنطيون قد تمكنوا من اكتساح الشام فى وقت مبكر من هذه الفترة خاصة وأن الإخشيديين ـ بعد عامى ٣٢٤ هـ (٩٤٥ - ٩٤٦م)

= الأدنى الإسلامى وحتى ظهور الفاطميين على مسرح الأحداث فى المنطقة ، كانت الخلافة العباسية لا تزال تتعرض لتلك الهزات الداخلية التى حطت من قدرها وأذهبت بهيبتها ؛ فقد أنهك الخلافة عوامل الشد والجذب بين القوى المتصارعة لفرض سيطرتها على الخلافة أيام النفوذ التركى ، ثم إبان التسلط البويهى ، علاوة على الفتن الداخلية والثورات المذهبية ، وظهور النزعات الاستقلالية عن الخلافة ، وسوء الحالة الاقتصادية ، يضاف إلى ذلك كله ضعف شخصيات الخلفاء حتى كان يجوز عليهم العزل والحبس والقتل وسمل العيون بدون أن يستطيع الواحد منهم دفع ذلك ، وكذلك انصراف غالبيتهم إلى اللهو — وتسليم الأمور إلى المستبدين والمتصرفين فى مقادير الأمور فى الدولة — قانعين باسم الخلافة وراضين بالسلامة . ونلمس أثر ذلك فى العهد البويهى عندما نجح البويهيون فى دخول بغداد عام ٣٣٤ هـ وفرضوا وصايتهم على الخليفة المستكفى ومن أتى بعده من الخلفاء ، وانصرافهم إلى الصراع مع القوى الأخرى المناوئة لهم ، وكذلك النزاع الذى نشب بين أفراد أسرتهم . وقد أدى كل ذلك إلى عدم وجود قوة كبيرة لمواجهة الخطر البيزنطى ، واقتصر الأمر — كما أشرنا من قبل — على تلك الجهود شبه الفردية التى يقوم بها حكام الإمارات شبه المستقلة وكذلك المتطوعة الوافدون للجهاد من المناطق الشرقية للخلافة ؛ أما البويهيون ـ أصحاب النفوذ الأعلى ببغداد فى تلك الحقبة ـ فلم يهتموا فى واقع الأمر بشئون الجهاد ضد بيزنطة لنفس الأسباب التى ذكرناها منذ قليل .

راجع تفاصيل هذه النظرة العامة عن انحلال الخلافة العباسية فى الفترة المعاصرة للأحداث التى نحن بصددها فى :

مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ (فى صفحات متفرقة) ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ (فى صفحات متفرقة) ؛ وانظر أيضا : ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣١٨ ، ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، =

... ...

= ٣٥٧ ، ٣٦٣ - ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ - ٣٩٥ ؛ ج ٧ ، ص ١٩ ؛ وراجع أيضا : المسعودى ، التنبيه والإشراف ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩ ، ٣٩٨ - ٤٠٠ ؛ وقارن الصابى (أبو إسحق إبراهيم بن هلال بن زهرون) ، المختار من رسائله ، ج ١ ، نقحه وعلق حواشيه الأمير شكيب أرسلان ، بعبدا (بلبنان) ١٨٩٨ م ، فعلى الرغم من أن ما احتوته رسائل الصابى تنسحب على الفترة اللاحقة على بدء ظهور الفاطميين على مسرح الأحداث ، إلا أنها تعطى صورة واضحة وقوية عن روح وطابع العصر بما استشرى فيه من صراعات بين القوى المختلفة ، ولما كانت الأحداث التى تترجم عنها هذه الرسائل قريبة للغاية من الفترة التى نتكلم عنها ، فهى تعتبر - على ذلك - امتدادا لها وتعبيرا عنها أيضا .

ومن المراجع الحديثة التى تتناول بالتحليل عوامل انحلال الخلافة العباسية فى تلك الفترة والنتائج التى ترتبت عليها سواء منها - أى المراجع - التى أفردت فصولا تدرس من خلالها هذه العوامل والنتائج أو التى اكتفت بالإشارة فى معرض التحليل ، انظر :

ميتز (آدم) ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج ١ ، ص ١ - ٢ ، ٦ ، ٩ - ١٠ ، ١٤ - ١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٨٩ ، ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢١٨ ؛ العدوى ، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ، ص ١١٩ - ١٢٢ ؛ حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص ٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ٣٦٨ - ٣٦٩ ، ٣٧١ - ٣٨٤ ، ٣٨٨ - ٣٨٩ ، ٤٩٥ ، ٥١٣ ، ٥١٩ - ٥٣٤ ، ٥٤٠ - ٥٤١ ، نشر دار الفكر العربى بالقاهرة (بدون تاريخ) ؛ عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٤٧ - ٥٠ ، ٦٠ - ٦١ ؛ وله أيضا : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١١٢ ؛ أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ٢٩ - ٣٠ ؛ أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٧٨ - ١٧٩ ؛ بروكلمان (كارل) ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ٢ ، الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ، ص ٨٦ - ٨٩ ، ٩٣ - ٩٥ ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٤ ؛ عبد الكريم غرايبة ، العرب والأتراك ، دراسة لتطور العلاقات بين الأمتين خلال ألف سنة ، ص ٢٦ - ٣٠ ، ٤٦ - ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ - ٥٣ ، ٥٦ - ٥٧ ، ٥٩ - =

و ٣٣٦ه‍ [٢٤] (٩٤٧ م) - قد تركوا مهمة الدفاع عن منطقة الثغور وشمالى الشام للحمدانيين ، وهى المهمة التى كانت تقع على عاتقهم قبل تأسيس سيف الدولة لإمارته بحلب فى عام ٣٣٣ه‍ (٩٤٤ م) . وقد قام سيف الدولة بالمهمة خير قيام باستثناء الفترة التى شهدت ازدياد الضغط البيزنطى على المنطقة ، وكذلك ما اضطلع به الحمدانيون بعد وفاته حتى غزو الفاطميين للشام ، وهى الفترة التى لم تستغرق أكثر من سنتين تمكن فيهما البيزنطيون من فرض سيطرتهم على إمارة حلب حتى أضحت شبه ولاية من الولايات التى تفرض بيزنطة الحماية عليها[٢٥].

إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأن الدور الذى لعبته إمارة الحمدانيين بحلب - حتى فى الوقت الذى دب فيه الوهن فى قوة الإمارة فى العقد السادس من القرن الرابع الهجرى - كان دورا لا يمكن إنكار أثره البعيد فى وقف الزحف البيزنطى تجاه الأراضى الإسلامية فى الشام ، ثم فى التصدى لتأخير سقوط الشام فى قبضة البيزنطيين حتى ظهور القوة الجديدة الفتية الممثلة فى الفاطميين .

ومن المرجح أن الفاطميين لو تأخروا قليلا عن الظهور بمنطقة الشرق الأدنى

= ٦٥ ، دمشق ١٩٦١ م ؛ حسين أمين ، من تاريخ العراق فى العصر البويهى ، فى : مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، المجلد السابع عشر (١٩٦٣ م) ، ص ٤٥ — ٦٤ ؛

Finlay (George), History of the Byzantine Empire, From DCCYVI To MLVII, pp. 285 — 8, London 1906 ; Moss, in : Byzantium . p. 20 ; Boswarth (C. F.), Military Organization under the Buyids of Persia and Iraq , in : Oriens, vols. 18—19 (1965 — 66) , pp. 144, 150, 154 — 6 , 159 , Leiden 1967..

(٢٤) قارن ذلك بما فات هنا من قبل ، ص ٤٥ ، ٥٣ .

(٢٥) انظر ما جاء هنا : ص ١٢٤ — ١٢٥ ، ١٢٨ .

الإسلامى بعـــد عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) لتمكن البيزنطيون فى وقت قصير من اكتساح الشام بأكمله . إلا أن قيام الإمارة الحمدانيـة الحاجزة أولا ، ثم اندفاع الفاطميين صوب الشام بعد استيلائهم على مصر ثانيا ، كان لهما الأثر الكبير فى الحد من أطمـاع البيزنطيين ومن تطلعهم إلى تحقيق سياستهم العسكرية باستعادة الشـــام وضمه إلى الحظيرة البيزنطية ، خاصة وأن الهـدف الأساسى والمحدد للبيزنطيين فى ذلك الوقت لم يكن يعـدو استعادة الأماكن المقـدسة فى فلسطين مما حدا بالكثير من المؤرخين المحدثين إلى النظر إلى الهجمات البيزنطية الكبيرة فى عهد كل من نقفور فوقاس ويوحنا تزيمسكس على أنها تحمـل فى طياتهـــا نفس السمات والأغراض التى اتصفت بها واستهدفتها الحروب الصليبية اللاتينية فى أخريات القرن الخامس الهجرى (نهاية القرن الحادى عشر الميـلادى) ، فهى على ذلك تمثل حلقـة من حلقـات الحروب الصليبية ، أو هى مرحلة باكرة من العدوان الصليبى على الشرق الأدنى الإسلامى (٢٦) .

---

(٢٦) آخر من أيد هذا الرأى من المحدثين ـ حسبما نعلم ـ هو الدكتور عمر كمال توفيق فى كتابه : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١٥ ؛ ولكن انظر له أيضا : مقدمات العـــدوان الصليبى ، ص ١ ـــ ٥ ، فى ص ١ ، ٢ بالذات ذكر لطائفة من المؤرخين الغربيـين الذين ذهبوا هذا المذهب .

وقد لا نغالى إذا أرجعنا الفكرة إلى بدء الصراع الحربى بين العرب والروم إبان عمليات الفتوح العربية المبكرة عندما سلخ العرب عن الروم أثمن ما فى أيديهم من ممتلكات فى آسيا وأفريقية . فالفكرة الصليبية وإن كانت تحمل فى الغرب المسيحى ـ حسب مفاهيم القرن الحادى عشر الميلادى ـــ ضرورة استخلاص الأراضى المقدسة فى فلسطين ، إلا أن الصراع بين العالم الإسلامى والعالم الغربى المسيحى احتوى دائما هذا المفهوم ـ الصليبى ـ بغض النظر عن فكرة استعادة الأراضى المقدسة ، فالنزاع هنا بين دينين فى الدرجة الأولى . كما أن الفكرة الصليبية فى كل الاحتكاكات بين المعسكرين ـ الإسلامى والبيزنطى ـ كانت بلا شك مستكنة فى أعماق =

وعلى ذلك ، من الممكن أن ننظر إلى الهجمات البيزنطية الكبرى على الشرق الأدنى الإسلامى فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) على أنها شواهد

= البيزنطيين طيلة القرون الثلاثة التى سبقت عصر الفتوح البيزنطية فى الشرق الأدنى الإسلامى، ويقابل ذلك تماما فى المعسكر الإسلامى فكرة الجهاد الدينى عند المسلمين فى كل أعمالهم الحربية تجاه الأراضى البيزنطية حتى بعد الفترة التى استقرت فيها عمليات الفتوح الإسلامية الأولى فى تلك النواحى والتى تميز فيها النشاط الحربى الإسلامى بظاهرة الاكتفاء باستعراض القوة فى معظم أوجه هذا النشاط . ولعل من أقوى الشواهد على ما نذهب إليه ذلك الصدام الذى نشب أيضا وبصفة مستمرة فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى من أوربة ، بين المسلمين فى الأندلس والعالم المسيحى المجاور لهم ؛ فاتجاه المسيحيين فى أسبانيا إلى استرجاعها من أيدى المسلمين ـ بغض النظر عن العوامل الأخرى غير الدينية ـ كان يحمل دائما هذا الشعور العميق بالفكرة الصليبية .

كما أن فكرة الجهاد ـ التى أشرنا إليها ـ عند المسلمين الأوائل ، والتى تشبعوا بها إيمانا منهم بما ورد فى آيات الجهاد التى ينتظمها القرآن الكريم ، كانت لا تزال قوية إبان الصراع الإسلامى البيزنطى فى الفترة التى نتناولها بالدراسة . فقد أثرى الخطباء والشعراء الأدب العربى بما أنشأوه من خطب الجهاد وقصائد الشعر التى تحث عليه والتى تترنم بالبطولات الحربية . وكان أخطب خطباء الجهاد المعاصرين هو ابن نباته الفارقى ، وكان المتنبى ـ الذى شارك سيف الدولة حروبه ومعاركه ـ أشعر الشعراء . انظر : ابن نباته (أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل)، ديوان خطب ابن نباته ، شرح الشيخ طاهر الجزائرى ، بيروت ١٣١١ هـ . أما عن المتنبى ، فراجع ديوانه ـ بطبعاته المختلفة ـ والشروح عليه التى أشرنا إليها فى مواضع سابقة فى الفصل الثانى الخاص بالحمدانيين .

ولا يخفى أن فكرة الجهاد هذه يتصل بها اتصالا وثيقا ما اهتم به المسلمون فى العصور الوسطى بفكرة الرباط والمرابطة للجهاد . وقد عنى المسلمون برباطات الثغور وأشادوا بمن رابط فيها ، ومدحوا المرابطة ، كما أفردوا الكتابات عن الأربطة والثغور لبيان مدى أهميتها وثواب من يرابط فيها ؛ انظر ـ على سبيل المثال ـ : ابن الصباغ (الحسن) ، الجزء من =

تفسير إلى حد كبير مدى نمو قوة الإمبراطورية البيزنطية ، كما تدل هذه الشواهد ـ بنفس الدرجة ـ على تأثير الحماس الديني الذى وجه البيزنطيين هذه الوجهة فى صراعهم ضد المسلمين ، حتى لقد تملك البيزنطيين شعور غامر بأن الحرب ضد المسلمين ما هى إلا حرب مقدسة ؛ كما أمدهم هذا الشعور بقوة دافعة حثتهم على توسيع رقعة الإمبراطورية على حساب المسلمين ، وهو نفس الشعور الذى ترجم أعمال نقفور فوقاس العسكرية قائداً وإمبراطوراً ـ (ويوحنا تزيمسكس من بعده) إذ كانت الحرب ضد الإسلام بالنسبة إليه مهمة مقدسة (٢٧) .

ويكفى أن نبرز هنا الدور الذى اضطلع به نقفور فوقاس ، كقائد أولا ، وكإمبراطور ثانيا ، لايمنعه منصبه الجديد من قيادة جيوشه بنفسه فى أحيان كثيرة ضد المسلمين . وقد كنا أشرنا إلى الإنجازات البيزنطية العسكرية فى الشرق الأدنى الإسلامى فى عهد قسطنطين السابع وألمحنا إلى أنها قد وضعت التمهيدات الأولى لانتصارات خلفائه (٢٨) . وتتميز الفترة التى أعقبت نشاط البيزنطيين الحربى بعد كوركواز ـ والتى استغرقت من ٣٣٣ هـ/ ٩٤٥ م إلى ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م عندما نقل نقفور فوقاس دمستقا للشرق ـ بمواجهة البيزنطيين لسيف الدولة ـ عدوهم اللدود ـ الذى تعرفوا عليه فى ميادين القتال وقت أن كان مجرد أمير وعضو فى الأسرة الحمدانية بالموصل ، ولكنه الآن يقود الجيوش وينفذها باسمه بعد أن أسس إمارته بحلب .

ـــ فضائل الإسكندرية ، مخطوطة مصورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية تحت رقم ٧٧٩ م .

(٢٧) Ostrogorsky, Hist. of the Byz. State, p. 257 .

(٢٨) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١١٢ .

ولا شك أن ظهور سيف الدولة بهذه الصفة قد خلق ميزانا جديدا للقوة فى المنطقة ، نلمس أثره فى طبيعة الحرب فى ذلك الوقت إذ كانت سجالا بين الطرفين حققا فيها بعض الإنجازات العسكرية . ولكن الطابع الغالب فى تلك الفترة هو رجحان كفة سيف الدولة فى المعارك التى خاضها ضد البيزنطيين وإن كان الأمر لم يمنع من أى يمنى بهزائم كبيرة مثلما حدث فى غزاة المصيبة سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م ومغارة الكحل عام ٣٤٩ هـ/ ٩٦٠ م (٢٩). وعلى كل حال فقد حقق البيزنطيون بعض الانتصارات حتى عام ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م عندما تمكن سيف الدولة من استعادة مرعش وأسر قسطنطين ابن الدمستق بردس فوقاس(٣٠)، إلا أن التوفيق جانبهم منذ ذلك الوقت ولسنوات أخرى تالية ، تمكن خلالها سيف الدولة من مواصلة انتصاراته . ولم يستطيع البيزنطيون استعادة زمام المبادرة إلا فى عام ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م ومايليه بعد العمليات الحربية الناجحة التى قام بها القائد الجديد يوحنا تزيمسكس (٣١) .

ثم بدأت العلاقات الإسلامية البيزنيطية تدخل فى دور جديد بالمنطقة إثر نقل نقفور فوقاس قائدا عاما للجيوش البيزنطية فى الشرق ، ثم بعد اعتلائه عرش بيزنطة فى سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م . فقد تميز هذا الدور - كما ألمعنا من قبل (٣٢) - بازدياد حدة الضغط البيزنطى على أراضى المسلمين بالشرق ، وتردى إمارة حلب فى مهاوى الضعف الذى بلغ قمته وقت أن فرض البيزنطيون

---

(٢٩) عن هاتين الوقعتين ، انظر ما فات هنا من قبل ، ص ٧٥ ، ٩٠ .

(٣٠) انظر ما قبله ، ص ٨٠ .

(٣١) Ostrogorsky, op. cit., p. 252 ؛ ولكن راجع ما فات هنا من قبل، ص ٨٩ ، للتعرف على إنجازات تزيمسكس العسكرية حتى عام ٣٤٧ هـ/ ٩٥٨ م؛ ثم انظر أيضا : ص ١١٢ .

(٣٢) رجع ما فات هنا من قبل ، ص ٩١ .

نفوذهم على الإمارة كلها بعد اتفاقية حلب المهينة فى عام ٣٥٩ هـ /(٣٣) ٩٦٩ - ٩٧٠ م .

فبعد استيلاء نقفور على كريت فى عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م نقل فى نفس العام دمستقا للمنطقة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، ليبـــدأ سياسته الرامية إلى الاستيلاء على الشام ، والتى استطاع أن ينفذها جزئيـا وهو إمبراطور بتلك الاتفاقية التى أشرنا إليهــــا الآن والتى فرضتها بيزنطة على حلب . وقد لاقى نقفور فى الشرق نجاحا يوازى النجاح الذى حققه فى البحر المتوسط(٣٤) فاستطاع أن يؤكد السيطرة العسكرية البيزنطية فى منطقة الثغور فى عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م كما هدد بالفعل شمالى الشام فى نفس العـــام ؛ وتمكن كذلك من كبس حلب والاستيلاء عليها فى العام التالى ، ثم انسحب مهددا بالعودة القريبة (٣٥) . وعلى الرغم من أن البيزنطيين لم يحتفظوا بالأماكن التى استولوا عليهـا مؤخرا نظراً لعودة نقفور إلى القسطنطينية (٣٦) ، إلا أن التقدم الذى حققه نقفور خـــلال انتصاراته الأخيرة قد برهن على مدى التفوق الكبير - وبالتالى على الإمكانيات الحربية المتـاحة فى يد بيزنطة - كما أدى إلى القضـاء على أكبر مركز من مراكز

---

(٣٣) راجع ما جاء هنا فيما بعد ، ص ١٢٨ و هـ ٥١ فى هذا الفصل .

(٣٤) Vasiliev, Hist. de l'Emp. Byz., I, p. 407 .

وانظر أيضا : Ostrogorsky, loc. cit. .

(٣٥) راجع إنجازات نقفور فوقاس العسكرية فى هذين العامين فيما أوردناه هنا من قبل ، ص ٩٣ - ٩٤ ؛ ولـكن انظر أيضا :

Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 144; Ostrogorsky, loc. cit.;

أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٠ ؛ أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٤٠ - ٤١ ؛ عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٦ .

(٣٦) Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 144 .

القوة للمسلمين فى آسيا ، حتى أضحى الطريق مفتوحا أمام بيزنطة لأى تقدم آخر فى الشرق (٣٧) .

وعلى كل حال ، كانت الجائزة التى نالها نقفور على جهوده تلك هى التاج الإمبراطورى . فبعد أن نادى به جنوده ـ وهو فى طريقه إلى القسطنطينية ـ إمبراطورا فى قيسارية ، توج نقفور فوقاس إمبراطور بيزنطة بعد الدور الشهير الذى لعبته ثيوفانو Theophano أرملة الإمبراطور السابق رومانوس الثانى (٣٨) .

وقد واصل الإمبراطور نقفور فتوحه التى بدأها فى الشرق دمستقا ، ودخلت بيزنطة بذلك عصرا جديدا يعتبر من أزهى عصورها الحربية فى صراعها ضد المسلمين ، وهو العصر الذى امتد حتى عهد باسيل الثانى (٩٧٠ - ١٠٢٥ م) مارا بالفترة التى حكم فيها الإمبراطور يوحنا تزيمسكس (٣٩) (٩٦٩ - ٩٧٦م) ، حتى بلغت هيبة الإمبراطورية البيزنطية ذروتها (٤٠) . وقد وقف الإمبراطور نقفور جهوده العسكرية فى السنتين التاليتين من بدء حكمه على القيام بعمليات حربية شاقة على إقليم الثغر ، وكانت أهم انجازاته

---

(٣٧) Ostrogorsky, loc. cit.

(٣٨) انظر الدور الذى لعبته هذه الإمبراطورة بالاتفاق مع نقفور فوقاس لاعتلاء الأخير عرش بيزنطة فى عام ٣٥٢ هـ ، ٩٦٣ م ، فى : Ostrogorsky, loc. cit. وراجع الظروف الداخلية فى العاصمة التى تعبر عنها ردود الفعل التى أحاطت بتنصيب نقفور امبراطورا ، فى : Diehl, Byzance, pp. 143 — 44.

(٣٩) Vasiliev, Hist. de l'Emp. Byz. I, p. 408 ; idem, in : C. M. H., vol. IV, p. 144.

(٤٠) Moss, in : Byzantium, p. 22.

العسكرية هى الاستيلاء على المصيصه وطرسوس فى عام ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م (٤١)، فى حين عزز هـذا الانتصار فى البر ذلك النجاح الذى أدى إلى استيلاء البيزنطيين على جزيرة قبرص فى نفس العام (٤٢)، فأصبح الطريق ممهداً لنقفور صوب الشام (٤٣) ولتحقيق خطته البعيـدة المدى بتوجيه ضربته الرئيسية فى هذه الجهات (٤٤).

وعلى ذلك، بدأ الإمبراطور نقفور فوقاس فى تنفيذ خطته، فهدد شمالى الشام فى العام التالى - ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م - وحاول فتح أنطاكية، إلا أنه فشل فى ذلك (٤٥) وفى العـامين التاليين، انشغـل نقفور بأحوال الإمبراطورية الداخلية (٤٦)، فى الوقت الذى لم تسمح فيه الحرب التى تجددت مع البلغار - من ناحية أخرى - من أن يستفيد من الصعوبات التى واجهت إمارة الحمدانيين بحلب بعـــد وفاة سيف الدولة فى عام ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م (٤٧)، فلم يتمكن من الظهور

---

(٤١) راجع ما فات هنا من قبل، ص ٩٧ .

(٤٢) Ostrogorsky, op. cit., p. 257 ؛ أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٨١ .

(٤٣) Vasilliev, Hist. de l'Emp. Byz., I, p. 408 ; idem, in : C. M. H., vol. IV, p. 145 ;

ولـكن انظر أيضا ما فات هنا من قبل، ص ٩٧ — ٩٨، و ١٠٥ (من الفصـل الثانى الخاص بالحمدانيين).

(٤٤) Ostrogorsky, loc. cit. .

(٤٥) انظر ما قبله، ص ١٠١ .

(٤٦) انظر : أومان، الإمبراطورية البيزنطيـة، ص ١٨١ ؛ وقارن : أسد رسـتم، الروم، ج ٢، ص ٤٠ .

(٤٧) Vasiliev, op. cit., vol. IV, p. 146.

مرة أخرى بالشام إلا فى أواخر عام ٣٥٧ هـ / ٩٧٨ م (٤٨) مستهدفا أنطاكية وحلب . وقبل أن يشرع فى تنفيذ هدفه المحدد ، عمد إلى شن الإغارات التخريبية على شمالى الشام ، وتقـــدم على طريق الساحل متوغلا جنوبا حتى وصل إلى طرابلس، ثم انثنى صوب الشمال مرة أخرى ليبدأ حصارا جديا لمدينة أنطاكية (٤٩). وعلى الرغم من اشتداد وطأة الحصار على أنطاكية ، إلا أن نقفور لم يتمكن من الاستيلاء عليها ، فكف عنها ؛ ثم تيسر لاثنين من قواده هما بطرس فوقاس Peter Phocas وميشيل البرجى Mechael Bortzes من فتحها فى ٢٨ أكتوبر سنة ٩٦٩ م (١٣ من ذى الحجة ٣٥٨ هـ) فى غياب الإمبراطور (٥٠). وهكذا تحقق هدف نقفور الرئيسى ، ولم يبق سوى مدينـــة حلب التى تقدمت إليها الجيوش البيزنطية فاستولت عليها فى صفر سنة ٣٥٩ هـ (ديسمبر عام ٩٦٩ م) بعد حصار دام سبعة وعشرين يوما ، وفرض القـــائد بطرس فوقاس اتفاقية مهينة على قرعويه ـ المتغلب على حلب بعد عصيانه على أبى المعالى بن سيف الدولة ـ أضحت بعدها الإمارة الحمدانية تعترف بالسيادة البيزنطية عليها (٥١) .

---

(٤٨) Ostrogorsky, loc. cit. ؛ ولـكن راجـع مافات هنـا من قبل ، ص ١٠٢ .

(٤٩) انظر ما قبله ، ص ١٠٢ ؛ وراجع :

Vasiliev, loc. cit. ; Ostıogorsky , loc. cit.

(٥٠) Ostrogorsky , op. cit., p. 257 .

(٥١) فى استيلاء البيزنطيين على حلب ، انظر من المصادر العربية : يحيى الأنطـاكى ، تاريخه ، ص ١٣٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٨ ؛ ابن العديم ، زبدة الحـلب ، ج ١ ، ص ١٦٣ ، ١٦٩ وانظر أيضا من المراجع البيزنطية :

Vasiliev, in : C. M. H., vol. IV, p. 146 ; idem, Hist. de l'Emp. = Byz., I, p. 409 ; Diehl (Charles) et Marçais (Georges),

وتحقق بذلك الهدف الثانى لنقفور فوقاس (٥٢)، كما أضحى شمالى الشام منطقة النفوذ البيزنطى . وسوف نلمس أثر هـذه التبعية الجديدة عندما يفد الفاطميون - الغزاة الجدد للمنطقة - فى موقف بيزنطة حيال هذا الغزو الذى يهدد مصالحهم الجديدة فى شمالى الشام . وقد تحددت أيضا منطقة النفوذ البيزنطى فى شمالى الشام (٥٣)، بعد أن تحركت حدودهم جنوبى جبـال طوروس لأول مرة منذ ثلاثة قرون بعد أن فقد المسلمون جزءا كبيرا من منطقة الثغور وشطرا من شمالى الشام ، وبعد أن اعترف جزء كبير من المنطقـة بالتبعية البيزنطية (٥٤)، إثر الجهود التى حققها نقفور فوقاس فى صراعه مع المسلمين فى الشرق ، والتى اشتدت من خلالها وطأة هجماته فى السنوات الأخيرة من حـكمه ، حتى كانت

Histoire du Moyen Age , t. III, Le Monde Oriental De = 395 A 1081, pp. 468 - 9 , Paris 1936 ; Canard , Hist. de la Dyn. des Hamd. , I, p. 673 ; Ostrogorsky, op. cit. , pp. 257-58.

وراجع أيضا : عمر كمال توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١١٤ ؛ أسد رستم، الروم ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

وقد حفظ لنا ابن العديم ، زبدة الحـلب ، ج ١ ، ص ١٦٣ — ١٦٨ ، نص وثيقـة الاتفاقية بين الطرفين ، ومنها نستطيع أن نلمس مدى ما وصل إليه البيزنطيون من قـوة والمسلمون من ضعف فى تلك الفترة . راجع ترجمة كاملة بالفرنسية لنص الوثيقـة مـع تعليق عليها ، فى : Canard, Hist. de la Dyn. des Hamd., I, pp. 833 - 36.

(٥٢) لم يتم التصديق فى بيزنطة على هذه الاتفاقية إلا بعد موت نقفور فوقاس فى نفس العام ؛ Vasiliev. in : C. M. H , vol. IV, p. 146 .

(٥٣) راجع بنود الإتفاقية المشار إليها فى مصدرها الأصلى .

(٥٤) Vasiliev, in C. M. H., vol. IV, p. 147; idem, Hist. de l'Emp. Byz., I, p. 409 .

غزواته قد صارت كالنزهة له ولأصحابه ، لأنه لم يكن يقصد إليهم أحد ولا يخرج من بين أيديهم (٥٥) » .

(٥٥) يحيى الأنطاكي ، تاريخه ، ص ١٣٥ . وانظر مشاعر المسلمين فى تلك الفترة حيال هجمات نقفور ، والأثر النفسى الذى تركته فيهم انتصاراته والتى ترجم عنها فيما بعد كتابات كل من : يحيى الأنطاكي (نفس المصدر) ؛ وابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ .

الباب الثانى

دراسة لنصوص مصادر ومراجع الفتح الفاطمى للشام فى مرحلته الأولى

الفصل الرابع : روايات المؤرخين القدامى فى الفتح للفاطمى للشام.

الفصل الخامس : كتابات المحدثين فى فتح الفاطميين للشام.

الفصل السادس : نقد وتحليل روايات القدامى والمحدثين عن الفتح الفاطمى للشام .

الفصل السابع : انبساط النفوذ الفاطمى على المدن الداخلية والساحلية بالشام .



الفصل الرابع

روايات المؤرخين القدامى فى الفتح الفاطمى للشام



الباب الثاني

دراسة لنصوص مصادر ومراجع فتح الفاطميين للشام فى مرحلته الأولى

الفصل الرابع

روايات المؤرخين القدامى فى الفتح الفاطمى للشام

تتفق جميع المصادر فى أن جوهرا الصقلى - بعد أن استقرت له الأمور فى الديار المصرية - أنفذ الجيوش الفاطمية بقيادة جعفر بن فلاح بن أبى مرزوق الكتامى للاستيلاء على الشام. وتكاد تتفق هذه المصادر فى أن خط سير الحملة الفاطمية على الشام - أو العمليات الحربية التى تمت فى مرحلة الفتح الأولى - قد بدأ بالخروج من مصر، فكانت الرملة أولى المدن الشامية التى سقطت فى يد جعفر ابن فلاح، والتى خط السير هذا عند أنطاكيه ومشارف الإسكندرونة مارا بطبرية ودمشق. أما ما اختلفت فيه هذه المصادر فهو تاريخ خروج قوات الفاطميين من مصر تحت قيادة ابن فلاح وكذلك تاريخ الاستيلاء على مدينة الرملة.

وقد حدد كل من ابن عساكر (١) وابن الأثير(٢) وابن خلكان (٣)

(١) ابن عساكر (ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين)، التاريخ الكبير المعروف بتاريخ دمشق، ج ٤، ص ١٩٠، مطبعة روض الشام، دمشق ١٣٣٢ هـ؛ وسوف نشير إلى هذا الكتاب فيما يلى هنا من صفحات بعنوان (تاريخ دمشق).

(٢) الكامل، ج ٨، ص ٢٣٣.

(٣) وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣١٢.

والذهبى (٤) وابن تغرى بردى (٥) تاريخ استيلاء جعفر بن فلاح على الرملة من يد صاحبها الحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيدى بشهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ ﻫ ، ولكنهم لم يحددوا اليوم الذى تم فيه ذلك . ويستدل من ظاهر النص الذى أورده سبط ابن الجوزى ـ نقلا عن الصابى ـ أن جوهرا سير القائد ابن فلاح إلى الشام فى عام ٣٥٨ ﻫ حيث تمكن من أسر ابن طغج ونهب الرملة ، بدون أن يذكر أية كلمة عن الشهر واليوم الذى تم فيه استيلاء ابن فلاح على المدينة(٦) كما يفهم من رواية أبى الفدا أن سنة ٣٥٨ ﻫ قد شهدت هذه الوقعة ، فهو وإن لم يشر صراحة إلى الشهر واليوم اللذين سقطت فيهما الرملة فى يد قوات جعفر بن فلاح ، إلا أنه يسوق الخبر فى سياق الحوادث سنة ٣٥٨ ﻫ(٧). ويشير ابن كثير إلى إنفاذ جوهر لجيش كثيف إلى الشام لفتحه فى عام ٣٥٨ ﻫ وأسر ابن طغج ، ثم يذكر فى موضع آخر واقعة إقامة الخطبة للمعز بدمشق فى المحرم سنة ٣٥٩ ﻫ بعد كسر ابن فلاح لابن طغج وأسره فى الرملة (٨) . وقد ذكر ابن خلدون استيلاء ابن فلاح على الرملة وأسره الحسن بن عبيد الله ابن طغج وإن لم يحدد تاريخا لذلك ، ولكن إشارته إلى فتح ابن فلاح لدمشق وإقامته الخطبة للمعز بها لأيام خلت من المحرم سنة ٣٥٩ ﻫ تعين لنا تاريخ

---

(٤) ف : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ (الواقع أوله فى ص ٢٥٦).

(٥) النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٦ .

(٦) ف : ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة) ، ذيل تاريخ دمشق ، نشر ﻫ . ف. آمدروز H. F. Amedroz ، ص ١ ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .

(٧) المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

(٨) ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى) ، البداية والنهاية فى التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٢٦ ، ٢٦٧ ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥١ ﻫ ـ ١٩٣٢ م .

دخوله الرملة بنهاية سنة ٣٥٨ هـ (٩). ومن الملاحظ فى هذا الصدد أن ابن خلكان ينفرد - دون غيره ممن ذكرناهم حتى الآن - بإغفاله ذكر اسم ابن طغج وأسره فى هذه الوقعة بعد هزيمته التى منى بها عند الرملة ، فى حين تسقط جميع هذه المصادر تاريخ خروج الجيوش الفاطمية من مصر لغزو الشام فى هذا العام .

أما يحيى بن سعيد الأنطاكى (١٠) وابن أيبك الدوادارى (١١) ، فقد أغفلا أيضا تاريخ خروج الحملة الفاطمية من مصر للاستيلاء على الشام ، فى حين اتفقا فى أن عام ٣٥٩ هـ هو العام الذى دارت فيه العمليات الحربية الأولى بين الجيوش الفاطمية والقوات الإخشيدية فى أراضى الشام ، فكانت الرملة أول مسرح لهذه العمليات حيث سقطت فى يد القائد ابن فلاح بعد اندحار ابن طغج وأسره ، وإن كان الدوادارى ينفرد عن يحيى بتحديد منتصف رجب سنة ٣٥٩ هـ تاريخا لدخول ابن فلاح الرملة منتصرا . أما عن المقريزى - الذى أفرد واحدا من أعظم مؤلفاته للتأريخ للدولة الفاطمية - فهو يحذو حذو يحيى والدوادارى فى تحديد سنة ٣٥٩ هـ للشروع فى الكلام عن بداية فتح الفاطميين للشام ، ويحدد منتصف رجب سنة ٣٥٩ هـ تاريخا لاستيلاء ابن فلاح على مدينة الرملة وأسر ابن طغج (١٢) - وهو نفس التاريخ الذى أورده الدوادارى ،

---

(٩) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ ، بولاق ١٢٨٤ هـ .

(١٠) تاريخه ، ص ١٣٨ .

(١١) ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله) ، الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية (وهو الجزء السادس من كتابه المطول : كنز الدرر وجامع الغرر) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ص ١٢٢ — ١٢٣ ، ١٢٥ ، القاهرة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م .

(١٢) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

كما يمدنا المقريزى ـ وهو ما ينفرد به عن غيره من جمهور المؤرخين ـ بتاريخ خروج الحملة الفاطمية الأولى من مصر متوجهة صوب الشام لفتحه ، وهو لاثنتى عشرة بقيت من المحرم سنة ٣٥٩ هـ (١٣) .

وقد ترتب على هذا الخلط والتضارب فى أقوال المؤرخين القدامى عن بداية مرحلة الفتح ، اختلاف فى تواريخ فتح المدن الداخلية ـ بعد الاستيلاء على الرملة ـ خاصة ما يتصل منها بفتح دمشق . ونلاحظ هنا ـ كما سنشير أيضا فى موضعه (١٤) ـ أن مصادر القدامى لا تعين تماما على رسم خط سير متكامل لعملية الفتح سواء فى المناطق الداخلية للشام ، أو بحذاء الساحل. وكل ما يمكن حصره ـ من واقع هذه المصادر ـ بعد وقعة الرملة هو مجموعة من المدن لا تعدو طبرية ، فدمشق ، فأنطاكية ومشارف الإسكندرونة ، مع الإشارة فى بعض المصادر إلى حوران والبثنية وغيرهما فى الداخل وكذلك بعض المدن الساحلية . والروايات عن هذه المجموعة من المدن لا تكاد تمدنا بالدور الذى لعبته الجيوش الفاطمية للاستيلاء عليها ، هذا إلى جانب غموض الدور الذى أدته الأساطيل الفاطمية فى الاستيلاء على مدن الساحل فى هذه المرحلة . وكل ما يمكن الخروج به من روايات القدامى فى هذا الصدد هو إشارات إلى اعتراف بعض المدن الداخلية والساحلية بالتبعية للفاطميين خاصة بعد وقعة الرملة .

على كل حال ، تجمع المصادر التى وضعت طبرية تالية الرملة فى خط سير الحملة الفاطمية على أنها لم تفتح عنوة ، وإنما تحول عنها ابن فلاح متجها إلى

---

(١٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٢ ؛ وعدة هذا الشهر فى ذلك العام ثلاثون يوما ، فيكون التاريخ على التحقيق هو يوم الأربعاء ١٨ من المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، المقابل للأول من ديسمبر سنة ٩٦٩ م ؛ راجع التوفيقات الإلهامية .

(١٤) انظر ما جاء هنا فيما بعد ، عند كلامنا على مراحل فتح الفاطميين لدمشق بالقسم الثانى من الفصل السادس هنا فيما يقابل الهوامش من رقم (٤١) وما بعدها .

دمشق بعد أن علم بأن ملهما متوليها من قبل الإخشيدية قد أقام قبل وصول القوات الفاطمية إلى طبرية الدعوة للمعز لدين الله . وقد نص على كل ذلك ابن الأثير وابن خلدون (وإن كان ملهم عندهما هو ابن ملهم) اللذان يغفلان ذكر تاريخ اعتراف طبرية بالتبعية للفاطميين ، وإن كانت النصوص لديهما تشير إلى أن ذلك كان فى نفس عام الفتح أى سنة ٣٥٨ هـ (١٥) ، كما يمكن استخلاص هذه الحقيقة لدى ابن خلدون من نفس النص الذى أشار فيه إلى أن استيلاء جعفر بن فلاح على دمشق كان لأيام من المحرم سنة ٣٥٩ هـ . (١٦) ويضع أبو الفدا نفس الواقعة فى حوادث سنة ٣٥٨ هـ ولا يذكر ملهما متوليها، بل يستبدل به أهالى المدينة الذين أقاموا الدعوة للمعز(١٧). أما سبط ابن الجوزى فيكتفى - نقلا عن الصابى - بمجرد الإشارة إلى مسير ابن فلاح صوب طبرية بعد أن أناب ابنه على الرملة ، وينتقل بنا إلى الكلام مباشرة عن أحداث دمشق ، كما لا يحدد تاريخا وإن كنا نفهم من السياق لديه أن ذلك كان ضمن أحداث نفس عام ٣٥٨ هـ (١٨) .

ولم يحدد الدوادارى والمقريزى تاريخا معينا لاعتراف طبرية بالتبعية للفاطميين ، ولكن النصوص لديهما تشير إلى أن ذلك لا بد وأن يكون بعد النصف من رجب سنة ٣٥٩ هـ ، فهما بعد أن يسردا وقائع الاستيلاء على الرملة فى التاريخ المذكور لديهما ينصان على مسير ابن فلاح إلى طبرية للاستيلاء

---

(١٥) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٣ .

(١٦) العبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

(١٧) المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

(١٨) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ .

عليها ، أى أن طبرية أصبحت داخل منطقة النفوذ الفاطمى فى الأيام الأخيرة من شهر رجب سنة ٣٥٩ هـ (١٩) .

أما المؤرخون الذين تعرضوا للعمليات الحربية فى مرحلة الفتح وأسقطوا ذكر طبرية فى رواياتهم ، فهم حسب ترتيب اختلاف الآراء فى تحديد تاريخ عام الفتح : ابن خلكان الذى أشار إلى أن فتح الرملة حدث فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ (٢٠) ، وابن كثير الذى يجمل عملية الفتح فى حوادث سنة ٣٥٨ هـ وإقامة الخطبة للمعز بدمشق فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ (٢١) ؛ ويحيى الأنطاكى الذى مر بنا أنه تعرض لذكر فتح الرملة فى حوادث سنة ٣٥٩ هـ (٢٢) .

وبعد طبرية ، تجمع المصادر على أن دمشق كانت الهدف الثالث للجيوش الفاطمية . ولكنها لا تمدنا بما يدل على استيلاء الفاطميين على الأماكن الواقعة بين طبرية ودمشق ، باستثناء ما رواه الدوادارى والمقريزى عن حوران والبثنية ومشارف أرض حمص التى وصلت إليها بعض سرايا الجيش الفاطمى للإيقاع ببنى عقيل - ولاة الإخشيدية فى هذه الجهات - ويذكران أن وصول هذه السرايا إلى الغوطة تم بعد رجوعها من هذه الجهات ، ولكن المقريزى يغفل ما أشار إليه الدواهارى عن نزولهم على جبل سنير قبل وصولهم إلى الغوطة ، وكذلك الدكة الواقعة على نهر يزيد بعد مسيرهم عنها - أى الغوطة -

---

(١٩) الدرة المضية ، ص ١٢١ ، ١٢٥ ؛ اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٣ (على التوالى) .

(٢٠) وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣١٢ ؛ وانظر ما جاء هنا من قبل ، ص ١٣٥ .

(٢١) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ؛ وانظر ما فات هنا من قبل ، ص ١٣٦ .

(٢٢) تاريخه ، ص ١٣٨ ؛ وراجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٣٧ .

وهو ما عبر عنه المقريزى بنزولهم بظاهر دمشق ، هذا فى الوقت الذى لا يحدد فيه كل من الدواداري والمقريزى تواريخ ثابتة للعمليات الحربية أو المناوشات العسكرية التى تمت فى هذه المواضع ، ولكنهما يسوقان هذه الأخبار بعد تعرضها لأحداث طبرية ، أى بعد شهر رجب سنة ٣٥٩ هـ (٢٣) .

على كل حال ، اختلفت الروايات أيضا فى تحديد تاريخ فتح الفاطميين لدمشق ، إلا أن غالبية المصادر تجمع على أن دمشق أصبحت فى قبضة الفاطميين فى شهر المحرم من سنة ٣٥٩ هـ ، على الرغم من إغفال جميع هذه الغالبية من المصادر الإشارة إلى تاريخ نزول الجيوش الفاطمية على دمشق ، وعلى الرغم من الاختلاف الواقع إلى حد ما فى صيغة تحديد إقامة ابن فلاح الخطبة للمعز بهذه المدينة ؛ فقد أورد كل من ابن الأثير وأبى الفدا أن ابن فلاح أقام الخطبة للمعز بدمشق « يوم الجمعة . . . لأيام خلت من المحرم سنة تسع وخمسين(٢٤) » ؛ فى حين قال ابن كثير - فى حوادث سنة ٣٥٩ هـ - : « وفى المحرم منه ، خطب للمعز الفاطمى بدمشق عن أمر جعفر بن فلاح (٢٥) » ؛ وذكر ابن خلدون أن ابن فلاح سار إلى دمشق فافتتحها عنوة « وأقام بها الخطبة للمعز لأيام من المحرم سنة تسع وخمسين (٢٦) » ؛ أما ابن تغرى بردى ، فقد أشار إلى أن ابن فلاح

---

(٢٣) الدرة المضيئة ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ — ١٢٧ ؛ اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٣ — ١٢٤ (على التوالى) ؛ وراجع التعريف بالأماكن الواردة فى هذه الفقرة أو تحديدها أو بهما معا — باستثناء طبرية ودمشق — فيما جاء هنا فيما بعد ، هـ ٨٨ بالفصل السادس (الغوطة) ؛ هـ ١٦٨ بالفصل السادس (الدكة) ؛ هـ ١٦٩ بالفصل السادس (جبل سنير) ؛ هـ ١ بالفصل السابع (حوران) ؛ هـ ٢ بالفصل السابع (البثنية) .

(٢٤) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ ؛ المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٩ (على التوالى) .

(٢٥) البدايه والنهايه ، ج ١١ ، ص ٢٦٧ .

(٢٦) العبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

سار إلى دمشق وملكها بعد أمور » وخطب بها للمعز فى المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة (٢٧) » . ويحدد ابن خلكان أيضا شهر المحرم سنة ٣٥٩ ﻫ تاريخا لفتح ابن فلاح لدمشق ، إلا أنه لا يذكر إقامة الخطبة (٢٨) .

ولا نجد عند يحيى الأنطاكى سوى خبر مقتضب عن تاريخ استيلاء ابن فلاح على دمشق ، وذلك فى ثنايا أخباره عن حوادث سنة ٣٥٩ ﻫ ، ويتمثل ذلك فى قوله : « وسار ابن فلاح إلى دمشق وفتحها (٢٩) » . فى حين لا يفيد النص عند سبط ابن الجوزى إلا بخبر استيلاء ابن فلاح على دمشق من غير أن يحدد تاريخا لذلك (٣٠) . أما الذهبى ، فيذكر - فى حوادث سنة ٣٦٠ ﻫ - عبارة واحدة تتضمن سقوط دمشق فى يد ابن فلاح فى هذه السنة (٣١) .

على أن الدواداري والمقريزى يشذان عن الإجماع سالف الذكر على شهر المحرم ؛ فالدواداري ينص على أن طلائع ابن فلاح وصلت دمشق فى ٨ ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ بعد أن تقهقرت عنها السرايا التى كان ابن فلاح قد أنفذها لمقاتلة بنى عقيل (٣٢) ؛ أما المقريزى فيذكر أن القتال الذى دار بظاهر دمشق قد أدى إلى انهزام السرايا الفاطمية فى يوم ٨ ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ ، ثم لحقت فى الطريق بطلائع ابن فلاح لكى يتوجه الجميع إلى دمشق لفتحها ، ويحدد

---

(٢٧) النجوم ، ج ٤ ، ص ٣٢ — ٣٣ .

(٢٨) وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣١٢

(٢٩) تاريخه ، ص ١٣٨ .

(٣٠) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ .

(٣١) دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٣٢) الدرة المضية ، ص ١٢٧ .

الشماسية (٣٣) مكانا لنزول ابن فلاح فى يوم السبت ١٠ ذى الحجة من السنة(٣٤).

أما عن تطور الأحداث أثناء نزول القوات الفاطمية على دمشق وحتى تاريخ تمكن ابن فلاح من المدينة وفرض سيطرته عليها ، فقد أمدنا كل من ابن الأثير وابن خلدون والدوادارى والمقريزى ببعض التفاصيل التى نخرج منها أيضا باختلاف واضح فى الروايات وبالتالى بتعارض فى التواريخ المتصلة بهذه الأحداث ؛ إذ يكتفى ابن الأثير بالإشارة إلى مسير ابن فلاح إلى دمشق حيث قاتل أهلها وأوقع بهم الهزيمة وملك البلد ثم أقام الخطبة للمعز يوم الجمعة لأيام خلت من المحرم سنة ٣٥٩ هـ - كما مر بنا منذ قليل - ، ثم يدلنا بمجمل كلامه على أن المقاومة التى رفع لواءها أهالى دمشق والأحداث بزعامة الشريف ابن أبى يعلى ضد الفاطميين تواصلت أحداثها حتى وقوع الصلح أخيراً بين الطرفين وذلك فى يوم الخميس ١٦ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، ثم يدخل المغاربة دمشق فى اليوم التالى أى يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة ، ثم يقبض على جماعة من الأحداث والشريف ابن ابى يعلى فى المحرم سنة ٣٦٠ هـ ، ثم ينهى ابن الأثير هذه الوقائع بقوله : « واستقر أمر دمشق (٣٥)» .

ويروى ابن خلدون نفس الوقائع حتى انتهائها فى المحرم سنة ٣٦٠ هـ كما أوردها ابن الأثير ، إلا أنه يتناولها باختصار ويخالف ابن الأثير فى يوم وقوع الصلح بين الطرفين فيحدده بمنتصف ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، ويردف

---

(٣٣) انظر تحديدا لهذا المكان فيما جاء هنا فيما بعد هـ ٩١ بالفصل السادس .

(٣٤) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ ؛ وبخصوص هذا التاريخ الأخير ، راجع ما جاء هنا فيما بعد فيما هو مشار إليه فى متن الفصل السادس بدءاً بالهامش رقم ٩١ إلى الهامش رقم ١٠١ .

(٣٥) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ .

ذلك بقوله : « واستقام ملك دمشق لجعفر بن فلاح (٣٦) » .

ولكن الدواداری ـ بعد روايته عن وصول طلائع ابن فلاح إلى دمشق فى ٨ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ـ يسوق بقية الأخبار بصورة موجزة ، ولا تدلنا روايته على تاريخ محدد لاستقرار الأمر لابن فلاح بدمشق ، وإن دلت الدلائل ـ حسب روايته ـ على أن ذلك تم فى أواخر شهر ذى الحجة من نفس العام (٣٧) .

أما المقريزى ، فهو يسرد الأحداث بشىء من التفصيل ، ويبدأ بيوم السبت ١٠ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ بنزول ابن فلاح وقواته بالشماسية ، وينتهى بدخول ابن فلاح دمشق فى أحد أيام الجمع من شهر ذى الحجة من السنة (٣٨) ، وهو التاريخ الذى يمكن الاستدلال به على تمكن ابن فلاح من دمشق طبقا لروايته(٣٩).

وهناك طائفة أخرى من المؤرخين القدامى الذين مروا على هذه الوقائع مرا سريعا ، نذكر منهم أبا الفدا وابن تغرى بردى وابن كثير . أما أبو الفدا فيكتفى بالإشارة ـ فى سطور ثلاثة ـ إلى ما جرى من أحداث بعد إقامة الخطبة للمعز بدمشق فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، وينتهى إلى استيلاء ابن فلاح على دمشق، واستقرارها للمعز بدون أن يحدد تاريخا لذلك (٤٠) ؛ فى حين يورد

---

(٣٦) العبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

(٣٧) الدرة المضية ، ص ١٢٧ — ١٢٨ ؛ وانظر ما جاء هنا فيما بعد فى الفصل السادس فى الفقرة الواقع فيها الهامش رقم ١١٤ .

(٣٨) راجع الحاشيه رقم ٣٤ فى هذا الفصل .

(٣٩) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ — ١٢٦ ؛ وراجع ما جاء هنا فيما بعد بالفصل السادس فيما جاء مباشرة قبل وبعد النص على الهامش رقم ١٠١ .

(٤٠) المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

ابن تغرى بردى ما يشير إلى تمكن ابن فلاح من دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ بدون أن يعين اليوم الذى تم فيه ذلك (٤١) ؛ كما نلاحظ فيما ذكره ابن كثير عن الموضوع أن استقرار يد الفاطميين على دمشق تم فى سنة ٣٦٠ (٤٢) .

وتجمع المصادر التى تعرضت لموضوع الفتح الفاطمى للشام على أن مدينة أنطاكية — التى كان البيزنطيون قد استولوا عليها فى الثالث عشر من ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ / ٢٨ أكتوبر سنة ٩٦٩ م كما أشرنا من قبل (٤٣) — كانت الهدف الرابع فى خط سير الحملة الفاطمية على الشام . كما تجمع هـذه المصادر على أن محاولة الفاطميين فتح هذه المدينة إنما حدثت فى سنة ستين وثلاثمائة ، مع بعض الاختلاف فى تحديد الشهر الذى أنفذت فيه القوات الفاطمية صوب أنطاكية ، أو إغفال هذا التاريخ ، إذ يكتفى يحيى الأنطاكى بالإشارة إلى قيام جعفر بن فلاح بإرسال عسكر من دمشق بقيادة غلامه فتوح لفتح أنطاكيـة فى سنة ٣٦٠ هـ ، فحاصرها فتوح خمسة أشهر إلا أنه اضطر أخيرا إلى الانسحاب (٤٤) . وينقل ابن الشحنة — كما يشير هو — نفس نص يحيى مع بعض الفروق الطفيفة فى صياغة الخبر (٤٥) . على أن الدواداري يحدد لنا تاريخ خروج العسكر الفـاطمى فى هذه المهمة من دمشق ، بعد أن يتأرجح بين شهرى صفر وربيع الأول سنة ٣٦٠ هـ كتاريخ محدد ، ولا يشير إلى مجموع الشهور التى مكثها فتوح فى محاصرة المدينة ومحاولة الاستيلاء عليها ، ولكنه يبين لنا أن مسير القوات الفـاطمية

---

(٤١) النجوم ، ج ٤ ، ص ٣٣ .

(٤٢) البدايه والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٧ .

(٤٣) راجع ما فات هنا من قبل ص ١٢٨ .

(٤٤) تاريخه ، ص ١٣٨ — ١٣٩ .

(٤٥) الدر المنتخب ، ص ٢١٠ .

إلى أنطاكية حدث فى أول الشتاء ، فى حين استمرت محاولات الاستيلاء على المدينة حتى قدوم فصل الربيع(٤٦) ، ويضيف إلى ذلك ـ وهو ما أغفله يحيى وابن الشحنة ـ أن ابن فلاح بعث فى ذلك الوقت من دمشق سرية من أربعة آلاف رجل للاستيلاء على الإسكندرونة من يد الروم، ولكن المهمة لاقت فشلا ذريعا قرب هذه المدينة (٤٧) . أما المقريزى ، فكان صريحا فى تحديد شهر إنفاذ هذه الحملة من دمشق بقيادة فتوح غلام ابن فلاح فحدد لذلك شهر ربيع الأول سنة ٣٦٠ هـ ، وأشار هو الآخر إلى أن الوقت كان شتاء ، فنازلها فتوح حتى انصرم الشتاء ، ويذكر بدوره أن العساكر التى أنفذها ابن فلاح من دمشق فى الوقت الذى كانت تسير فيه القوافل التى لم يحدد لأى طرف تتبع — وجند فتوح يلحون فى القتال ، قابلوا فى الطريق قافلة تحمل علوفة لأهل أنطاكية فأخذوها ، ثم انساحوا حتى شارفوا الإسكندرونة ، فأوقع بهم عساكر الروم، كما ينفرد المقريزى عن يحيى والدوادارى بذكر انسحاب القوات الفاطمية من مسرح العمليات الحربية بعد أن وصلت إلى فتوح فى أول رمضان سنة ٣٦٠ هـ رسالة من ابن فلاح يأمره فيها بالرحيل إلى دمشق (٤٨) .

ثم يبدأ الجزء الثانى من المرحلة الأولى من الفتح الفاطمى للشام بقفول العساكر الفاطمية التى كانت تغزو فى الشمال الغربى منه . وقد أشار يحيى الأنطاكى إلى سبب استدعاء ابن فلاح لقواته من الشمال ، إذ وصلت الأخبار بعزم القرامطة على التوجه إلى الشام لقتاله ، كما يذكر أن ابن فلاح عمد إلى سحب قواته من

---

(٤٦) يوافق الأول من صفر ٣٦٠ هـ الرابع من ديسمبر سنة ٩٧٠ م ؛ راجع التوفيقات الإلهامية .

(٤٧) الدرة المضية ، ص ١٣٢ — ١٣٣ .

(٤٨) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٦٣ .

الشمال ليتقوى بها على القرامطة ، ولكنه لا يشير إلى تاريخ محدد لورود الأنباء عليه بمسير القرامطة إليه ولا إلى تاريخ إنفاذ رسالته التي وجهها إلى غلامه فتوح في هذا الصدد ، كذلك يغفل خبر رجوع قواته من الشمال وتاريخ وصولها إليه، وكل ذلك يقع عنده في حوادث سنة ٣٦٠ هـ (٤٩) . وقد نقل ابن الشحنة نفس نص يحيى ، إلا أنه يسقط منه خبر استدعاء العساكر الفاطمية ، ولا يشير إلا إلى إنصراف فتوح عن أنطاكية وهو نفس ما أورده يحيى (٥٠) . أما المقريزى ، فهو وإن أغفل أيضا تاريخ وصول خبر مسير القرامطة إلى ابن فلاح ، وتاريخ رسالته لاستدعاء فتوح ، ووصول قوات هذا القائد إلى دمشق ، إلا أنه يقرر وصول خبر مسير القرامطة إلى الشام بعد أن وردوا الكوفة — بدون أن يذكر تاريخا لذلك — وهم في طريقهم إلى ابن فلاح ، كما يحـــدد تاريخ وصول أمر الاستدعاء إلى فتوح بأول رمضان سنة ٣٦٠ هـ ، ويذكر بالمثل استعداد ابن فلاح لمحاربة القرامطة (٥١) .

وهناك من القدامى من اكتفى بالإشارة إلى وصول الأخبار إلى ابن فلاح بتوجيه القرامطة صوب الشام ؛ فقد ذكر سبط ابن الجوزى ورود الخبر إلى ابن فلاح بدون أن يشير إلى تاريخ محـدد لذلك وإن كان قد وضع الخبر في سياق حـــوادث سنة ٣٦٠ هـ ، وهي نفس السنة التي استولى فيها القرامطة على دمشق على حـد قوله ، كما ينص على أن ابن فلاح استهان بأمر القرامطة حـين وصلته هذه الأنباء (٥٢) . ونقرأ نفس الشيء عند ابن الأثير مع وضعه سياق

---

(٤٩) تاريخه ، ص ١٣٩ .

(٥٠) الدر المنتخب ، ص ٢١٠ .

(٥١) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٦ ، ١٨٧ .

(٥٢) في : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ .

الخبر فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ[٥٣] ؛ وقد حذا أبو الفدا حذو ابن الأثير فى كل ذلك[٥٤] وعلى الرغم من أن الدوادارى ينفرد هو ويحى - الذى يتابعه ابن الشحنة فى روايته - والمقريزى بذكر وصول القوات الفاطمية فى تقدمها حتى أنطاكية ، كما أشرنا ، إلا أنه يغفل استدعاء ابن فلاح لفتوح غلامه ، ولا يذكر سوى ورود الأخبار على ابن فلاح بأن القرامطة سائرون إلى الشام ، ولا يشير إلى أية تواريخ ، فى حين يذكر رد الفعل لدى ابن فلاح ، فى قوله : « فورد عليه من ذلك مورد عظيم[٥٥] » .

أما عن الأسباب التى حدت بالقرامطة إلى التوجه إلى الشام لمقاتلة ابن فلاح، فقد أجمعت المصـــادر التى تطرقت إلى الموضوع على أن الأتاوة التى كان يفرضها القرامطة سنويا على الحسن بن عبيد الله ابن طغج صاحب دمشق،وقدرها ثلاثمائة ألف دينار ، كانت هى السبب الأساسى ، إذ انقطع هذا المورد المالى عن القرامطة بعد استيلاء الفاطميين على الشام ؛ نص على ذلك كل من سبط ابن الجوزى[٥٦] ، وابن الأثير[٥٧] ، والدوادارى[٥٨] ، وابن خلدون[٥٩] - وإن أغفل الأخيران قيمة المبلغ - ، والمقريزى[٦٠] ، وقد أوردت كل هذه

---

(٥٣) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ .

(٥٤) المختصر ، ج ٢ ، ص ١١١ .

(٥٥) الدرة المضية ، ص ١٣٣ .

(٥٦) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ .

(٥٧) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ .

(٥٨) الدرة المضية ، ص ١٣٢

(٥٩) العبر ، ج ٤ ، ص ٥٠ ، ٩٠ ؛ وقارن فيه : ص ٤٩ .

(٦٠) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ .

المصادر هذه الضريبة فى سياق حوادث سنة ٣٦٠ هـ باستثناء ابن خلدون الذى لا يدل كلامه على هذا التاريخ فى روايته . كذلك لا يذكر يحيى الانطاكى أى خبر عن هذه الأتاوة فى سياق حديثه عن خروج الأعصم إلى الشام لمقاتلة ابن فلاح ، ولكنه يورد فى حوادث سنة ٣٥٧ هـ أن أهالى الرملة قاطعوا القرامطة على مبلغ مائة وخمسة وعشرين ألف دينار مصرية بعد الحرب بينهم وبين الحسن ابن عبيد الله بن طغج بظاهر الرملة فى ذى الحجة من السنة المذكورة وبعد انهزام ابن طغج من الشام ودخوله الى مصر (٦١) . ولكن ابن تغرى بردى ينفرد عن كل هذه المصادر بذكر هذا السبب فى حوادث سنة ٣٦٢ هـ التى ينص فيها على أن المعز لدين الله لما دخل القاهرة « قطع ما كان على ابن الإخشيد (٦٢) فى كل سنة من الأتاوة للقرامطة وهى ثلاثمائة ألف دينار (٦٣) » .

ونلاحظ أن ابن عساكر يورد خبر خروج الأعصم القرمطى الى الشام فى سنة ٣٦٠ هـ لمقاتلة ابن فلاح ، فدخل دمشق وكسر جيش ابن فلاح « وقتله حيث إنه افتتحها للمصريين (٦٤) » . وقريب من هذا ما ذكره الذهبى فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ ، وفيها يقول : « واستولى على دمشق جعفر ابن فلاح نائب العبيدية بعد حصار أيام ، فانتدب لحربه الحسن بن أحمد القرمطى الذى تغلب على دمشق قبله (٦٥) » ، وإن كان يذكر فى موضع آخر – فى حوادث سنة ٣٥٧ هـ – فرض الضريبة المذكورة على أهل الرملة فى ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ بعد هزيمة الحسن

---

(٦١) تاريخه ، ص ١٣٢ .

(٦٢) كذا بالمتن عنده .

(٦٣) النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٤ .

(٦٤) تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .

(٦٥) دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

ابن عبيد الله بن طغج ، ويقدرها بمبلغ مائة وعشرين ألف دينار (٦٦) . ومن الملاحظ أيضا أن مسكويه – المؤرخ المعاصر – يشير فى حوادث سنة ٣٦٠ ﻫ الى مسير القرامطة إلى الشام لقتال صاحب المغرب – كما يقول – بدون أن يحدد التاريخ والأسباب (٦٧) .

وقبل التعرض لتاريخ وصول القرامطة إلى دمشق ، تجدر الإشارة هنا إلى خط السير الذى اتبعه الأعصم القرمطى ، واستعراض بعض الأحـــداث التى تضمنتها روايات القـــدامى حتى نزول الأعصم على دمشق . وتكاد تتفق هذه الروايات فى مضمون الأحداث المذكورة وسياقها على الرغم من إغفال بعض التفاصيل . فبعد الخبر الذى أورده سبط ابن الجوزى عن قطع الفاطميين المال المقرر على ابن طغج للقرامطة ، يذكر أن هؤلاء بعثوا بصاحب لهم إلى عز الدولة بختيار يطلبون المساعدة على المغاربة بالمـــال والرجال ، فوافق عز الدولة على إمدادهم بالمال والسلاح إذا قدم القرمطى الكوفة ، ثم يشير سبط ابن الجوزى إلى وصول القرمطى إلى الكوفة حيث أنفذ إليه بختيار بالمال والسلاح ، ومن هناك توجه إلى دمشق رأسا لملاقاة ابن فلاح ، ولم يشر سبط ابن الجوزى إلى تواريخ محددة لكل ذلك وإن كان قد سجل الخبر فى سياق حوادث سنة ٣٦٠ ﻫ (٦٨) . ويذكر ابن الأثير –فى حوادث سنة ٣٦٠ ﻫ –نفس هذه الوقائع باستثناء ماذكره سبط ابن الجوزى من طلب القرمطى المال والرجال من بختيار ، إذ يسقط ابن الأثير ذكر الرجال ويستبدل بهم السلاح ، كما لا يشـــير إلى تواريخ

---

(٦٦) فى: مسكويه ، تجارب الأمم، ج ٢ ، ص ٢٥٤، ﻫ ١ [الواقع أوله فى ص٢٥٣].

(٦٧) تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ .

(٦٨) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ .

محددة (٦٩) . ويكتفى ابن كثير بمجرد الإشارة إلى أن عز الدولة بختيار أمد الأعصم القرمطى من بغداد بسلاح وعدد كثيرة ، وذلك فى معرض كلامه عن سقوط دمشق فى يد الأعصم فى ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ (٧٠) .

وقد توسع كل من الدواداري والمقريزى فى التفاصيل ؛ إذ يورد الدوادارى أن القرامطة خرجوا من بلادهم متوجهين إلى الكوفة أولا ، ثم كانت لهم إلى بغداد مراسلات كان من نتائجها أن أنفذت إليهم خزانة سلاح من العاصمة العباسية ، وتوقيع بمبلغ من المال على أبى تغلب بن ناصر الدولة ابن حمدان بالرحبة ، فيرحل القرمطى من الكوفة وينزل الرحبة ، حيث يحمل إليه أبو تغلب العلوفة والمال الذى كتب لهم به ، كما يسمح له بأن يضيف إلى عسكره من شاء من جنوده هو علاوة على فلول الإخشيدية الذين وصلوا إليه من مصر وفلسطين ، ثم يتوجه القرمطى من الرحبة إلى دمشق طالبا لعسكر ابن فلاح ، وكل ذلك يسوقه الدوادارى فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ بدون أن يعين التواريخ المحددة (٧١) . ويسوق المقريزى نفس الأحداث والوقائع التى جاء بها الدوادارى بنفس الألفاظ تقريبا (٧٢) ، إلا أنه يذكر ذلك فى سياق حوادث سنة ٣٥٨ هـ - وهو يتكلم عن طرف من أخبار القرامطة - حتى لا يقطع تسلسل الأحداث فيما يبدو ، ولكنه يشير قبل ذلك إلى هذه الأحداث بصورة إجمالية فى موضع آخر وذلك فى سياق حوادث سنة ٣٦٠ هـ وقبل أن يفرد

---

(٦٩) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ .

(٧٠) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٩ .

(٧١) الدرة المضية ، ص ١٣٤ .

(٧٢) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

كلمته عن القرامطة ، (٧٣) وهو فى كل ذلك لا يحدد التواريخ وإن كان يلمح إلى شهر شوال سنة ٣٦٠ هـ تاريخا لتردد الشائعات بمصر بوصول القرامطة إلى الشام (٧٤) ، كما يذكر فى موضع آخر ورود الخبر على ابن فلاح بمسير القرامطة إلى الشام قبل أن يشير إلى تاريخ وصول رسالة ابن فلاح إلى غلامه فتوح وهو أول رمضان سنة ٣٦٠ هـ (٧٥) .

وينفرد ابن تغرى بردى بذكر بعض هذه الوقائع فى حوادث سنة ٣٦٢ هـ عند ترجمته للمعز لدين الله ، فينص على أن الحسن القرمطى سار إلى بغداد بعد أن علم بقطع المعز الأتاوة التى له على الإخشيدية ، وسأل الخليفة المطيع بالله العباسى على لسان عز الدولة بختيار أن يمده بمال ورجال ويوليه الشام ومصر ليخرج المعز منها ، فامتنع المطيع ، فى حين أمده بختيار بالمال والسلاح ، فسار القرمطى من ثمة إلى الشام ، ثم يستطرد ابن تغرى بردى فيسوق الأحداث التالية ـ مغفلا لذكر ابن فلاح ـ بوصول القرمطى إلى الشام فيملكه ويلعن المعز على منبر دمشق ، ثم يسير بعد هذا بعساكره إلى مصر حيث يلاقى المعز فى ميدان القتال (٧٦) ، إلا أنه يذكر فى موضع آخر خبر وصول الأعصم إلى الشام ، وذلك فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ (٧٧) بدون أن يذكر ما أشار إليه بقية المؤرخين القدامى من الأحداث التى ضمن بعضها فى حوادث سنة ٣٦٢ هـ والتى ألمعنا إليها الآن .

---

(٧٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٧٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٨ ؛ وله أيضا : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ؛ وقارن فيه : ص ١٣٨ ، ٣٨٢ — ٣٨٣ ؛ وج ٢ ، ص ٤٥٩ .

(٧٥) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

(٧٦) النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٧٧) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

وقد حددت لنا بعض المصادر تاريخ استيلاء الحسن الأعصم القرمطى على دمشق ومقتل جعفر بن فلاح فى القتال الذى نشب بين الطرفين بيوم الخميس السادس من شهر ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ ؛ فقد نص على ذلك كل من ابن خلكان والدوادارى والمقريزى ـ وإن لم يذكر يوم الخميس ـ ، ولكن نلاحظ بعض الاختلافات فى التفاصيل ؛ إذ يكتفى ابن خلكان ـ فى ترجمته لابن فلاح ـ بالإشارة إلى مسير الحسن الأعصم إلى ابن فلاح ـ وكان نازلا إلى الدكة فوق نهر يزيد بظاهر دمشق ـ فخرج إليه القائد المغربى ، فظفر به القرمطى وقتله ، ولا يحدد ابن خلكان تاريخ وصول القرمطى إلى دمشق (٧٨) . فى حين يورد الدوادارى التقاء القرمطى وابن فلاح فى التاريخ المذكور ، فانكسر المغاربة وانهزم الكثير منهم مع ابن فلاح يريدون الدكة بدمشق (٧٩) ، ثم استأنف الفريقان القتال ، فقتل ابن فلاح فى المعركة وبعدها نزل الأعصم على ظاهر المزة (٨٠) حيث جبى له مال من البلد ، ثم زحف إلى الرملة ، والدوادارى فى كل هذا يغفل تاريخ نزول الأعصم على دمشق ، وكذلك تاريخ مسيره عن المزة نحو الرملة (٨١) . أما المقريزى ، فقد ذكر أن ابن فلاح خرج إلى القرامطة لما قربوا من دمشق ، وواقعهم ، فانهزم منهم وقتل ، فملك القرامطة دمشق ثم ساروا إلى الرملة (٨٢) ؛ ثم يعود المقريزى فيشير ـ فى موضع آخر أفرد فيه الكلام لجانب من أخبار القرامطة ـ إلى أن أصحاب جعفر بن فلاح أشاروا عليه ـ لما قرب القرامطة من دمشق ـ بأن يقاتلهم بطرف البرية ، فخرج إليهم

(٧٨) وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

(٧٩) كذا بالمتن عنده .

(٨٠) انظر تحديداً لهذا الموقع فيما جاء هنا بعد هـ ١٧٢ بالفصل السادس .

(٨١) الدرة المضية ، ص ١٣٤ — ١٣٥ .

(٨٢) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٧

ونازلهم فاندحر وقتل ، ونزل القرمطى ظاهر المزة فجبى مالا ، ثم سار يريد الرملة (٨٣) ، ولا يحدد المقريزى فى كلا الموضعين تاريخا لاقتراب القرامطة من دمشق ولا لنزول الأعصم ظاهر المزة ولا تاريخ توجهه منها إلى الرملة .

ومن القدامى من نص على استيلاء الأعصم على دمشق فى شهر ذى القعدة سنة ٣٦٠ ه بدون أن يشير إلى اليوم ولا موقعه من أيام الأسبوع ؛ فقد أورد أبو الفدا أن القرامطة وصلوا إلى دمشق فى هذا الشهر وكبسوا ابن فلاح خارجها وقتلوه وملكوا دمشق ، ثم ساروا إلى الرملة ، وهو بهذا يغفل أيضا تاريخ وصول القرامطة إلى دمشق وتاريخ مسيرهم صوب الرملة (٨٤) . ونرى ابن كثير يختزل كلامه عن الأحداث فى قوله فى حوادث سنة ٣٦٠ ه : « وفى ذى القعدة منها ، أخذت القرامطة دمشق وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح .... ثم ساروا إلى الرملة (٨٥) » ، فهو لا يذكر تاريخ وصول القرامطة إلى دمشق ولا وقوع القتال خارجها ولا تاريخ مسيره نحو الرملة .

ومن المؤرخين القدامى من لم يذكر الشهر الذى امتلك فيه الأعصم دمشق ؛ منهم يحى الأنطاكى الذى يورد فى سياق حوادث سنة ٣٦٠ ه موافاة الأعصم القرمطى دمشق والتقاءه بابن فلاح ، ووقوع القتال بين الفريقين ، وانهزام القائد المغربى واستيلاء القرامطة على دمشق ، ثم ينص يحى بعد ذلك على مسير القرامطة إلى مصر (٨٦) ، وهذا يعنى أنه أغفل الكثير من التفاصيل وتواريخها التى أشرنا

---

(٨٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٨٧ — ١٨٨ .

(٨٤) المختصر ، ج ٢ ، ص ١١١ — ١١٢ .

(٨٥) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٩ .

(٨٦) تاريخه ، ص ١٣٩ .

إليها منذ قليل ، كما يسقط ما نصت عليه معظم المصادر التى ذكرناها حتى الآن من اتجاه القرامطة إلى الرملة بعد استيلائهم على دمشق؛ ومنهم سبط ابن الجوزى الذى يذكر عنوانا يفيد استيلاء القرامطة على دمشق فى سنة ٣٦٠ ﻫ ، ولكنه يغفل الإشارة إلى أية تواريخ عدده عما أورده من أحداث قبل وبعد الاستيلاء على دمشق ، ويكتفى فى روايته ـ نقلا عن الصابى ـ بذكر مفاجأة الحسن الأعصم لابن فلاح حيث كبسه بالدكة فقتله، وامتلك أغلب الشام، ثم سار إلى الرملة(٨٧)؛ ومنهم ابن عساكر الذى تكاد روايته تشابه تلك التى أوردها يحيى ، فقد قال ـ فى ترجمته للحسن الأعصم القرمطى ـ : « ثم خرج [أى الأعصم] إلى الشام ثانية سنة ستين، فدخلها وكسر جيش جعفر بن فلاح وقتله ... ثم توجه إلى مصر ... »(٨٨)؛ ومنهم ابن الأثير الذى يذكر فى حوادث سنة ٣٦٠ ﻫ أن القرامطة كبسوا ابن فلاح بظاهر دمشق وقتلوه وملكوا دمشق ، ثم ينص بعد ذلك مباشرة على مسيرهم إلى الرملة واستيلائهم وهم فى طريقهم إليها على جميع ما بينها وبين دمشق (٨٩) ، فهو لا يشير أيضا إلى تاريخ وصول القرامطة إلى ظاهر دمشق ولا إلى تاريخ مسيرهم نحو الرملة ولا الأماكن التى استولى عليها القرامطة من دمشق إلى الرملة ولا التواريخ التى تم فيها ذلك؛ ومنهم الذهبى الذى اكتفى ـ فى حوادث سنة ٣٦٠ ﻫ ـ بإشارة مبتسرة إلى قتل القرمطى لابن فلاح ، وانفرد بالحديث عن وقوع ابن فلاح فى الأسر قبل قتله (٩٠) ، ولم يذكر شيئا عن دخول القرامطة دمشق ولا التفاصيل التى مرت بنا الآن .

---

(٨٧) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ — ٢ .

(٨٨) تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .

(٨٩) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ .

(٩٠) دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

وإلى جانب كل هؤلاء نرى ابن خلدون يشير إلى هذه الأحداث أو بعضها في عـــدة مواضع ، إذ ينص أولا على أن القرامطة زحفوا إلى دمشق وعليهم الأعصم ، فلقيهم ابن فلاح فظفر بهم وقتلهم(٩١) ، ولا يحدد تاريخا لهذا ، ولكنه يسوق الخبر في ثنايا حوادث سنة ٣٦٠ هـ ؛ ثم يلمح ابن خلدون ثانيا إلى أن القرامطة رجعوا إلى ابن فلاح في سنة ٣٦١ هـ ، فبرز إليهم ، فهزموه وقتلوه ، وملك الأعصم دمشق ، ثم سار متوجها إلى مصر(٩٢) ؛ ثم يورد ثالثا بدون تحديد لأى تاريخ لما سجله من أحداث بأن القرامطة لما علموا بقطع المال الذى لهم على بنى طغج بدمشق ، رجعوا إليها وعليهم الأعصم ، فبرز إليهم ابن فلاح فقتلوه وملكوا دمشق وما بعدها إلى الرملة (٩٣) ؛ ويذكر ابن خلدون أخيرا نفس الرواية المتصلة بقطع الأتاوة التى كانت للأعصم على دمشق ، ثم يقول : « وكتب له المعز وأغلظ عليه ، ودس لشيعة أبى طاهر وبنيه أن الأمر لولده ، واطلع الحسن على ذلك ، فخلع المعز سنة ثنتين ، وخطب للمطيع العباسى فى منابره ، ولبس السواد ، ثم زحف إلى دمشق ، وخرج جعفر بن فلاح لحربه ، فهزمه الأعصم وقتله وملك دمشق ، وسار إلى مصر (٩٤) » ، أى أن هذه الأحداث ـ بما فيها مقتل ابن فلاح ـ قد وقعت فى عام ٣٦٢ هـ .

ويروى لنا ابن تغرى بردى ـ فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ ـ خبر مسير الحسن القرمطى إلى الشام ومحاصرته دمشق ، ثم ينص على أن ابن فلاح خرج إليه

---

(٩١) العبر ، ج ٤ ، ص ٤٩ .

(٩٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٩٣) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

(٩٤) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٩٠ .

من مصر بعساكره من المغاربة واقتتلوا أياما إلى أن حمل القرمطى بنفسه على ابن فلاح فقتله ، وملك دمشق ، ثم عاد إلى بلاد هجر ، ثم يذكر ابن تغرى بردى بعد سطور قليلة - فى وفيات هذا العام - وفاة جعفر بن فلاح الذى ولى دمشق إلى أن قدم عليه القرمطى وحاربه وظفر به وقتله (٩٥) ؛ ويورد ابن تغرى بردى فى موضع آخر ما كنا أشرنا إليه فى مكانه هنا من قبل(٩٦) حول الأحداث التى تم بسببها توجه القرمطى إلى الشام - وذلك فى حوادث سنة ٣٦٢ هـ عند ترجمته للمعز - مما يفيد وقوعها زمن المعز (٩٧) وليس قبل قدومه إلى مصر ثم صراعه مع الحسن الأعصم .

اتجه القرمطى بعد فتحه دمشق إلى الرملة كما رأينا فى بعض المصادر ، ولا تحدد جميع المصادر التى كتبت فى الموضوع تاريخا معينا لوصول الحسن الأعصم إلى الرملة ولا تاريخ استيلائه عليها . فقد ذكر سبط ابن الجوزى - نقلا عن الصابى - الخبر بدون أن يشير إلى التاريخ المحدد الذى تم فيه ذلك ، فهو ينص على مسير الحسن الأعصم إلى الرملة وبها سعادة بن حيان(٩٨) - القائد المغربى - الذى خرج

---

(٩٥) النجوم ، ج ٤ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٩٦) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٥٢ .

(٩٧) النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٩٨) ورد هذا الاسم عنده : (سعاد بن حيات) بإسقاط الهاء بعد سعاد ، والباء الموحدة بدل الياء المثناة فى الاسم الثانى . وهو تحريف وتصحيف واضحان ، والصحيح ماذكرناه هنا بالمتن . وقد أشار إليه المقريزى فى ذكره لأبواب القاهرة التى منها باب سعادة ، فقد كان سعادة بن حيان غلاما للمعز وواحدا من قواده ، وافى القاهرة قادما من المغرب فى رجب سنة ٣٦٠ هـ ، فدخل إليها من هذا الباب فعرف به ، وتوفى ابن حيان بالقاهرة فى ٢٥ المحرم سنة ٣٦٢ هـ (٥ نوفمبر ٩٧٢ م) ؛ راجع : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٨٣ ؛ وانظر له أيضا فى تاريخ وفاته : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

إلى يافا وتحصن بها ، فدخل القرمطي الرملة، ثم رحل منها إلى مصر (٩٩)؛فسبط ابن الجوزى بهذا لم يشر كذلك إلى وقت خروج ابن حيان من الرملة إلى يافا ولا وقت حصوله بالمدينة الأخيرة ، كما لم يعين تاريخا لرحيل القرمطى من الرملة حيث توجه منها إلى مصر .

أما ابن الأثير ، فهو يشير - فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ - إلى مسير القرامطة إلى الرملة والاستيلاء على جميع ما بينها وبين دمشق،فى حين خرج من الرملة من بها من المغاربة إلى يافا وتحصنوا بها ، فملك القرامطة الرملة ، وساروا إلى مصر ، وتركوا على يافا من يحصرها (١٠٠) ؛ وهو نفس ما ذكره سبط ابن الجوزى باستثناء ما أضافه ابن الأثير من استيلاء القرامطة على الأماكن الواقعة بين دمشق والرملة ، وكذلك إسقاط اسم سعادة بن حيان .

ويكتفى أبو الفدا - فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ - من كل ذلك بذكر مسير القرامطة إلى الرملة واستيلائهم عليها ثم قصدهم مصر (١٠١) ؛ أى أنه يغفل أيضا التاريخ الذى قصدوا فيه مصر .

أما الدوادارى ، فهو يورد خبر مسير القرمطى إلى الرملة - ضمن حوادث سنة ٣٦٠ هـ أيضا - ثم يضيف أن جوهرا كان قد أنفذ إلى الرملة سعادة بن حيان، ولما بلغ القائد المغربى خبر توجه القرمطى إلى الرملة تحصن فى يافا ، فنازله القرمطى وحصره بها،ثم ترك على يافا من يحصرها وتوجه هو يريد مصر (١٠٢)؛

(٩٩) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢ .

(١٠٠) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

(١٠١) المختصر ، ج ٨ ، ص ١١٢ .

(١٠٢) الدرة المضية ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

ولم يعين لنا الدوادارى تاريخ إنفاذ سعادة بن حيان إلى الرملة ولا تاريخ خروجه من الرملة وتحصنه بيافا ولا الوقت الذى تم فيه منازلة وحصار القرمطى له ولا زمن مسير الحسن الأعصم إلى مصر .

ويورد ابن كثير أيضا فى حوادث سنة ٣٦٠ ﻫ أن القرامطه ساروا إلى الرملة فأخذوها ، فتحصن بها (١٠٣) من كان بها من المغاربة نوابا ، ثم ترك القرامطة عليها من يحاصرها وبعدها ساروا نحو القاهرة(١٠٤)؛ فهو أيضا يغفل جميع التواريخ التى تعين زمن هذه الوقائع .

أما ابن خلدون ، فلم يعين السنة التى استولى فيها القرامطة على الرملة ، كما لم يشر إلى أية تواريخ أخرى تتصل بالأحداث التى قال فيها عن القرامطة : « وملكوا دمشق وما بعدها إلى الرملة ، وهرب من كان بالرملة وتحصنوا بيافا ، وملك القرامطة الرملة ، وجهزوا العساكر على يافا ، وساروا إلى مصر (١٠٥) » ؛ كما يذكر فى موضع آخر بعد الذى ذكرناه من قبل من قطع الأتاوة التى كانت للقرامطة على الإخشيدية (١٠٦) ما يدل على أن هذه الأحداث وقعت فى سنة ٣٦٢ ﻫ التى استولى فيها الأعصم على دمشق وقتل ابن فلاح ، ثم سار الى مصر فحاصر جوهرا بها (١٠٧) .

ويذكر المقريزى هذه الأحداث فى عدة مواضع ، منها ما هو واقع فى

---

(١٠٣) كذا بالمتن عنده ؛ راجع ما جاء هنا فيما بعد ، ﻫ ١٧٦ بالفصل السادس .

(١٠٤) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٩ .

(١٠٥) العبر ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

(١٠٦) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٥٦ .

(١٠٧) العبر ، ج ٤ ، ص ٩٠ .

سياق حوادث سنة ٣٦٠ هـ ، مثل قوله : « وملك القرامطة دمشق ، وأمنوا أهلها ، ثم ساروا إلى الرملة فملكوها»(١٠٨)؛ ولكنه يشير فى موضع آخر - حين تعرض لطرف من أخبار القرامطة ، وبعد أن ذكر سقوط دمشق فى يد القرامطة فى ٦ ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ - إلى مسير الأعصم إلى الرملة وعليها سعادة بن حيان الذى التجأ إلى يافا ، فنزل عليه القرمطى ، فناصب يافا القتال ، ثم سار عنها بعد أن ترك عليها من يحصرها ، ثم يشير النص بعد هذا إلى توجهه لمصر (١٠٩) . وفى ذكره لباب سعادة بالقاهرة ، يشير المقريزى إلى أن جوهرا سير سعادة بن حيان فى شوال سنة ٣٦ هـ إلى الشام لما جاءته الأنباء فى نفس ذلك الشهر بتوجه الأعصم إلى الشام ، فسار سعادة بن حيان يريد الرملة ، فوجد القرمطى قد قصدها ، فانحاز بمن معه إلى يافا ورجع إلى مصر(١١٠) ؛ ثم يذكر مرة أخرى - نقلا عن ابن زولاق المؤرخ المعاصر - أن الإرجاف كثر فى شوال سنة ٣٦٠ هـ بوصول القرامطة إلى الشام ، ثم ورد الخبر بقتل ابن فلاح على يد القرامطة الذين ملكوا دمشق وتوجهوا إلى الرملة ، فانحاز سعادة بن حيان (١١١) إلى يافا متحصنا بها (١١٢) ؛ والمقريزى فى كل ذلك يغفل ما أغفله غيره من تواريخ تتصل بهذه الأحداث باستثناء ماذكر منها

(١٠٨) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

(١٠٩) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

(١١٠) الخطط ، ج ١ ، ص ٣٨٣ . لم يبين المقريزى فى هذا الموضع بخططه تاريخ وصول سعادة بن حيان الى الديار المصرية ، ولكنه يذكر أنه نزل الجيزة ، وخرج القائد جوهر للقائه ، ثم سار سعادة إلى القاهرة فى رجب سنة ٣٦٠ هـ . إلا أنه يحدد فى (اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٨) قدوم ابن حيان من المغرب إلى مصر فى جمادى الآخرة سنة ٣٦٠ هـ ؛ أى أنه قدم مصر فى جمادى الآخرة فنزل الجيزة ، ودخل القاهرة فى شهر رجب من السنة .

(١١١) ورد الاسم محرفا عند المقريزى هذه المرة ، فقد رسم (معاذ بن حيان) ؛ راجع ما فات هنا من قبل ، هـ ٩٨ بهذا الفصل .

(١١٢) الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .

من تسيير جوهر لسعادة بن حيان فى شوال سنة ٣٦٠ ﻫ إلى الرملة ، وهو نفس تاريخ تردد الشائعات بمصر عن وصول القرامطة إلى الشام .

أما بقية المصادر التى أغفلت ذكر الرملة وأشارت إلى توجه الحسن الأعصم بعد استيلائه على دمشق إلى مصر مباشرة أو إلى هجر ، فهى تلك التى أثبتناها هنا منذ قليل عند الكلام عن انتزاع القرمطى دمشق من يد الفاطميين (١١٣) .

ويقع بعد هذا الصدام الحربى بين القرامطة والفاطميين فى الأراضى المصرية ذاتها ، ثم تنتهى هذه المرحلة التى نتكلم عنها بتقهقر القرامطة إلى الشام مرة أخرى ، ثم قدوم المعز القاهرة ليبدأ تاريخ جديد للشام تحت الحكم الفاطمى . فقد ذكر يحيى مسير القرمطى إلى مصر ونزوله عين شمس ، والقتال بينه وبين العساكر الفاطمية خارج القاهرة ، ومقتل الكثير من المغاربة ، ثم انهزام القرمطى فى وقعة ثانية عند مغيب الشمس ، ثم مسيره إلى الرملة ، وكل ذلك يورده يحيى فى سياق حوادث سنة ٣٦٠ ﻫ ، وبدون أن يشير إلى تواريخ محددة ؛ ثم يتعرض يحيى إلى ذكر قيام جوهر بتسيير العساكر الفاطمية إلى الشام بقيادة ابن أخيه إبراهيم لمحاربة القرمطى حيث تلاقى الفريقان وانهزم المغاربة عن آخرهم ، ودخلوا إلى مصر فى شهر رمضان سنة ٣٦١ ﻫ ، ويضع يحيى هذه الأحداث الأخيرة فى سياق حوادث سنتى ٣٦٠ ﻫ و ٣٦١ ﻫ بدون أن يشير إلى تواريخ محددة باستثناء ما أشار إليه من تاريخ دخول المغاربة المنهزمين إلى مصر ، ثم يذكر بعد قليل وصول المعز لدين الله من القيروان إلى

(١١٣) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ (مصر : يحيى الأنطاكى ؛ بن عساكر ؛ ابن خلدون فى بعض نصوصه) ، وص ١٥٧ (هجر : ابن تغرى بردى) .

مصر فى ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ (١١٤) .

أما سبط ابن الجوزى ، فقد ذكر خبر رحيل الحسن الأعصم عن الرملة - بعد استيلائه عليها - طالبا مصر ، فنزل عين شمس على باب مصر (١١٥) حيث دار القتال بين القرامطة والمغاربة لعدة أيام ظهر فيها القرامطة على خصومهم ، ولا يذكر سبط ابن الجوزى فى هذا الصدد شيئا عن تاريخ نزول القرمطى على عين شمس ، ولكنه يعود فيحدد يوم الأحد الثالث من ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ تاريخا لهزيمة القرمطى على خندق المدينة بعد أن استمر القتال إلى العصر، ثم يذكر تقهقره عن الديار المصرية ولا يقف فى ارتداده حتى يصل إلى الرملة ، كما يشير بعدها إلى عودة الهجرى - أى القرمطى - إلى بلاده ، بدون أن يحدد سبط ابن الجوزى تاريخ وصوله إلى بلاده (١١٦) ، أو كيفية تفرق أتباعه عنه (١١٧).

ويقتضب ابن عساكر عند ذكره لكل هذه الحوادث فى قوله مباشرة - بعد أن يذكر كسر جيش ابن فلاح وقتله على يد الحسن الأعصم - : « ثم توجه [أى القرمطى] إلى مصر ، فحاصرها شهورا سنة إحدى وستين ، واستخلف على دمشق ظالم بن موهوب العقيلى ، ثم رجع إلى الأحساء ثم إلى الشام ، ومات

---

(١١٤) تاريخه ، ص ١٣٩ .

(١١٥) لعل المقصود هو باب الصفاء ، فقد قال المقريزى : « باب الصفاء : هذا الباب كان هو فى الحقيقة باب مدينة مصر وهى فى كمالها ، ومنه تخرج العساكر وتعبر القوافل » ؛ راجع : الخطط ، ج ١ ، ٣٤٧ .

(١١٦) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢ .

(١١٧) فى : نفس المصدر .

بالرملة سنة ست وستين وثلاثمائة (١١٨) ، مغفلا بذلك تفاصيل الأحداث المتصلة بهذه الفترة وتواريخها إلا ما أشار إليه من حصار الأعصم لمصر الفسطاط ووفاته .

ويستعرض ابن الأثير ما حدث بعد استيلاء القرامطة على الرملة ، فينص على مسيرهم إلى مصر وقد تركوا على يافا من يحاصرها ، ثم وصولهم إلى مصر ، ونزولهم بعين شمس عند مصر ، ونشوب القتال بينهم وبين المغاربة طوال عدة أيام كان النصر فيهـــا حليف القرامطة ، ثم تغلب المغاربة عـــلى خصومهم الذين اضطروا إلى الرحيل إلى الشام ، فنزلوا الرملة ، ثم حاصروا يافا ، الأمر الذى دعا جوهرا إلى إمداد يافا بقوة مزودة بالميرة حملتها خمسة عشر مركبا ، فبعث القرامطة مراكبهم فاستولوا عليهـا سوى مركبين غنمتها مراكب الروم ، ويقف ابن الأثير عند هذا الحد ، ولا يذكر أى تواريخ محددة لهذه الأحداث ، إلا أنه يضعها جميعا فى سياق حوادث سنة ٣٦٠ هـ (١١٩) ؛ ثم يشير - فى حوادث سنة ٣٦١ هـ ، وقد استطرد به الكلام فيها فيذكر مسير المعز من إفريقية متوجها إلى الديار المصرية - إلى دخول المعز القاهرة فى ٥ رمضان سنة ٣٦٢ هـ (١٢٠) .

ويختصر أبو الفدا الكلام عن هذه الوقائع فى سياق حوادث سنة ٣٦٠ هـ ، فيذكر قصد القرامطة مصر بعـــد امتلاكهم الرملة ، ونزولهم على عين شمس ، وانتصار القرامطة على المغاربة أولا ، ثم هزيمتهم وعودتهم إلى الشام ، بدون أن يحدد أيضا التواريخ لكل ذلك (١٢١) ، ويستطرد - مثل ابن الأثير - فيذكر

---

(١١٨) تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .

(١١٩) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

(١٢٠) نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٢٤٥ .

(١٢١) المختصر ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

فى حوادث سنة ٣٦١ ﻫ مسير المعز إلى مصر ودخوله القاهرة فى ٥ رمضان سنة ٣٦٢ ﻫ (١٢٢) .

ويذكر ابن كثير - وقد استرسل فى سرد حوادث سنة ٣٦٠ ﻫ - خبر مسير القرامطة نحو القاهرة - بعد أن استولوا على الرملة وتحصن بها (١٢٣) من كان بها من المغاربة نوابا وتركوا عليها من يحاصرها - فوصلوا إلى عين شمس واقتتلوا هم وجنود جوهر ، وكان الظفر للقرامطة ، ثم حلت الهزيمة بعد أيام بالقرامطة ، فتراجعوا إلى الشام ، وجدوا فى حصار باقى المغاربة ، فأنفذ جوهر خمسة عشر مركبا ميرة لأصحابه ، فأخذتها القرامطة إلا مركبين استولى عليهما الفرنج [يقصد الروم] ، ثم ينهى كلامه إثر ذلك بقوله : « وجرت خطوب كثيرة (١٢٤) » ؛ ثم يذكر فى موضع آخر - فى حوادث سنة ٣٦٢ ﻫ - دخول المعز مصر فى ٥ رمضان سنة ٣٦٢ ﻫ (١٢٥) ؛ وهو فى كل هذا لا يحدد تواريخ تلك الوقائع ، كما لا يعين الأماكن التى حصروا فيها باقى المغاربة بالشام ، ويتصل بهذا تلك المواضع التى توجهت إليها مراكب الميرة نجدة للمغاربة هناك .

ويذكر ابن خلدون فى عدة مواضع مسير القرامطة إلى مصر ، فيشير أولا إلى رجوعهم (١٢٦) سنة ٣٦١ ﻫ إلى ابن فلاح وقتلهم إياه واستيلائهم على

---

(١٢٢) المختصر ، نفس الجزء والصفحة .

(١٢٣) راجع ما فات هنا من قبل ، ﻫ ١٠٣ بهذا الفصل .

(١٢٤) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٩ .

(١٢٥) نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ٢٧٣ .

(١٢٦) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٥٦ .

دمشق ثم مسيرهم إلى مصر (١٢٧) ؛ ثم يذكر مرة أخرى - بدون تحديد أى تواريخ - توجههم إلى مصر بعد أن جهزوا العساكر على يافا ، فنزلوا عين شمس ، وحاصروا المغاربة بالقاهرة ، وقاتلوهم أياما فظفروا بهم ، ثم انهزم القرامطة ، فرحلوا إلى الرملة ، وضيقوا حصار يافا ، وبعث إليهم جعفر (١٢٨) بالمدد فى البحر فأخذه القرامطة (١٢٩) ؛ ويعود ابن خلدون فى موضع ثالث إلى نفس الأحداث بما يفيد أن الأعصم زحف إلى دمشق فى سنة ٣٦٢ هـ ، فقاتله جعفر بن فلاح ، فهزمه الأعصم وقتله وملك دمشق ، وسار إلى مصر محاصرا جوهرا بها ، ثم انهزم عن مصر وعاد إلى الشام ونزل الرملة (١٣٠) ؛ ثم يذكر ابن خلدون - بعد قليل من الاستطراد - دخول المعز القاهرة سنة ٣٦٣ (١٣١) .

أما المقريزى ، فقد تناول الأحداث التى نحن بصددها فى أكثر من موضع أيضا ، وأمدنا - بما ينفرد به عن غيره - بالأماكن التى مر بها القرمطى وهو فى طريقه حتى وصوله إلى عين شمس ، وكذلك تاريخ نزوله عليها ، كما توسع قليلا فى إشارته إلى الأحداث بعد انهزام القرامطة إلى الشام ؛ فهو يذكر

---

(١٢٧) العبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

(١٢٨) كذا بالمتن عنده ؛ وراجع ما جاء هنا فيما بعد ، هـ ٢٠٥ بالفصل السادس.

(١٢٩) العبر ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

(١٣٠) العبر ، ج ٤ ، ص ٩٠ .

(١٣١) نفس المصدر والجزء والصفحة .

أولا أن القرامطة كبسوا القلزم فى ذى الحجة سنة ٣٦٠هـ (١٣٢) ؛ فى حين كبست الفرما فى المحرم سنة ٣٦١ هـ - بدون أن يحدد لنا اليوم الذى كبست فيه القرامطة القلزم والفرما - ويتبع القرامطة فى شهر المحرم أيضا فاول المغاربة المنهزمين حتى عين شمس ، من غير تحديد لليوم الذى وصل فيه هؤلاء المنهزمون إلى عين شمس ونزول القرامطة بها ، فى حين استعد جوهر لقتالهم ، فغلق أبواب الطابيــة وضبط الداخل والخارج ، ثم يذكر المقريزى بعد قليل التحام القتال مع القرامطة على باب القاهرة فى يوم الجمعة مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ونشوب القتـال حتى يوم الأحد ثالثه وإلى زوال الشمس فيه ، وانهزام الأعصم ليلا على طريق القلزم ، كما يشير المقريزى إلى وصول أبى محمد الحسن بن عمـار من المغرب فى عساكر من المغاربة فى غد ذلك اليوم أى الإثنين الرابع منه ، فى حـين يسير عسكر فى نفس اليوم لقتال أهل تنيس الذين كانوا قد عصوا وسودوا فى المحرم سنة ٣٦١ هـ ، كما يشير فى نفس الوقت إلى قتال العسكر الفاطمى لأهـل تنيس بعد عصيانهم ويذكر ما ألمحنا إليه منذ قليل من متابعـة القرامطة للمنهزمين من المغاربة حتى عين شمس(١٣٣) بعد أن وثبوا بواليهم فى شوال سنة ٣٦٠ هـ (١٣٤)؛ ويستطرد المقريزى فيشير - فى حوادث اليوم الرابع من شهر ربيع الأول سنـة سنة ٣٦١ هـ - إلى إنفاذ سعادة بن حيان إلى الرملة ، ثم يذكر فى حوادث شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ - بدون تحديد لليوم - موافاة الأسطول الفـاطمى مـن المغرب ومسيره إلى الشام حيث أسر وغنم من غير أن يعين المدن الساحلية التى

---

(١٣٢) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(١٣٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(١٣٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ١٢٩ .

سار إليها هذا الأسطول وتواريخ الأحداث المتصلة بذلك ، ويشير فى حوادث شهر رجب سنة ٣٦٢ هـ إلى مسير الحسن بن عمار - فى الأول من رجب هذا - إلى الحوف حيث واقع القرامطة هناك ، وينهى أخيرا المقريزى روايته بدخول المعز القاهرة فى يوم الثلاثاء ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ (١٣٥) .

وعند ذكره طرف من أخبار القرامطة ، يضيف المقريزى معلومات أخرى ، فبعد أن أشار إلى سقوط دمشق فى ٦ من ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ ومقتل ابن فلاح واستيلاء القرامطة على الرملة وحصارهم ليافا يذكر أن القرامطة تركوا على يافا من يحاصرها ، ثم يتكلم مباشرة عن نزول الحسن الأعصم على مصر فى أول ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ، ويختصر الكلام عن القتال بين الأعصم وجوهر ، إذ يهزمه جوهر على الخندق ، فيرحل القرمطى إلى الأحساء ، ثم ينفذ جوهر جيشا نحو يافا فيملكها الفاطميون ويتركها المحاصرون لها من القرامطة وينسحبون إلى دمشق وينزلون بظاهرها ، ثم يعود الحسن القرمطى من الأحساء وينزل الرملة ، كما يذكر المقريزى بعد ذلك أن القرمطى طرح مراكب فى البحر وشحنها بالمقاتلة وسيرها إلى تنيس وإلى غيرها من سواحل مصر ، وبعدها تأهب الحسن الأعصم للمسير مرة ثانية إلى مصر ، ثم ينهى المقريزى هذه الرواية ببداية المكاتبات بين المعز والحسن الأعصم بعد قدوم الخليفة الفاطمى إلى مصر(١٣٦) ، بدون تحديد للتواريخ المتصلة بهذه الأحداث فيما خلا ما ذكره عن مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ .

---

(١٣٥) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

(١٣٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٨٨ — ١٨٩

ويذكر المقريزى فى خططه تفاصيل أخرى ضافيه ، فيشير إلى نفس خط سير القرامطة منذ كبسوا القلزم فى ذى الحجة سنة ٣٦٠ ﻫ إلى نزولهم عين شمس ، ولكنه يغفل كبس الفرما فى المحـــرم سنة ٣٦١ ﻫ ، فى الوقت الذى يضيف إلى ذلك تحديداً لتاريخ بلوغ القرامطة عين شمس بالمحرم سنة ٣٦١ ﻫ ، كما يعين - علاوة على ذلك - تاريخ استعداد جوهر لقتال القرامطة وهو لعشر بقين من صفر سنة ٣٦١ ﻫ بأن غلق أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج ، وبعدها يذكر المقريزى نفس أخباره عن القتال بين القرامطة وجوهر على باب القاهرة ونفس التاريخ الذى بدأ فيه القتال وهو الجمعة مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ ﻫ حتى يوم الأحد الثالث منه إلى زوال الشمس فيه وكذلك انصراف الأعصم فى الليل على طريق القلزم فى نفس الليلة (١٣٧) ، فى حين يغفل بقية الأحداث التى مرت بنا الآن باستثناء ما كان من ذكره لخروج سعادة بن حيان إلى الرملة فى سنة ٣٦١ ﻫ واستيلائه عليها ، ثم إقبال القرمطى عليه ، وفرار سعادة منه إلى القاهرة (١٣٨) .

أما ابن تغرى بردى ، فهو يسوق - فى حوادث سنة ٣٦١ ﻫ ، فى ذكره للسنة الثالثة من ولاية جوهر - : « وفيها عاد الهجرى كبير القرامطة من الموصل إلى الشام ، وانصرفت المغاربة - أعنى عسكر العبيدية - إلى مصر ، ودخـــل القرمطى إلى دمشق ، وسار إلى الرملة (١٣٩) » بدون الإشـــارة إلى تواريخ

---

(١٣٧) الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(١٣٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(١٣٩) النجوم ، ج ٤ ، ص ٦٢ .

محددة . ونجد ابن تغرى بردى يضع الأحداث التى وقعت فى مصر بين القرامطة والفاطميين بعد إشارته إلى ما كان من توجـــه الحسن الأعصم الى بغـــداد للاستعانة بالخليفة العباسى وببختيار لإمداده بالمال والسلاح لطرد الفاطميـين من الشام ، وهى الأحداث التى مرت بنـــا فى وقائع سنة ٣٦٠ ه ، ولكن ابن تغرى بردى يضعها فى سياق حوادث سنة ٣٦٢ ه فى ترجمته المعز (١٤٠)، وهو ما سبق أشرنا إليه أيضا أكثر من مرة .

(١٤٠) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٧٤ — ٧٥ .



الفصل الخامس

كتابات المحدثين فى فتح الفاطميين للشام



الفصل الخامس

كتابات المحدثين

في فتح الفاطميين الشام

يمكن لنا أن نتبع نفس التقسيم الذى تناولنـا به الموضوع فى روايات المؤرخين القدامى ؛ فمن المحدثين من أرخ ابداية أحداث الفتح بعـام ٣٥٨ ﻫ ، ومنهم من حدد لذلك عام ٣٥٩ ﻫ . وعلاوة على هذا ، فمنهم من أغفل تماما السنة التى دخل فيها الفاطميون الشام .

فمن ذهب منهم إلى أن الفتح الفاطمى للشام قد بدأ بعام ٣٥٨ ﻫ ، كل من المؤرخ الفرنسى هورت Hourt [١] ، والدكتور على إبراهيـم حسن [٢] ، والمؤرخين الفرنسيين شارل ديل Charles Diehl وجورج مارسيـه [٣] Georges Marçais ، والدكتورين حسن إبراهيم وطه شرف [٤] ، والدكتور

---

(١) Haurt (CL.), Histoire des Arabes, t. I, p. 343, Paris 1912.

(٢) تاريخ جوهر الصقلى ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٣) Diehl (Charles) et Marçais (Georges), Histoire du Moyen Ages (t. III, Le Monde Oriental de 395 A 1081), p. 434, Paris 1936.

وسوف نشير إلى هذا المرجع — فيما يلى هنا من صفحـات — بعنـوان (Le Monde Oriental) .

(٤) المعز ، ص ٩٤ ؛ والدكتور حسن إبراهيم — منفردا — : تاريخ الدولة الفاطميـة ، ص ١٥٣ .

فيليب حتى (٥) Ph. Hitti ، والمستشرق سير هاملتون جب (٦) Hamilton Gibb ، والأستاذ تامر (٧) . إلا أننا نلاحظ أنهم جميعا لم يشيروا صراحة إلى تاريخ محدد لدخول الفاطميين الشام ، ولكن يمكن تحديد هذا التاريخ بما ذكروه من وقائع فى هذا العام أو بعده .

فنرى كل من ديل ومارسيه يذكران تاريخ دخول جوهر مصر فى عام ٩٦٩ م (٣٥٨ ه) ويشيران إلى أنه نفس العام الذى أنفذ فيه جوهر الجيوش لغزو الشام ، فى حين لا يتعرضان لوقعة الرملة ولا إلى الأحداث المتصلة بها .

ويشير هورت إلى استيلاء الفاطميين على دمشق فى عام ٣٥٩ ه ، وهو عنده العام التالى لدخولهم الشام ، فى نفس الوقت الذى يغفل فيه تاريخ سقوط الرملة فى يد الفاطميين .

ويمكن أن نستشف تاريخ دخول الفاطميين الشام فيما ذكره الدكتور على إبراهيم حسن عن تاريخ وصول جعفر بن فلاح إلى دمشق ، وذلك فى ١٠ ذى الحجة سنة ٣٥٨ ه ، ولم يبين مصادره ، فى حين لا يشير إلى تاريخ وقعة الرملة ولا تاريخ أسر ابن طغج ، ويستند فى هذه الأحداث الأخيرة

---

(٥) History of Syria, p. 579.

(٦) Gibb (Sir Hamilton, A. R.), The Caliphate and the Arab States, in : A History of the Crusades , ed . Kenneth M. Setton, vol. I, p. 88, University of Pennsylvania Press, Philadelphia 1958 .

(٧) القرامطة ، ص ١١٩ .

إلى ابن تغرى بردى(٨) .

أما الدكتوران حسن وشرف والأستاذ تامر ، فهم يحـــددون تاريخ الاستيلاء على الرملة وأسر ابن طغج بشهر ذى القعدة سنة ٣٥٨ هـ ، وهو نفس التاريخ الذى أورده الدكتور حسن إبراهيم منفـردا ـ فى كتـابه تاريخ الدولة الفاطمية ـ وإن لم يذكر وقعة الرملة تماما ، وإنما اكتفى بتسجيل إغارة ابن فلاح على الشام وإيقاعه بابن طغج فى التاريخ المشار إليه .

ويذكر الدكتور حتى أن جوهرا استطاع فى سنة ٩٦٩ م (٣٥٨هـ ، وهو عام فتح مصر) أن يطرد الإخشيديين من سورية ومصر(٩) ؛ كما يذكـر فى موضع آخر إنفاذ جوهر العساكر الفاطمية إلى الشام التى استولت على الرمـلة وأسرت صاحبها ، ولكنه لا يذكر تاريخ الوقعة ولا اسم ابن طغج(١٠) .

أما الملاحظة الأخيرة على رواياتهم جميعا فهى إغفالهم الإشارة إلى المصادر التى استأنسوا بها ، باستثناء الدكتور على إبراهيم فى كلامه عن وقعة الرمـلة ، ومع ملاحظة بأن الأستاذ جب يفرد قائمة بمراجعه ومصادره فى أسفل الصفحة من مقاله ولا يشير إليها فى الحواشى أو المتن ، كما لا يشير الأستاذ جب إلا إلى دخول الفاطميين دمشق فى نهاية عام ٩٦٩ م أى ما يقابل مفتتح عام ٣٥٩ هـ .

---

(٨) (فى : النجوم ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ ، من طبعة ليدن ١٨٥٥ م ؛ والذى يبدو أن ثمة خطأ مطبعيا فى إيراد هذه الصفحة ، إذ أن تعاقب رجوعه إلى نفس الجزء يشير إلى الصفحات بعد ص ٤٠٠ فى تسلسل الأحداث التالية . وما جاء فى طبعة دار الـكتب ـ ج ٤ ، ص ٢٦ ـ يشير صراحة إلى تاريخ الوقعة وأسر ابن طغج وهو شهر ذى الحجـة ٣٥٨ هـ بدون تحـديد اليوم ،فحين يسقط التاريخ كله فى رواية ابن تغرى بردى فى ص ٣٤ بهذا الجزء) .

(٩) راجع الهامش رقم ٥ بهذا الفصل .

(١٠) History of Syria, p. 563 .

أما الذين حددوا تاريخ دخول الجيوش الفاطمية الشام بعام ٣٥٩ هـ ، فهم الأستاذ محمد عبد الله عنان (١١) ـ وهو من المهتمين بالدراسات الإسلامية ، وله فى ذلك أبحاث ومؤلفات قيمة ـ والدكتور محمد جمال الدين سرور (١٢) ، والدكتور عمر كمال توفيق (١٣) .

ويتفق كل من الدكتور عمر كمال والأستاذ عنان فى أن ذلك كان فى الجزء الأول منها ، وهى السنة التى بدأت فى نوفمبر سنة ٩٦٩ م (١٤) ، فى حين يحدد الدكتور سرور ذلك بأوائل سنة ٣٥٩ هـ (١٥) ، وإن كان يحدده فى موضع آخر بأواخر هذه السنة (١٦) . ولم يذكر الأستاذ عنان وقعة الرملة وأسر ابن طغج ، وإنما يشير إلى هذا الدكتور سرور والدكتور عمر كمال وإن يغفل الأول تاريخ الوقعة وتاريخ أسر ابن طغج ، فى حين يؤرخ الثانى لتاريخ الاستيلاء على المدينة وأسر ابن طغج بمنتصف رجب سنة ٣٥٩ هـ (٢٤ مايو ٩٧٠ م) . أما عن المصادر ، فقد أغفل الأستاذ عنان مصادره وإن كان يبدو أنه ينقل عن المقريزى (١٧) ،

(١١) محمد عبد الله عنان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ص ٧٦ ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .

(١٢) النفوذ الفاطمى ، ص ١٧ ؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٨ .

(١٣) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٦٤ — ٦٥ .

(١٤) انظر ما جاء هنا بالفقرة التاليه و هـ ٢٠ بهذا الفصل .

(١٥) النفوذ الفاطمى ، ص ١٧ .

(١٦) سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٨ .

(١٧) لم يحدد من المؤرخين القدامى شهر المحرم سنه ٣٥٩ هـ تاريخا لإنفاذ الحملة الفاطمية إلى الشام سوى المقريزى كما نعلم . (راجع : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٠ ؛ وهى تقابل ص ١٢٨ من طبعه سنة ١٩٤٨ م ، وهي الطبعة التي سوف يرجع إليها الأستاذ عنان عن الأحداث التاليه) .

فى الوقت الذى أثبت فيه الدكتور سرور والدكتور عمر كمال مصدراً واحداً هو المقريزى (١٨) .

هذا ويحدد المؤرخ الإنجليزى لين بول Lane - Poole تاريخ غزو الشام بعام ٩٦٩ ميلادية (١٩)، ولانستطيع الجزم ما إذا كان يقصد بذلك عام ٣٥٨هـ أو ٣٥٩ هـ ، إذ لم يذكر شهر السنة الميلادية المذكورة لإمكان مقابلته بالشهر العربى ، خاصة إذا علمنا أن أول المحرم من عام ٣٥٩ هـ يوافق الرابع عشر من شهر نوفمبر سنة ٩٦٩ م (٢٠) ، هذا بالإضافة إلى أنه يلتزم عدم ذكر مصادره ويكتفى بإيراد ثبت بها فى أول كل فصل يعقده ، وهى هنا : ابن الأثير ، وابن خلكان ، وابن خلدون ، والمقريزى ، والمصادر الثلاثة الأولى تؤرخ لهذه الأحداث بعام ٣٥٨ هـ ، ولكن المقريزى يحدد لها عام ٣٥٩ هـ . كما نلاحظ أن لين بول لايذكر تاريخاً لسقوط الرملة فى يد ابن فلاح ولا لأسر ابن طغج (٢١) .

وعلاوة على هذا ، نلاحظ أن كلا من دى لاسى أو ليرى (٢٢)

---

(١٨) (فى : اتعاظ الحنفا ، طبعة سنة ١٩٤٨ . وقد أشار الدكتور سرور إلى ص ١٦٨ من هذه الطبعة لتحديد التاريخين اللذين أوردهما ، ويقابل هذه الصفحة فى طبعة سنة ١٩٦٧ : ج ١ ، ص ١٢٠ ؛ والأصح هو ماذكره فى كتابه النفوذ الفاطمى ؛ أما عن وقعة الرملة ، فهو يشير إلى ص ١٧١ من طبعة ١٩٤٨ م ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢١ من طبعة ١٩٦٧م . أما الدكتور عمر كمال ، فقد أثبت فى حاشيته رقم الصفحة ١٧٣ من طبعة ١٩٤٨ م للإشارة إلى تاريخ سقوط الرملة فى يد ابن فلاح ، ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٢ من طبعة ١٩٦٧ م).

(١٩) A History of Egypt, p. 158.

(٢٠) راجع التوفيقات الإلهامية .

(٢١) Op. cit., p. 105.

(٢٢) O'Leary, A Short History of the Fatimid Khalifate, p. 107.

De Lacy O'Ireary، والدكتور نقـولا زيادة (٢٣) ، والدكتور عـبد المنعم ماجد(٢٤)، لم يذكروا شيئا عن تاريخ دخول الفاطميين الشام، كما أغفلوا تحديد تاريخ لوقعة الرملة ووقوع ابن طغج فى الأسر ،ولم يشر منهم إلى مصادره سوى الدكتور ماجد الذى استأنس بالمقريزى(٢٥) .

وقد وضع المحدثون أيضا طبرية بعد الرملة فى خط سير الفتح الفاطمى للشام . فقد اتفق كل من الدكتور على إبراهيم(٢٦) والدكتورين حسن وشرف (٢٧) ، والدكتور سرور (٢٨) ، والدكتور عمر كمال (٢٩) ، والأستاذ تامر (٣٠) فى أن طبرية سقطت فى يد الفاطميين بدون قتال ، كما لا يذكرون أى تاريخ لسقوط المـــدينة فى يد ابن فلاح ، فى الوقت الذى لا يشيرون فيه إلى مصادرهم فيما عدا الدكتور عمر كمال الذى يرجع إلى المقريزى (٣١) .

ويتفق غالبية المحدثين على أن فتح دمشق وإقامة الخطبة بها للمعز قد تم فى

---

(٢٣) نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، (ضمن مجموعة الألف كتاب ، رقم ٩٧) ، ص ٤١، نشر دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٦ م.

(٢٤) ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١٠٩ .

(٢٥) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ ، طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٨٦ ، طبعة سنة ١٩٦٧م) .

(٢٦) جوهر الصقلى ، ص ٤٩ .

(٢٧) المعز ، ص ٩٤ ــ ٩٥ ؛ وحسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٥٣ .

(٢٨) النفوذ الفاطمى ، ص ١٨ ؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص١١٨ـ١١٩ .

(٢٩) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٦٥ ــ ٦٦ .

(٣٠) القرامطة ، ص ١١٩ .

(٣١) (فى اتعاظ الحنفا ، ص ١١٩ ، طبعة سنة ١٩٤٨م ؛ ويقابلها :ص ١٢٣ـ١٢٤ من طبعة ١٩٦٧م).

شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، وإن اختلفت هذه الغالبية فى بعض التفاصيل . فمن هؤلاء الدكتور على إبراهيم ، الذى يشير إلى أن قتالا نشب بين أهل دمشق والفاطميين بعد أن سارت جنود جعفر إلى دمشق إثر هزيمة بنى عقيل فى حوران ، واستمر القتال - كما يقول - طوال يوم الجمعة حتى غروب الشمس ، ولم يحدد أى يوم من أيام الجمع هذا ، ثم اشتد هذا القتال إثر وصول جعفر إلى دمشق فى ١٠ ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، وحملت المغاربة على جند الشام وهزموهم ، ثم دخلوا دمشق واستولوا عليها فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، وهو لا يحدد مصادره التى استأنس بها فيما يتصل بكل هذه المعلومات ؛ ثم يشير إلى الفتنة التى قامت بدمشق بعد أن عصا أهلها لما نزل بهم على يد المغاربة ، ثم إخماد هذه الفتنة وطلب أهل دمشق الأمان ، فرضى جعفر بعد إذلالهم ، ومصدره فى هذه الأحداث الأخيرة هو المقريزى (٣٢) ؛ ثم يذكر الاتفاق الذى وقع بين الطرفين بدخول جعفر دمشق ليصلى يوم الجمعة بجامعها ، ولم يحدد أى يوم جمعة هذا ، كما لم يذكر مصدره ؛ ودخل جعفر دمشق فى نفس يوم الجمعة وأقام الخطبة للخليفة الفاطمى فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، ولم يعين الدكتور على إبراهيم حسن أى يوم من أيام المحرم ، ورجع فى هذا إلى ابن تغرى بردى (٣٣) ؛ ويشير بعد ذلك إلى ثورة أخرى بالمدينة لم يحدد تاريخا لها ، طلب بعدها أهل دمشق الأمان من جديد (٣٤) ، ومصدره الذى رجع إليه فى هذه الواقعة الاخيرة هو

---

(٣٢) (ف : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٢ من طبعة القدس سنة ١٩٠٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ من طبعة ١٩٦٧ م) .

(٣٣) (ف : النجوم ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ من طبعة ليدن ؛ ويقابلها : ج ٤ ، ص ٣٣ من طبعة دار الكتب) .

(٣٤) جوهر الصقلى ، ص ٤٩ - ٥٠ .

المقريزى (٣٥) .

ويذكر الدكتوران حسن وشرف نفس هذه الوقائع ، إلا أنهما يحدد ان تاريخ القتال الذى نشب بين أهل دمشق وجنود جعفر بعد هزيمة بنى عقيل بأواخر شهر ذى الحجة من سنة ٣٥٨ هـ بدون ذكر تاريخ اليوم بهذا الشهر ، ومصدرهما فى هذا هو المقريزى نفسه الذى رجع إليه الدكتور على إبراهيم ، كما أنهما يحدد ان إقامة الخطبة للمعز بدمشق بأول جمعة من شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ بدون أن يذكرا مصادرهما (٣٦) ؛ فى حين يكتفى الدكتور حسن إبراهيم — حين يكتب منفردا — بالإشارة إلى إقامة الدعوة الفاطمية بطبرية ، ويقول عن جعفر ابن فلاح : « ثم استأنف السير إلى دمشق ، ودخلها فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ بعد أن لاقى من الأهلين قليلا من المقاومة . وفى يوم الجمعة التالى حذف اسم الخليفة العباسى من الخطبة وأقيمت للخليفة الفاطمى (٣٧) » ، ومصدره فى هـــذا هو أبو الفدا (٣٨).

وقـــد ذكر الأستاذ عبد الكريم غرايبة أولا أن الخطبة أقيمت للفاطميين بدمشق عام ٣٥٩ هـ بدون تحديد للشهر أو اليوم(٣٩) ، واستند فى ذلك إلى ابن

---

(٣٥) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٣ من طبعة القدس ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٥ من طبعة ١٩٦٧ م) .

(٣٦) المعز ، ص ٩٥ — ٩٧ .

(٣٧) تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٥٣ .

(٣٨) (فى : المختصر ، ج ٢ ، ص ١١٥ من طبعة القسطنطينية ١٢٨٦ هـ ؛ ويقابلها : ج ٢ ، ص ١٠٩ من طبعة القاهرة بالمطبعة الحسينية — بدون تاريخ — وهى الطبعـــة التى بين أيدينا) .

(٣٩) العرب والأتراك ، ص ٩٩ .

الأثير(٤٠) ؛ ولكنه يذكر فى موضع آخر أن احتلال دمشق وإقامة الخطبة للخليفة الفاطمى بها قدتما فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ(٤١) ، بدون إشارة إلى اليوم أو ذكر المصادر .

هذا ، ويشير الأستاذ تامر إلى مسير الفاطميين نحو دمشق بعد استيلائهم على طبرية وإلى نشوب عدة معارك دارت بين أهل دمشق والفاطميين فى سنة ٣٥٨ هـ بدون تحديد الشهور أو الأيام ، ثم يذكر عام ٣٥٩ هـ تاريخا لإقامة الخطبة الفاطميين بدمشق من غير أن يحدد أيضا الشهر أو يعين مصادره (٤٢) .

وهناك طائفة أخرى من المحدثين أغفلوا ذكر شهر المحرم من سنة ٣٥٩ هـ كتاريخ لسقوط دمشق فى يد الفاطميين ؛ منهم المؤرخ الفرنسى هورت الذى يحدد هذا العام تاريخا لدخول الفاطميين دمشق ولا يذكر مصادره (٤٣) ؛ ومنهم المستشرق جب الذى يحدد نهاية عام ٩٦٩ الميلادى تاريخا لذلك ، ولا يذكر الشهر أو مصادره (٤٤) ، مع ملاحظة أن أول المحرم من سنة ٣٥٩ هـ يوافق الرابع عشر من نوفمبر سنة ٩٦٩ م (٤٥) ؛ وبجانب الأستاذ جب ، هناك المستشرق لين بول الذى لا يذكر تاريخا للاستيلاء على دمشق ولا هوامش

---

(٤٠) (فى : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣ من طبعة بولاق ١٢٩٠ هـ - ١٣٠٢ هـ ؛ ويقابلها : ج ٨ ، ص ٢٣٣ من طبعة المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠١ هـ ، وهى الطبعة التى بين أيدينا) .

(٤١) العرب والأتراك ، ص ١٢١ .

(٤٢) القرامطة ، ص ١٩١ .

(٤٣) Histoire des Arabes. I, p. 343.

(٤٤) In : History of the Crusades, vol. I, p. 88.

(٤٥) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٧٧ ، و هـ ٢٠ بنفس هذا الفصل .

لمصادره (٤٦)، وإن كان يشير فى موضع آخر إلى أن الفاطميين دخلوا الشام فى عام ٩٦٩ للميلاد ولا يحدد شهراً بعينه (٤٧) ، وهذه السنة الميلادية تقع فى أواخر سنة ٣٥٨ هـ وتدخل فى أوائل سنة ٣٥٩ هـ ، كما لا يذكر مصادره .

وبعد أن يذكر الدكتور نقولا زيادة اتجاه جعفر بن فلاح مباشرة إلى دمشق بعد وقعة الرملة - مغفلا بذلك طبرية بينهما - يشير إلى أن ابن فلاح احتل دمشق فى عام ٩٦٩ م (٤٨) ، وهو تاريخ - كما أشرنا الآن - لا يحدد تماما السنة الهجرية التى تم فيها ذلك . ويحدد الدكتور ماجد سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م تاريخا لدخـــول جعفر بن فلاح دمشق ، ولكنه لا يذكر مصادره (٤٩) . أما المؤرخ أوليرى ، فهو يتفق مع الدكتور نقولا زيادة فيما يتصل بخط سير ابن فلاح ، إلا أنه لا يذكر أى تاريخ الاستيلاء على دمشق ، كما لا يشير إلى مصادره (٥٠) . ويشير الأستاذ عنان كذلك إلى استيلاء جعفر على دمشق ، ولكنه لا يذكر أى تاريخ أو مصدر (٥١) . كما يشير الأستاذ محمد كرد على إلى الوجـــود الفاطمى بدمشق عام ٣٥٩ هـ بدون أن يذكر تاريخ الاستيلاء على دمشق ، وذلك فى روايته عن مقاومة أهل دمشق بزعامة الشريف ابن أبى يعلى الفاطميين (٥٢) .

---

(٤٦) A History of Egypt, p. 105.

(٤٧) Op. cit., p. 158.

(٤٨) الرحالة العرب ، ص ١٤ .

(٤٩) ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١٠٩ .

(٥٠) A Short History, p. 108.

(٥١) الحاكم بأمر الله ، ص ٧٦ .

(٥٢) محمد كرد على ، غوطة دمشق ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، مطبـــوعات المجمع العلمى بدمشق ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

يبقى بعد هذا من المحدثين من حدد أواخر سنة ٣٥٩ هـ بداية للصدام الحربى بين أهل دمشق والفاطميين ؛ فالدكتور سرور يذكر نفس الأحداث التى أشرنا إليها فى كتابات كل من الدكتور على إبراهيم والدكتورين حسن وشرف ، ويعين تاريخ هذه الوقائع الأولى وكذلك الاستيلاء على دمشق بأواخر سنة ٣٥٩ هـ ، ولكنه لا يحدد الشهر ، ويعتمد فى هذا التاريخ على المقريزى (٥٣) ، ثم يذكر بعد هذا دخول جعفر فى أحد أيام الجمع من شهر المحرم سنة ٣٦٠ هـ (ولا يحدد أى جمعة من هذا الشهر) فى جامع دمشق ، حيث يقيم الخطبة للخليفة الفاطمى (٥٤) ، ويعتمد فى هذا على المقريزى (٥٥) .

أما الدكتور عمر كمال ، فهو يحدد نزول ابن فلاح على دمشق - وفى الشماسية بالذات - فى ١٠ ذى الحجة ٣٥٩ هـ ، ثم يذكر بعض الأحداث التى مرت بنا فى أكثر من موضع ، وينهى كلامه بالإشارة إلى دخول ابن فلاح دمشق وإقامة الخطبة بها للمعز بدون ذكر تاريخ لكلا الحادثين ، ويحدد المقريزى (٥٦) وابن الأثير (٥٧) مصدرين له ، ثم يضيف مستدركا فى إحدى حواشيه بما يفيد بأن

---

(٥٣) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٣ - ١٧٥ من طبعة سنة ١٩٤٨ م ، ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٣ - ١٢٥ من طبعة سنة ١٩٦٧ م).

(٥٤) النفوذ الفاطمى ، ص ١٨ - ١٩ ؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٥٥) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٦ من طبعة ١٩٤٨ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٥ من طبعة ١٩٦٧ م) ؛ راجع ماجاء هنا فيما بعد ، بالفصل السادس فيما جئنا به عند الإشارة إلى الهامش رقم (١٥٧) .

(٥٦) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٥ - ١٧٦ من طبعة سنة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ من طبعة سنة ١٩٦٧ م) .

(٥٧) (فى : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ من طبعة المطبعة الأزهرية ، وهى نفس النسخة التى بين أيدينا) .

الأثير جعل فتح دمشق فى ذى الحجة ٣٥٨ هـ والصواب – كما يقول – أن ذلك كان فى سنة ٣٥٩ هـ حسبما جاء فى اتعاظ الحنفا وتاريخ يحيى الأنطاكى (٥٨) .

أما عن محاولة الفاطميين فتح أنطاكية ، فقد انقسم المحدثون إلى فئتين . أما الفئة الأولى ، فقد أغفلت أى تواريخ تتصل بوقائع هذه المحاولة ، فى حين أوردت الفئة الثانية من التواريخ ما يتفق أو يتقارب أو يختلف .

فمن الذين أسقطوا تاريخ هـــذه المحـــاولة كل من الدكتورين حسن وشـرف (٥٩) ، والدكتور سرور (٦٠) ، والمستشرق جب (٦١) ، والأستاذ تامر (٦٢) . ولايشير الدكتوران حسن وشرف صراحة إلى إنفاذ جعفر غلامه فتوح إلى أنطاكية ، ولكنهما يكتفيان بمجـرد إشارة تفيـد ذلك وهمـا يتحدثان عن استدعاء ابن فلاح لجيوشه التى كانت تهـاجم أنطـاكية بدون أن يشيرا إلى السبب صراحة ، كما لايحدد ان مصادرها . فى حـين يذكر الدكتور سرور أن ابن فلاح جهـــز جيشا كبيرا ضم إليه جنودا من أعمـــال دمشق وفلسطين ، وصار يرسل الحملة بعد الحملة إلى أنطاكية لإجلاء الروم عنها ، ولكن هذه الحملات منيت بالفشل ، وهو فى كل هـــذا لايحدد مصادره ، ثم يشير إلى استدعاء ابن فلاح لجيوشه التى أرسلها إلى أنطاكية كى يتأهب لصدقوات الحسن

---

(٥٨) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٦٨ ، و هـ ١ بنفس الصفحة ؛ والصفحة التى أشار إليها فى تاريخ يحيى هى : ١٣٨ ؛ وراجع ما جاء هنا فيما بعد [بالفصل السادس فيما جئنا به عند الإشارة إلى الهامش رقم (١٥٨) .

(٥٩) المعز ، ص ١١٠ ؛ وقارن فيه أيضا : ص ٩٧ – ٩٩ .

(٦٠) النفوذ الفاطمى ، ص ٢٢ ، ٢٦ ؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخارجيـــة ، ص ١٢١ – ١٢٢ ، ١٢٥ .

(٦١) in : History of the Crusades, vol. I, p. 88.

(٦٢) القرامطة ، ص ١١٩ .

القرمطى التى كانت تتجه إلى الشام فى ذلك الوقت ، وقد رجع الدكتور سرور فى هذا إلى المقريزى (٦٣) . أما المستشرق جب ، فقد اكتفى بالإشارة إلى حصار العساكر الفاطمية للبيزنطيين فى أنطاكية مدة خمسة أشهر ، ولم يحدد ما استأنس به من مصادر . وكذلك يكتفى الأستاذ تامر بمجرد ذكر محاولة ابن فلاح وهو بدمشق استرداد أنطاكية ، ولا يشير هو الآخر إلى المصادر التى اعتمد عليها .

أما الطائفة الأخرى من المحدثين ، فمنهم المؤرخ فنلى Finlay الذى لا يشير إلى تاريخ إنفاذ الجيوش الفاطمية إلى أنطاكية من دمشق بالذات ، ولكنه يذكر أن النجاح المتواصل الذى لاقته الجيوش البيزنطية فى تلك الفترة قد أزعج أمراء المسلمين بالمنطقة ودفعهم إلى تكوين تحالف فيما بينهم لاستعادة أنطاكية ، وأنيطت قيادة الجيش إلى جوهر قائد الفاطميين بمصر ، ولكن الهزيمة حلت بهذا الجيش المتحالف ، ولا يحدد فنلى تاريخا لكل ذلك ، ولكنه يذكر عام ٩٧٣ م - الذى يوافق الأول من يناير منه ٢٣ ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ (٦٤) - تاليا للأحداث المذكورة (٦٥) ، بمعنى أن الوقائع التى يتكلم عنها تقع فى عام ٩٧٢ م الذى يقابل الأول من يناير منه ١١ ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ (٦٦) ، ويرجع فنلى فى هذه الوقائع الخاصة بأنطاكية فى عام ٩٧٢ م إلى سيدريوس

---

(٦٣) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٨ من طبعة ١٩٤٨ م ، ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٦ من طبعة ١٩٦٧ م) .

(٦٤) راجع : التوفيقات الإلهامية .

(٦٥) History of the Byzantine Empire, pp. 331 — 2.

(٦٦) راجع : التوفيقات الإلهامية .

Cedrenus (٦٧) ويذكر فازيلييف Vasiliev أن الخليفة الفاطمي المعز في مصر(٦٨) أنفذ في عام ٩٧١ م / ٣٦١ هـ أحد قواده للاستيلاء على أنطاكية التي تعرضت لحصار شديد على يديه ، ولم يخلصها سوى هجوم مفاجيء شنه القرامطة على الجيوش المصرية الذين اضطروا إلى رفع الحصار ، ثم اشتدوا راجعين إلى الجنوب (٦٩) ، ولم يحدد فازيلييف مصادره . وذكر المستشرق كنار Canard أن ابن فلاح أنفذ غلامه فتوح في عام ٣٦٠ هـ/ ٩٧١ م ، فحاصر أنطاكية مدة خمسة أشهر بدون طائل ، ولم يشر كنار إلى مصادره (٧٠)، إلا أنه يعود فيذكر هذه الواقعة في موضع آخر فيورد نفس التاريخ الهجري ولكنه يضع هـذا التاريخ بجانب السنة الميلادية ٩٧٠ - ٩٧١ ، ولا يشير إلى ابن فلاح أو فتوح ، في حين ينص على الأشهر الخمسة التي دام خلالها الحصار الفاشل (٧١) . ومصدره في هذا هو يحيي (٧٢) . أما الدكتور أسد رستم ، فقد اكتفى بعبارة واحدة تشير إلى هذه الأحداث ، وذلك في قوله : «وكان جوهر قد أنفذ جيشا إلى أنطاكية ، فحاصرها خمسة أشهر خلال السنة ٩٧٠ - ٩٧١ م (٧٣) » - مع

---

(٦٧) في (Historiarum Compendium, ed. Bekker, I : (Corpus : Scriptorum Historiae Byzantinae), pp. 666, Bonn 1838).

(٦٨) النص عند فازيلييف : (The Egyptian Fatimid Mu' izz)

(٦٩) in : C. M. H., vol. IV, p. 147.

(٧٠) Histoire de la Dyn. des Hamd., 1, p. 679.

(٧١) Op. cit., p. 837.

(٧٢) (في: تاريخه ، ص ٢٤٧ من الطبعة التي بين يديه ، ويقابلها : ص ١٣٨ - ١٣٩ من طبعة بيروت ١٩٠٩ م التي بين أيدينا) .

(٧٣) العرب والروم ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

ملاحظة أن آخر ديسمبر سنة ٩٧٠ م يوافق ٢٨ صفر سنة ٣٦٠ هـ (٧٤) . وقد رجع الدكتور رستم فى ذلك إلى شلومبرجيه (٧٥) Schlumberger . ولا يذكر المؤرخ استروجورسكى Ostrogorsky عن الموضوع شيئا سوى مهاجمة الفاطميين لأنطاكية فى أوائل سنة ٩٧١ م (٧٦) ، التى يقابل الأول من يناير منها ٢٩ صفر سنة ٣٦٠ (٧٧) هـ ، كما لم يشر إلى ما استأنس به من مراجع ، مع ملاحظة أنه يذكر ثبتا بها فى أول كل قسم من كل فصل .

وقد حدد الدكتور السيد عبد العزيز سالم عام ٣٦٠ هـ تاريخا لتسيير ابن فلاح من دمشق عسكرا عليه فتوح غلامه إلى أنطاكية ، فنازلها خمسة أشهر ، بيد أنها استعصت عليه ، فاضطر فتوح إلى العودة إلى دمشق عندما استدعاه جعفر لمواجهة الخطر القرمطى المرتقب(٧٨) ؛ وقد رجع الدكتور سالم فيما يتصل بكل هذه الأحداث إلى المقريزى (٧٩) ويحيى الأنطاكى (٨٠) .

---

(٧٤) راجع : التوفيقات الإلهامية .

(٧٥) (ق : L'Epopée Byzantine a la Fin du Dixiéme Siècle, vol. I, pp. 222 - 3, Paris 1896)

(٧٦) History of the Byzantine State, p. 263 ؛ وراجع الهامش رقم ٨٤ بهذا الفصل .

(٧٧) راجع : التوفيقات الإلهامية .

(٧٨) السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ، ص ٤٨ ، نشر دار المعارف بمصر ، مطابع رمسيس ، الإسكندرية ١٩٦٧ م .

(٧٩) (ق : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٨ من طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٦ من طبعة ١٩٦٧ م) .

(٨٠) (ق : تاريخه ، ص ١٣٩) .

أما الدكتور عمر كمال، فقد أسهب - دون بقية المحدثين - فى ذكر الأحداث التى تتصل بمحاصرة الفاطميين لأنطـاكية، وانفرد عنهم بإشارته إلى وصول العسكر الفاطمى إلى مشارف الإسكندرونة، ومايهمنا أن نشير إليه هنا هو تحديده شهر ربيع الأول سنة ٣٦٠ هـ / يناير ٩٧١ م تاريخا لإنفاذ ابن فلاح اغلامه فتوح على رأس جيش لمنازلة أنطاكية ومحاولة الاستيلاء عليها، ثم ذكره فشل فتوح بسبب مقاومة البيزنطيين. هذا إلى جانب الظروف التى اضطرت جعفر إلى استدعائه إلى دمشق والتى تتلخص فى وصول الأخبار إلى ابن فلاح باستعداد الحسن الأعصم لقتاله، ولم يلبث فتوح أن عاد مسرعا بقواته إلى دمشق، ثم أخذ ابن فلاح يستعد لمواجهة هجوم القرامطة المنتظر (٨١)؛ ويرجع الدكتور عمر كمال فى كل هذه الوقائع إلى المقريزى (٨٢)، كما يذكر ابن الأثير (٨٣) وماجاء لسبط ابن الجوزى فيما ألحقه المستشرق آمدروز مفتتحا به تاريخ ابن القلانسى (٨٤) مصدرين له فى بعض الأحداث المتصلة بالوقائع قبل وبعد محاصرة أنطاكية. ويشير الدكتور عمر كمال مرة أخرى إلى أنطاكية فى نفس التاريخ الذى ذكره من قبل، ويضيف أن جعفرا جمع لهذا الهجوم المحاربين من أعمال دمشق وطبرية وفلسطين، ثم يحدد الوقت الذى استغرقه حصار فتوح لأنطاكية بخمسة أشهر، ويذكر كذلك تدعيم قوات فتوح بوصول مدد مكون من أربعة آلاف مقاتل، كما يشير - وهو ما انفرد به عن غيره من المحدثين

(٨١) مقدمات العدوان الصليبى، ص ٦٨ — ٦٩، هـ ١ بالصفحة ٦٩، ٧٢.

(٨٢) (فى: اتعاظ الحنفا، ص ١٧٧، ١٧٨ من طبعة ١٩٤٨، ويقابلها: ج ١ ص ١٢٦ من طبعه ١٩٦٧ م).

(٨٣) (فى: الكامل، ج ٨، ص ٢٤٢).

(٨٤) (فى: ذيل تاريخ دمشق، ص ١ — ٢).

كما ذكرنا ـ إلى تقدم بعض القوات الفاطمية إلى الإسكندرونة ويرجح أنها قامت لمواجهة بعض النجدات البيزنطية قبل وصولها إلى أنطاكية ، وبعدها تقابل الفريقان فلحقت الهزيمة بالفاطميين ، وانسحب الفاطميون على أثر ذلك من أنطاكية إلى دمشق (٨٥) ؛ وقد استأنس الدكتور عمر كمال فى كل ذلك بالمقريزى (٨٦) ، كما أشار إلى يحيى الأنطاكى (٨٧) فى بعض هذه الأحداث .

ويجمع معظم المحدثين ـ مثل غالبية القدامى ـ على أن السبب الرئيسى أو المباشر للصدام الحربى الذى وقع بين القرامطة والفاطميين إنما كان نتيجة لقطع المال المقرر على دمشق الإخشيدية بعد أن استولى عليها الفاطميون . وتذكر الفئة القليلة من هؤلاء المحدثين قيمة المبلغ الذى فرضه القرامطة على دمشق ، وهى ثلاثمائة ألف دينار ، وقد نص على ذلك كل من الدكتور على إبراهيم (٨٨) والدكتور حسن إبراهيم (٨٩) ـ الذى لا يذكر المبلغ فى أول الأمر ولكنه يعود فى موضع آخر ليحدده ، فى حين لم يشر كلاهما إلى مصادره ـ كما نص عليه الأستاذ غرابية (٩٠) الذى اعتمد ما جاء لسبط ابن الجوزى فيما ألحقه المستشرق آمدروز مقتنصا به تاريخ ابن القلانسى (٩١) وابن الأثير (٩٢)

---

(٨٥) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(٨٦) راجع الهامش رقم ٨٢ بهذا الفصل .

(٨٧) (فى : تاريخه ، ص ١٣٩) .

(٨٨) تاريخ جوهر ، ص ٥٣ .

(٨٩) تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٥٣ ، ٣٩٥ (على التوالى) .

(٩٠) العرب والأتراك ، ص ١٢١ .

(٩١) (فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١) .

(٩٢) (فى : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١٢ من طبعة بولاق ١٢٩٠ ويقابلها : ج ٨ ، ص ٢٤٢ من طبعة المطبعة الأزهرية) .

والمقريزى (٩٣) مصادرله . أما الدكتور عمر كمال ، فلا يذكر قيمة هذه الجزية فى موضعها (٩٤) ، ولكنه يشير إلى مبلغهـا عند كلامه عن فتح القرامطة لدمشق والرملة فى ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ (٩٥) وفرضهم جـزية سنوية على الإخشيديين قـدرها مائة وخمسة وعشرون ألف دينار مصرى(٩٦) كما ينقل عن يحيى الأنطاكى(٩٧) أو ثلاثمائة ألف دينار(٩٨) استشهادا بما جاء لسبط ابن الجوزى فى مفتتح تاريخ ابن القلانسى(٩٩) .

أما الذين لم يذكروا قيمة هـذه الأتاوة أو الجزية ، فنهم من لم يذكر مصادره ، مثل المستشرق لين بول (١٠٠) والمؤرخ هورت(١٠١) ، والمـؤرخ أوليرى (١٠٢) ، والدكتورين حسن وشرف (١٠٣) ـ الذين حددا بدء الصدام بين القرامطة والفاطميين لهـذا السبب بسنة ٣٥٩ هـ ، والأستاذ تامر (١٠٤).

(٩٣) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٢ إلى ص ١٨٤ من طبعـة ١٩٤٨ م ؛ ولا يقع الشاهد فيما بين هاتين الصفحتين ، وإنما ذكر المبلغ فى ص ٢٤٨ من هذه الطبعة ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٨٦ – ١٨٧ من طبعة ١٩٦٧ م).

(٩٤) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٧١ .

(٩٥) نفس المرجع ، ص ٦٠ ، و هـ ٣ بنفس الصفحة .

(٩٦) نفس المرجع ، ص ٦٠ ، هـ ٢ .

(٩٧) (فى : تاريخه ، ص ١٣٢)

(٩٨) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٦٠ ، هـ ٢ .

(٩٩) (فى :ذيل تاريخ دمشق ، ص ١) .

(١٠٠) A History of Egypt, p. 105.

(١٠١) Histoire des Arabes, I, p. 343.

(١٠٢) A Short History, p. 108.

(١٠٣) المعز ، ص ١٠٣ .

(١٠٤) القرامطه ، ص ١١٥ .

ومنهم من ذكر هذه المصادر ، وهم الدكتور ســرور (١٠٥) ومصدره المقريزى (١٠٦)، والدكتور ماجد (١٠٧) وقد رجع إلى نص سبط ابن الجوزى المشار إليه فى مفتتح تاريخ ابن القلانسى (١٠٨) ، والدكتور سالم (١٠٩) مستأنسا بابن تغرى بردى (١١٠) ، والدكتور سالم أيضا – فى موضع آخر – (١١١) اعتمادا على نص سبط ابن الجوزى المشار إليه فى مفتتح تاريخ ابن القلانسى (١١٢) .

أما عن تطور الأحداث منذ استعداد الأعصم للتوجه إلى الشام وحتى قدوم المعز لمصر ، فثمة شبه إجماع بين المحدثين على مجرياتها وإن اختلفوا فى بعض تفاصيلها . ونلاحظ فى هذا الصدد أن منهم من أسهب وأطال ، ومنهم من أوجز ، فى حين اكتفى البعض بمجرد إشارة عابرة .

أما الذين تناولوا الموضوع بإفاضة ؛ فهم المستشرق لــين بول (١١٣) ،

---

(١٠٥) النفوذ الفاطمى ، ص ٢٢ ؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص١٢٢ .

(١٠٦) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٧ من طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ من طبعة ١٩٦٧م) .

(١٠٧) ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١١٥ .

(١٠٨) (فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١) .

(١٠٩) السيد عبد العزيز سالم ، دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى ، ص ٦٩ ، بيروت ١٩٧٠ ؛وسوف نشير إلى هذا المرجع — فيمايلى هنا من صفحات — باسم : (صيدا) .

(١١٠) (فى : النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٤) .

(١١١) فى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٩٥ .

(١١٢) (فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١) .

(١١٣) Op. cit., pp. 106 — 8.

والمؤرخ أوليرى (١١٤) والدكتور على إبراهيم (١١٥) ، والدكتوران حسن وشرف (١١٦) ، والدكتور سـرور (١١٧)، والدكتور حسن إبراهيم (١١٨) - منفردا - ، والدكتور عمر كمال (١١٩) ، والدكتور ماجـد (١٢٠) ، والأستاذ تامر (١٢١) . وأما من أوجـز فهم كل من الأستاذ عنـان (١٢٢)، والأستاذ غرايبة (١٢٣) ، والدكتور سالم (١٢٤) . فى حين لم يفرد للأحداث سوى أسطر قليلة كل من المؤرخ هورت (١٢٥) ، والدكتور حتى ،(١٢٦) والدكتور نقولا زيادة (١٢٧) ، والمستشرق جب (١٢٨) .

---

(١١٤) Op. cit., pp. 108 — 10.

(١١٥) تاريخ جوهر ، ص ٥٣—٥٤ ، ٥٧ — ٦٠ .

(١١٦) المعز ، ص ١٠٣ — ١١٥ ، ١١٨ .

(١١٧) النفوذ الفاطمى ، ص ٢٢ — ٣١ ؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٢٢ — ١٢٨ .

(١١٨) تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٥٣ — ١٥٤ ، ٣٩٥ — ٣٩٧ .

(١١٩) مقدمات العدوان الصليبي ، ص ٧١ — ٧٥ .

(١٢٠) ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١١٥ — ١١٦ .

(١٢١) القرامطه ، ص ١١٥ ، ١٢٠ — ١٢٣ .

(١٢٢) الحاكم بأمر الله ، ٧٦ — ٧٧ .

(١٢٣) العرب والأتراك ، ص١٢١ — ١٢٢ .

(١٢٤) صيدا ، ص ٦٩ ؛ وله أيضا ، فى : تاريخ البحرية الإسلاميه فى مصر والشام ، ص ٩٥ - ٩٦ ، ٩٧ .

(١٢٥) Op. cit., I, pp. 343 — 4.

(١٢٦) Op. cit., p. 579; see also p. 577.

(١٢٧) الرحالة العرب ، ص ١٤ .

(١٢٨) in : History of the Crusades, I, p. 88.

ويتبع جميع من ذكرناهم الآن نفس تسلسل الأحداث الذى أوردته معظم المصادر التى تعرضت للموضوع ، إذ يشيرون إلى طلب الحسن الأعصم العون والمدد من القوى المعادية للفاطميين - باستثناء البيزنطيين - ، وينص المستشرق لين بول فى هذا الصدد على رفض الخليفة المطيع الاستجابة لطلب القرامطة ، وإمداد الأمير بختيار البويهى الأعصم بالسلاح والمال ، كما يزوده أبو تغلب الحمدانى من الرحبة بالرجال ، فيسير الأعصم - وقد إنضاف إليه من القبائل العربية رجال من عقيل وغيرهم - نحو دمشق حيث يهزم الفاطميين ويقتل القائد جعفر بن فلاح ويدخل دمشق (١٢٩) . ويذكر المستشرق أوليرى نفس التفاصيل إلا أنه يسقط من كلامه ذكر السلاح والمال والرجال وأسماء القبائل ومقتل ابن فلاح (١٣٠) ، ولم يحدد كلاهما أى تواريخ تتصل بالأحداث أو مصادرهما .

أما الدكتور على إبراهيم ، فهو يقرر رفض كل من المطيع وبنى بويه عقد التحالف الذى تقدم به الحسن الأعصم ، بينما يقبله أمير الرحبة - بدون أن يعين اسمه - وكذلك بعض القبائل العربية ، وقد رجع الدكتور على إبراهيم فى هذا إلى ابى الفدا (١٣١) ، ثم ينص على هزيمة جعفر وأسره ثم قتله فى ٦ ذى الحجة

---

(١٢٩) Op. cit., p. 106.

(١٣٠) Op. cit., p. 108.

(١٣١) (ف : المختصر ، ج ٢ ، ص٣٢٥ ، ٣٥٠ ، ٥٠٩ ؛ وليس فى النسخة التى بين أيدينا ذكر لهذه الوقائع فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ) ؛ راجع مافات هنا من قبل ، ص ١٥٤ و هـ ٨٤ بالفصل الرابع ؛ وماجاء هنا فيما بعد عند إشارتنا إلى الهامش رقم (٢٢١) والهامش رقم (٢٢٢) بالفصل السادس .

سنة ٣٦٠ هـ(١٣٢)،معتمداً فى تحديد هذا التاريخ على ابن خلكان (١٣٣) .

ويحدد الدكتوران حسن وشرف عام ٣٦٠ هـ تاريخاً لاستعانة الأعصم بالمطيع العباسى ، ويوردان رواية ابن تغرى بردى (١٣٤) عن مسير الأعصم بنفسه إلى بغداد لسؤال المطيع بالله على لسان بختيار إمداده بالمـــال والرجال ، ويستبعدان رفض المطيع لطلب الأعصم استناداً إلى ماذكره سبط ابن الجوزى الملحق بتاريخ ابن القلانسى (١٣٥) من إنفاذ القرامطة رسولا عنهم إلى بختيار فى طلب المساعدة بالمال والرجال ، ثم يشيران - على هذا - بترحيب بغداد بهذا التحالف الجديد وإمدادها القرامطة بالمال والسلاح والرجال ، كما أمرت بغداد أتباعها الحمدانيين بالتعاون مع الأعصم ، بينما سمح الحمدانيون لجنودهم بالتطوع فى جيش الأعصم كما شجعوا فلول الإخشيدية على الانضواء تحت لوائه ، علاوة على من انضم إلى الأعصم من الأعراب ، ولم يحدد الدكتوران حسن وشرف أى تواريخ لهذه الأحداث كما لم يذكرا مصادرهما عنها (١٣٦) ؛ ثم يذكران مسير الأعصم إلى الكوفة ومراسلة بختيار الذى ينفذ إليه خزائن السلاح من بغداد ويكتب له على أبى تغلب الحمدانى قدراً من المال ، فيرحل الحسن من الكوفة حتى يأتى الرحبة فيحمل إليه أبو تغلب المال والعلوفة ، ومن الملاحظ أنهما لايذكران أيضاً التواريخ المتصلة بهذه الأحـــداث ؛ بينما يشيران إلى

(١٣٢) تاريخ جوهر ، ص ٥٣ — ٥٤ .

(١٣٣) فى : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٤١ من طبعة القاهرة ١٣١٠ هـ ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ٣١٢ من طبعة محيى الدين عبدالحميد التى بين أيدينا) ؛ انظر ماجاء هنا فيما بعد عند إشارتنا إلى الهامش رقم (٢٢٧) بالفصل السادس .

(١٣٤) (فى : النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٤) .

(١٣٥) (فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١)

(١٣٦) المعز ، ص ١٠٧ — ١٠٩ .

مصدرهما فى هذا الصدد وهـــو النويرى (١٣٧) ؛ ويذكر الدكتوران حسن وشرف بعد ذلك مكان اللقاء بين الأعصم وابن فلاح ، ويحددان لذلك الدكة على نهر يزيد قرب دمشق ، وهزيمة ابن فلاح فى شهر ذى الحجة سنة ٣٦٠ هـ ، ويشيران إلى استدعاء جعفر قبل تلك الوقعة لغلامه فتوح — وهـــو عندهما أبو فتوح — ، ثم يذكران مقتل ابن فلاح والاستيلاء على دمشق فى التاريخ المذكور ، ولم يذكرا مصادرهما (١٣٨) بينما يذكر الدكتور حسن إبراهيم - منفردا فى كتابه تاريخ الدولة الفاطمية - نفس المعلومات باختصار ولكنه يحدد تاريخين لمقتل ابن فلاح ، فهو أولا السادس من ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ الموافق سبتمبر ٩٧١ م (١٣٩) نقلا عن ابن خلكان (١٤٠) ، وهو ثانيا السادس من ذى الحجة سنة ٣٦٠ هـ (١٤١) نقلا عن ابن خلكان (١٤٢) أيضا .

أما الدكتور سرور ، فهو يذكر نفس المعلومات ، ويضـــع عام ٣٦٠ هـ تاريخا لاتصال الأعصم بكل من المطيع وبختيار ، ومصدره فى ذلك ابن تغرى

---

(١٣٧) (فى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ورقة ٩٠) .

(١٣٨) المعز ، ص ١٠٩ — ١١١ .

(١٣٩) ١٥٣ — ١٥٤ .

(١٤٠) (فى : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٤١ من طبعة لم يحدد تاريخا لهـا أو مكانا لطبعها ، والذى بين أيدينا : ج ١ ، ص ٣١٢ من طبعة محيى الدين عبد الحميد) .

(١٤١) ص ٣٩٦ .

(١٤٢) (فى : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١١٣ ، من طبعة أخرى فيما يبدو بين يديه ولم يذكر لها تاريخا أو مكانا للطبع ، وما بين أيدينا هو الذى ذكرناه بالهامش رقم ١٤٠ السابق) ؛ وراجع ما جاء هنا فيما بعد فى الفقرة التالية مباشرة للهامش رقم (٢٢٨) بالفصل السادس .

بردى (١٤٣)، ولكنه لا يذكر رفض المطيع لطلب الأعصم(١٤٤)، ويرجع إلى نص سبط ابن الجوزى الملحق بتاريخ ابن القلانسى (١٤٥) فى ترحيب بختيار بإمداد الأعصم بالسلاح والمال (١٤٦)، كما يستأنس بالنويرى(١٤٧) فى طلب بختيار من الحمدانيين بالموصل إمداد القرمطى بالمال (١٤٨)، ويرجع إلى المقريزى (١٤٩) بصدد إمداد أبى تغلب القرمطى بالأموال والرجال من الإخشيدية (١٥٠)، فى حين يذكر انضمام فريق من العقيليين إلى الأعصم (١٥١) نقلا عن الدكتور حسن شرف (١٥٢) ثم يشير الدكتور سرور إلى اتجاه الحسن الأعصم إلى دمشق فى عام ٣٦٠هـ(١٥٣) معتمدا فى ذلك على ابن تغرى بردى (١٥٤)، وينتقل بعد هذا إلى قيام جعفر بن فلاح باستدعاء الحملة التى كان أنفذها إلى أنطاكية وتأهبه للقاء القرامطة

---

(١٤٣) (فى: النجوم، ج ٤ ص ٧٤).

(١٤٤) النفوذ الفاطمى، ص ٢٤؛ وله أيضا: سياسة الفاطميين الخارجيه، ص١٢٣.

(١٤٥) (فى: ذيل تاريخ دمشق، ص ١).

(١٤٦) النفوذ الفاطمى، ص ٢٤ — ٢٥؛ وله أيضا: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١٢٣ — ١٢٤.

(١٤٧) (فى: نهاية الأرب، ج ٢٣، ورقة ٩٠).

(١٤٨) النفوذ الفاطمى، ص ٢٥؛ وله أيضا: سياسه الفاطميين الخارجية، ص ١٢٤.

(١٤٩) (فى: اتعاظ الحنفا، ص ١٧٨ من طبعة ١٩٤٨ م؛ ويقابلها: ج ١؛ ص ١٢٦ من طبعة ١٩٦٧).

(١٥٠) راجع الهامش رقم ١٤٨ فى هذا الفصل.

(١٥١) نفس المرجعين السابقين.

(١٥٢) (فى: المعز، ص ١٠٩).

(١٥٣) النفوذ الفاطمى، ص ٢٦؛ وله أيضا: سياسة الفاطميين الخارجيه، ص ١٢٤.

(١٥٤) انظر الهامش رقم ١٤٣ فى هذا الفصل.

ثم الاشتباك ناحية الدكة وهزيمة جعفر ومصرعه وما تبع ذلك من استيلائهم على دمشق فى سنة ٣٦٠هـ(١٥٥)، بدون أن يورد أى تواريخ محددة، بينما يعتمد فى كل هذا على المقريزى(١٥٦).

ويسجل لنا الدكتور عمر كمال نفس الوقائع، إلا أنه يذكر مراسلة الأعصم بغداد لطلب المساعدة، ويروى ما أشار إليه ابن تغرى بردى(١٥٧) من رفض المطيع لطلب الأعصم، بينما يرجع إلى نص سبط ابن الجوزى الملحق بتاريخ ابن القلانسى(١٥٨) فى إمداد بختيار للقرمطى بالسلاح والمال ويشرح نوع هذه المساعدة، كما يستأنس بالمقريزى(١٥٩) فى مكاتبة بختيار لأبى تغلب بالموصل بإمداد القرمطى بقدر من المال وكذلك فى تقدم الأعصم بجيشه بعد ذلك مع من انضم إليه من الإخشيدية الذين كانوا قد لجأوا إلى أبى تغلب(١٦٠). ثم يشير الدكتور عمر كمال إلى إرسال جعفر لغلامه فتوح يستدعيه من أنطاكية لما بلغه استعدادات الأعصم، كما يذكر استعداد جعفر لمواجهة هجوم القرامطة، ثم وصولهم ونشوب معركة حاسمة بالدكة وهزيمة الفاطميين ثم مقتل ابن فلاح ودخول الأعصم دمشق فى ٦ ذى القعدة سنة ٣٦٠هـ الموافق

---

(١٥٥) النفوذ الفاطمى، ص ٢٦؛ وله أيضا: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١٢٥.

(١٥٦) (فى: اتعاظ الحنفا، ص ١٧٨ من طبعة ١٩٤٨م)؛ ويقابلها: ج ١ ص ١٢٧ من طبعة ١٩٦٧م).

(١٥٧) (فى: النجوم، ج ٤، ص ٧٤).

(١٥٨) (فى: ذيل تاريخ دمشق، ص ١).

(١٥٩) (فى: اتعاظ الحنفا، ص ١٧٨ من طبعة سنة ١٩٤٨م؛ ويقابلها: ج ١، ص ١٢٦ — ١٢٧ من طبعة ١٩٦٧م).

(١٦٠) مقدمات العدوان الصليبى، ص ٧١ — ٧٢.

٢١ أغسطس سنة ٩٧١ م (١٦١)، ومصدره فى كل ذلك المقـــريزى(١٦٢)، كما أضاف إليه نص سبط ابن الجوزى الملحق بتاريخ ابن القلانسى (١٦٣) وابن الأثير (١٦٤) وإن لم يحددا هذا التاريخ.

أما عن الدكتور ماجد، فهو يذكر اتفاق الحسن الأعصم مع البويهيين ـ نقلا عن النويرى (١٦٥) ـ، ومع الحمدانيين فى شمالى الجزيرة والشام مستأنسا فى ذلك بابن تغرى بردى (١٦٦)، كما يذكر إنفاذ الأعصم المراكب لقتال الفاطميين ويرجح أنها جاءت فى البحر الأحمر، ويعلل الدكتور ماجد ذلك بأن القرامطة كانوا يسيطرون على الجزيرة العربية من أيام أبى طاهر القرمطى، وهو فى كل هذا لا يذكر التواريخ والمصادر، ثم يشير إلى نجاح الأعصم فى طرد الجيش الفاطمى من الشام ومقتل جعفر بن فلاح بدمشق فى سنة ٣٦٠ هـ/٩٧١م، ومصدره فى هذه الأحداث الأخيرة كل من ابن خلكان (١٦٧) والمقريزى (١٦٨)

---

(١٦١) نفس المرجع، ص ٧٢.

(١٦٢) راجع الهامش رقم ١٥٩ فى هذا الفصل.

(١٦٣) (فى : ذيل تاريخ دمشق، ص ١ — ٢)

(١٦٤) (فى : الكامل، ج ٨، ص ٢٤٢).

(١٦٥) (فى : نهاية الأرب، ج ٢٣، ورقة ٩٥ ومابعدها).

(١٦٦) (فى : النجوم، ج ٤، ص ٣٢٦)؛ ولكن راجع ما جاء هنا فيما أوردناه عند النص على الحاشية رقم (٢٢٥) بالفصل السادس، وما علقنا به فى الحاشية المذكورة.

(١٦٧) (فى : وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٠٠ من طبعة القاهرة ١٢٩٩ هـ؛ ومابين أيدينا هو : ج ١، ص ٣١٢ من طبعة محيى الدين عبدالحميد).

(١٦٨) (فى : اتعاظ الحنفا، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ من طبعة ١٩٤٨م؛ ويقابلها : ج ١، ص ١٨٧ — ١٨٨ من طبعة ١٩٦٧م)

والدكتورين حسن وشرف (١٦٩)، بينما يغفل الدكتور ماجد التفاصيل الأخرى التى أوردها بقية المحدثين (١٧٠).

وينص الأستاذ تامر على أن العباسيين - وعلى رأسهم الخليفة المعتمد (١٧١)- كانوا يخططون للاتفاق مع القرامطة للوقوف فى وجه الفاطميين، ويشير الى أن ذلك قد تم فعلا، فسار الحسن الأعصم إلى بغداد سنة ٣٦٠ هـ لمفاوضة المعتمد (١٧٢) والاتفاق معه على إمداده بالمال والسلاح والعتاد والغذاء، ويضيف الأستاذ تامر إلى ذلك أن الحمدانيين ساروا على نفس النهج فتطوعوا فى جيش الأعصم بالإضافة إلى تزويدهم إياه بالمال والسلاح، وكذلك فعل بنو بويه، كما يذكر تطوع الإخشيدية وبعض القبائل العربية - وأبرزهم بنو عقيل - فى جيش الأعصم، بينما يغفل الأستاذ تامر جميع التفاصيل الجانبية التى أوردها من سبقه من المحدثين كما لم يحدد مصادره (١٧٣).

أما الذين أوجزوا من المحدثين، فقد اكتفى الأستاذ عنان بذكره زحف القرامطة إلى دمشق وهزيمة ابن فلاح وقتله فى أواخر سنة ٣٦٠ هـ (١٧٤) وحدد

---

(١٦٩) (فى : المعز، ص ١١٥ ومابعدها).

(١٧٠) ظهور خلافة الفاطميين، ص ١١٥ .

(١٧١) كذا بالمتن عنده، والمعروف - كما فى كتب التاريخ - أن المعتمد توفى سنة ٢٧٩ هـ؛ راجع ماجاء هنا فيما بعدقبل النص مباشرة على الهامش رقم (٢٢٦) بالفصل السادس .

(١٧٢) انظر الحاشية السابقة

(١٧٣) القرامطة، ص ١٢٠ .

(١٧٤) الحاكم بأمر الله، ص ٧٦ .

المقريزى (١٧٥) مصدرا له . بينما يشير الأستاذ غرايبة إلى قصد القرامطة الشام بعد أن أعانهم معز الدولة - بختيار - البويهى بالمال والسلاح ، فكبسوا دمشق وملكوها بعد قتلهم ابن فلاح ، فى حين لايذكر الأستاذ غرايبة مصادره (١٧٦). ويذكر الدكتور سالم اتصال زعيم القرامطة ببختيار طالبـــا المساعدة بالمال والسلاح ، فيجيبه هذا إلى طلبه ، فيمضى الأعصم إلى دمشق حيث يهـــزم الفاطميين فى وقعة الدكة ويلقى ابن فلاح مصرعه (١٧٧) ، ومصـــدره عن مقتل ابن فلاح هو ابن تغرى بردى (١٧٨) . ويذكر الدكتور سالم فى موضع آخر نفس هذه الوقائع ، ويحدد ماجاء به سبط ابن الجوزى فيماافتتح به المستشرق آمدروز تاريخ ابن القلانسى (١٧٩) مصدرا لما جاء به عن مساعدة البويهيين للحسن القرمطى ، بينما اعتمد فى بقية المعلومات حتى سقوط دمشق(١٨٠) على المقريزى (١٨١) وابن تغرى بردى (١٨٢) والدكتور سرور (١٨٣).

---

(١٧٥) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٩ من طبعة ١٩٤٨م ؛ ويقابلها : ج ١ ،ص١٢٧ من طبعة ١٩٦٧م) .

(١٧٦) العرب والأتراك ، ص ١٢١ .

(١٧٧) صيدا ، ص ٦٩ .

(١٧٨) (فى : النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٤)

(١٧٩) (فى ذيل تاريخ دمشق ، ص ١) .

(١٨٠) فى : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٩٥ .

(١٨١) (فى : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٧ ، طبعة ١٩٦٧ م) .

(١٨٢) (فى : النجوم ، ج ٤ ، ص ٥٨) .

(١٨٣) (فى : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢٥) .

ولم يشر المؤرخ مورت إلى هذه الأحداث سوى إشارة عابرة وذلك عند تعرضه لقيام القرامطة بتسيير أحمد رسلهم إلى بختيار يعرض عليه حلفا ضد الفاطميين ؛ فجهزهم بختيار بالرجال والسلاح مما ساعد الحسن الأعصم على دخول دمشق ، ولم يحدد المؤرخ مورت أي تاريخ لهذه الأحداث كما لم يذكر مصادره (١٨٤) .وذكر الدكتور حتى - بدون مقدمات - حصول الأعصم على مساعدة العباسيين واستيلاءه على دمشق(١٨٥) ، ولم يحدد تاريخا لذلك بينما اعتمد فى معلوماته على ابن خلدون (١٨٦) . أما الدكتور نقولا زيادة ، فلم يشر إلا إلى مجىء الحسن القرمطى إلى دمشق بمعاونة القبائل العربية السورية مثل طى وعقيل ، ولم يحدد تاريخا أو مصدرا (١٨٧). وبعد أن ذكر المستشرق جب الحصار الفاطمى لأنطاكية لمدة خمسة شهور ، أورد مباشرة مواجهة الفاطميين لتحالف قام بين القرامطة والإخشيديين ورجال القبائل الذين طردوا الفاطميين من سورية ، بدون أن يحدد تاريخا لذلك أو يذكر المصادر التى اعتمد عليها (١٨٨) .

وقد أفاض المحدثون الحديث عن المرحلة التالية لنشاط الأعصم الحربى عقب استيلائه على دمشق ، فراهم أيضا يتفقون ويختلفون فى إيراد بعض

---

(١٨٤) Histoire des Arabes, I, pp. 343 — 4.

(١٨٥) History of Syria, p. 579.

(١٨٦) (فى : العبر ، ج ٤ ، ص ٥٠ ؛ ولم يذكر الدكتور حتى تاريخ ومكان الطبع ، ولكن يبدو أنها نفس طبعة بولاق التى بين أيدينا إذ أن هذه المعلومات تقع بنفس الجزء والصفحة التى أشار إليها) .

(١٨٧) الرحالة العرب ، ص ١٤ .

(١٨٨) in : History of the Crusades, I, p. 88.

التفاصيل والتواريخ المتصلة بها . فقد ذكر المؤرخ لين بول أن الحسن الأعصم سار بعد استيلائه على دمشق إلى الرملة ، ثم حاصر يافا ، وغزا مصر ، فكبست عساكره القلزم وكذلك الفرما ، فى الوقت الذى عصت فيه تنيس ، وظهر الأعصم أخيرا عند عين شمس فى أكتوبر ٩٧١م (١٨٩) ، وبقيت جيوشه أمام القاهرة مدة شهرين ، ثم بدأ القتال بصورة غير حاسمة بين القرامطة والفاطميين ، ثم اجتاح الأعصم باب الخندق — الذى بناه جوهر حول القاهرة استعدادا لمنازلة القرامطة — وهاجم الفاطميين فى عقر دارهم ، إلا أنه فشل فشلا ذريعا ، فانسحب تحت جنح الليل إلى القلزم ، وتبع ذلك استعادة جوهر مدينة تنيس بعد وصول التعزيزات من قبل المعز بالمغرب تحت قيادة ابن عمار نجدة لجوهر ، كما أرغم الأسطول القرمطى — بعد محاولته استعادة تنيس — على الانسحاب مخلفا وراءه سبع سفن وخمسمائة أسير ، ثم تخلصت يافا من حصار القرامطى بعد وصول العساكر القادمة من القاهرة نجدة لها ، وعادت هذه العساكر بحامية المدينة من الفاطميين الذين لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها ، هذا بينما ارتد القرامطة إلى دمشق ، ثم أعد الأعصم — فى العام التالى ، أى ٩٧٢م (١٩٠) — لحملة غزو جديدة لمصر ، فجمع لذلك مراكبه ، فى الوقت الذى أرسل فيه جوهر إلى المعز بالمغرب يحثه على الحضور إلى مصر لحماية فتوحاته ، فوصل المعز إلى الإسكندرية فى مايو ٩٧٣م (١٩١) ثم نزل الجيزة بعد شهر من هذا التاريخ ، واجتاز أخيرا

---

(١٨٩) يوافق أوله السابع من ذى الحجه ٣٦٠ هـ ، بينما يقابل آخره الثامن من المحرم ٣٦١ هـ ، راجع التوفيقات الإلهامية .

(١٩٠) يوافق أول يناير منه يوم الإثنين ١١ ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ، راجع : التوفيقات الإلهامية .

(١٩١) رجب — شعبان سنة ٣٦٢ هـ ، إذ يوافق السابع منه أول شعبان من هذه السنة الهجرية ، انظر المرجع السابق .

إلى القاهرة (١٩٢) ؛ ومن الملاحظ فى كل هذا أن لين بول لا يذكر تاريخا محددا لدخول المعز القاهرة ، كما لا يشير إلى تواريخ الحوادث التى أجملناها عنه هنا باستثناء ما أثبتناه ، فى الوقت الذى لا يشير فيه إلى مصادره (١٩٣).

ويورد غالبية المحدثين نفس مضمون هذه الأحداث ، إلا أن التفاصيل - كما أشرنا منذ قليل - تختلف بصورة أو بأخرى من واحد إلى آخر . فقد أغفل المؤرخ أوليرى حصار يافا ونص على أن الحسن الأعصم تجنبها وهو فى طريقه إلى مصر حيث كان جعفر (١٩٤) ورجاله يتمركزون ، ثم ذكر اجتياز الأعصم على الرملة ، ويتفق مع لين بول إلى حد كبير فى بقية التفاصيل حتى نشوب القتال بين الأعصم وجوهر خارج القــاهرة وحتى انهزام الأعصم وارتداده إلى دمشق وإعداده لحملة جديدة على مصر ؛ إلا أنه يغفل كافة التواريخ التى أوردها لين بول ، كما يحدد خروج المعز من القيروان متوجها إلى القاهرة بأوائل سنة ٣٦٢ هـ وهو التاريخ - كما ذكر - الذى أناب فيه بلكين بن زيرى على أفريقية ، ثم يحدد بلوغ المعز الإسكندرية خلال الربيع (أى من نفس العام) ، بينما عسكر المعز بالجيزة فى بداية الصيف ، ثم يذكر أوليرى أن المعز دخل القاهرة ولكنه لا يحدد تاريخا لذلك (١٩٥). والملاحظ أن أوليرى لم يذكر

---

(١٩٢) Op. cit., pp. 106 — 8.

(١٩٣) ذكرنا من قبل أن لين بول يورد ثبتا بمصادره فى مفتتح كل فصل يعقده ، وهو أمر يصعب معه تحديد هذه المصادر التى اعتمد عليها .

(١٩٤) كذا ورد الاسم عند أوليرى ، وهو من قبل لم يذكر مقتله ؛ راجع ما جاء هنا من قبل ، ص ١٩٢ .

(١٩٥) Op. cit., pp. 109 — 10.

من مصادره سوى ابن خلكان (١٩٦) عند إشارته إلى إنابة المعز لبلكين بن زيرى على إفريقية .

أما الدكتور على إبراهيم حسن ، فقد اتخذ ابن تغرى بردى(١٩٧) مصدراً له عند حديثه عن مسير الحسن الأعصم إلى الرملة (١٩٨)، كما ذكر هروب واليها سعادة بن حيان إلى يافا وهو الذى ولاه عليها جوهر في شوال سنة ٣٦٠ هـ ، ثم أشار إلى وصول الأعصم إلى مصر فى هلال ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ حيث دخل القلزم وهاجم الفرما ، وحدد المحرم سنة ٣٦١ هـ تاريخاً لمهاجمة الفرما ، بينما لم يذكر مصادره فى كل هذا (١٩٩)، فى حين أشار إلى جاستون فييت(٢٠٠) Gaston Wiet كمرجع له عند سرده لخبر نزول الأعصم برجاله فى عين شمس

---

(١٩٦) (فى : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٧ ، بدون تحديد للطبعة، وإن كان يعتمد — كما يشير فى ثبت مصادره ومراجعه — على طبعتين لم يحدد أجزاءهما ، هما نشرة Wüstenfeld,Gottingen,1835، والترجمة الإنجليزية للمؤلف De Slane, 1835-40 بدون ذكر مكان الطبع ، وما بين أيدينا من طبعة محيى الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ٢٥٧ (فى ترجمة بلكين بن زيرى) أن المعز استخلف بلكين على افريقية فى شهر ذى الحجه سنة ٣٦١ هـ عند توجهه إلى الديار المصرية) ، راجع ماجاء هنا فيما بعد ، بآخر عبارة ينتهى بها الفصل السادس والحاشيه رقم ٢٤٢ تعليقا على هذه العبارة .

(١٩٧) (فى : النجوم ، ج ٤ ص ٤٣٢ ، من طبعة ليدن ١٨٥٥ م ؛ وليس فى الطبعة التى بين أيدينا سوى ماجاء فى (ج ٤ ، ص ٦٢ ، حوادث سنة ٣٦١ هـ) : «وفيها عاد الهجرى كبير القرامطة من الموصل إلى الشام ، وانصرف المغاربة — أعنى عسكر العبيدية — إلى مصر ، ودخل القرمطى دمشق ، وسار إلى الرملة») .

(١٩٨) تأريخ جوهر ص ٥٧ .

(١٩٩) نفس المرجع ، ص ٥٧ — ٥٨ .

(٢٠٠) (فى : Prècis d'Histoire Musulmane de l'Egypte p. 32, Cairo 1933).

وتهديده للقاهرة (٢٠١)، كذلك اعتمد الدكتور على إبراهيم على المقريزي (٢٠٢) عندما تعرض لذكر استعداد جوهر لملقى القرامطة بخندق حفره حول القاهرة، ثم لا يذكر شيئا عن مصادره إلى أن يتعرض لبدء القتال مع القرامطة عند باب القاهرة، ويؤرخ لذلك بأوائل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ، ولا يحدد الأيام التي دارت فيها المعارك حتى غروب شمس اليوم الذي انهزم فيه الحسن الأعصم وارتد إلى القلزم (٢٠٣)، بينما يسجل مصدرين لهذه الأحداث هما أبو الفدا (٢٠٤) والمقريزي (٢٠٥)، ثم ينص على أن جوهرا سار بنفسه إلى تنيس فأخضعها بعد عصيانها دون أن يحدد مصدرا، في حين يعتمد على أوليري (٢٠٦) عندما يتصل بخسارة القرامطة لسفنهم السبع ووقوع خمسمائة منهم في الأسر، ثم يحدد تاريخ وصول المعز إلى مصر بسنة ٣٦٢هـ دون أن يشير إلى الشهر الذي وصل فيه ودون أن يذكر مصادره (٢٠٧).

---

(٢٠١) تاريخ جوهر، ٥٨.

(٢٠٢) (في: اتعاظ الحنفا، ص ٩٣ من طبعة القدس؛ ويقابلها: ج ١، ص ١٢٩ من طبعة ١٩٦٧ م).

(٢٠٣) تاريخ جوهر، ص ٥٨.

(٢٠٤) (في: المختصر، ج ٢، ص ١١٧، ١١٨، طبعة القسطنطينية ١٢٨٦ هـ؛ ويقابلها: ج٢، ص١١٢ من الطبعة التي بين أيدينا)؛ راجع ماجاء هنا فيما بعد عند إشارتنا إلى الهامش رقم (٢٢٩) بالفصل السادس.

(٢٠٥) (في: اتعاظ الحنفا، ص٨٦ من طبعة ليدن؛ وقارن هنا الهامش رقم ٢٠٢ في هذا الفصل، إذ أن هذه الأحداث تقع في طبعة ١٩٦٧م في: ج ١، ص ١٣٠)؛ انظر مافات هنا من قبل ص ١٦٦، وه ١٣٣ بالفصل الرابع؛ وماجاء هنا فيما بعد عند إشارتنا إلى الهامش رقم (١٨٦) بالفصل السادس.

(٢٠٦) (في: A Short History ..., p. 109)

(٢٠٧) تاريخ جوهر، ص ٦٠.

أما الدكتوران حسن وشرف ، فقد ذكرا أيضا اتجاه سعادة بن حيان إلى الرملة ، وفراره إلى يافا حيث يترك الأعصم عليها من يحاصرها ويمضى هو فى طريقه إلى مصر ، ثم يذكران الشام حتى استيلاء القرامطة على الرملة وحصار يافا كان فى قبضة القرامطة فى أوائل سنة ٣٩(٢٠٨) ه ، ولا يسجل المؤرخان المذكوران من مصادرهما سوى المقريزى (٢٠٩) فيما يتعلق بحصار يافا ، بينما لا يذكران أى مصدر عن التاريخ الذى حدداه لقصد الحسن الأعصم مصر فى أواخر ٣٦٠ ه وأوائل سنة ٣٦١ ه (٢١٠) ؛ ويستطرد الدكتوران حسن وشرف فيذكران استيلاء الأعصم على الفرما قبل قيامه بمهاجمة القلزم (٢١١) ، ومرجعهما فى هذا هو الدكتور على إبراهيم (٢١٢) ويشيران إلى ثورة تنيس بعد هذا الهجوم ، ثم يذكران تقدم الأعصم حتى وصوله أمام القاهرة ، ولكنهما يعودان فيرتبان الأحداث ، على أساس أن هجوم الأعصم على القلزم تم فى ذى الحجة سنة ٣٦٠ ه ، وأن استيلاءه على الفرما ثم وصوله الى عين شمس حدثا فى المحرم سنة ٣٦١ ه ، ويشيران كذلك ان القرامطة كانوا يمدون جيوشهم فى مصر إلى شهر ربيع الأول من سنة ٣٦١ ه ، دون أن يحددا مصادرها (٢١٣) ؛ ويقرر الدكتوران حسن وشرف أن الحرب كانت سجالا

---

(٢٠٨) كذا ورد هذا التاريخ عندهما .

(٢٠٩) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٢ ، طبعة القدس ؛ ويقابلها : ج ١ ص ١١٨ طبعة ١٩٦٧م) .

(٢١٠) المعز ، ص ١١١ — ١١٣ .

(٢١١) نفس المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٢١٢) (فى : تاريخ جوهر ، ص ٥٧ ، ٥٨) :

(٢١٣) المعز ، ص ١١٣ .

بين القرامطة والفاطميين منذ أواخر صفر إلى أن حلت الهزيمة بالقرامطة فى ربيع الأول من السنة نفسها ، ومصدرها فى ذلك هو المقريزى (٢١٤) ، إذ هما يوردان النص الذى جاء به المقريزى عن التحام القتال بين الطرفين فى مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ حتى انصراف الأعصم ليلا على طريق القلزم (٢١٥) ، ثم يذكر الدكتوران حسن وشرف استعادة جوهر مدينة الفرما بعد هذا الانتصار دون أن يحددا مصادرها ، وينقلان عن النويرى (٢١٦) أحداث استرجاع الفاطميين لثغر تنيس ، وينتقلان بعد ذلك إلى ذكر محاولة جوهر إنقاذ جنده بيافا وتسييره لأسطول مكون من خمسة عشر مركبا ينتصر عليه أسطول القرامطة ولا ينجو منه إلا القليل ، وفى كل ذلك لا يحددان أى تواريخ ولا يذكران المصادر التى اعتمدا عليها (٢١٧) ، وينص بعد ذلك الدكتوران حسن وشرف على رحيل الأعصم إلى البحرين ، فيشدد جوهر على القرامطة المحاصرين ليافا ويرغمهم على الارتداد إلى دمشق ، ثم يشيران إلى عودة الأعصم من البحرين (٢١٨) دون أن يذكرا المكان الذى عاد إليه القرمطى أو التواريخ المحددة ، ومصدرهما فى كل هذا هو المقريزى (٢١٩) ، وأخيرا ، يشيران إلى إعداد الأعصم العدة للهجوم على مصر فى سنة ٣٦٢ هـ ، ثم يذكران تاريخ وصول المعز إلى مصر فى شعبان سنة ٣٦٢ هـ دون تحديد لمصادرهما (٢٢٠) .

---

(٢١٤) (فى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ ، وهى نفس الطبعة التى بين أيدينا) .

(٢١٥) المعز ، ص ١١٣ — ١١٤ .

(٢١٦) (فى : نهاية ارب ، ج ٢٣ ، ورقة ٤٢) .

(٢١٧) المعز ، ص ١١٥ .

(٢١٨) نفس المرجع ، ص ١١٧ .

(٢١٩) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٣ من طبعة القدس ، ويقابلها : ج ١ ، ص ١٨٨ من طبعة ١٩٦٧) .

(٢٢٠) المعز ، ص ١١٨ .

وعند انفراد الدكتور حسن إبراهيم بالكتابة فى نفس الموضوع ، نراه يورد نفس هذه المعلومات باستثناء أنه لم يذكر إلا استيلاء القرامطة على الفرما فى المحرم سنة ٣٦١هـ منفلاً كبس القلزم دون أن يعين أى مصدر له، ثم يعتمد حتى ارتداد القرمطة إلى القلزم بعد هزيمتهم أمام جوهر على المقريزى مصدراً له(٢٢١)، فى الوقت الذى يحدد فيه تاريخ هروب ابن حيان من الرملة إلى يافا بشوال سنة ٣٦٠ هـ (٢٢٢) ، ثم يذكر الدكتور حسن إبراهيم بقية الأحداث ولكنه ينص على أن عودة الحسن الأعصم إلى دمشق حدثت عقب خروجه من مصر ، وبعدها رجع إلى الأحساء ، بينما يشير إلى أن وصول المعز إلى مصر فى أواخر سنة ٣٦٢هـ ، ولا يحدد الدكتور حسن إبراهيم مصادره فى كل هذا (٢٢٣)؛ وكان الدكتور حسن إبراهيم قد ذكر فى موضع متقدم نفس هذه المعلومات بصورة مجملة لم يحدد فيها أى تواريخ أو مصادر وإن كان يعتمد على أبى الفدا(٢٢٤) فيما أورده ـ أى الدكتور حسن إبراهيم ـ عن الإجراءات التى اتخذها جوهر للدفاع عن القاهرة حتى اضطرار القرمطى للتقهقر إلى القلزم (٢٢٥) .

---

(٢٢١) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٦ ، طبعة القدس ؛ ويقابلها : ج ١ ص ١٢٩ — ١٣٠ من طبعة ١٩٦٧م ؛ الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٨ من طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ ، وهى الطبعة التى بين أيدينا) .

(٢٢٢) تاريخ الدوله الفاطمية ، ص٣٩٧ .

(٢٢٣) نفس المرجع والصفحة .

(٢٢٤) (فى: المختصر ، ج ٢ ص ١١٧، ١١٨ من نسخة لم يحدد فيها تاريخ ومكان الطبع ؛ ويقابلها : ج ٢ ، ص ١١٢ من النسخة التى بين أيدينا ؛ وإن كان من الملاحظ أن هذه الأحداث لم ترد فى النسخة عندنا بنفس الصورة التى أوردها الدكتور حسن إبراهيم خاصة ما كان من ذكره للقلزم) .

(٢٢٥) تاريخ الدولة الفاطمية ، ص١٥٤ .

أما الدكتور سرور ، فقد رجع إلى المقريزى (٢٢٦) عندما ذكر سير الحسن الأعصم إلى الرملة وبها سعادة بن حيان الذى فر إلى يافا ، مما مهد للقرمطى سبيل الاستيلاء على الرملة (٢٢٧) ، كما يحدد تاريخ زحف الحسن الأعصم على الفرما ، ويذكر متابعته السير فى الأراضى المصرية محددا لذلك أوائل سنة ٣٦١ هـ وينص على استيلاء الأعصم على عين شمس دون أن يحدد تاريخا لذلك ، ثم يذكر تقدم الحسن الأعصم إلى القاهرة ، ولكنه لا يشير فى ذلك إلى مصادره (٢٢٨) ؛ ثم ينتقل الدكتور سرور إلى قيام جوهر بتحصين القاهرة بخندق (٢٢٩) مستندا فى ذلك إلى المقريزى(٢٣٠)؛ ويستعرض بعد ذلك نفس الأحداث التى تناولها المؤرخون المحدثون فى أكثر من موضع مر بنا ، ويحدد ربيعا الأول تاريخا لتهديد القرامطة للقاهرة ، حتى انسحابهم فى نفس الشهر وعودة الأعصم إلى الأحساء وما ترتب على ذلك من قيام جوهر بإنفاذ جيش إلى يافا ليستعيدها للفاطميين ، ثم يذكر عودة الحسن الأعصم إلى دمشق وتأهبه

---

(٢٢٦) (فى : إتعاظ الحنفا ، ص١٧٩ ، طبعة ١٩٤٨م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٧ من طبعة ١٩٦٧ م) ، ولا يوجد فى النسخة التى ذكرها الدكتور سرور شيىء مما أشار إليه، وإنما الموجود فى صفحة ١٨٠ من الطبعه التى يرجع إليها هو إنفاذ جوهر لابن حيان إلى الرملة واليا عليها ؛ أما المعلومات التى ذكرها فهى موجودة فى ص ٢٤٩ من طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ص ١٨٨ من طبعة ١٩٦٧ م .

(٢٢٧) النفوذ الفاطمى ، ص ٢٧ — ٢٨ ؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١٢٦ .

(٢٢٨) النفوذ الفاطمى ، ص ٢٩ ؛ وله أيضا : نفس المرجع الثانى .

(٢٢٩) نفس المرجع الأول ؛ وله أيضا : نفس المرجع الثانى ، ص ١٢٧ .

(٢٣٠) (فى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ من طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ ؛ وهى نفس الطبعة التى بين أيدينا) .

للمسير ثانية إلى مصر ، فيعد حملة بحرية يوجهها إلى تنيس وسواحل مصر ويجهز جيشا يشترك فيه عناصر عربية كثيرة (٢٣١) ، وقد اعتمد الدكتور سرور فى كل ذلك على المقريزى (٢٣٢) ، وجعل تاريخ قدوم المعز إلى مصـــر فى سنة ٣٦٢ هـ ، دون أن يثبت المصادر التى اعتمد عليها (٢٣٣) .

أما الدكتور عمر كمال ، فقد أشار إلى توجيـــه الأعصم إلى الرملة ، وذكر خروج سعادة بن حيان من الرملة إلى يافا ليتحصن بها ، وأغفل حصار القرامطة لها ، ولم يعتمد لذلك الحصار تاريخا معينا (٢٣٤) ، وإن كان يرجع فى كل هذا إلى نص سبط ابن الجوزى الملحق بتاريخ ابن القلانسى(٢٣٥) وابن الأثير (٢٣٦) والمقريزى (٢٣٧) ، ويحدد الدكتور عمر كمال استيلاء الأعصم على القلزم بذى الحجة سنة ٣٦٠ هـ (بدأ فى ٢٥ سبتمبر سنة ٩٧١ م) والفرما بالمحرم سنة ٣٦١هـ (بدأ فى أكتوبر سنة ٩٧١ م) ، معتمـدا فى ذلك كلـه على مصدرين هما نص

(٢٣١) النفوذ الفاطمى ، ص ٢٩ — ٣٠ ؛ وله أيضا : سياسة الفاطميين الخـارجـية ، ص ١٢٧ .

(٢٣٢) (فى : اتعاظ الحنفـا ، ص ٢٥٠ من طبعـة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلهـا : ج ١ ، ص ١٨٨ — ١٨٩ من طبعة ١٩٦٧ م) .

(٢٣٣) النفوذ الفاطمى ، ص ٣٠ ؛ وله أيضا : سيـاسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢٧ .

(٢٣٤) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٧٣ .

(٢٣٥) (فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢) .

(٢٣٦) (فى : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢) .

(٢٣٧) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٩ من طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٧ من طبعة ١٩٦٧ م) .

سبط ابن الجوزى الملحق بتاريخ ابن القلانسى (٢٣٨) والمقريزى (٢٣٩) ، ويرجع كذلك إلى المقريزى (٢٤٠) فيما يتعلق بحفر جوهر للخندق حول القاهرة ، ويذكر نجاح جوهر فى التغلب على هجوم القرامطة ويحدد لهذا الهجوم تاريخا هو ٢ ربيع الأول ٣٦١ ﻫ الموافق ٢٤ ديسمبر ٩٧١ م اعتماداً على نص سبط ابن الجوزى المشار إليه فى تاريخ ابن القلانسى (٢٤١) ، ثم يذكر ارتداد الأعصم ورجوعه إلى الأحساء ، وإنفاذ جوهر الجيش من مصر لاسترجاع يافا (٢٤٢) ، مستندا فى ذلك إلى المقريزى(٢٤٣) ؛ ويشير بعد ذلك إلى عودة الأعصم إلى الشام ، واستيلائه على الرملة ، وتأهبه لمهاجمة مصر للمرة الثانية ، وتجهيزه أسطولا لمهاجمة تنيس وغيرها من سواحل مصر ، وجمعه جيشا ضخما ممن استمالهم من القبائل العربية ، ولم يسجل الدكتور عمر كمال فى كل ذلك تاريخا ثابتا ولم يذكر مصدرا ، كما لم يشر إلى تاريخ دخول المعز مصر (٢٤٤) .

ويغفل الدكتور ماجد استيلاء القرامطة على الرملة وحصار يافا ، ولكنه

---

(٢٣٨) انظر الهامش رقم ٢٣٥ بهذا الفصل .

(٢٣٩) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٨١ من طبعة ١٩٤٨م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٩ من طبعة ١٩٦٧م) .

(٢٤٠) (فى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٧٩ — ١٨٠ من طبعة مصر سنة ١٣٢٤ ﻫ ؛ ويقابلها : ج ٢ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ من طبعة بولاق ١٢٧٠ ﻫ التى بين أيدينا) .

(٢٤١) راجع الهامش رقم ٢٣٥ فى هذا الفصل .

(٢٤٢) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٧٤ .

(٢٤٣) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٥٠ من طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٨٨ من طبعة ١٩٦٧ م) .

(٢٤٤) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٧٥ .

ينص على احتلال الأعصم الفرما ، ولا يذكر القلزم ، ويحـــدد تاريخا لوصول القرمطى أمام القاهرة بأوائل سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م دون أن يشير إلى مصادره أو إلى ثورة تنيس ، ويتخذ المقريزى (٢٤٥) مصدرا لما أورده حـــول إنقاذ الفاطميين لخندق القاهرة وسورها ، بينما يسقط جميع الأحداث التى دارت بين الطرفين حتى اضطر الأعصم إلى الانسحاب من مصر ، وهنـا ينص الدكتور ماجد على ملاحقة جوهر له إلى يافا ، ومصـدره فى ذلك المقريزى (٢٤٦) ؛ ثم ينهى الدكتور ماجد كلامه بمجيء المعـــز إلى مصر فى ٧ رمضان سنة ٣٦٢هـ / يونيه ٩٧٢ م (٢٤٧) نقلا عن ابن أيبك الدواداري (٢٤٨) ، وإن كان يذكر أيضا تاريخا آخر هو شوال سنة ٣٦١ هـ / أغسطس ٩٧٢ م (٢٤٩) ولم يحدد فى هـذا مصدره (٢٥٠) .

أما الأستاذ تامر ، فقد أسقط هو الآخر ذكر الرملة ويافا ، بينما وضع سقوط القلزم فى يد القرامطة حدثا تاليا للفرما ، وحدد تاريخ وصول الحسن

---

(٢٤٥) (فى : اتعـاظ الحنفا ، ص ١٨٠ مـن طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلهـا : ج ١ ، ص ١٢٩ مـن طبعة ١٩٦٧م) .

(٢٤٦) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٥٠ من طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها ج ١ ، ص ١٨٨ ، من طبعة ١٩٦٧م) .

(٢٤٧) كذا ورد التاريخ الميلادى عنده ، وصحته (يونيه ٩٧٣م) ؛ راجع : التوفيقـات الإلهامية ؛ ويبدو أن ثمـة خطأ مطبعيا وقع فى إيـراد السنة الميلاديـة لم يستدركه الدكتور ماجـد فى قائمـة التصويبات فى آخـــر كتابه .

(٢٤٨) (فى : الدرة المضيه ، ص ١٤٠ ، تحقيق الدكتـــور صلاح الدين المنجد ، طبعــة القاهرة ١٩٦١ ؛ وهى النسخة التى بين أيدينا) .

(٢٤٩) ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١١٦ ، هـ ٣ .

(٢٥٠) نفس المرجع ، ص ١١٥ — ١١٦ .

القرمطى إلى عين شمس بعام ٣٦١ ه، وحدد أيضا أربعة أيام للقتال الذى نشب بين الطرفين على باب القاهرة ثم أشار إلى انهزام الأعصم فى الليل عن طريق القلزم، ونص على عدم ملاحقة جوهر له، ثم ذكر استرداد جـــوهر للفرما واستسلام تنيس، كما نص على زحف جوهر صوب فلسطين وتشديده الهجوم على القرامطة المحاصرين ليافا وإرغامهم على الانهـــزام إلى دمشق، ثم أشار الأستاذ تامر إلى عودة الأعصم من البحرين - التى كان قد توجه إليها بعد تغلب جوهر عليه - إلى دمشق، ثم انتقل إلى الحديث عن قيام الأعصم بإعداد حملة ثانية للهجوم على القاهرة قوامها الأعراب ورجال القبائل، وأنه زحف حتى الوجه البحرى وحاصر القاهرة للمرة الثانية، بينما كتب جوهر للمعز بالمغرب يتعجله الحضور، فقدم المعز إلى مصر سنة ٣٦٢ ه؛ وكل ما ذكره الأستاذ تامر هنا لم يحدد فيه تواريخ تلك الأحداث باستثناء ما ذكر من عامى ٣٦١و٣٦٢ ه، كما لم يحدد مصادره (٢٥١).

أما من أوجز أو اكتفى بمجرد الإشارة؛ فمنهم المؤرخ هورنه الذى لا يذكر سوى دخول الأعصم مصر فى سنة ٣٦١ ه / ٩٧١ م فى الوقت الذى كانت فيه جيوش جوهر لا تزال محصورة فى يافا؛ ثم يذكر جلاء القرامطة عن مصر، ويحدد تاريخ دخول المعز إلى القاهرة بأوائل رمضان سنة ٣٦٢ه/يونيه ٩٧٣م، كما لم يشر إلى مصادره (٢٥٢).

ولا يذكر الدكتور حتى شيئا سوى ملاحقة الأعصم للفاطميين حتى بعد

---

(٢٥١) القرامطة، ص ١٢١ — ١٢٣؛ وانظر فيه أيضا: ص ١١٥.

(٢٥٢) Op. citi., I, p. 344 .

إرغامهم على الارتداد من جميع أراضى الشام (٢٥٣) ، وقد اعتمد فى هذا على ابن خلدون (٢٥٤) ، وكان قد ذكر فى موضع متقدم تاريخ وصول المعز إلى مصر فى عام ٩٧٣ م دون أن يذكر مصادره (٢٥٥) .

ولا يشير الدكتور القولا زيادة إلا إلى توجه الأعصم إلى الرملة ومحاصرته لأحد الجيوش الفاطمية بيافا ، ثم مهاجمته مصر ومحاصرته القاهرة واختراقه خنادقها ، ثم يذكر هزيمة القرمطى وفراره إلى دمشق حيث أخذ يجمع أموره من جديد ، كما يتعرض لتاريخ وصول المعز إلى القاهرة ويحدده بسنة ٩٧٣ م دون أن يذكر مصادره (٢٥٦) .

ويكتفى المستشرق حب بعد ذكره طرد القرامطة الفاطميين من الشام بالإشارة إلى ملاحقتهم الفاطميين إلى مصر فى سنة ٩٧١ م ، ولم يحدد مصادره (٢٥٧) .

ولا يورد الأستاذ عنان إلا ما ذكره من مسير القرامطة إلى الرملة وبها حاكمها سعادة بن حيان ، فارتد هذا إلى يافا وامتنع بها ، بينما انحدر القرامطة جنوبا إلى مصر ، وتأهب جوهر لقتالهم ، ثم يشير إلى تاريخ دخول القرامطة مصر فى أوائل سنة ٣٦١ هـ ، ثم انهزام القرامطة وارتدادهم نحو الشام ، ويعتمد

---

(٢٥٣) Op. cit., I, p. 579.

(٢٥٤) (ق : العبر ، ج ٤ ، ص ٥٠ — ٥١ ؛ وراجع ما فات هنا من قبل ، هـ ١٨٦ بهذا الفصل.

(٢٥٥) Op. cit., p. 578.

(٢٥٦) الرحالة العرب ، ص ١٤ .

(٢٥٧) In : History of the Crusades, I, p. 88.

فى كل هذا على المقريزى (٢٥٨) ، وبعد ذلك يذكر الأستاذ هنان تاريخ وصول المعز إلى القاهرة فى أوائل رمضان سنة ٣٦٢ هـ (٢٥٩)، معتمدا فى هذا أيضا على المقريزى (٢٦٠) .

ويكتفى الأستاذ غرابية كذلك بذكر زحف القرامطة على مصر بعد استيلائهم على دمشق ، فاحتلوا فى طريقهم الرملة ويافا حتى وصلوا إلى عين شمس ، ولكن جوهرا تمكن من هزيمتهم وصدهم عن مصر وإخراجهم من دمشق ،دون أن يحدد مصادره (٢٦١) .

ويتحدث الدكتور سالم عن زحف الحسن الأعصم على الرملة واستيلائه عليها وعلى المناطق الواقعة بينها وبين دمشق واعتمـــد فى ذلك ابن تغرى بردى (٢٦٢) مصدرا له ، ثم يذكر مباشرة أن الحسن القرمطى بعد أن حقق ما حققه من انتصارات عاد إلى هجر (٢٦٣) . وعندما تناول الدكتور سالم نفس الموضوع فى موضع آخر ، ذكر مواصلة القرامطة زحفهم نحو الجنوب بعد دخولهم دمشق ، فاستولوا على الرملة ، ثم حاصروا يافا ، فسير جـــوهر أسطولا مكونا من خمس عشرة سفينة نجدة للمحصورين بيافا ، إلا أن القرامطة

---

(٢٥٨) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، من طبعة ١٩٤٨ م؛ ويقابلها : ج ١، ص ١٢٩ ، ١٨٨ ، ١٨٩ من طبعة ١٩٦٧م).

(٢٥٩) الحاكم بأمر الله ، ٧٦ — ٧٧ .

(٢٦٠) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٨٧ ، طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٣٤ من طبعة ١٩٦٧م) .

(٢٦١) العرب والأتراك ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٢٦٢) (فى : النجوم ، ج ٤ ، ص ٥٨) .

(٢٦٣) صيدا ، ص ٦٩ .

استولوا على معظمها ولم ينج سوى مركبين غنمهما الروم ، ومصدره فى هذا هو ابن الاثير (٢٦٤) ، ثم واصل القرامطة زحفهم إلى مصر ، فاستولوا على الفرما ثم القلزم ، وتوغلوا فى مصر أوائل عام ٣٦١ هـ واستولوا على عين شمس ، بينما أشرفت طلائعهم على القاهرة ، وتأهب جوهر لمدافعتهم ، فحفر خندقاً حول القاهرة ، ثم ذكر الدكتور سالم المعركة التى دارت بين الطرفين فى مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ على أبواب القاهرة ، فانهزم القرامطة وزحـــلوا إلى الاحساء (٢٦٥) ، ومصدره فى هذه المعلومات الأخيرة هو المقريزى (٢٦٦) ؛ ثم ذكر وصول الأسطول الفاطمى من بلاد المغرب فى رمضان سنة ٣٦١ هـ وإقلاع هذا الأسطول إلى سواحل الشام ليسهم فى المعارك البرية التى كان يخوضهـــا الجيش الفاطمى هناك بقيادة سعادة بن حيان (٢٦٧) ، وقد رجع فى هذا الخبر الى المقريزى (٢٦٨) أيضا ، بينما أورد بعد ذلك اشتراك الأسطول الفـاطمى فى إخضاع أهل تنيس بعد عصيانهم فى المحرم سنة ٣٦١ هـ ، فسير إليهم جوهر - بعد أن تمكن من الإيقاع بالقرامطة - أبا محمد الحسن بن عمـــار الذى نجح فى استنزال المدينة (٢٦٩) ، وقد اعتمد فى هذا على المقريزى مرة أخرى (٢٧٠) .

---

(٢٦٤) (فى : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٣ مـن طبعة مصر ١٣٥٣ هـ ، ويقابلها : ج ٨ ص ٢٤٣ ، من طبعة المطبعة الأزهرية التى بين أيدينا) .

(٢٦٥) فى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٩٥ — ٩٦ .

(٢٦٦) (فى : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٩ — ١٣٠) .

(٢٦٧) فى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٩٦ .

(٢٦٨) (فى : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٣١) .

(٢٦٩) فى : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، ص ٩٧ .

(٢٧٠) (فى : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٣٠) .

على كل حال ، تلك كانت أقوال المؤرخين المحدثين ، وهى - مع روايات القدامى - تشكل الإطار العام لما يمكن مناقشته فى ضوء ما أوردوه جميعاً من معلومات ، وهو المحور الرئيسى الذى يدور عليه جوهر الدراسة فى هـذا الكتاب .



الفصل السادس

نقد وتحليل روايات القدامى والمحدثين
عن الفتح الفاطمى للشام



الفصل السادس

نقد وتحليل روايات القدامى والمحدثين
عن الفتح الفاطمي للشام

تضاربت أقوال المؤرخين القدامى فى تحديد السنة التى شرع فيها جوهر الصقلى - بعد فتح مصر - فى إنفاذ الجيوش الفاطمية تجاه الشام للاستيلاء عليه وضمه إلى مصر حسب السياسة التى رسمها الفاطميون لسلخ الأراضى التابعة للخلافة العباسية فى الشرق الأدنى الإسلامى وضمها إلى ملكهم الناشيء العريض .

ولا تمدنا هذه المصادر بالخلفية التاريخية الملائمة لمعرفة أسباب هذا التناقض، بمعنى أن جميع المصادر المتاحة هى مصادر متأخرة استمدت مادتها التاريخية من أخرى معاصرة — أو شبه معاصرة - مفقودة أو لا نعرف عنها شيئا مما يمثل للباحث صعوبة فى الرجوع إلى تلك المصادر المعاصرة ويكتفى بما اقتبسه عنها المؤرخون القدامى . وقد أدى هذا بالتالى — إلى اختلاف فى أقوال المؤرخين المحدثين حول تحديد هذه السنة مما يشكل للباحث عقبة أخرى تواجهه عندما يعمل على الخروج بنتيجة نهائية يحدد فيها هذا التاريخ الذى عمد فيه الفاطميون إلى فتح الشام ، خاصة وأن هؤلاء المحدثين - بلا استثناء — لم يتعرضوا لهذه النقطة بالذات ، وإنما اكتفوا بالتأريخ لسنة الفتح الفاطمي للشام دون الوقوف أمام هذه المصادر القديمة بما تحويه من نصوص اتفقت — بصورة أو بأخرى — فى سرد وقائع المرحلة التى تمت فيها عملية الفتح ، بينما تعارضت فى تحديد سنة الفتح إلا أن التسلسل المنطقى للأحداث — خاصة قبيل الفتح مباشرة ، وعلى الرغم من تضارب النصوص

التي يمكن الاستدلال بها على تحديد هذه السنة — يهيء لنا الشواهد المتاحة التي يصح الاطمئنان إليها للتعرف على بدء مرحلة الفتح الفاطمي للشام .

وبالإضافة إلى هذا ، فثمة صعوبة أخرى تواجه من يتعرض لتأريخ هذه المرحلة من عملية الفتح . فمن الملاحظ أن معظم المصادر لم تركز إلا على القليل النادر من المدن التي استولى عليها الفاطميون في تلك المرحلة. وبمعنى آخر، نلاحظ أن خط سير الحملة الفاطمية على الشام لا يمكن أن يمثل بصورة واضحة تتابع العمليات الحربية التي تمت في تلك الفترة سواء في الأراضي الداخلية للشام أو على سواحله ، إذ تغفل جميع هذه المصادر كيفية استيلاء الجيوش الفاطمية على مدن الساحل الشامي في الوقت الذي تفيد فيه النصوص بانبساط النفوذ الفاطمي على كثير من المدن الساحلية ومعظم المدن الداخلية في تلك المرحلة . وإذا كانت هذه النصوص تدل أيضا على أن الكثير من المدن الداخلية والساحلية دانت بالطاعة والولاء للفاطميين في ذلك الوقت ، فإن ذلك لا يمنع من القول — في الوقت نفسه — بأن المصادر المختلفة لم تبين لنا بجلاء خط سير الحملة الفاطمية بصورة متكاملة في الداخل وبشكل واضح على الساحل ، مما يضفي الكثير من الغموض على وقائع تلك المرحلة إلى حد يتعذر معه استخلاص بعض الحقائق إلا بصعوبة كبيرة أو بعد الاعتماد إلى حد كبير على الموازنة أو الاستنتاج أو الترجيح ، وخاصة عندما تشير هذه المصادر إشارات مبتسرة تكشف عن تبعية بعض المدن الساحلية والداخلية للفاطميين . وما ينسحب هنا على هذه المرحلة ينسحب أيضا ، ولكن بصورة أقل غموضا ، على الفترات اللاحقة لها ، عندما نستدل من بعض النصوص — التي تورد أسماء الولاة الفاطميين أو الخاضعين للنفوذ الفاطمي — على هذه التبعية في الوقت الذي تسكت فيه هذه المصادر عن

تحديد تاريخ استرجاع الفاطميين لهذه المدن أو اعترافها بسلطان الفاطميين .

وقد أدت هذه الروايات المختلفة عن بداية الفتح الفاطمى للشام إلى تضارب أقوال المؤرخين المحدثين . وفى استعراضنا - فى الفصل السابق - لكتابات هؤلاء المحدثين من مؤرخى الدولة الفاطمية وغيرهم ممن تعرضوا لتاريخ هذه الدولة أو لفترات من تاريخها فى كتاباتهم ذات التخصصات المختلفة ، نلمس أيضا مدى الصعوبة الكبيرة التى تقف فى وجه من يبحث فى الموضوع ، خاصة وأن الكثيرين من هؤلاء المحدثين لا يذكرون مصادرهم أو مراجعهم التى استأنسوا بها واستندوا إليها فى تحديد تواريخ الأحداث الهامة مثل بداية فتح الشام والعمليات الحربية التى تمت فى تلك الفترة ، هذا علاوة على أن منهم من لم يشر إلى هذه التواريخ ، بل منهم من أغفل ذكر الأماكن التى دارت فيها هذه العمليات ، كما نراهم لا يقفون أمام النصوص المتعارضة لمناقشتها ومحاولة الخروج منها برأى فى الموضوع ، مكتفين باستعراض الأحداث وتتبعها وفق ما استأنسوا به من هذا المصدر أو ذاك مع وجود الفرص المتاحة لهذه الدراسة .

ويجمل بنا - بادىء ذى بدء - أن نشير هنا إلى أن هذه الدراسة الخاصة بهذا الفصل ليست إلا مجرد محاولة لتمحيص روايات القدامى والمحدثين للخروج منها بنتائج قد يصح الاطمئنان إليها ، أو هى لا تعدو محاولة للمشاركة فى إلقاء الضوء على المشكلة قد تحتاج إلى إعادة النظر ، خاصة وأن المصادر والمراجع المتاحة التى رجعنا إليها هنا هى كل ما أمكننا الاستناد إليه ، وقد يكون فيما فاتنا من الرجوع إلى غيرها سبيل إلى مزيد من الإضافة تتطلب إعادة كتابة الموضوع من جديد .

أولا

مشكلة تأريخ خروج القوات الفاطمية لفتح الشام

لعل أول ما نصطدم به هو التاريخ المحدد لخروج القوات الفاطمية من مصر لتغزو في الشام ، وبالتالي تاريخ أول عملية من العمليات الحربية في خط سير هذه القوات بالشام . ويقع الخلاف في المصادر القديمة — والمراجع الحديثة بالتالي — في تحديد السنة التي بدأت فيها هذه العمليات الحربية وقد قابلنا في روايات القدامى والمحدثين تاريخان لبداية الفتح ، هما أواخر سنة ٣٥٨ هـ وأوائل سنة ٣٥٩ هـ أو أواخرها ، في حين تسكت جميع المصادر القديمة عن تحديد تاريخ ثابت لخروج الحملة الفاطمية الموجهة من مصر إلى الشام باستثناء المقريزي الذي حدده بالثامن عشر من المحرم سنة ٣٥٩ هـ .

ورواية المقريزي عن بداية مرحلة الفتح الفاطمي للشام تتضمن بعض التناقض وتؤدي إلى اللبس ومن ثم تلقي ظلا لا من الشك على هذا التاريخ الذي حدده وعلى تاريخ أول وقعة نشب فيها القتال في الشام بين الفاطميين وبقايا الإخشيدية به .

إلا أن النصوص المتضاربة في رواية المقريزي هي التي سنحاول من خلالها الوصول إلى الحقائق المنشودة المتصلة بهذا التاريخ ، هذا بالإضافة إلى نصوص المصادر الأخرى التي تعين على ترتيب هذه الحقائق . ولكن يبدو من المهم أن نستعرض أولا رواية المقريزي وتحليلها .

ففي حوادث آخر شهر من شهور سنة ٣٥٨ هـ — ذي الحجة — يقول المقريزي « وورد الخبر » بدخول القرامطة الرملة(١) » . وهو يضع هذا الخبر بعد افتتاحه

(١) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١١٧ .

أخبار شهر ذى الحجة المذكور وقبل مواصلته الكلام عن حوادث هذا الشهر الواقعة فى النصف منه ؛ وهذا يعنى أن هذا الخبر وافى مصر بعد بداية هذا الشهر وقبل انتصافه ، كما يفيد أن القرامطة وصلوا إلى الشام وإلى الرملة بالذات فى أوائل هذا الشهر (٢) .

وفى أخبار شهر ذى الحجة المذكور أيضا — فى النصف منه — ، يقول المقريزى بعد أن يذكر أسماء من قبض عليهم جوهر من الإخشيدية والكافورية: «واعتقلهم ستة أشهر حتى سيرهم مع الهدية إلى المعز ، ومعهم الحسن بن عبد الله ابن طغج»(٣). وأهم ما نخرج به من هذا النص أن جوهرا أنفذ الحسن بن عبد الله ابن طغج إلى المعز بالمغرب فى حدود النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٥٩هـ(٤).

وفى أخبار شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، يقول المقريزى: « ولإثنتى عشرة بقيت منه ، سار جعفر بن فلاح بن أبى مرزوق إلى الشام ، وقاتل القرامطة بالرملة وهزمهم ، وأسر الحسين(٥) بن عبيد الله بن طغج وجماعته وبعثهم فى القيود الى جوهر» (٦). وفى هذا النص إشارة صريحة إلى خروج جعفر بن فلاح من مصر فى الثامن عشر من المحرم سنة ٣٥٩ هـ متوجها صوب الشام لفتحه ، وهو ما ينفرد به المقريزى دون بقية القدامى ، كما يشير أيضا إلى وقوع القتال بين كل من جيوش ابن فلاح وبين القرامطة وابن طغج مجتمعين ، أى أن ثمة

---

(٢) قارن الفقرة الأخيرة بمتن هذه الصفحة .

(٣) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٤) قارن الفقرة الأولى بمتن الصفحة التالية .

(٥) كذا أورد الاسم بالمتن عنده ، وهو خطأ ، والأصح : (الحسن) .

(٦) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

حلفا أو اتفاقا كان قائما بين الإخشيدية والقرامطة للتصدى لابن فلاح .

ويقول المقريزى فى حوادث شهر جمادى الآخرة سنة ٣٥٩هـ : « ولسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة ، أنفذ جوهر هديته إلى المعز ومعها المعتقلون فى القيود (٧) » ، وكان من بين الأسرى المنفذين إلى القيروان الحسن بن عبيد الله ابن طغج وابن غروان صاحب القرامطة (٨) .

وحين تعرض المقريزى لحوادث شهر ذى القعدة سنة ٣٥٩ هـ ، نراه يقول : « وورد الخبر بفتح جعفر بن فلاح دمشق ودخولها . وكان من خبر جعفر بن فلاح : أنه لما سار من القاهرة فى عسكره ، كان على الرملة ودمشق الحسن بن عبد الله بن طغج . فلما بلغه دخول جوهر القائد إلى مصر بعساكر المعز ، سار عن دمشق فى شهر رمضان ، واستخلف عليه (٩) شمول الإخشيدى . . . فنزل ابن طغج الرملة ، وتأهب لحرب من يسير إليه من مصر ، فوردت عليه الأخبار بسير القرامطة إليه ، ووافوه بالرملة ، فلقيهم وحاربهم ، فانهزم منهم ، ثم صالحهم وصاهرهم فى ذى الحجة . ورحل عنه القرمطى بعدما أقام بظاهر الرملة ثلاثين يوما . . . وقرب منه [أى من ابن طغج] جعفر بن فلاح . . . فالتقى مع ابن طغج وحاربه ، فانهزم منه واحتوى على عسكره ، فقتل كثيرا من أصحابه ، وأخذه أسيرا فى النصف من رجب سنة تسع (١٠) » . وكل هذه الأخبار تشير أولا إلى أن دمشق تم فتحها على يد ابن فلاح قبل شهر ذى القعدة سنة ٣٥٩ هـ أو خلاله ، كما تبين أن ابن طغج سار عن دمشق فى شهر رمضان

---

(٧) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٩) كذا وردت هذه الكلمة بالمتن ، والأصح أن يقول : « عليها » .

(١٠) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .

سنة ٣٥٨ هـ (١١) بعد ما بلغه خبر تمكن الجيوش الفاطمية من مصر بعد دخولها في شعبان سنة ٣٥٨ هـ ثم حارب القرامطة الواصلين إلى الرملة حيث حلت به الهزيمة ، وأعقب ذلك الصلح والمصاهرة في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ (١٢) بينه وبين القرامطة الذين مكثوا خارج الرملة مدة ثلاثين يوما قبل أن يرحلوا عن ابن طغج ، وأخيرا تقطع هذه الأخبار بهزيمة ابن طغج على يد ابن فلاح في الرملة وأسره في نصف رجب ٣٥٩ هـ .

ويشير المقريزي مرة ثانية إلى نفس هذه الأحداث بين ابن طغج والقرامطة في موضع آخر يفرد فيه طرفا من أخبار القرامطة ، فيقول : « فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وقد استعد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة لقتال من يرد عليه من قبل جوهر القائد ، فورد عليه الخبر بأن القرامطة تقصده ، ووافت الرملة ، فهزموا الحسن بن عبيد الله ، ثم جرى بينهم صلح ، وصاهر إليهم في ذي الحجة منها ، فأقام القرمطي بظاهر الرملة ثلاثين يوما ورحل .وسار جعفر بن فلاح ، فهزم الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وقتل رجاله وأخذه أسيرا »(١٣) . وما استخلصناه من حقائق يتضمنها النص السابق بالفقرة السابقة هو ما يمكن الخروج به من هذه الرواية الأخيرة .

وأهم الحقائق التي نخرج بها من هذه النصوص التي لا تخلو من اضطراب هي أولا : في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ - وقبل النصف منه - يصل الخبر إلى مصر بأن القرامطة دخلوا الرملة ؛ ثانيا : في ١٨ محرم سنة ٣٥٩ هـ ، يسير جعفر بن فلاح

---

(١١) قارن الفقرة التالية بالمتن .

(١٢) انظر الهامش السابق .

(١٣) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ١٨٦ .

من مصر إلى الشام ويقاتل القرامطة وابن طغج بالرملة ويهزمهم ويأسر الحسن ابن عبيد الله بن طغج ؛ ثالثا : فى ١٧ جمادى الآخرة سنة ٣٥٩ هـ ، ينفذ جوهر الأسرى الإخشيدية إلى المعز لدين الله بالمغرب ومن بينهم ابن طغج ؛ رابعا : فى شهر ذى القعدة سنة ٣٥٩ هـ ، يرد الخبر إلى مصر بأن جعفر بن فلاح فتح دمشق ودخلها ، ويدل النص على أن ذلك حدث فى شهر ذى القعدة نفسه أو فى الشهر الذى قبله ، كما يفيد بأن ابن فلاح لما سار إلى الشام كان على الرملة ودمشق ابن طغج المذكور الذى خرج عن دمشق فى رمضان سنة ٣٥٨ هـ لما بلغته أنباء وصول جوهر إلى مصر ، ونزل الرملة متأهبا لحرب ابن فلاح ، فوصلته الأخبار بقصد القرامطة له وموافاتهم إياه بالرملة حيث دار القتال ، ثم تم الصلح والمصاهرة فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ؛ خامسا : القرمطى يبقى بظاهر الرملة ثلاثين يوما قد تدخل فى شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ ؛ سادسا : بعد رحيل القرمطى يدور القتال بين ابن فلاح وابن طغج ، وتنزل الهزيمة بالأخير ويتم أسره فى منتصف رجب سنة ٣٥٩ هـ .

هذه النصوص تجعلنا لا نطمئن كثيرا لرواية المقريزى عن بداية الأحداث المتصلة بمرحلة الفتح الفاطمى للشام ، إذ أن أهم ما يمكن ملاحظته عن الاضطراب الواقع فى رواية المقريزى أنه يسجل لنا قصة هزيمة ابن طغج وأسره بعد وقعة الرملة فى ١٥ رجب سنة ٣٥٩ هـ ، بينما يخبرنا بإنفاذ أسرى الإخشيدية ـ ومن بينهم ابن طغج نفسه ـ إلى المغرب ، ويحدد لذلك تاريخا هو السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٥٩ (١٤) هـ . والخطأ واضح كما لا يخفى ، إذ كيف

---

(١٤) أورد ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٣ ، نفس اليوم والسنة ولكنه استبدل بجمادى الآخرة شهر جمادى الأولى ، إلا أن هذا لا يغير شيئا من الملاحظة التى سقناها هنا ، إذ أن التاريخ الذى ذكره ابن تغرى بردى يؤكد أيضا ما وقع فيه المقريزى من خلط فى روايته .

يبعث جوهر بأسرى الإخشيدية وعلى رأسهم ابن طغج ، فى تاريخ سابق على واقعة هزيمته وأسره فى الرملة ؟ ! وهذا التناقض الواضح فى رواية المقريزى يدفعنا إلى إعادة النظر فى كل ما كتبه عن تاريخ بداية هذه المرحلة ، خاصة وأن النص الذى أورده من حوادث سنة ٣٥٩ هـ يفيد - كما أشرنا - إلى أن دخـــول دمشق وفتحها على يد ابن فلاح إنما كان فى حدود شهر ذى القعدة من سنة ٣٥٩ هـ ،مع أنه ينص فى موضع لاحق على أن فتح الفاطميين لدمشق إنما كان فى شهر ذى الحجة من هذه السنة (١٥) ، وهـــذا مما يدعو إلى التحفظ مرة أخرى فى الاخذ بكلام المقريزى ، إذ كيف يتم فتح دمشق - حسب روايته - فى تاريخ لاحق على وصول خبر فتحها إلى مصر !!؟

ومما يلفت النظر أيضا فى رواية المقريزى ما ذكره فى حوادث شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ من ورود الخبر إلى مصـــر بدخول القرامطة الرمله ، ثم ترديده ما يبدو أنه توضيح لهذا الخبر فيما ذكره فى حوادث شهر ذى القعدة سنة ٣٥٩هـ وفى عزوه إلى حوادث سنة ٣٥٨ هـ من وقوع القتال بين ابن طغج والقرامطة فى شهر ذى الحجه سنة ٣٥٨ هـ ، هذا بالإضافه إلى ما أشار إليه من القتال الذى نشب بين كل من ابن فلاح وبين ابن طغج والقرامطة بالرمله إثر خروج القائد المغربى من مصر فى الثامن عشر من المحرم سنة ٣٥٩ هـ ،إذ أن هذه الأخبـــار كلها تدعو إلى التأمل لأنها تناقض النصوص التى تضمنتها روايات بقية المؤرخين القدامى ، باستثناء الدوادارى الذى أتى بنفس التفاصيل التى أوردها المقريزى من عقد الصلح - وإن أغفل المصاهرة - ومكوث القرامطة على الرملة ثلاثـــين يوما ورحيلهم بعدها عنها ، إلا أنه لا يذكر شيئا مما أشار إليه المقريزى من

---

(١٥) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ — ١٢٥ ؛ وانظر ما جاء هنا فيما بعد عنـــد إشارتنا إلى الهوامش من رقم (٨٧) إلى رقم (١٠٢) فى هذا الفصل .

التقاء الأطراف الثلاثة عند الرملة بعد خروج ابن فلاح من مصر فى ١٨ المحرم سنة ٣٥٩ هـ، فى الوقت الذى يحدد فيه أيضا هزيمة ابن طغج وأسره بالرملة بمنتصف سنة ٣٥٩ هـ (١٦). وعلى الرغم من أن يحيى الأنطاكى قد حدد أيضا عام ٣٥٩ هـ تاريخا لإنفاذ جوهر لجعفر بن فلاح إلى الشام لفتحه (١٧)، إلا أنه يعين تاريخ التقاء بين القرامطة وابن طغج بظاهر الرملة بشهر ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ (١٨).

ويعتبر تحديد تاريخ اللقاء الذى تم بين ابن طغج والقرامطة عند الرملة نقطة بداية هامة للتعرف على التاريخ الصحيح لبدء العمليات الحربية فى الشام بين الفاطميين والإخشيديين، إذ نجد لدينا ثلاثة من القدامى هم يحيى والدوادارى والمقريزى يوردون تاريخ دخول الفاطميين الشام على أنه عام ٣٥٩ هـ، وقد تبعهم فى هذا طائفة من المحدثين هم الدكتور عمر كمال (١٩) الذى استأنس بيحيى وبالمقريزى معا فيما يتصل بهذا التاريخ، وبالمقريزى وحده عن سقوط الرملة وأسر ابن طغج؛ وكذلك الدكتور سرور (٢٠) الذى اعتمد

---

(١٦) الدرة المضية، ص ١٢٢، ويستمد الدوادارى فى الواقع مادته عن الأحداث التى ذكرناها الآن من أبى القاسم على بن محمد بن يحيى السلمى السميساطى (ت ٤٥٣ هـ) فيما استلسخه منه فى أخبار الشام حتى حوادث سنة ٣٩٤، وهو ما نص عليه صراحة فى: ص٢٧٢. وهو نفس المصدر الذى رجع إليه المقريزى عن نفس الأحداث، إلا أنه لم يشر إليه بالمرة؛ وقد أثبتنا رجوعه إلى السميساطى المذكور فى بحث آخر بعنوان (مصادر المقريزى فى كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا فى العصر الفاطمى الأول) ونعده الآن للطبع.

(١٧) تاريخه، ص ١٣٨.

(١٨) نفس المصدر، ص ١٣٢.

(١٩) مقدمات، ص ٦٤ — ٦٥.

(٢٠) النفوذ الفاطمى، ص ١٧؛ وله أيضا: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١١٨.

على المقريزى مصدراً له فى تاريخ خروج حملة ابن فلاح إلى الشام ، وإن كان حدد التاريخ أولا بأوائل سنة ٣٥٩ هـ وثانيا بأواخر هذه السنة(٢١) ، والتاريخ الأول هو الأصح حسب مصدره المقريزى ؛ والأستاذ عنان (٢٢) الذى يبدو أنه ينقل عن المقريزى — وإن لم يشر إليه - إذ كان المقريزى هو الوحيد من بين القدامى الذى ذكر الشهر الذى توجهت فيه الجيوش الفاطمية من مصر إلى الشام ؛ كما نلاحظ أن هؤلاء المحدثين لم يذكروا شيئا عن أى لقاء تم بين الجيوش الفاطمية والقرامطة فى وقعة الرملة التى تم فيها أسر الحسن بن عبيد الله بن طغج باستثناء الأستاذ عنان الذى نص على هذا اللقاء حسب رواية المقريزى فيما يبدو. هذا ، بينما تفيد النصوص لدى كل من ابن عساكر وابن الأثير وابن خلكان والذهبى وابن تغرى بردى وكذلك ظواهر النصوص فى روايات سبط ابن الجوزى وأبى الفدا وابن كثير وابن خلدون (٢٣) على أن وقعة الرملة وهزيمة ابن طغج وأسره إنما حدثت فى سنة ٣٥٨ هـ ، وبالذات فى شهر ذى الحجة منها عند كل من ابن عساكر وابن الأثير وابن خلكان والذهبى وابن تغرى بردى ، بينما لم يتعرض جميع من ذكرنا الآن إلى القرامطة كطرف ثالث فى القتال الذى نشب بين ابن طغج وابن فلاح عند الرملة . فليس ثمة إشارة صريحة إذن فى كل كتابات هؤلاء القدامى - سواء منهم من حدد عام ٣٥٨ هـ أو عام ٣٥٩ هـ تاريخا لبدء العمليات الحربية فى الشام بين الفاطميين والإخشيديين — إلى هذا اللقاء الذى انفرد به المقريزى ، بينما انضم هو إلى الدوادارى فى ذكر القتال الذى نشب بين القرامطة وابن طغج فى ذى الحجه عام ٣٥٨ هـ .

---

(٢١) انظر ما قبله ، ص ١٧٦ .

(٢٢) الحاكم ، ص ٧٦ .

(٢٣) انظر ما قبله ، ص ١٣٥ — ١٣٧ ، والهوامش من رقم ١ إلى رقم ٩ بالفصل الرابع .

وليس ثمة ما يدعو إلى رفض ما نص عليه بقية المؤرخين القدامى - ومن بينهم يحيى الأنطاكى نفسه ، الذى يحدد تاريخ دخول الفاطميين إلى الشـــام بعام ٣٥٩ ﻫ كما ذكرنا - من أن القتال الذى دار بين ابن طغج والقرامطة إنما كان فى عام ٣٥٧ ﻫ وفى شهر ذى الحجة أيضا كما أورده بعضهم ، وليس فى ذى الحجة من عام ٣٥٨ ﻫ كما ذهب كل من الدوادارى والمقريزى . وفى استعراضنا لأقوال هؤلاء القدامى سبيل إلى تحليل ومن ثم شجب ما جاء به الدوادارى والمقريزى.

وأهم ما نخرج به ابتداء من روايتى الدوادارى(٢٤) والمقريزى (٢٥) هو أن ابن طغج - وهو بدمشق - لما ترامت إليه أخبار دخول جوهر مصر ، غادر دمشق فى شهر رمضان سنة ٣٥٨ ﻫ ، واستخلف بها شمولا الإخشيدى ، ونزل الرملة متأهبا لحرب الفاطميين ، إلا أن القرامطة وافوه بها ، ووقع القتال ثم الصلح فى شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ ﻫ ، وبقى القرامطة على الرملة مدة ثلاثين يوما ورحلوا .

أما بقية المؤرخين القدامى ، فمن المفيد أن نورد أولا أقوالهم ، مـــع تحليلها ثم مقابلتها بما ذكره الدوادارى والمقريزى .

يقـــول يحيى - فى حوادث سنة ٣٥٧ ﻫ - : « وورد القرامطة إلى دمشق ، وأتوا عليها وعلى سائر أعمالها ، وساروا إلى الرملة ، ولقيهم الحسن بن عبيد الله ابن طغج ، ووقع بينهم حرب عظيمة بظاهر الرملة فى ذى الحجة سنة سبـــع وخمسين وثلاثمائة ، فانهزم ابن عبيد الله من الشام ودخل إلى مصر ، واستولت

(٢٤) الدرة المضية ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٢٥) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ ، ١٨٦ .

القرامطة على الرمله واستباحوها ، وقاطعهم أهلها على مائة وخمسة وعشرين ألف دينار مصرية ... وعاد ابن عبيد الله إلى الشام (٢٦) » . وهذا يعنى أن القرامطة استولوا فى سنة ٣٥٧ هـ على دمشق ، ثم استولوا على الرملة فى ذى الحجة من نفس السنة وفرضوا أتاوة على أهل الرملة ، كما يدل على فرار ابن طغج إلى مصر ثم عوده إلى الشام .

ويقول ابن عساكر فى ترجمة الحسن الأعصم القرمطى : « ... وغلب على الشام فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، وولى عليها وشاحا السلمى ، ثم رجع إلى الأحساء سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (٢٧) » . كما يقول فى ترجمة الحسن بن عبيد الله بن طغج : « ولى دمشق سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . وكان ابن عمه أحمد بن على بن الإخشيد صاحب مصر وكان صبيا ، فطمع الحسن بالاستيلاء على مصر ، فقصدها ، فلقيه وجوه الدولة وأطمعوه بالمال ، فقبضه ، ورجع إلى الشام ، وكان يلى الرملة قبل ذلك . فلما غلبت القرامطة على الشام ذهب إلى مصر . فلما توجهت القرامطة إلى الأحساء سنة ثمان وخمسين ، جمع المترجم من مصر من بها من الإخشيدية والكافورية وتوجه إلى الشام فى نصف ربيع الآخر من السنة المذكورة ، فأقام بالرملة أياما ، ثم أتى دمشق فوصلها فى رجب وأقام بها أياما . فلما بلغه وصول جوهر قائد الملقب بالمعز إلى مصر ، رجع إلى الرملة واستخلف على دمشق شمول مولى كافور ، ورحل عنها فى شعبان من هذه السنة وصار إلى الرمله . فلما توجه جيش المصريين إلى الشام ، لقيهم المترجم بظاهرها فى ذى الحجة ، وقاتلهم ، فانهزم أصحابه ، وأخذ إلى مصر

---

(٢٦) تاريخه ، ص ١٣٢ .

(٢٧) تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .

أسيرا (٢٨) » . ويدل كل هذا على أن القرامطة استولوا على الشام فى ذى الحجة ٣٥٧ هـ ، وولى الأعصم عليه ـ والمقصود دمشق ولا شك ـ وشاحا السلمى ، وعودة الأعصم إلى الأحساء سنة ٣٥٨ هـ . كما يفيد النص الثانى أن ابن طغج ولى دمشق سنة ٣٥٨ هـ وكان يلى قبل ذلك الرملة حين غلبته القرامطة على الشام ، وفى إثر ذلك يتوجه ابن طغج إلى مصر لكى يعود إلى الشام فى ١٥ ربيع الآخر سنة ٣٥٨ هـ بعد رحيل القرامطة إلى الأحساء فى السنة المذكورة ، وأنه أقام بالرملة أياما ، ثم خرج منها فوصل إلى دمشق فى رجب سنة ٣٥٨ هـ ومكث بها مدة يسيرة ، ثم رجع إلى الرملة لما بلغته أنباء وصول جوهر إلى مصر ، واستخلف على دمشق شمولا ورحل عنها فى شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، وبلغ الرملة ، ثم قاتل الفاطميين خارجها فى ذى الحجه سنه ٣٥٨ هـ .

ويقول الذهبى ـ فى حوادث سنة ٣٥٧ هـ ـ : « وفى آخر العام ، جاءت القرامطة من البرية وتوثبوا على دمشق فملكوها وساروا إلى الرملة ، فالتقاهم الحسن بن عبيد الله الإخشيدى فهزمهم [كذا] ، ثم قاتلوا أهل الرمله أشد قتال واستباحوها [كذا] بعد يومين ، ثم إن أهلها دافعوا عن أنفسهم بمائة ألف وعشرين ألف دينار (٢٩) » . كما يقول فى ترجمة سنة ٣٥٨ هـ : « وفيها ولى إمرة دمشق الحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيدى ، فأقام شهرا ، ورحل فى شعبان ، واستناب بها شمون [كذا] الكافورى ، ثم سار إلى الرملة ، فالتقى

---

(٢٨) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .

(٢٩) فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، بقية ٥ ١ (الواقع أوله فى صفحة ٢٥٣) .

العبيديين فى ذى الحجه بالرملة ، فانهزم جيشه وأخذ أسيرا (٣٠) » . والذهبى هنا يحدد تاريخ استيلاء القرامطة على دمشق بآخر عام ٣٥٧ هـ ، أى فى شهر ذى الحجه منه ، ويذكر قتال ابن طغج لهم بالرملة وفرضهم أتاوة على أهل هذه المدينة . وفى النص الثانى يخبرنا بتولية ابن طغج لإمرة دمشق فى عام ٣٥٨ هـ وإقامته بها شهرا ورحيله عنها فى شعبان [أى أن توليته لها كانت فى رجب سنة ٣٥٨ هـ] إلى الرملة بعد استخلافه شمولا ، وإقامه الفاطميين بالرملة فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ .

ويقول ابن تغرى بردى – فى حوادث سنة ٣٥٧ هـ – :

« وكان [أى الحسن بن عبيد الله بن طغج] صاحب الرملة من بلاد الشام . . . وكان قد قدم الحسن بن عبيد الله من الشام منهزما من القرامطة لما استولوا على الشام . . . وحكم بمصر وتصرف . . . ثم سار إلى الشام فى مستهل شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (٣١) » . ثم يقول فى موضع آخر فى حوادث نفس السنة : « قدم الحسن بن عبيد الله بن طغج من الشام منهزما من القرامطة . . . وتولى الحسن بن عبيد الله تدبير مصر بنفسه ثلاثة أشهر . . . ثم سافر الحسن بن عبيد الله بن طغج من مصر إلى الشام فى مستهل شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (٣٢) » . ويقول – فى حوادث سنة ٣٥٨هـ – : « وفيها ولى إمرة دمشق الحسن بن عبيد الله بن طغج ابن أخى الإخشيد ، فأقام

(٣٠) فى : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، هـ ٢ (الواقع أوله فى صفحة ٢٥٦) .

(٣١) النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣٢) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٤ .

بها شهورا ، ثم رحل فى شعبان ، واستناب بها سمول [كذا بالسين المهملة] الكافورى ؛ ثم سار الحسن إلى الرملة ، فالتقى مع ابن فلاح مقدمة جوهـــر القائد فى ذى الحجه بالرملة ، فانهزم جيشه وأخذ أسيرا (٣٣) » . وفى حـوادث نفس السنة يعود فيقول : « ولما ملك جوهر مصر ، كان الحسن بن عبيد الله ابن الإخشيد [كذا] . . . بالشام وهو بيده إلى الرملة ؛ فبعث إليه جوهر بالقائد جعفر بن فلاح . . . فقاتل ابن فلاح حسنا المذكور بالرملة حتى ظفر به (٣٤) » . والنص الأول يفيدنا بنشوب قتال بين القرامطة وابن طغـــج فى سنة ٣٥٧ هـ واستيلائهم على الشام ، وتوجه ابن طغج إلى مصر ثم رجوعه إلى الشام فى أول ربيع الآخر سنة ٣٥٨ هـ . وفى النص الثانى ما يفيد بوقوع القتال بينه وبين القرامطة فى ذى الحجه سنة ٣٥٧ هـ ، إذ هو مكث بمصر بعد توجهه إليها ثلاثة شهور ثم رحل عنها فى مستهل ربيع الآخر سنة ٣٥٨ هـ . وأما النص الثالث فيفيد تولية ابن طغـج إمرة دمشق فى سنة ٣٥٨ هـ ثم رحيله عنها فى شعبان من نفس السنة ــ بعد استنابته شمولا ــ متوجها إلى الرملة حيث التقى بابن فلاح فى ذى الحجه من سنة ٣٥٨ هـ .

ويقول السيوطى : « وفى سنة سبع [وخمسين وثلاثمائة] ملك القرامطة دمشق (٣٥) » . ولا نخرج من هذا النص إلا بامتـــلاك القرامطة دمشق فى سنة ٣٥٧ هـ .

---

(٣٣) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٦ .

(٣٤) نفس المصدر ، ج ٤ ، ٣٢ .

(٣٥) السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ص ٤٠١ ، الطبعة الثالثة ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م .

ونخلص من كل هذا إلى أن ابن طغج كان يلي الرملة سنة ٣٥٧ هـ ، وأن القرامطة بلغوا الشام في ذي الحجة سنة ٣٥٧ هـ حيث استولوا على دمشق وهزموا ابن طغج بالرملة ، وفرضوا أتاوة على أهلها ، ثم ولوا وشاحا السلمي إمرة دمشق في عام ٣٥٨ هـ ورحلوا إلى الاحساء في نفس العام ، بينما لجأ ابن طغج إلى مصر بعد هزيمته ، ثم خرج منها إلى الشام في مستهل ربيع الآخر سنة ٣٥٨ هـ أو في منتصفه ، أو هو سار من مصر في أول ربيع الآخر ٣٥٨ هـ ووصل إلى الرملة في منتصفه ، في طريقه إلى دمشق ليكون واليا عليها ، وأنه بلغ دمشق في رجب سنة ٣٥٨ هـ ومكث بها شهرا وغادرها - وقد استخلف عليها شمولا - في شعبان من نفس السنة إلى الرملة بعد أن بلغته أنباء دخول جوهر مصر ، ثم التقى بابن فلاح بالرملة في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ .

وكل هذه الروايات تنفي في مضمونها نشوب أي قتال في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ بين القرامطة وابن طغج بالرملة ، هذا بالإضافة إلى ما ذكره غير هؤلاء من القدامى من أن عام ٣٥٨ هـ - وفي شهر ذي الحجة بالذات - إنما شهد الصدام بين الفاطميين وابن طغج بالرملة وإن لم يتعرضوا في كتاباتهم إلى هذه الوقائع التي دارت في عام ٣٥٧ هـ بين القرامطة وابن طغج ، كابن الأثير وأبي الفدا مثلا .

ولكي يتضح الخلط الذي وقع فيه كل من الدواداري والمقريزي لابد لنا أن نشير إلى تلك الأتاوة التي فرضها القرامطة على الإخشيدية بالشام . فقد ذكر جمهور المؤرخين القدامى توجه الحسن الأعصم إلى الشام في عام ٣٦٠ هـ لطرد الفاطميين من هناك بعد أن منعوا عن القرامطة الأتاوة السنوية المفروضة على

ابن طغج نفسه كما يقول سبط ابن الجوزى (٣٦) وابن الأثير (٣٧) ؛ أو على بنى طغج كما يذهب ابن خلدون (٣٨) ؛ هـذا إلى جانب الدوادارى (٣٩) والمقريزى (٤٠) نفسيهما اللذين يفيدان بفرضها على الإخشيدية ؛ بينما اخطـأ ابن تغرى بردى فى ذكره أنها فرضت على ابن الإخشيـد (٤١) إذ المقصود ابن أخى الإخشيد أى الحسن بن عبيد الله بن طغج ؛ فى حين ذكر يحيى (٤٢) والذهبى (٤٣) فى حوادث سنة ٣٥٧ هـ فرض هذه الأتاوة على أهل الرملة .

ويفهم من روايتى الدوادارى والمقريزى - مع ملاحظة أنهما لم يذكرا شيئا عن وقائع سنة ٣٥٧ هـ بين القرامطة وابن طغج - أن هذه الأتاوة لا بد وأنها فرضت على الإخشيدية فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ؛ ولا يعنى هذا إلا أنهـا فرضت على ابن طغج ، إذ كان هو الممثل للإخشيدية بالشام فى ذلك الوقت . وفى هذا يتقابل الدوادارى والمقريزى وابن خلدون مع سبط ابن الجوزى وابن الأثير فيما يتصل بفرض الأتاوة ، بينما يقع الخلاف فى تحـديد تاريخ فرضها والظروف المحيطة بها . ومن المستبعد أن يكون ذلك فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، فبالرغم من أن بقية القدامى يشيرون إليها - عند تعرضهم لحوادث

---

(٣٦) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ .

(٣٧) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ .

(٣٨) العبر ، ج ٤ ، ص ٥٠ ، ٩٠ ؛ وقارن فيه : ص ٤٩ .

(٣٩) الدرة المضية ، ص ١٣٢ .

(٤٠) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(٤١) النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٤ .

(٤٢) راجع ما قبله ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ و هـ ٢٦ بهذا الفصل .

(٤٣) راجع ما قبله ، ص ٢٣٤ و هـ ٢٩ بهذا الفصل .

سنة ٣٦٠ هـ . إلا أنهم لم ينصوا أو لم يذكروا شيئاً عن فرضها في عام ٣٥٧ هـ على دمشق بالذات ، بينما النص صريح لدى كل من يحيى والذهبي بفرضها على مدينة الرملة لا دمشق .

ولا يمكن تفسير كل ذلك إلا اذا سلمنا ـ بادىء ذى بدء ـ بأقوال كل من يحيى والذهبي ، إذ كان ابن طغج متوليا الرملة دون دمشق في عام ٣٥٧ هـ كما مر بنا منذ قليل ، بينما لم يتسلم ولايه دمشق إلا في رجب سنة ٣٥٨ هـ ، بمعنى أن المال الذي فرض على ابن طغج كان مفروضا أصلا على الرملة في ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ ، ولما تولى ابن طغج إمره دمشق أجاز أيضاً هذه الأتاوة ، فأصبحت دمشق هي الملتزمة بأدائها .

وقد وضع صلاح الدين الصفدى كتابه عن أمراء دمشق في الإسلام فأفرد لذلك مقدمة وأرجوزة ذكر فيها ـ فيمن ذكر ـ ولاة دمشق في الفترة التي نتناولها الآن بالدراسة ، إلا أن التواريخ فيها غير محددة بصورة متواترة ، مما حدا بالدكتور صلاح الدين المنجد ـ محقق الكتاب ـ إلى إفراد ملحق للولاة حسب تواريخ مقدمهم دمشق وخروجهم منها مستعينا في ذلك بتاريخ دمشق لابن عساكر ، فذكر الدكتور المنجد في هذا الملحق من ولاة دمشق منذ شهر ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ كل من صالح بن عمير (عن الحسن بن عبيد الله) الذى عزل في ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ أيضاً ، ليتولاها الحسن بن أحمد القرمطي في نفس التاريخ ، بينما ولى القرمطي نيابة عنه وشاحا السلمى في عام ٣٥٨ هـ ، ثم وليها الحسن بن عبيد الله بن طغج في رجب سنة ٣٥٨ هـ وأناب عنه بها شمولا

فى شعبان سنة ٣٥٨ هـ (٤٤).

ويذكر ابن تغرى بردى فى وفيات سنة ٣٥٩ هـ وفاة الأمير صالح بن عمير العقيلى أمير دمشق الذى وليها خلافة عن الحسن بن عبيد الله بن طغج ابن أخى الإخشيد فى دولة أحمد بن على بن الإخشيد فى سنة ٣٥٧ هـ، وينص على أنه وقع فى ولايته على دمشق أمور وحروب (٤٥). ولهذا الكلام الأخير أهميته، إذ أنه شاهد على استيلاء القرامطة على دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ، وهو نفس التاريخ الذى حدده الدكتور المنجد — نقلا عن الصفدى — لتولية الحسن الأعصم إمرة دمشق الذى ولى نيابة عنه وشاحا السلمى فى عام ٣٥٨ هـ، وهو ما يتفق أيضا وما ذكره ابن عساكر فى ترجمتى الحسن الأعصم وابن طغج من استيلاء الأعصم على الشام فى ذى الحجة ٣٥٧ هـ وتوليته وشاحا السلمى نيابة عنه فى عام ٣٥٨ هـ ثم رحيله إلى الأحساء فى نفس هذا العام. وإذا نحن وضعنا سنة ٣٥٧ هـ بدل سنة ٣٥٨ هـ فى روايتى الدوادارى والمقريزى عن اللقاء الذى تم بين القرامطة وابن طغج فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ، فى الوقت الذى نأخذ فى اعتبارنا أنهما ذكرا أن القرامطة مكثوا بالرملة مدة ثلاثين يوما ارتحلوا بعدها إلى الأحساء، أمكن لنا أن نستنتج — بعد استبعاد ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ — أن هذه الثلاثين يوما تدخل فى شهر المحرم سنة ٣٥٨ هـ، أى أن الأعصم رحل عن الرملة فى المحرم سنة ٣٥٨ هـ، فى حين بقى وشاح السلمى — نائب القرمطى —

---

(٤٤) الصفدى (صلاح الدين)، أمراء دمشق فى الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ من الملحق الثانى الذى يبدأ بصفحة ١٩٩، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق، ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م.

(٤٥) النجوم، ج ٤، ص ٥٦.

بدمشق حتى رجب سنة ٣٥٨ هـ، وهو تاريخ دخول ابن طغج لها . وعلى هذا يصح لنا أن نفسر روايتى الدوادارى والمقريزى - بعد استبعاد وقائع القتال الذى نشب فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ كما يقولان ، والذى تبين لنا الآن أنه لم يحدث فى هذا التاريخ - أن الأحداث اختلطت لديهما عن وقائع ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ فأدخلاها فى حوادث عام ٣٥٨ هـ ؛ وبمعنى آخر فإن آخر ما نخلص إليه هو أن القرامطة استولوا على دمشق والرملة وفرضوا أتاواتهم فى ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ وليس فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، لأن هذا التاريخ الأخير هو الذى دارت فيه الوقائع بين ابن طغج وابن فلاح عند الرملة كما سنحاول أن نثبته بعد قليل .

وقبل أن ننتقل إلى تحديد تاريخ لبدء العمليات الحربية بالشام بين الإخشيديين والفاطميين ، نشير أيضا إلى ما ذكره المقريزى - وانفرد به - عن ذلك القاء بين القرامطة والإخشيدية فى جانب وبين الفاطميين فى جانب آخر . ومع أن المصادر التى تعرضنا لذكرها الآن والتى لم تذكر شيئا عن ذلك القاء - ومن بينها يحيى والدوادارى اللذان حددا مع المقريزى دخول الجيوش الفاطمية إلى الشام فى عام ٣٥٩ هـ - إلا أن استقراء الحوادث التى تمت فى الأحساء - موطن قرامطة البحرين - تؤكد أيضا أن القرامطة لم يكونوا موجودين بالشام فى أواخر سنة ٣٥٨ هـ - وفى شهر ذى الحجة بالذات - وأوائل سنة ٣٥٩ هـ - أو فى المحرم منها ، وهو التاريخ الذى أورده المقريزى لخروج القوات الفاطمية بقيادة ابن فلاح إلى الشام لفتحه ، والذى يورد بعد هذا قصة ذلك القاء الذى انتهى عنده بهزيمة ابن طغج وأسره مع بعض القرامطة كابن غزاون

صاحبهم . (٤٦) ومن الممكن أن نفسر ذلك ـ لو صح ما ذكره المقريزى ـ بأن ابن غزوان هذا ربما كان على رأس حامية تركها القرامطة فى الرملة بعد رحيلهم إلى الأحساء فى المحرم سنة ٣٥٨ ه ليكون ممثلا لهم هناك للاطمئنان على تنفيذ الاتفاق بدفع الأتاوة السنوية للقرامطة ، هذا على الرغم من أن جميع المصادر ـ باستثناء المقريزى بطبيعة الحال ـ التى رجعنا إليها والتى أشرنا إليها فى أكثر من موضع لم تشر إلى ما يفيد ذلك من قريب أو بعيد ، إلا أن هذا ربما يكون التبرير المعقول لما أورده المقريزى فى هذا الصدد .

أما عن القرامطة فى البحرين وما كان يدور بين ظهرانيهم من أحداث هناك فى عام ٣٥٨ ه ، فهو يعد دليلا يصح الاستناد إليه فى انتفاء وجودهم بالشام كقوة حربية عاملة فى ذلك الوقت بعكس ما ذهب إليه المقريزى . فقد ذكر ابن عساكر رجوع الحسن الأعصم إلى الأحساء من الشام فى عام ٣٥٨ هـ (٤٧) فى شهر المحرم كما رجحنا ـ ولم يبين لنا سبب رجوعه المفاجىء هذا ، إلا أن ابن حوقل ـ الرحالة الجغرافى المعاصر ـ يمدنا بخبر عن انقسام القرامطة فى البحرين ، وهو الانقسام الذى انتهى بقتل سابور بن أبى طاهر فى حدود سنة ٣٥٨ ه (٤٨) كما نفهم من النص لديه . بينما نجد لدى ابن الأثير (٤٩) وأبى الفدا (٥٠) تأكيداً لوقوع هذا الحادث فى سنة ٣٥٨ ه ، فقد ذكرا أن ابن أبى طاهر طلب من أعمامه أن يسلموا الأمر إليه فحبسوه ، ثم قتلوه فى

---

(٤٦) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٤٧) تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ١٤٨ ، ١٩٠ .

(٤٨) ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ٣٣ .

(٤٩) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٧ .

(٥٠) المختصر ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

منتصف رمضان من هذه السنة ، كما يشير ابن تغرى بردى إلى نفس الواقعة إلا أنه لا ينص على مقتل سابور ، كما يحدد شهر ذي الحجة من سنة ٣٥٨ هـ تاريخا لوفاته بعد خروجه من الحبس كما يقول(٥١) .

وهذا يدل على انشغال القرامطة فى موطنهم بالأحداث الداخلية العنيفة التى يرجح أنها بدأت فى مفتتح عام ٣٥٨ هـ ، وهذا يفسر رحيل الأعصم المفاجىء عن الرملة بعد مكوثه ثلاثين يوما كما أشرنا من قبل ، إذ كان فى سعة من أمره لكى يبقى هناك مدة أطول خاصة وأن الشام كان قد دان له بعد لقائه بابن طغج عند الرملة فى ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ ، ومن المرجح أن الأنباء وصلته بخبر النزاع بين أفراد أبى طاهر فى مفتتح سنة ٣٥٨ هـ فلم يجد مندوحة من الرجوع بسرعة إلى البحرين، خاصة وأن سابوراً كان قد قبض على أبيه أحمد ابن أبى سعيد ، ولكن الأخير تمكن من الإفلات من معتقله وقتل سابورا (٥٢) .

وقد يرمز التاريخ الذى ذكره ابن تغرى بردى لوفاة سابور الوقت الذى استغرقته الأحداث فى بلاد البحرين والتى لم تنته إلا بقرب انصرام عام ٣٥٨هـ، كما يؤيد ما ذهبنا إليه من انشغال القرامطة بهذه الأحداث مما ينتفى معه ماذهب إليه الدواداري والمقريزى من توجه القرامطة إلى الشام فى ذى الحجة سنة ٣٥٨هـ، وإنما الصحيح — على هذا — هو ما توصلنا إليه خلال هذا التحليل من أن ذلك حدث فى ذى الحجة من سنة ٣٥٧ هـ . ويبدو من المعقول كذلك أن تنقى

---

(٥١) النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

(٥٢) راجع : حسن وشرف ، المعز ، ص ١٠٠ ؛ حسن إبرهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥ ؛ سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٤٨ ؛ تامر ، القرامطة ، ص ١١٤ — ١١٥ ؛ ومن الملاحظ أنه لم يذكر تاريخا لمقتل سابور .

وجود القرامطة مع الحسن بن عبيد الله بن طغج فى الوقعـــة التى دارت بينه وبين ابن فلاح كما يردد المقريزى ، بغض النظر عن التـــاريخ الذى أورده لسقوط الرملة وأسر ابن طغج وابن غزوان صاحب القرامطة وهو منتصف رجب سنة ٣٥٩ ﻫ ، بدليل أنه هو نفسه قد نص على رحيل القرامطة عن ابن طغج بعد أن مكثوا ثلاثين يوما بظاهر الرملة ، بينما لم يذكر شيئا يفيد رجوع القرامطة إلى الشام فى عام ٣٥٩ ﻫ لكى يدور القتال بين الأطراف الثلاثة ، هذا مع التسليم بما رددناه عنه منذ قليـــل من ذكره لبعض أسرى القرامطة كابن غزوان ، وهو ما فسرناه بوجود حاميـــة للقرامطة فى الرملة فى ذلك الوقت . وسوف نرى بعد قليل أيضا أن جميع المصادر - ومن بينها المقريزى نفسه - تنص على أن القرامطة لم يتوجهوا إلى الشام مرة أخرى - أى بعد اجتياحهم الشام فى نهاية سنة ٣٥٧ ﻫ كما حاولنا إثباته - إلا فى سنة ٣٦٠ ﻫ ، وهى السنة التى تم فيها أول صدام حربى فى ذى القعدة منها بين القرامطة والفاطميين فى دمشق بالذات .

ولعل آخر شاهد ينهض دليلا على انتفاء أى اتفاق بين القرامطة والفاطميين بالصورة التى أوردها المقريزى ، وفيه حلت الهزيمة - على هذا - بالقرامطة هو ما نستمده من المقريزى نفسه حين قال - وهو يستعرض أهم الأحـــداث والوقائع التى أوردها فى عهد المعز ، نقلا عن ابن زولاق المؤرخ المعاصر -: «وهزمت القرامطة فى أيامه أربع مرات : مرتين فى البر على باب مصر، ومرتين فى البحر ، وما تم عليهم هذا قط منذ ظهر أمرهم»(٥٣) . وقد يؤدى هذا النص

---

(٥٣) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

إلى عكس ما نريد إثباته إذا حددنا أنفسنا بحرفية العبارة التى يقول فيهـــا : « وهزمت القرامطة على أيامه » لكى تعنى وقت وجوده فى مصر . إلا أن الشواهد التاريخية المستمدة من هـــذا النص وغيره من نصوص القدامى تثبت كلها أن الهزيمة الأولى على باب مصر إنما كانت قبل دخول المعز القـــاهرة فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، بينما حلت الهزيمة بالقرامطة على باب القاهرة فى ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ (٥٤) . فالمقصود بأيام المعز على هـــذا هو الوجود الفاطمى فى مصر على عهده وهو ما زال فى المغرب . ولو كان ثمة هزيمـــة أخرى حلت بالقرامطة فى أيامه لكان ابن زولاق - الذى ينقل منه المقريزى هنا - أثبتها أيضا ، ولكان المقريزى أضافها - بالتالى - إلى عبارة ابن زولاق أو علق عليها لتصبح الهزائم ثلاثا بعد إضافة ماذكره من هزيمتهم عند الرملة - مع ابن طغج - فى منتصف رجب سنة ٣٥٩ هـ ، وهـو ما استبعدنا وقوعـــه ، أو حتى فى الحجة ٣٥٨ هـ وهو التاريخ الذى أخذنا به عن وقعة الرملة بين ابن طغج وابن فلاح .

ولعل أهم القرائن التى تتيح لنا أيضا الشواهد على ترجيح تاريخ خروج الحملة الفاطمية من مصر إلى الشام افتتحه بأواخر عام ٣٥٨ هـ وليس فى عـــام ٣٥٩ هـ لا ما ذكره بعض القدامى من نشوب أول قتـــال بين الفاطميين والإخشيديين عند الرملة فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ (٥٥) ، وإنمـــا ما أورده فئة منهم من إقامة أول خطبة للمعز بدمشق فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ إذ نص كل

---

(٥٤) سبط ابن الجوزى ، ف : ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢ ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، ١٨٨ ؛ وله أيضا : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(٥٥) راجع ماقبله ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، ٢٣١ .

من ابن الأثير (٥٦) وأبي الفدا (٥٧) على أن ذلك حدث يوم الجمعة لأيام خلت من المحرم سنة ٣٥٩ هـ وهو ما يفيد الجمعة الأولى من شهر المحرم هـــذا وهو يوافق السادس منه (٥٨)؛ وقريب مما ذكره ابن الأثير وأبو الفدا ما أشار إليه ابن خلدون من أن ذلك كان « لأيام خلت من المحرم سنة تسع وخمسين (٥٩)»؛ بينما يكتفي كل من ابن كثير (٦٠) وابن تغرى بردى (٦١) بذكر شهر المحرم من هذه السنة فحسب؛ في حين لا يذكر ابن خلكان شيئا عن هذه الخطبة ولكنه يحدد تاريخ امتلاك ابن فلاح لدمشق بشهر المحرم من هذه السنة (٦٢) .

إلا أن الشهر الذي خرج فيه الفاطميون إلى الشام في هذه السنة - مـــع مراعاة إغفال تحـــديد المقريزى له بالمحرم سنة ٣٥٩ هـ - لا يزال من الصعب تحديده ، خاصة وأن المؤرخين المحدثين الذين تابعوا القدامى ممن تفيد النصوص لديهم بدخول الفاطميين الشام في أواخر سنة ٣٥٨ هـ اختلفوا أيضا في تحديد الشهر في هذه السنة تاريخا لاستيلاء الفاطميين على الرملة ، بينما أغفل بعضهم هذا الشهر تماما في كتاباتهم ، في حين زاد الأمر صعوبة إغفال البعض منهم ذكر

(٥٦) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ .
(٥٧) المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .
(٥٨) يوافق يوم الأحد غرة المحرم سنة ٣٥٩ هـ ؛ راجع : التوفيقات الإلهامية .
(٥٩) العبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ .
(٦٠) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٧ .
(٦١) النجوم ، ج ٤ ، ص ٣٢ — ٣٣ .
(٦٢) وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

مصادره . فقد حـــدد الدكتوران حسن وشرف (٦٣) والأستاذ تامر (٦٤) سقوط الرملة فى يد جعفر بن فلاح بشهر ذى القعدة سنة ٣٥٨ ه ، إلا أنهم لم يذكروا مصادرهم ، مع ملاحظة أن الدكتور حسن إبراهيم وهو يكتب منفردا يذكر نفس التاريخ فى إيقاع ابن فلاح بابن طغج دون أن يذكر واقعة الرملة أو مصادره.(٦٥)وقريب من هذا ماذكره الدكتور على إبراهيم حسن (٦٦) من وصول جعفر بن فلاح إلى دمشق فى ١٠ ذى الحجة سنة ٣٥٨ ه ، إلا أنه لم يحدد لنا المصدر الذى استقى منه معلوماته ، وإن كان يبـــدو أنه نظر فى اتعاظ المقريزى ، إذ أنه الوحيد من بين القدامى الذى ذكر العـــاشر من ذى الحجة لنزول ابن فلاح على دمشق وإن كانت السنة لديه هى سنة ٣٥٩ ه لا ٣٥٨ ه ، ويرجع الدكتور على إبراهيم حسن فى كتابه إلى اتعاظ المقريزى طبعة بيت المقدس سنة ١٩٠٨م ، وهى نفس الطبعـــة التى اعتمدها الدكتور جمال الدين الشيال أصلا لنشر اتعاظ المقريزى فى عام ١٩٤٨م (٦٧)، ولا يوجد بهـــا — وكذلك الطبعة الأخيرة التى نشرها أيضا الدكتور الشيال عام ١٩٦٧ م عن مخطوطة طوب قبوسراى — سوى العاشر من ذى الحجة ٣٥٩ ه تاريخا لوصول ابن فلاح إلى دمشق ، هذا بينما لا يشير الدكتور على إبراهيم إلى تاريخ وقعة الرملة فى الوقت الذى يرجع فيه إلى ابن تغرى بردى الذى حدد تاريخ الوقعة بشهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ ه ، مغفلا ذكر اليوم ، وهذا قد يعنى أن وقعة الرملة —

---

(٦٣) المعز ، ص ٩٤ .

(٦٤) القرامطة ، ص ١١٩ .

(٦٥) تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٥٣ .

(٦٦) تاريخ جوهر ، ص ٤٩ — ٥٠ ؛ وانظر ما جاء هنا من قبل ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٦٧) راجع مقدمة الدكتور جمال الدين الشيال لهذه الطبعة من اتعاظ الحنفا .

إذا أخذنا بيوم العاشر من ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ تاريخا لنزول ابن فلاح على دمشق - لابد وأنها دارت فى الأيام الأولى من شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، مما قد يعنى أيضا أن قوات ابن فلاح دخلت الشام فى حدود أواخر شهر ذى القعدة سنة ٣٥٨ هـ وهو ما يقارب التاريخ الذى ذكره الدكتوران حسن وشـرف والأستاذ تامر من سقوط الرملة فى يد ابن فلاح وبالتالى دخول الفاطميين الشام لفتحه فى شهر ذى القعدة وإن اختلف الجانبان - كما يظهر - فى تحديد سقوط الرملة فى عام ٣٥٨ هـ .

أما كل من هورت (٦٨) وديل ومارسيه (٦٩) والدكتور حتى (٧٠) والمستشرق جب (٧١) فيفهم من كلامهم أن الفاطميين دخلوا الشام فى عام ٣٥٨هـ دون إشارة لإمكان تحديد الشهر باستثناء ما ذكره المستشرق جب من استيلاء الفاطميين على دمشق فى نهاية ٩٦٩ م أى ما يقابل مفتتح عام ٣٥٩ هـ ، كما نلاحظ أنهم جميعا أغفلوا ذكر مصادرهم (٧٢) .

هذا بينما لا نستطيع أن نتبين من كلام المؤرخ الإنجليزى لين بول تاريخا محددا لدخول الفاطميين الشام سواء فى عام ٣٥٨ هـ أو عام ٣٥٩ هـ ، فى حين لم يذكر كل من المؤرخ أوليرى والدكتـور نقولا زيادة والدكتور ماجد شيئا يفيد تحديداً لهذا التاريخ ، وكلهم لا يشيرون إلى المصادر التى استقوا

---

(٦٨) Histoire des Arabes, t. I, p. 343.

(٦٩) Le Monde Oriental, p. 434.

(٧٠) History of Syria, p. 579.

(٧١) in : A History of the Crusades, vol. I, p. 88.

(٧٢) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٧٣ — ١٧٥ .

منها مادتهم فيما خلا الدكتور ماجد الذى رجع إلى المقريزى (٧٣) الذى حدد تاريخ خروج الحملة الفاطمية من مصر إلى الشام بالثامن عشر من شهر المحرم ٣٥٩ ه كما ذكرنا فى مواضع متفرقة .

وكل ما ذكره هؤلاء المحدثون لا يشير - كما رأينا - إلى تاريخ محدد لإنفاذ الجيوش الفاطمية من مصر إلى الشام لفتحه ، بينما أصبح لدينا تاريخان يحددان أحد شهور سنة ٣٥٨ ه تاريخا لاستيلاء الفاطميين على الرملة ، وهما شهر ذى القعدة وشهر ذى الحجة منها . وليس لدينا - من بين المصادر التى بين أيدينا - ما يرجح شهر ذى القعدة تاريخا لهذه الواقعة ، بينما تميل كفة شهر ذى الحجة من ٣٥٨ ه إلى الرجحان - استنادا إلى ماذكرته معظم المصادر صراحة أو تلميحا ، وكذلك من تبعها من المحدثين - ليكون تاريخا محددا لاستيلاء ابن فلاح على الرملة وأسر ابن طغج الإخشيدى ، مع صعوبة تحديد اليوم الذى تم فيه ذلك .

وعلى هذا - يمكن القول أخيرا إن تاريخ خروج الحملة الفاطمية من مصر إلى الشام - بغض النظر عما أورده يحيى والدوادارى والمقريزى - سوف يظل أمرا من الصعب تحديده مالم يقع بأيدينا من المصادر ما يؤيد وجهة من وجهات النظر المختلفة . ولكن - وعلى الرغم من كل شىء - قد يصح لنا قول إن تاريخ خروج هذه الحملة تم فى أواخر شهر ذى القعدة أو فى أوائل ذى الحجة سنة ٣٥٨ ه ، بينما شهد هذا الشهر الأخير أول قتال نشب بين الفاطميين والإخشيديين عند الرملة .

---

(٧٣) راجع ما قبله ، ص ١٧٧ - ١٧٨ و ه ٢٥ بالفصل الخامس .

ولا تخرج من روايات القدامى وكتابات المحدثين بتاريخ محدد لدخول ابن فلاح طبرية بعد الرملة . وكل ما يمكن التعرف عليه من أقوالهم جميعا أن طبرية دخلت النفوذ الفاطمى بدون قتال بعد اعترافها بالتبعية للفاطميين . إلا أن اختلاف كل من يحيى والدوادارى والمقريزى عن جمهور المؤرخين القدامى فى تحديد عام الفتح ، أدى بالتالى إلى اختلاف تاريخ دخول الفاطميين طبرية ، فقد رأينا فيما سقناه هنا من قبل عن أقوال القدامى فى الموضوع أن الدوادارى والمقريزى يحدد ان سقوط الرملة وأسر ابن طفج بمنتصف رجب سنة ٣٥٩ هـ ، ثم تشير ظواهر النصوص لديهما – على هذا – إلى أن الاستيلاء على طبرية لابد وأن يكون حدث بعد هذا التاريخ ، أى أن طبرية ربما دخلت فى دائرة النفوذ الفاطمى فى الأيام الأخيرة من شهر رجب المذكور (٧٤) .

وبينما لم يذكر يحيى شيئا عن طبريه ، ويقتصر على ذكر فتح دمشق بعد انتهائه مباشرة من الحديث عن الاستيلاء على الرملة فى عام ٣٥٩ هـ (٧٥) ، نرى بقية القدامى ممن ذكروا طبرية يشيرون إلى عام ٣٥٨ هـ تاريخا لإقرار طبرية بالتبعية للفاطميين ، وهم إما وضعوا الخبر فى سياق حوادث سنة ٣٥٨ هـ كما فعل ابن الأثير(٧٦) وأبو الفدا (٧٧) وما قد يفهم من كلام سبط ابن الجوزى (٧٨) ، أو ما يمكن استنتاجه من ظاهر النص لدى ابن خلدون (٧٩)

---

(٧٤) الدرة المضية ، ص ١٢٥ ؛ اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٣ (على التوالى) .

(٧٥) تاريخه ، ص ١٣٨ .

(٧٦) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ .

(٧٧) المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

(٧٨) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ .

(٧٩) العبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

الذى يشير إلى أن استيلاء ابن فلاح على دمشق كان فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، وهو الشهر الذى رجحنا فيه يوم الجمعة السادس منه تاريخا لإقامة ابن فلاح أول خطبة للمعز بدمشق (٨٠)

ولا نخرج من كلام المحدثين - ممن تعرضوا للخطوة التالية بعد الرملة - بأكثر مما نستمده من أقوال القدامى ، إلا أنهم لا يشيرون إلى أى تواريخ ، كما لا يذكرون مصادرهم ، باستثناء الدكتور عمر كمال الذى اعتمد على المقريزى (٨١) .

ولما كنا لا نأخذ حتى الآن بالتواريخ التى أوردها كل من الدوادارى والمقريزى ، فلا يسعنا إذن إلا أن نطمئن إلى تحديد شهر ذى الحجة أيضا من عام ٣٥٨ هـ تاريخا لدخول ابن فلاح طبرية ، إذ أن هذا التاريخ يتفق وتلاحق الأحداث التى مرت بنا كما يتفق وما سوف نأخذ به من إقامة أول خطبة للمعز بدمشق فى يوم الجمعة ٦ من المحرم سنة ٣٥٩ هـ .

---

(٨٠) راجع ما قبله ، ص ٢٤٦ ، وانظر أيضا ما جاء فى ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، ٢٧٧ .

(٨١) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٧٧ .

ثانيـا
مشكلة تاريخ فتح دمشق

ا - فى المصـادر العربيـة :

تجمع غالبية المصادر على أن دمشق أصبحت فى قبضة الفـاطميين فى شهر المحرم من سنة ٣٥٩ هـ على الرغم من أنها جميعا تغفل الإشارة بصراحـــة إلى تاريخ نزول الجيوش الفاطمية على دمشق وعلى الرغم من الاختـلاف الواقع إلى حد ما فى صيغة تحديد إقامة ابن فلاح الخطبة للمعز بهذه المدينة ، وهو ما نلمسه فى كلام كل من ابن الأثير وأبى الفدا وابن كثير وابن خلكان وابن تغرى بردى (٨٢) ، بينما يشير ابن خلكان إلى فتـــح دمشق فى المحرم من نفس السنة دون ذكر الخطبة (٨٣) ، أما بقية المصادر فتذكر عـام ٣٥٩ هـ تاريخا لاستيلاء ابن فلاح على المدينة مثل يحيى وسبط ابن الجوزى - كما يفهم من سياق كلامه - أو عام ٣٦٠ هـ كما يحدد الذهبى (٨٤) . هذا فى الوقت الذى ينفرد فيه كل من الدوادارى والمقريزى بذكر تاريخ نزول ابن فلاح على دمشق ، فى الثامن من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ لدى الدوادارى (٨٥) ، والعاشر من ذى الحجـــة سنة ٣٥٩ هـ عند المقريزى (٨٦) .

---

(٨٢) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٤١ - ١٤٢ .
(٨٣) وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣١٢ .
(٨٤) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٤٢ .
(٨٥) الدرة المضية ، ص ١٢٧ .
(٨٦) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

وقد اختلف المؤرخون القدامى كذلك فى تحديد مدى استقرار النفوذ الفاطمى فى دمشق . وقد أسهب كل من ابن الأثير والدواداري والمقريزى فى سرد الأحداث وتفاصيلها ، ومن ثم تعارض التواريخ المتصلة بها ، هذا إلى غير هؤلاء من القدامى الذين اختلفوا أو اتفقوا مع من أشرنا إليهم الآن خاصة فى تاريخ استقامة الأمر للفاطميين بدمشق .

وسوف نستند هنا أولا إلى روايتى ابن الأثير والمقريزى لنخرج منهما بالنتائج التى يصح الاطمئنان إليها عن التواريخ المتصلة بنزول الفاطميين على دمشق أو فتحها وكذلك تطور الأحداث بها حتى استقرار سلطان الفاطميين فيها ، مع مقارنة روايتيهما بما أورده غيرهما من القدامى وما سجله المحدثون ، وذلك تعزيزا للنتائج التى سوف نخرج بها والتى تحدد التواريخ الصحيحة المتصلة بكل هذه الوقائع .

ولنبدأ – كالعادة – برواية المقريزى ، فهو بعد أن يستعرض الاشتباكات التى حدثت بين سرايا ابن فلاح – التى أنفذها من طبرية لتكون مددا لبنى فزارة ومرة – وبين بنى عقيل بحوران والبثنية (٨٧) ، يذكر رجوع هذه السرايا مع بنى فزارة ومرة إلى غوطة دمشق (٨٨) ، ونزولهم بظاهر هذه

(٨٧) راجع ما جاء هنا فيما بعد بالفقرة التى يقع فيها الهامش رقم (١٩) بالفصل السابع .

(٨٨) عرف الدكتور جمال الدين الشيال الغوطة ، فقال : (فى : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، ٢ ﻫ) : «الغوطة فى اللغة : الأرض المطمئنة ، وهى هنا – كما ورد عند ياقوت – الكورة التى منها دمشق » . إلا أن الأستاذ محمد كرد على يعرفها تعريفا أوفى ، فيقول : « الغوطة هى كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء ، وكان من الأرض المطمئنة التى تروى من نهر بردى وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة والقنى » ؛ انظر له : غوطة دمشق ، ص ١٦ .

المدينة، ويقول في حوادث سنة ٣٥٩ هـ : « فثار عليهم أهل البلد ، وقاتلوهم ، وقتلوا منهم كثيرا من العرب ، فانهزموا عنها ، وذلك لثمان خلون من ذى الحجة، فلحقوا بطلائع جعفر ، فساروا معها إلى دمشق ، وخرج إليهم الناس مستعدين لمحاربتهم . . . فاقتتلوا يومهم ، ثم انصرفوا » (٨٩) . أى أن القتال وقع فى نفس اليوم الذى انزمت فيه السرايا عن دمشق وهو ٨ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، وهو تحديد لتاريخ وصول طلائع ابن فلاح إلى هذه المدينة .

ويواصل المقريزى كلامه ، فيقول : « وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا وصاح الناس فى الجامع بعد الصلاة : النفير ؛ فخرج النفير ، واشتد القتال إلى آخر النهار » . (٩٠) فكأن الثامن من ذى الحجة يوافق يوم خميس ، وأن الجمعة هو التاسع من ذى الحجة المذكور . ثم يقول المقريزى مباشرة : « ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلون منه بالشماسية» . (٩١) ويؤكد هذا مرة أخرى أن الثامن من ذى الحجة هذا كان يوافق يوم خميس ، وفيه تحديد لتاريخ نزول ابن فلاح على ظاهر دمشق .

---

(٨٩) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٩٠) نفس المصدر السابق .

(٩١) نفس المصدر . والشماسية ضاحية من ضواحى دمشق قرب القدم إلى الجنوب من دمشق ؛ انظر :

Elisséeff (Nikita), La Description de Damas d'Ibn Asakir, p. 245, n. I, Damas 1959 .

وقد عرفها كرد على ، فقال : « عند مسجد القدم . . . وفى ياقوت أنها محلة بدمشق » ؛ أنظر : غوطة دمشق ، ص ٢١٤ ؛ ثم يحدد كرد على موضع القدم ، فيشير إلى أنها من قرى الغوطة (ص ٢٣ ، ٢٤) ، كما يشير إلى مسجد القدم الذى يقع على بعد ميلين من دمشق =

ويستطرد المقريزى مباشرة فيقول : « وأصبح الناس للقتـــال ، ولم يصلوا ذلك اليوم فى المصلى (٩٢) صلاة العيد ، فاستمروا طوال النهار . . . فكانـــوا ، وحملت معهم (٩٣) المغاربة فانهزموا ، وتمكن السيف منهم وهم مهزومون إلى أرض عاتكة (٩٤) وقصر حجاج (٩٥) فقتل خلق كثير ، وكان رئيس الشام فى

= كما يقول ابن عساكر (غوطـة ، ص ٢١٥) ؛ وقد حدد نفس المسافة الرحالة ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد ، رحلة ابن جبير ، نشر وليم رايت W. Right ، تحقيـق دى غويه M. J. De Goeje ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، الطبعة الثانية ، ليدن ، ١٩٠٧ م) ، فيقول : « ومن المشاهد الشهيرة أيضا مسجد القدم ، وهو على مقدار ميلين من البلد مما يلى القبلة على قارعة الطريق الأعظم الآخذ إلى بلاد الحجاز والساحل وديار مصر » ؛ راجع أيضا : خريطة دمشق .

(٩٢) من المرجح أن المصلى المذكور هنا هو مصلى العيدين ، وقد حدد نيكيتا Nikita موقعه خارج أسوار مدينة دمشق إلى الجنوب مباشرة من مقابر الباب الصغير على الطريق من باب الجابية إلى الشماسية والقدم ؛ راجع له : Description, p. 172, n. 7 ؛ وانظر أيضا : خريطة دمشق .

(٩٣) كذا بالأصل عنده ، وهو نفس اللفظ الوارد بالمخطوطة (لوحة ١٩ ب) ، والسيـاق يقتضى أن يقال : (عليهم) .

(٩٤) علق الدكتور الشيال (فى : اتعاظ الحنفـا ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، ه ٣) على هـــذا اللفظ بقوله : « توجد فى النسختين بالهامش حاشية أمام هذا اللفظ فيها : أرض عاتكة خارج باب الجابية من دمشق ، تنسب إلى عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وكان لها بهـا قصر فيه مات زوجهـا عبد الملك بن مروان » . وعرف الأستاذ كرد على (غوطـة دمشق ، ص ٢٣٠) هذا الموضع بقوله : « قال ياقوت فى أرض عاتكة خارج باب الجابية : منسوبة إلى عاتـكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . . . ويطلق لعهدنا [أى أيام الأستـاذ كرد على] على قصر عاتكة ، أو أرض عاتكة قبر عاتكة ، وهى من أحيـاء دمشق خارج السور ظاهر باب الجابية » . انظر أيضا : خريطة دمشق .

(٩٥) ذكـر الأستاذ كرد على (غوطة دمشق ، ص ٢٢٨) هــذا المكان فقـــال : =

هذه الحروب أبو القاسم بن أبي يعلى ، ومحمد بن عصودا ، وصدقة الشوا . فلما ملك المغاربة ظاهر البلد طرحوا النار فيما هنالك من الأسواق وغيرها ، وصاروا إلى باب الجابيـــة »(٩٦) . وهذا يعنى أن الناس أصبحوا للقتال فى يـــوم الأحد ١١ من ذى الحجة ، وهو يوافق - على هذا - أول أيام عيد الأضحى فى هذه السنة ، وأن الكلمة كانت بدمشق لثلاثة أهمهم الشريف ابن أبى يعلى ، وأن المغاربة تمكنوا من الاستيلاء فى هذا اليوم على ظاهر البلد ، وطرحوا النار بالأسواق ظاهره ، وبعدها نزلوا على باب الجابية .

ويقول المقريزى فى إثر ذلك : « وأصبحوا وقد ضبط الرعية البلد ، فاستمرت

« يقول ابن عساكر إنها محلة كبيرة فى ظاهر باب الجابية ، والقصر منسوب إلى الحجـاج ابن عبد الملك بن مروان . . . وما برحت [أى فى زمن الأستاذ كرد على] محلة قصر حجاج عامرة ، ولم يتغير اسمها » .

(٩٦) يقول فيه ابن جبير (الرحلة ، ص ٢٨٢) محددا مكانه : « . . . ثم باب النصر وهو غربى ، ثم باب الجابية كذلك » ؛ ثم يقول (ص ٢٨٩) : « ولها [أى دمشـــق] أيضا سوق يعرف بالسوق الكبير يتصل من باب الجابية إلى باب شرقى » . وذكر ابن شداد (عز الدين أبو عبد الله محمد بن على بن إبراهيم ، الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمـراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامى الدهان ، القسم الأول (تاريخ مدينة دمشق) ، ص ٣٦ ، دمشـق ١٩٥٦ م) أن « باب الجابية : غربى البـلد ، منسوب إلى قرية الجابيـة . وكانت الجابية مدينة عظيمة فى الجاهلية ، لأن الخارج إليها يخرج منه لكونه مما يليها . وكان ثلاثة أبواب : الباب الأوسط منها كبير ، ومن جانبيه بابان صغيران ، على مثال ما كان الباب الشرقى . وكان من الثلاثة أبواب ثلاثة أسواق ممتدة من باب الجابية إلى الباب الشرقى ؛ وكان الأوسـط من الأسواق للناس ، وأحد السوقين لمن يشرق بدابة ، والآخر لمن يغرب بدابة » .

الحرب طول النهار مما يلى المصلى ، ثم كفوا عن القتال ، وباتوا » (٩٧). وفى هذا إشارة إلى تواصل الحرب طوال نهار اليوم التالى أى الإثنين ١٢ من ذى الحجة ، فى المكان الواقع خارج سور دمشق بين باب الجابية والمصلى (٩٨) .

ثم يقول المقريزى مباشرة : « فلما أصبح النهار ، خرج قوم من مشايخ البلد لمخاطبة جعفر - وهو بالشماسية - فى إصلاح البلد ، فأخذهم قوم من المغاربة (٩٩) » . أى أن وفد أهل دمشق خرج إلى جعفر وهو بالشماسية فى يوم الثلاثاء ١٣ من ذى الحجة .

ويقول المقريزى بعد قليل : « ثم جرت بينهم بعد ذلك وبين جعفر مراسلة، فخرجوا إليه ، فاشتد عليهم وخوفهم بالنار والسيف ، فعادوا وقد ملئوا رعبا ، فبلغوا قوله للناس وقد تحيروا ، فاقتضى رأيهم معاودة جعفر فى طلب العفو ، فرجع المشايخ إليه . . . وما برحوا يذلون له حتى انبسط معهم فى الكلام ، وتقرر الأمر على أنه يدخل يوم الجمعة إلى الصلاة فى الجامع . فلما كان يوم الجمعة ركب فى عسكره ودخل البلد فصلى بالجامع ، وخرج . ونزل بظاهر سور دمشق فوق نهر يزيد (١٠٠) أصحاب جعفر فبنوا المساكن ...الخ» (١٠١) ويفيد هذا النص الطويل بأنهم خرجوا إلى جعفر فى يوم الأربعاء ١٤ ذى الحجة،

---

(٩٧) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٩٨) انظر خريطة دمشق .

(٩٩) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(١٠٠) انظر خريطة دمشق .

(١٠١) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

ثم عادوا فرجعوا إليه فى يوم الخميس ١٥ ذى الحجة ، فوقعت الموافقة على دخول جعفر إلى البلد يوم الجمعة تاليه أى ١٦ ذى الحجة ، وهو اليــوم الذى ركب فيه فى عسكره ودخل البلد فـلى بالجامع وخرج حيث نزل أصحابه بظاهر سور البلد فوق نهر يزيد ، فكأن خروجه كان أيضا فى نفس يوم الجمعــة ١٦ ذى الحجـة .

هذه هى رواية المقريزى . ويمكن لنا أن نستخلص أهم الحقائق فيما يتصل بتواريخ (١٠٢) الوقائع فيما يلى :

فى يوم الخميس ٨ ذى الحجة سنة ٣٥٩ ھ تصل سرايا الفاطميين إلى دمشق، وهى السرايا التى كانت تعمل مــع بنى فزارة وبنى مرة فى حوران والبثنية، ويقاتلون أهل دمشق وينهزمون عنها ، ثم يلحقون بطلائع جيش ابن فلاح فى نفس اليوم ويتوجهون إلى دمشق ويقاتلون أهلها الذين خرجوا إليهم فى نفس اليوم أيضا ثم ينصرفون . وفى يوم الجمعة ٩ ذى الحجة يعاود الفريقان القتال . وفى يوم السبت ١٠ ذى الحجة ينزل جعفر بن فلاح بقواته بالشماسية . وفى يوم الأحد ١١ ذى الحجة - وهو أول أيام عيد الأضحى عنده - يعاود الفريقان القتال وينهزم الدماشقة إلى أرض عاتكة وقصر حجاج ، ويملك المغــاربة

(١٠٢) سوف نعدل هذه التواريخ لـكى تتفق وتقويم شهر ذى الحجة من سنة ٣٥٩ھ وما ذكره ابن الأثير (الكامل ، ج ٤ ، ص ٢١٣) والصفدى (أمراء دمشق ، ص ٦٧) ، ولا بأس من الإشارة إليها الآن بهذه الحاشية ، وهى : الأربعاء ٨ ذى الحجة ، الخميس ٩ منه ، الجمعة ١٠ منه ، السبت ١١ منه ، الأحد ١٢ منه ، الإثنين ١٣ منه ، الثـلاثاء ١٤ منه ، الأربعاء ١٥ منه ، الخميس ١٦ منه ، الجمعة ١٧ منه ، وراجع أيضــا ما جاء هنا فــيما بعد ، ص ٢٦٤ — ٢٦٨ ، ذلك المنهج الذى اتبعناه فى التعرف على صحة هذه التواريخ .

ظاهر البلد ويطرحون فى أسواقه النيران ، ثم يصلون إلى باب الجابية . وفى يوم الإثنين ١٢ من ذى الحجة يدور القتال مرة أخرى فى الموضع الذى يلى المصلى. وفى يوم الثلاثاء ١٣ من ذى الحجة يخرج وفد من دمشق لمخاطبة جعفر بن فلاح فى أمر البلد وهو مقيم بالشماسية . وفى يوم الأربعاء ١٤ من ذى الحجة خرجوا إليه مرة ثانية فهددهم . وفى يوم الخميس ١٥ من ذى الحجـة ، رجعوا إليه فتم الأمر على دخول جعفر البلد فى يوم الجمعة تاليه أى ١٦ من ذى الحجة ، وهو اليوم الذى دخل فيه جعفر دمشق وأدى بها صلاة الجمعة بالجامع الأموى (١٠٣) وخرج بعدها من البلد ، ونزل أصحابه بظاهر دمشق فوق نهر يزيد .

أما ما أورده ابن الأثير ، فهو بعد أن يسوق أخبار استيلاء ابن فلاح على الرملة فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ بدون تحديد لليوم ، وبعد أن ينص على مسيره إلى طبرية وتحوله عنها إلى دمشق بدون أن يذكر تاريخا وإن كان يستدل من ظاهر النص على أن ذلك كان فى نفس شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، يورد ابن الأثير واقعة مقاتلة أهالى دمشق لابن فلاح الذى يظفر بهم ويملك البلد وينهب بعضه ويكف عن الباقى بدون أن يحدد تواريخ كل تلك الأحداث ، ثم يقول مباشرة : « وأقام الخطبة للمعز يوم الجمعة لأيام خلت من المحرم سنة تسع وخمسين (١٠٤) » . وهذا يفيد أن ابن فلاح كان قد دخل دمشق قبل يوم الجمعة

---

(١٠٣) لا ينص المقريزى على أنه الجامع الأموى ، إلا أن ما نص عليه هنا من خروج ابن فلاح من دمشق بعد أداء صلاة الجمعة ونزول أصحابه بالدكة فوق نهر يزيد فى الطرف الشمالى الغربى من دمشق ، وما ذكره الدوادارى من نزوله هو نفسه مع أصحابه بهذا الموضع بعد أدائه لصلاة الجمعة وخروجه من دمشق ، إنما يدل على هذا . وعن الدكة وموضعها على نهر يزيد ، راجع هـ ١٦٨ بهذا الفصل ؛ وانظر أيضا خريطة دمشق .

(١٠٤) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ .

هذا ، ومن المرجح أنه يوافق أول جمعة بالمحرم هذا ، أى يوم السادس منه ، لأن أوله يوافق يوم أحد (١٠٥) ، استناداً إلى مضمون النص التالى .

ثم يقول ابن الأثير بعد قليل : « وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن أبى يعلى الهاشمى... فجمع أحداثها ومن يريد الفتنة، فثار بهم فى الجمعة الثانية وأبطل الخطبة للمعز . .. فقاتله جعفر بن فلاح ومن معه قتالا شديداً ، وصد أهل دمشق ثم افترقوا آخر النهار (١٠٦) » . وواضح من النص أن هذه الجمعة هى الثانية من جمع شهر المحرم ، ويوافق هذا اليوم الثالث عشر من الشهر (١٠٧) ، كما يفيد النص أن القتال دار بين الشريف ابن أبى يعلى وبين ابن فلاح حتى آخر نهار يوم الجمعة هذا .

ويواصل ابن الأثير كلامه فيقول: «فلما كان الغد ، تزاحف الفريقان واقتتلوا... ودام القتال ، فعاد عسكر دمشق منهزمين ، والشريف ابن أبى يعلى مقيم على البلد يحرض الناس . . . وواصل المغاربة الحملات على الدماشقة حتى ألجأوهم إلى باب البلد ، ووصل المغاربة إلى قصر حجاج ، ونهبوا ما وجدوا . فلما رأى ابن أبى يعلى الهاشمى والأحداث ما لقى الناس من المغاربة ، خرجوا من البلد ليلا (١٠٨) » . ويدلا النص هنا على أن الغـــد هذا يوافق يوم السبت ١٤ المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، وأن القتـــال كان يدور خارج سور دمشق إذ ألجأ ابن فلاح

---

(١٠٥) راجع التوفيقات الإلهامية .

(١٠٦) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ .

(١٠٧) راجع هـ ١٠٥ بهذه الصفحة .

(١٠٨) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ .

الدماشقة إلى باب البلد ، ووصل المغاربة إلى قصر حجاج فى نفس اليوم .

ثم يقول ابن الأثير مباشرة : « فأصبح الناس حيارى ، فدخل الشريف الجعفرى - وكان قد خرج من البلد - إلى جعفر بن فلاح فى الصلح ، فأعاده وأمره بتسكين الناس . . » ففعل ما أمره ، وتقدم إلى الجند والعامة بلزوم منازلهم ... إلى أن يدخل جعفر بن فلاح البلد ويطوف فيه ويعود إلى عسكره ، ففعلوا ذلك . فلما دخل المغاربة البلد عاثوا فيه ... فثار الناس وحملوا عليهم ... فقتلوا منهم جماعة ، وشرعوا فى تحصين البلد وحفر الخنادق وعزموا على اصطلاء الحرب ... وأحجمت المغاربة عنهم (١٠٩) » ويفيد النص هنا أن الشريف الجعفرى أسفر فى الصلح فى يوم الأحد ١٥ المحرم ٣٥٩ هـ ، وأن ابن فلاح دخل البلد فعاثت فيه المغاربة ، مما أدى إلى ثورة الدماشقة مرة ثانية وقتلوا من المغاربة من قتلوا ، وحصنوا البلد ، بينما كف عنهم المغاربة .

ويذكر ابن الأثير فى إثر ذلك : « ومشى الناس إلى الشريف أبى القاسم بن أبى يعلى ، فطلبوا منه أن يسعى فيما يعود بصلاح الحال ، ففعل ودبر الحال إلى أن يقرر الصلح يوم الخميس لست عشرة خلت من ذى الحجة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . وكان الحريق قد أثر على عدة كثيرة من الدور وقت الحرب ، ودخل صاحب الشرطة (١١٠) جعفر بن فلاح البلد يوم الجمعة ، فصلى مع الناس (١١١) » ويدل

(١٠٩) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ .

(١١٠) كذا بالأصل عنده ، ولا شك أن المقصود هو صاحب شرطة ابن فلاح وليس ابن فلاح نفسه ؛ راجع ما جاء هنا فيما بعد ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٩ .

(١١١) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ .

النص هنا على أن سفارة الشريف ابن أبي يعلى تحققت قبل يوم الخميس ١٦ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، وأن الصلح عقد فى ذلك اليوم ، وأن صاحب شرطة ابن فلاح (١١٢) دخل دمشق يوم الجمعة ١٧ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ وصلى مع الناس ، وإن كان من المرجح أن دخول صاحب الشرطة كان من قبيل الإجراء الوقائى تمهيدا لدخول ابن فلاح فى ذلك اليوم لأداء صلاة الجمعة .

ويستطرد ابن الأثير بعد قليل فيقول : « وقبض [أى ابن فلاح] على جماعة من الأحداث فى المحرم سنة ستين وثلاثمائة ، وقبض على الشريف أبى القاسم بن أبى يعلى الهاشمي المذكور وسيره إلى مصر ، واستقر الأمر بدمشق(١١٣)» . فابن الأثير هنا يعين شهر المحرم من سنة ٣٦٠هـ تاريخا لاستقرار أمر دمشق للفاطميين .

وأهم ما نخرج به من حقائق فى رواية ابن الأثير هو ما يلى : أن ابن فلاح نزل على دمشق فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، أو أوائل شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، حيث استولى على دمشق فى التاريخ الأخير وأقام الخطبة للمعز فى يوم الجمعة السادس منه . وفى يوم الجمعة ١٣ من المحرم سنة ١٥٩ هـ يثور الدماشقة بزعامة الشريف ابن أبى يعلى ، ويدور القتال بين الطرفين حتى نهاية هذا اليوم . وفى يوم السبت ١٢ منه ، عاود الفريقان القتال خارج سور البلد ، بينما اضطر الدماشقة إلى اللجوء إلى باب البلد ، ووصل المغاربة إلى قصر حجاج فى نفس اليوم . وفى يوم الأحد ١٥ منه ، خرج الشريف الجعفرى من دمشق سفيرا

(١١٢) راجع الحاشية رقم ١١٠ بهذا الفصل .

(١١٣) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٣ .

عن أهل البلد إلى ابن فلاح ، ودخل فى إثر ذلك جعفر وجنوده دمشق ، ثم اندلعت الثورة مرة ثانية فى اليوم نفسه بسبب قيام المغاربة بنهب البلد ، وبقى المغاربة فيه ، بينما قام الدماشقة بتحصينه . وفى يوم الخميس ١٦ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ تقرر الصلح نهائيا بين ابن أبى يعلى وابن فلاح ، بينما دخل صاحب شرطة ابن فلاح البلد فى اليوم التالى أى الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ ممهدا لدخول ابن فلاح الذى صلى بالناس صلاة الجمعة . وفى شهر المحرم سنة ٣٦٠ ﻫ ، استقر الأمر تماما لابن فلاح بدمشق .

وقبل أن نعقد المقارنة بين روايتى المقريزى وابن الأثير وتحليلهما لنخرج منهما بالحقائق المنشودة ، يجمل بنا أن نورد أولا ما ساقه كل من الدوادارى وابن تغرى بردى ، لكى تتضح الصورة عند عقد هذه المقارنة وتحليل جميع النصوص .

فبعد أن يذكر الدوادارى دور سرايا ابن فلاح مع عرب بنى فزارة ومرة فى الإيقاع ببنى عقيل بحوران والبثنية ووصولهم إلى الغوطة ، يشير إلى نزولهم على نهر يزيد نحو الدكة ، وهو ما حدده المقريزى بظاهر دمشق ، ثم يورد الدوادارى خبر القتال وهزيمة تلك السرايا على يد أهل دمشق دون أن يذكر تاريخا لذلك ، ولكنه يحدد مجىء طلائع ابن فلاح بيوم الثامن من ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ ونشوب القتال بين أهل دمشق وبين هذه الطلائع فى نفس اليوم ، ثم انصراف الطلائع ، كما يشير إلى استمرار القتال إلى يوم عيد الأضحى دون أن يحدد تاريخ ذلك اليوم ، وهزيمة أهل دمشق ، وملاحقة المغاربة لهم ، من غير أن يشير إلى مجىء ابن فلاح على رأس قواته ، ويجتزىء الدوادارى بعد ذلك كلامه لكى يذكر وقوع المراسلة بين أهل دمشق وابن فلاح حيث

يتفق على دخوله يوم الجمعة ـ دون أن يعين تاريخا له ـ للصلاة ، ونهب أصحابه البلد ، وثورة أهل دمشق ، وخروج مشايخ البلد إلى ابن فلاح الذى توعدهم وأقر الصلح معهم فيما يظهر ، ثم يذكر الدوادارى أخيرا نزول ابن فلاح الدكة فوق نهر يزيد (١١٤) ، وهو المكان الذى حـــدده المقريزى بظاهر سور البلد فوق هـــذا النهر .

أما ابن تغرى بردى ، فهو يذكر ـ فى حوادث سنة ٣٥٨ هـ ـ أن ابن فلاح سار إلى دمشق فلكها بعد أمور ، وخطب بها للمعز فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، ثم ينص بعد ذلك مباشرة على أن ابن فلاح عاد إلى الرملة ، فقام الشريف ابن أبى يعلى ومعه العوام بدمشق ولبس السواد ودعا للمطيع ، وأخرج إقبالا أمير دمشق من قبل جوهر القائد ، فعـاد ـ على ذلك ـ ابن فلاح إلى دمشق فى ذى الحجـة سنة ٣٥٩ هـ ونازلها ، فقاتله أهلها ، بينما هرب ابن أبى يعلى ثم قبض عليه (١١٥) .

على كل حال ، نشـــير أولا إلى أن أول تاريـخ ذكره المقـريزى عن تلك الأحداث وهو يوم الثـــامن من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، والذى أثبتنا أنه يوافق ـ حسب تسلسل التواريخ وتتابعها عنده بعد ذلك ـ يوم خميس ، لا يتفق وتقويم ذلك الشهر ، إذ أن أول أيام ذلك الشهر هو يوم أربعـــاء ، فيكون اليوم (١١٦) ـ أى الأربعاء ـ هو الموافق الثامن من ذى الحجـة سنة ٣٥٩ هـ . وعلى هذا ، يكون آخر يوم ذكره عن هذه الوقائع ـ وهو يوم الجمعة ـ يوافق

---

(١١٤) الدرة المضية ، ص ١٢٦ — ١٢٩ .

(١١٥) النجوم ، ج ٤ ، ص ٣٢ — ٣٣ .

(١١٦) راجع : التوفيقات الإلهامية .

١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ ، لا ١٦ منه كما ذكرنا فى تتبعنا لسلسلة التواريخ حسب روايته . وهذا التاريخ - الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ - هو التاريخ الصحيح فى تقويم ذلك الشهر ، وهو الذى ذكره ابن الأثير - كما مر بنا - والذى نص أيضا على أن السادس عشر من ذى الحجة يوافق يوم خميس ، وهو يوم تقرير الصلح بين ابن فلاح وأهل دمشق . ويؤيد هذا بالمثل أن الصفدى يذكر فى ترجمة الشريف ابن أبى يعلى أنه دعا للمطيع بدمشق (١١٧) فى يوم الخميس الثانى من ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ (١١٨) .

وإذا نحن أردنا أن نصحح التواريخ التى ذكرها المقريزى منذ وصول طلائع ابن فلاح إلى دمشق وحتى دخوله المدينة أخيرا يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ ، نرى أمامنا ثلاثة اتجاهات لتفسير رواية المقريزى . أما الاتجاه الأول ، فقد بيناه فى عرضنا لهذه الرواية ، حسب تتبعنا الحرفية الخبر عنده فى ذكره ألفاظا وعبارات بعينها ، مثل : « وأصبحوا » ، « وأصبح » ، « وباتوا » ، « فلما أصبح النهار » ، « فخرجوا » ، « فرجع » وهو ما ساعدنا على تتبع أيام الوقائع ، أن يوم الجمعة التى دخل فيها ابن فلاح دمشق يوافق السادس عشر من ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ ، وهو يوم خميس لا جمعة كما أثبتنا منذ قليل . كما يبين هذا التتابع أن يوم الأحد - الموافق ١١ من ذى الحجة حسبما استخرجناه من الرواية - هو أول أيام عيد الأضحى ، وهو خطأ آخر سنشير إليه فى حينه . أما إذا أخذنا بالتعديل لأول تاريخ ذكره - وهو ٨ ذى الحجة - ومن أنه يوافق يوم أربعاء وليس يوم خميس ، كان علينا أن نتتبع هذه التواريخ حسب

---

(١١٧) سوف نشير إلى هذه الواقعة فى حينها بعد قليل .

(١١٨) أمراء دمشق ، ص ٦٧ .

ترتيبها التصاعدى ، فتكون النتيجة ـ على هذا ـ أن آخر يوم ذكره ، وهو يوم جمعة ، لن يوافق أيضا إلا السادس عشر من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، وهو خطأ واضح يتنافى وتقويم ذلك الشهر فى تلك السنة ، كما سيؤدى بنا إلى تعديل أول جمعة ذكرها إلى يوم الخميس التاسع من ذى الحجة ، ويوم السبت ١٠ منه إلى الجمعة العاشر منه أيضا ، واليوم التالى ـ وهو أول أيام العيد عنده ـ إلى السبت ١١ منه ، وهو تاريخ لا يوافق أول أيام عيد الأضحى فى تلك السنة كما سنبين بعد قليل .

أما الاتجاه الثانى فى تفسير ما أورده المقريزى ، فهو أن نتناول صيغة الخبر فى روايته بحرفيتها أيضا ، على أن يكون تتبعنا للتواريخ التى ذكرها حسب ترتيبها التنازلى لا التصاعدى ، أى نبدأ بآخر يوم ذكره ، وهو يوم الجمعة الذى أثبتنا أنه يوافق ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ حتى نصل إلى اليوم الذى قرر فيه المقريزى وصول الطلائع والسرايا الفاطمية إلى دمشق فى الثامن من ذى الحجة ، فنجد أنفسنا مضطرين إلى تعديل آخر لهذا التاريخ الأخير إذ نراه يوافق التاسع من ذى الحجة المقابل ليوم الخميس . وفى هذا من التزيد ما فيه ، علاوة على أنه يحمل نص المقريزى أكثر مما يحتمل ، هذا بالإضافة إلى أننا سنجد يوم الأحد ـ التالى لنزول ابن فلاح بالشماسية ـ يوافق الثانى عشر من ذى الحجة ، ولابد ـ حسب نص المقريزى ـ أن يكون أول يوم من أيام عيد الأضحى ، وهو خطأ أيضا سنعمل على تصحيحه كما أشرنا أكثر من مرة .

أما الاتجاه الثالث ، فهو يدعونا إلى إعادة النظر مرة أخرى فى رواية المقريزى لنحاول أن نتبين فارق اليوم الذى لابد وأن يكون ساقطا فى عبارات المقريزى إذا طرحنا جانبا حرفية ما أخذنا به فى تفسيرنا للاتجاهين السابقين .

فالمقريزى يحدد ٨ ذى الحجة تاريخا لانهزام سرايا الفاطميين من أمام دمشق، وهو اليوم الذى أثبتنا أنه يوافق يوم أربعاء ؛ ثم يقول : « فلحقوا بطلائع جعفر ، فساروا معها إلى دمشق ، وخرج إليهم الناس مستعدين لمحاربتهم ... فاقتتلوا يومهم ثم انصرفوا (١١٩) » . والأخذ بظاهر النص - كما فعلنا من قبل - يؤدى بنا إلى أنهم لحقوا بتلك الطلائع كما نشب القتال فى نفس يوم الأربعاء الثامن من ذى الحجة . . لكن قليلا من التأمل فى عبارة المقريزى يوضح لنا أن تلك السرايا لحقت فعلا بطلائع ابن فلاح فى يوم الأربعاء الثامن من ذى الحجة قرب دمشق ، فكروا معهم راجعين إليها فى اليوم ذاته . ولا يعقل أن يدور القتال مرة أخرى بالنسبة لتلك السرايا ، ولأول مرة بالنسبة لطلائع ابن فلاح فى اليوم نفسه ، إذ لابد وأن يكون الجميع منهكين ، بل المعقول أن ينزلوا كلهم على دمشق فى ذلك اليوم ويبيتوا فى أماكنهم طلباً للراحة ، بينما وقع الصدام بينهم وبين أهل دمشق فى اليوم التالى الموافق الخميس ٩ من ذى الحجة « فاقتتلوا يومهم ، ثم انصرفوا ، وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا ... الخ (١٢٠) » ، ثم تتوالى الوقائع حتى يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ . وهذا التفسير الأخير الذى سقناه الآن لا يغير من الأمر شيئاً إذا نحن تتبعنا رواية المقريزى حسب الترتيب التنازلى أو التصاعدى ، فكلاهما - فى هذه الحالة - يؤدى بنا إلى أن أول يوم ذكره المقريزى وهو الثامن من ذى الحجة يوافق يوم الأربعاء ، كما أن آخر يوم هو يوم الجمعة ١٧ منه ، وبهذا يستقيم السياق طبقاً للتواريخ التى ذكرها المقريزى ولما استخرجناه من روايته من ألفاظه وعباراته التى حددت ما أغفله من تواريخ .

---

(١١٩) راجع ما قبله ، ص ٢٥٤ ، و هـ ٨٩ بهذا الفصل .

(١٢٠) راجع ما قبله ، ص ٢٥٤ .

ويبقى بعد هذا تحديد التاريخ الصحيح ليوم عيد الأضحى فى كل هـذه التفسيرات ، ولا يعنينا الآن سوى تحديد هذا اليوم من واقع تفسيرنا الأخير ، وهو يوافق على هذا — وحسب نص المقريزى — الأحد ١٢ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، فهو يقول بعد ذكره نزول ابن فـلاح بالشماسية يوم السبت العاشر من ذى الحجة (كما يحدد) : « وأصبح الناس للقتال ، ولم يصـلوا ذلك ذلك اليوم فى المصلى صلاة العيد(١٢١) » ، وهى الصلاة التى لا يمكن أن تقع إلا فى أول أيام عيد الأضحى الذى لابد وأن يوافق دائماً العاشر من ذى الحجة فى أية سنة هجرية كما هو معروف . ولا يمكن تفسير ما وقع فيه المقريزى من خطأ هنا إلا بأن ثمة خلطاً فى روايته ، إذ أن العاشر من ذى الحجة يوافق يوم الجمعة السابق على نزول ابن فلاح بالشماسية يوم السبت الحادى عشر منه — كما أثبتنا فى كلا التاريخين — فى الوقت الذى استعد فيه أهل دمشق للقتال بعد صلاة الجمعة ، أى أنهم أدوا بالفعل صلاة الجمعة ، بينما لم يتمكنوا من أداء صلاة العيد قبلها فى نفس اليوم بعد أن نزلت السرايا والطلائع الفاطمية على دمشق فى يوم الأربعاء ٨ من ذى الحجة ، واستئنافهم القتال فى يوم الخميس ٩ منه — كما أثبتنا أيضاً — . وقد كنا أشرنا من قبل إلى أن مصلى العيد لمدينـة دمشق يقع خارجها(١٢٢) ، فلا يعقل أن تكون الجيوش الفاطميـة نازلة خارج دمشق بينما يغادرها أهلها إلى المصلى خارجها لأداء صلاة العيد . أما أداء صلاة الجمعة داخل أسوار دمشق فهو أمر لا يعرضهم للخطر العاجل بطبيعة الحال .

والذى يبدو من كل هذه الروايات وغيرها من كتابات القدامى — عندما

---

(١٢١) راجع ما قبله ، ص ٢٥٥ .

(١٢٢) راجع ما قبله ، ص ٢٥٥ ، و ٢٨٩ بهذا الفصل .

تقابلها وتحللها - أن ثمة مرحلتين لفتح الفاطميين لدمشق . وبمعنى آخر ، نزل جعفر بن فلاح على دمشق أول ما نزل فى تاريخ لا نستطيع تحديده بدقة ، وإن كنا نرجح أنه نزل فى أواخر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ أو أوائل المحرم سنة ٣٥٩ هـ، واستطاع فتح دمشق فى الأيام الأولى من شهر المحرم المذكور ، وأقام الخطبة بدمشق للمعز لدين الله على التحديد فى يوم الجمعة السادس منه ، ثم توالت الأحداث بدمشق بين الفاطميين وأهلها حتى دخلها ابن فلاح نهائياً ودون مقاومة فى يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ .

ويبدو أيضاً أن الدوادارى والمقريزى قد أغفلا المرحلة الأولى منها واكتفيا بالمرحلة الثانية ، بينما أسقط ابن الأثير أحداث المرحلة الثانية واكتفى بالإشارة إلى انتهائها فحسب وذلك بذكره وقوع الصلح بين الطرفين فى يوم الخميس ١٦ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ .

كما يبدو من ظاهر النصوص لدى الدوادارى والمقريزى إما أنهما أدمجا الإرهاصات الأولى لفتح الفاطميين لدمشق حين ذكرا أول ما ذكرا وصول طلائع ابن فلاح إلى ظاهر دمشق - بغض النظر عن الاختلافات فى تحديد تاريخ ذلك ، وبصرف النظر أيضا عن أن المقريزى انفرد بذكر الشماسية مكانا لنزول ابن فلاح أول ما نزل على دمشق - فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، أو أنهما اكتفيا فعلا بافتتاح الكلام عن المرحلة الثانية بما ذكراه فى هذا التاريخ الأخير . وهما فى كلا الأمرين - على هذا - قد جاوزا الترتيب الصحيح للوقائع . وقد يؤيد ما نقول به الآن أن المقريزى نفسه كان قد ذكر وصول خبر فتح ابن فلاح لدمشق إلى مصر فى شهر ذى القعدة من سنة ٣٥٩ هـ (١٢٣) ولا يمكن

---

(١٢٣) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

تفسير هذا إلا بأن دمشق كانت قد فتحت فعلا فى تاريخ سابق على هذا الشهر ، وإن كانت المدة الزمنية بين ما ذكره ابن الأثير وغيره من إقامة الخطبة بها فى السادس من المحرم سنة ٣٥٩ هـ . وبين شهر ذى القعدة من نفس السنة هى مدة طويلة لكى يصل الخبر إلى مصر بفتحها . ولا يمكن تبرير ذلك أيضا إلا بما ذكره المقريزى نفسه فى خططه (١٢٤) من مكاتبة ابن فلاح من دمشق مولاه المعز بالمغرب بما فتح على يديه له ، متجاوزا بذلك الكتابة إلى جوهر مباشرة ، ثم كيف كتب المعز إلى ابن فلاح يلومه ويوبخه على ذلك ويأمره بمكاتبة جوهر فى كافة أموره ؛ وهذا زمن معقول - فيما بين المحرم ٣٥٩ هـ وذى القعدة ٣٥٩ هـ - لكى تصل الكتب من الشام إلى المغرب ، ومن المغرب إلى الشام ومن ثمة إلى مصر لكى تخبر بفتح دمشق ، ولا ينقص من هذا أن الفاطميين لم يكونوا بدمشق فى شهر ذى القعدة المذكور حسب رواية الدوادارى والمقريزى فى ذكر الأخير لحوادث ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، وهو عكس ما يفهم من ظاهر النصوص لدى ابن الأثير والصفدى وابن تغرى بردى ، فربما وصلت الأخبار فى شهر ذى القعدة هذا إلى مصر لكى تخبر رسميا بفتحها فى المحرم من سنة ٣٥٩ هـ ، وبغض النظر عن أن المقريزى عند ما ساق هذا الخبر فى خططه قد أشار إلى أن ابن فلاح — بعد أن وصلته رسالة المعز — لم يكاتب جوهراً بشىء من أمره حتى قدم عليه - أى على ابن فلاح - الحسن بن أحمد القرمطى ، أى فى عام ٣٦٠ هـ ، وإلا لكان ما أخبر به المقريزى عن هذا الخبر فى حوادث شهر ذى القعدة سنة ٣٥٩ هـ من قبيل الخلط فى ترتيب الوقائع ، وهو ما لا يمكن الأخذ به (١٢٥) .

---

(١٢٤) ج ١ ، ص ٣٧٨ .

(١٢٥) قارن ما فات هنا من قبل ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٩ .

ولعل فيما ذكره ابن تغرى بردى من رجوع ابن فلاح إلى الرملة بعد فتحه دمشق ثم الخطبة للمعز بها فى المحرم من سنة ٣٥٩ هـ توضيح لما نحاول إثباته هنا من وجود مرحلتين لفتح الفاطميين لدمشق . إذ ليس ثمة ما يدعو إلى رفض رواية ابن تغرى بردى فى هذا الصدد وإن كان قد انفرد بها . فالذى ذكره ـ كما أشرنا منذ قليل ـ أن الشريف ابن أبى يعلى ثار فى إثر ذلك بدمشق ولبس السواد ودعا للمطيع ، أى أنه قطع الخطبة للمعز ، ثم أخرج إقبالا أمير دمشق من قبل جوهر ، فما كان من ابن فلاح إلا أن عاد إلى دمشق فى ذى الحجة ٣٥٩هـ ونازلها حتى ظفر بها وبأهلها . وقد يفهم من كلام ابن تغرى بردى أن هذه الثورة هى الثورة الأولى لأهالى دمشق ضد الفاطميين وأنها وقعت على هذا النحو فى التاريخ الذى ذكره ابن الأثير وهو ١٣ المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، أى أن ابن فلاح لم يكن موجوداً بظاهر دمشق فى ذلك الوقت ، وهذا يناقض ما يفهم من كلام ابن الأثير بأن ابو فلاح كان موجودا بظاهر دمشق حتى يوم الصلح الأول بين الدماشقة وابن فلاح ، وهو ما استنتجنا ـ حسب رواية ابن الأثير أيضا ـ أنه حدث فى يوم الأحد ١٥ المحرم سنة ٣٥٩ هـ . والظاهر أن مغادرة ابن فلاح إلى الرملة كان فى تاريخ متأخر على هذا ، خاصة وأن ابن الأثير نفسه ينص على أن أهل دمشق ثاروا ثورتهم الثانية بعد هذا الصلح مباشرة إثر دخول ابن فلاح دمشق ثم خروجه عنها ونهب جنوده البلد ، وتحصين الدماشقة لمدينتهم ، وإحجام المغاربة عنهم(١٢٦) . ولا شك أن أحداثا

---

(١٢٦) سوف نحاول فى الفصل الأخير من هذا الباب إثبات أن ابن فلاح كان مشغولا فى الفترة السابقة على شهر ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ بأمور أخرى مما يدل على عدم وجوده بدمشق أو بظاهرها قبل ذى الحجة مباشرة على الأقل .

وقعت - ولم تشر إليها جميع المصـــادر ومن بينها ابن الأثير - فى دمشق بعد رحيل ابن فلاح عنها وعلى التحديد فى الفترة السابقة مباشرة على رجـــوع ابن فلاح إلى دمشق فى شهر ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ كما أشار ابن تغرى بردى ،

ولا يمكن تفسير هذه الحلقة المفقودة إلا بما ذكره الصفدى فى ترجمته لابن أبى يعلى من أنه « أقام بدمشق مدة وجه أحداث ، وقطع دعوة المصـــريين ، ولبس السواد ، ودعا للمطيع يوم الخميس ليومين خلوا من ذى الحجـــة سنة ٣٥٩ﻫ »(١٢٧) ، وهذا يعنى أيضـا أن ثمة ثورة ثالثة قامت على التحديد فى الثانى من ذى الحجة سنة ٣٥٩ﻫ فى وجه المغاربة الذين كانوا يحجمون عن أهل دمشق حتى ذلك الوقت . حقيقة أن الصفدى لم يذكر فى متنه وأرجوزته شيئـــا عن تولية إقبال من قبل جوهر أو غيره حتى هـــذا التاريخ كما يفهم من كلام ابن تغرى بردى ، وإنما الموجود فى المتن عنده هو إضافة بين حاصرتين من الدكتور المنجد - محقق أمراء دمشق - عن ابن عساكر ، وفيها يقول : « إقبال غلام شمول : استخلفه على دمشق فى سنة ثمان وخمسين لما توجه لقتال جعفر بن فلاح(١٢٨) » ؛ بينما تشير النصوص لدى كل من الدوادارى(١٢٩) والمقريزى(١٣٠) إلى أن شمولا لم يتوجه فى يوم من الأيام لمحاربة ابن فلاح ، وإنما تقاعد عن نصرة ابن طغج لما طلب منه - وهو بالرملة - بأن يبعث إليه بالعساكر من عنده استعداداً لملاقاة

---

(١٢٧) أمراء دمشق ، ص ٦٧ (المتن) ، ١٣٦ (الأرجوزة) ، ٢٠٩ (الملحق).

(١٢٨) نفس المصدر ، ص ١١ .

(١٢٩) الدرة المضية ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ .

(١٣٠) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

ابن فلاح(١٣١) . كما يدل النص لدى كل من ابن عساكر(١٣٢) والذهبي(١٣٣) على وجود شمول بدمشق وقت أن دار القتـــال بين ابن طغج وابن فلاح عند الرملة(١٣٤) ، وليس يعقل - بطبيعة الحال - أن يكون هناك واليـــان من قبل الفاطميين على دمشق في آن واحد في تلك الفترة بالذات ، وإنما يصح أن نقول إن ابن فلاح لما توجه من دمشق إلى الرملة أقام إقبالا هذا مجرد نائب عنه بها حتى يصح ما قاله ابن تغرى بردى ، ولكن في هذا كثيراً من التجوز مما يدعو إلى التحرز الذى يؤدى بنا إلى رفض ما ذكره ابن تغرى بردى عن إقبال(١٣٥).

وثمة نص لدى سبط ابن الجوزى يدعو إلى وقفة تأمل ، إذ هو يقول - بعد ذكره استيلاء ابن فلاح على الرملة وأسر ابن طغج - : « ثم استخلف ابنه على الرملة ، وسار إلى طبرية ، وبلغه أن ابن أبى يعلى الشريف - وهو أبو القاسم إسماعيل - قد أقام الدعوة بدمشق للطايع ، فسار إلى دمشق ، فعصوا عليه وقاتلوه ، فظهر عليهم ، وهرب ابن أبى يعلى إلى البرير(١٣٦) ، وجيء به إليه ، فأحسن إليه ، وبعث به إلى مصر مع جماعة من الأحداث الذين قاموا

---

(١٣١) قارن ما جاء هنا فيما بعد عند إشارتنا إلى الهامش رقم (٧٣) وما جاء في بقيـــة الفقرة التى يقع فيها هذا الهامش بالفصل السابع .

(١٣٢) تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .

(١٣٣) في : مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، بقية هـ ٢ (الواقـع أوله في ص ٢٥٦) .

(١٣٤) راجع ما جاء هنا من قبل ، ص ٢٣٣ — ٢٣٥ .

(١٣٥) قارن ما جاء هنا فيما بعد ، عند إشارتنا إلى الهامش رقم (٧٩) وحتى الهامش رقم (٨٢) بالفصل السابع .

(١٣٦) كذا بالأصل ، وربما كان اللفظ تحريفا لكلمة (البرية) .

معه»(١٣٧) .

وظاهر النص صريح فى أن ابن فلاح سار إلى طبرية بعد استيلائه على الرملة، وبلغه وهو فى طبرية ذلك الخبر الذى أورده النص، ولا نشك ـ حسبما أوردنا من نصوص سابقه ومن تحليلنا لها ـ أن هناك ثغرة فى كلام سبط ابن الجوزى ـ الذى ينقل هنا عن الصابى ـ إذ أن أول ما يلفت النظر هو قوله : «وبلغه أن ابن أبى يعلى .. قد أقام الدعوة بدمشق للطيع»، فالمفروض ـ أو هو الواقع ـ أن الدعوة كانت للطايع قبل فتح الفاطميين لدمشق، ولا معنى لأن يقيم الشريف ابن أبى يعلى الدعوة للطيع والدعوة قائمه له بها فعلا، إلا إذا كانت هذه الدعوة قد قطعت فأعادها الشريف ابن أبى يعلى. وهنا نأتى إلى تلك الثغرة فى نص سبط ابن الجوزى التى أشرنا إليها الآن، إذ أن هذا يعنى أن ابن فلاح كان موجوداً فى طبريه فى ذلك الوقت بعد فتحه الاول لدمشق ثم مسيره عنها ـ كما يذكر ابن تغرى بردى ـ إلى الرملة، فعرج أيضا على طبريه(١٣٨) حيث بلغه الخبر الذى يفيد بقطع الدعوة المعز وإقامتها المطيع . وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على أن الصابى قد تداخلت لديه الأحداث المتصلة بتلك الفترة، أو أن سبط ابن الجوزى ـ وهو ينقل عنه ـ يختصر كلامه بشكل حاد أدى به إلى هذا التداخل الذى أشرنا إليه الآن، خاصة وأن سبط ابن الجوزى يسوق هذه الوقائع بدون تواريخ محددة، وإنمـــا يكتفى بسردها استطراداً لحوادث سنة ٣٥٨ هـ وتحت عنوان : «ذكر أخذ القرامطة دمشق من المعز لدين الله صاحب

---

(١٣٧) فى : ذيل تاريخ دمشق، ص ١ .

(١٣٨) قارن ما جاء هنا فيما بعد عند إشارتنا إلى الهامش رقم (٥٢) وحتى الهـامش رقم (٦٩) بالفصل السابع .

مصر ، وهذا فى سنة ستين وثلاثمائة(١٣٩) » . ولا نعتقد أننا نحمل نص سبط ابن الجوزى أكثر مما يحتمل ، إذ أن منطق الأحداث وتتابعها يدلان على ما نذهب إليه ، وهو ما سوف نحاول التدليل عليه فى ثنايا الفصل الأخير من هذا الباب .

ويمكن لنا أيضا أن نستدل على وجود مرحلتين لفتح ابن فلاح لدمشق ، بما ذكره أبو الفدا بصورة مجملة من غير تفصيل للأحداث ، وذلك فى قوله - بعد إشارته لإقامة الخطبة للمعز بدمشق فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ - : « وجرى فى أثناء هذه السنة بعد إقامة الخطبة العلوية فتنة بين أهل دمشق وجعفر بن فلاح ، ووقع بينهم حروب وقطعوا الخطبة العلوية . ثم استظهر جعفر بن فلاح ، واستولى على دمشق ، فزالت الفتن ، واستقرت دمشق للمعز لدين الله العلوى(١٤٠) » . وقد يبدو من النص أن الفتنة وقعت مرة واحدة فحسب ، إذ أن أبا الفدا لم يذكر سواها ، أى أنها الفتنة الوحيدة بعد إقامة الخطبة الأولى للمعز ، ولكننا رأينا فى تحليلنا للنصوص السابقة أن ثورات أهالى دمشق كانت ثلاثا ، وأن إقامة الخطبة للمعز حدثت مرتين . وكلام أبى الفدا يتفق تماما وتحليلنا لكافة النصوص التى أوردناها خاصة ما كان يتصل منها بما أورده ابن الأثير والصفدى ، كما أن أبا الفدا يذكر أخيراً لفظ (الفتن) بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد مما يدل على وقوع أكثر من ثورة ، وهى الثورات التى زالت فى نهاية الأمر ، ومن ثم استقرت دمشق للمعز العلوى ، ولم يتم ذلك إلا بعد ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ كما مر بنا فى نصوص ابن الأثير بالذات ، وكذلك فيما

---

(١٣٩) ف : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١ .

(١٤٠) المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

نفهمه من رواية الدواداري ، وما نص عليه المقريزي ، وما أشار إليه ابن تغري بردي .

وقبل أن نحاول ترتيب الحقائق التي يصح الاطمئنان إلى تتابعها حسب روايات ابن الأثير والدواداري والمقريزي وابن تغري بردي وما استأنسنا به من سبط ابن الجوزي وأبي الفدا والصفدي ، هذا إلى جانب ما قمنا به من تحليل ما أوردوه من نصوص ، نشير أولا إلى أن ابن خلدون قد أورد نفس الأحداث التي ذكرها ابن الأثير ، ويبدو أنه ينقل عنه بشيء من التلخيص ، ولكنه يحدد خطأ تاريخ الصلح الأخير بين ابن فلاح وأهل دمشق بمنتصف ذي الحجة سنة ٣٥٩ هـ لا بالسادس عشر منه ، كما يصحح ماذكره ابن الأثير من أن الذي دخل دمشق إثر ذلك كان صاحب شرطة جعفر وليس جعفراً نفسه ، كما ينص على استقامة ملك دمشق لابن فلاح في المحرم سنة ٣٦٠هـ(١٤١) . هذا إلى جانب من ذكرناهم من قبل وهم الذين أشاروا إلى التاريخ الأول لفتح دمشق أو أول خطبة المعز بها وحددوا لذلك شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ أو ذكروا عام ٣٥٩ هـ بلا تحديد للشهر ، وكذلك من ذكر منهم شهر ذي الحجة ٣٥٩هـ تاريخا لتمكن الفاطميين من دمشق ، أو ذكر السنة دون الشهر ، أو أغفل السنة والشهر ، أو من حدده بعام ٣٦٠ هـ ، وهو ما قد يفسر ما ذكره الذهبي من أن استيلاء الفاطميين على دمشق إنما وقع في سنة ٣٦٠ هـ(١٤٢) .

على كل حال ، تبدأ المرحلة الأولى بفتح الفاطميين لدمشق بعد نزولهم عليها

---

(١٤١) العبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

(١٤٢) راجع ما قبله ، ص ١٤٢ ، ٢٥٢ .

فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ ﻫ أو أوائل شهر المحرم سنة ٣٥٩ ﻫ . وفى يوم الجمعة السادس من المحرم سنة ٣٥٩ ﻫ يقيم ابن فلاح أول خطبة للمعز بدمشق ويقطع الخطبة العباسية . ويثور أهل دمشق ثورتهم الأولى على الفاطميين فى يوم الجمعة الثالث عشر من المحرم سنة ٣٥٩ ﻫ بزعامة الشريف ابن أبى يعلى الذى يبطل الخطبة للمعز ويعيدها لمطيع ، بينما يدور القتال بين أهل دمشق والفاطميين حتى آخر نهار ذلك اليوم . وفى اليوم التالى – السبت ١٤ المحرم – يواصل الطرفان القتال خارج سور دمشق وينهزم عسكر دمشق ، فى حين يرابط الشريف ابن أبى يعلى على باب الجابية(١٤٣) ، ثم يرغم الدماشقة على التقهقر حتى هذا الباب(١٤٤) ، بينما يتقدم المغاربة حتى قصر حجاج بظاهر باب الجابية فى نفس اليوم ، مما يدل على أن القتال كان يقع خارج سور دمشق فى أقصى الطرف الغربى منه(١٤٥) . وفى يوم الأحد ١٥ المحرم ، يقع أول صلح بين الفريقين بعد سفارة الشريف الجعفرى عن أهل دمشق ، فيدخل ابن فلاح وجنده دمشق ، ولكن يثور الدماشقة ثورتهم الثانية فى نفس اليوم بعد أن نهب المغاربة البلد على إثر خروج ابن فلاح عنها فى اليوم ذاته . ويشرع أهل دمشق عقب ذلك فى تحصين البلد ، بينما يكف عنهم المغاربة ، ويبقى الفاطميون بدمشق ، فى حين يمضى ابن فلاح إلى الرملة فى تاريخ يصعب تحديده .

ثم تبدأ المرحلة الثانية ، وفيها يثور أهل دمشق ثورتهم الثالثة فى يوم الخميس الثانى من ذى الحجة عام ٣٥٩ ﻫ بزعامة الشريف ابن أبى

---

(١٤٣) لم يذكر ابن الأثير هذا صراحة ، ولكن تتابع الأحداث — خاصة عند ذكر قصر حجاج — يشير إلى هذا .

(١٤٤) راجع الحاشية السابقة .

(١٤٥) انظر خريطة دمشق .

يعلى الذى يتولى زمام الأمور بدمشق فى ذلك اليوم ، ويقطع الخطبة للمعز المرة الثانية ويقيمها للطيع العباسى ويطرد المغاربة من دمشق ، وفى يوم الأربعاء الثامن من ذى الحجة (١٤٦) ، يصل إلى دمشق سرايا ابن فلاح التى كانت تعمل مع بنى فزارة ومرة ضد بنى عقيل بحوران والبثنية ، ويقاتلهم أهل دمشق خارجها ، بينما تنضم هذه السرايا إلى طلائع ابن فلاح قرب دمشق ويعودون معها إلى دمشق حيث ينزلون عليها فى نفس اليوم . وفى اليوم التالى - الخميس ٩ منه - ينشب القتال بين هذه السرايا والطلائع وبين أهل دمشق خارجها ، ثم ينصرفون عنهم . وفى يوم الجمعة ١٠ منه ، يعاود الفريقان القتال بعد صلاة الجمعة ، ويشتد إلى آخر النهار ، فى حين لم يتمكن الدماشقة فى ذلك اليوم من الخروج إلى المصلى خارج دمشق لأداء صلاة عيد الأضحى . وفى يوم السبت ١١ منه ، ينزل جعفر بن فلاح بالشماسية على بعد ميلين إلى الجنوب من أقصى الطرف الجنوبى الغربى من دمشق . وفى يوم الأحد ١٢ منه ، تعود الاشتباكات بين جيش ابن فلاح وأهل دمشق ويدوم القتال إلى آخر النهار ، فى حين يزداد ضغط المغاربة ، فينهزم أهل دمشق إلى أقصى الطرف الجنوبى الغربى وإلى الغرب من أسوار دمشق حيث قصر الحجاج وأرض عاتكة خارج باب الجابية(١٤٧) ، وكان يتزعم أهل دمشق الشريف ابن أبى يعلى ومحمد بن عصودا وصدقة الشوا ، ويتمكن المغاربة من الاستيلاء على ظاهر البلد فى هذين الموضعين(١٤٨) ويشعلون النيران بأسواقه ،

---

(١٤٦) سوالى هنا - ومن الآن - ذكر التواريخ التى أوردها المقريزى أو استخرجناها من نصوصه حسب تصحيحنا لها بدون الإشارة إلى ذلك .

(١٤٧) انظر خريطة دمشق .

(١٤٨) يدل على هذا ما ذكرناه بالمتن منذ قليل من تقهقر أهل دمشق إلى قصر الحجاج فى أقصى الجنوب من سور المدينة وأرض عاتكة خارج باب الجابية .

ثم يواصلون تقدمهم حتى يصلوا إلى باب الجابية . وفى يوم الإثنين ١٣ منه ، يبرز أهل دمشق أبواب البلد(١٤٩) ، ويتواصل القتال طوال نهار ذلك اليوم فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى من دمشق مما يلى المصلى عند مقابر باب الصغير(١٥٠)، فى حين يتوقف القتال عندما يحجز الظلام بين المتحاربين . وفى صباح يوم الثلاثاء ١٤ منه ، يسفر شيوخ أهل دمشق فى الصلح المرة الثانية لدى ابن فلاح وهو مقيم بالشماسية ، ولكن الطرفين لا يتوصلان إلى شىء . وفى يوم الأربعاء ١٥ منه ، يخرج إلى ابن فلاح شيوخ دمشق للمرة الثانية لنفس الغرض إلا أنه لا يتم بينهم شىء أيضا . وفى يوم الخميس ١٦ منه ، يتم الاتفاق على الصلح الثانى بين أهل دمشق وابن فلاح على أن يدخل صاحب شرطة ابن فلاح دمشق فى اليوم التالى لاتخاذ الإجراءات اللازمة تمهيداً لدخول ابن فلاح نفسه دمشق فى ذلك اليوم لأداء صلاة الجمعة . وفى يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، يدخل ابن فلاح دمشق فى عسكره ، ويصلى بالناس صلاة الجمعة بالجامع الأموى ، ويغادر دمشق فى نفس اليوم إلى الطرف الشمالى الغربى بظاهر سور دمشق حيث ينزل وأصحابه بالدكة فوق نهر يزيد .

٢ ـ فى روايات المحدثين :

أما عن المحدثين وتناولهم لموضوع فتح ابن فلاح لدمشق ، فقد كان لرجوع غالبيتهم لنفس المصادر التى استأنسنا بها أثره كذلك فى اختلاف التفاصيل لديهم وبالتالى النتائج (١٥١) . فقد رجع الدكتور

---

(١٤٩) من المنطقى أن يكون المقصود بذلك باب الصغير إلى الشرق قليلا من مقابر باب الصغير الواقعة فى أقصى الطرف الجنوبى من سور المدينة ، وباب الجابية الواقع غربى السور ، إذ أن الوقائع التى نشير إليها الآن كانت تدور ما بين هذه المقابر وباب الجابية .

(١٥٠) راجع عن موضع المصلى : هـ ٩٢ بهذا الفصل ، وانظر أيضا الحاشية السابقة .

(١٥١) راجع أولا أقوال جميع هؤلاء المحدثين فيما فات هنا من قبل ص ١٧٨ ـ ١٨٤ ،

على إبراهيم حسن إلى المقريزى(١٥٢) عند كلامه عن ثورة أهل دمشق وإخمادها، ولا يحدد تاريخا لها للتعرف على أى الثورات كانت ، بينما لا يذكر مصدره فيما أورده عن أحد أيام الجمع الذى وصل فيه الجنود الفاطمية من حوران بعد هزيمتهم لبنى عقيل هناك، وكذلك تاريخ ١٠ ذى الحجة سنة ٣٥٨هـ الذى حدد به وصول ابن فلاح إلى دمشق ، وملاحظتنا عليه هو نفس ما أوردناه من قبل من ترجيح رجوعه إلى اتعاظ الحنفا للمقريزى(١٥٣) فى هذا الصدد ، وهو نفس ما يمكن أن يقال عن يوم الجمعة هذا ، إذ أن المقريزى هو الوحيد من بين القدامى الذى ذكر هذا اليوم وإن كان وضعه فى حوادث سنة ٣٥٩ هـ كما مر بنا فى تحليلنا لروايته ، بينما نراه يحدد على هذا استيلاء الفاطميين على دمشق فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، ولم يشر إلى مصادره أيضا ، وقد ينفى هذا رجوعه إلى المقريزى الذى لم يذكر هذا الشهر تماما تاريخا لدخول الفاطميين دمشق ، إلا أن ما ذكره عن التاريخين السابقين — الجمعة ، والعاشر من ذى الحجة ٣٥٨هـ — يؤيد ما ذهبنا إليه فى هذا التحليل ، وإذا كان هذا يعنى شيئا فإنما يدل على أنه رجع إلى أكثر من مصدر واحد فى هذا الصدد ، ولكن لا يزال تحديده لهذه التواريخ موضع نقد وملاحظة إذا أخذنا برجوعه إلى المقريزى على الأقل ، خاصة إذا علمنا أنه رجع إلى ابن تغرى بردى(١٥٤) فيما ذكره بعد هذا عن إقامة الخطبة للمعز بدمشق فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ .

---

(١٥٢) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٢ من طبعة القدس ، ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٤ — ١٢٥ من طبعة سنة ١٩٦٧) .

(١٥٣) راجع ما قبله ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ .

(١٥٤) (فى : النجوم ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ من طبعة ليدن ، ويقابلها : ج ٤ ، ص ٣٣ من طبعة دار الكتب) .

ونلاحظ نفس الوقائع فيما أورده الدكتوران حسن وشـرف ، إلا أنهما يكتفيان بذكر أواخر شهور ذى الحجة من شهور سنة ٣٥٨ه تاريخا لنشوب القتال بين أهل دمشق وجنود جعفر بعد هزيمة بنى عقيل حسب رواية المقريزى لديهما؛ وما ينسحب من نقد على كلام الدكتور على إبراهيم حسن ينسحب أيضا عليهما ، ونزيد على ذلك أن المقريزى لم يحدد بداية الأحداث التى يتكلمان عنـها إلا بالثامن من شهر ذى الحجة وليس بأواخره ، بغض النظر عن السنة التى ذكرها المقريزى وهى سنة ٣٥٩ه ، كما نراهما يحددان تاريخ دخول ابن فلاح دمشق وإقامة الخطبة بها للمعز بشهر المحرم سنة ٣٥٩ ه بدون ذكر مصادرهما ، بينما يذكر الدكتور حسن إبراهيم -حين يكتب منفرداً- نفس المحرم سنة ٣٥٩ه تاريخا لدخول ابن فلاح دمشق ، ويوم الجمعة التالى - دون تحديد أيضا - لإقامة الخطبة للمعز ، معتمداً فى ذلك على أبى الفدا (١٥٥) .

وقريب مما ذكره الدكتوران حسن وشرف ما ذكره الأستاذ تامر - ولم يشر فيه إلى مصادره - عن نشوب عدة معارك فى سنة ٣٥٨ ه بين الفاطميين وأهـل دمشق دون تحديد الشهور والأيام ، وما أشار إليـه عن عام ٣٥٩ ه لتاريخ إقامة الخطبة للفاطميين بدمشق .

والملاحظة الأخيرة على هذه المجموعة من المحدثين أنهم اتفقوا فيما ذكروه عن بداية القتال بين أهـل دمشق والفاطميين بشهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ه ، بينما استولى ابن فلاح على دمشق وأقام الخطبة بها فى المحرم سنة ٣٥٩ ه ، وإن كان الأستاذ تامر قد أغفـل ذكر هـذين الشهرين فى هاتين السنتين ، كما أنهم جميعا

---

(١٥٥) (فى : المختصر ج ٢ ، ص ١١٥ من طبعة القسطنطينيـة ١٢٨٩ ه ؛ ويقابلها : ج ٢ ، ص ١٠٩ من الطبعة التى بين أيدينا) .

وقفوا بالأحداث عند شهر المحرم من سنة ٣٥٩ ﻫ .

وفى الطرف الآخر من المحدثين ، نرى الدكتور سرور والدكتور عمر كمال يحددان بداية الأحداث المتصلة بفتح دمشق بأواخر سنة ٣٥٩ﻫ . إلا أننا نلاحظ أن الدكتور سرور لا يحدد شهراً لذلك بل يكتفى بالإشارة إلى أواخر هذه السنة فحسب ، راجعا فى ذلك إلى المقريزى(١٥٦) ، ثم ينهى كلامه عن هذه الوقائع بالإشارة إلى أحد أيام الجمع - بدون تحديد - تاريخا لدخول جعفر إلى مسجد دمشق حيث أقام الخطبة للمعز ، وينص الدكتور سرور على أن ذلك حدث فى المحرم سنة ٣٦٠ ﻫ مستأنسا فى ذلك بالمقريزى(١٥٧) أيضا ، على الرغم من أن المقريزى - كما مر بنا - لم يذكر شيئاً عن إقامة هذه الخطبة أصلا ، وبالتالى لا يذكر التاريخ الذى جاء به الدكتور سرور ، وكل ما رواه المقريزى عن شهر المحرم سنة ٣٦٠ﻫ يتصل ببعض الأحداث الداخلية فحسب .

أما الدكتور عمر كمال ، فقد حدد العاشر من ذى الحجة ٣٥٩ ﻫ تاريخا لنزول ابن فلاح على الشماسية عند دمشق ، ثم ذكر دخول ابن فلاح دمشق وإقامة الخطبة بها للمعز بدون أن يحدد تاريخا لذلك ، فى حين اعتمد لكل ذلك ابن الأثير والمقريزى مصدرين له ، وإن كان من المؤكد أنه رجع إلى المقريزى فيما يختص بتاريخ العاشر من ذى الحجة - وهو تاريخ أثبتنا خطأه إذ هو يوافق الحادى عشر منه - وإليه أيضا مع ابن الأثير

---

(١٥٦) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٣ — ١٧٥ من طبعة سنة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلهما : ج ١ ، ص ١٢٣ — ١٢٥ من طبعة ١٩٦٧) .

(١٥٧) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٦ من طبعة سنة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلهما : ج ١ ، ص ١٢٥ من طبعة سنة ١٩٦٧ م) .

عن دخول ابن فلاح دمشق وخطبته للمعز بها ، بيد أننا لا نجد - كما مر بنا في نقدنا لرواية الدكتور سرور - أية إشارة صريحة لدى المقريزي عن إقامة هذه الخطبة ، بينما لم يذكر ابن الأثير إلا إقامة الخطبة في السادس من المحرم سنة ٣٥٩ هـ كما أثبتنا من قبل ، حقيقة أن ظاهر النصوص لدى كل من المقريزي وابن الأثير يشير إلى ضرورة إقامة الخطبة في يوم الجمعة ١٧ من ذي الحجة سنة ٣٥٩ هـ عندما صلى ابن فلاح صلاة الجمعة بجامع دمشق ، ولكن من المؤكد أن هذه لم تكن أول خطبة أقامها ابن فلاح للمعز بدمشق ، وإنما هي إعادة لها بعد أن انتهى أخيرا من القضاء نهائيا على مقاومة أهل دمشق . ويتصل ببعض هذا ما أشار إليه الدكتور عمر كمال - في حواشي كتابه - من أن ابن الأثير جعل فتح دمشق في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، بينما الصحيح - كما يعلق الدكتور عمر كمال نفسه - هو عام ٣٥٩ هـ حسبما جاء في اتعاظ الحنفا وتاريخ يحي الأنطاكي (١٥٨)، ولكن من الملاحظ أن ابن الأثير لم يذكر شيئا عن هذا التاريخ ، بل هو نص على أن الانتهاء من فتح دمشق كان في ذي الحجة - وفي ١٧ منه بالذات ، أي بدخول ابن فلاح دمشق وأدائه الصلاة بجامعها - سنة ٣٥٩ هـ ؛ وكل ما يفهم من كلام ابن الأثير - كما أشرنا في تحليل روايته أن نزول ابن فلاح على دمشق ربما كان في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ أو أوائل المحرم سنة ٣٥٩ هـ .

أما آخر ما نلاحظه على أقوال كل من الدكتور سرور والدكتور عمر كمال ، فهو أنهما يتفقان في تحديد تاريخ بداية القتال بين أهل دمشق والفاطميين بأواخر سنة ٣٥٩ هـ وإن اختلفا في بعض التفاصيل .

---

(١٥٨) (في : تاريخه ، ص ١٣٨) .

وإذا نحن استعرضنا مرة ثانية أقوال بقية المحدثين ، لا نخرج بشيء منها سوى ماذكره البعض من أن الاستيلاء على دمشق أو إقامة الخطبة بها إنما كان فى المحرم عام ٣٠٩ هـ ، بينما يغفل البعض الآخر هذا الشهر ، فى حين لا نستدل من كتابات غيرهم على تاريخ محدد لهاتين الواقعتين ، كما أن منهم من نتعرف من كلامه على الوجود الفاطمى فى دمشق فى عام ٣٥٩ هـ مثلما يذكر الأستاذ كرد على من ثورة أهل دمشق بزعامة الشريف ابن أبى يعلى ، ولكنه لا يحدد لنا أى الثورات هى ، ومنهم من يشير إلى هذا الوجود دون تحديد التاريخ بعينه ، كما نلاحظ أن هذه البقية من المحدثين يشير طائفة منهم إلى مصادره ، بينما لا يذكرها الباقى منهم .

ثالثا

مشكلة تأريخ محاولة الفاطميين فتح أنطاكية

١ — في المصادر العربية :

لم يتعرض من المصادر التي بين أيدينا إلى محاولة الفاطميين فتح أنطاكية سوى يحيى الأنطاكي والدواداري والمقريزي وابن الشحنة (١٥٩). وأول ما نلاحظه على رواياتهم جميعا هو تحديد سنة ٣٦٠ ﻫ تاريخا لهذه المحاولة ، كما أن المدة التي استغرقتها تلك المحاولة وحاصر فيها الفاطميون أنطاكية وهي خمسة شهور يتفق فيها كل من يحيى وابن الشحنة دون أن يحددا موقع هذه الشهور الخمسة من السنة المذكورة ، بمعنى أنهما لا يذكران بدايتها ولا نهايتها ، في حين يشير الدواداري إلى شهري صفر وربيع الأول تاريخا محتملا لخروج العساكر الفاطمية من دمشق بقيادة فتوح غلام ابن فلاح لفتح أنطاكية ، ولا يذكر مجموع الشهور الخمسة ، ولكنه يبين أن إنفاذ عساكر فتوح إلى أنطاكية حدث في بداية الشتاء بينما رفعوا عنها الحصار عندما قدم فصل الربيع . أما المقريزي ، فهو وإن لم يشر أيضا إلى مجموع هذه الشهور ، إلا أنه حدد لنا تاريخ إنفاذ هذه الحملة من دمشق بشهر ربيع الأول سنة ٣٦٠ ﻫ ويشير كذلك إلى أن الوقت كان شتاءاً ، فأقام عليها فتوح محاصراً لها حتى انتهاء هذا الفصل وحتى وصول رسالة ابن فلاح إليه من دمشق في أول رمضان سنة ٣٦٠ ﻫ يأمره فيها بالرحيل عن أنطاكية والعودة إلى دمشق .

---

(١٥٩) راجع أولا ما فاتَهنا من قبل ، ص ١٤٥ — ١٤٧ .

ويشير الدواداري والمقريزي في روايتيهما إلى إنفاذ أحد السرايا إلى الإسكندرونة لملاقاة الروم هناك، ولا يذكران تاريخا لذلك. وينص الدواداري على أن ابن فلاح أنفذ هذه السرية إلى الإسكندرونة مباشرة لمقاتلة عسكر الروم هناك حيث حلت بها الهزيمة، وهو نفس ما يمكن أن نستخلصه أو نستنبطه من نص المقريزي، إذ هو يذكر مسير بعض القوافل - التي لم يبين لنا لأي طرف تتبع — في الوقت الذي كان القتال يدور فيه عند أنطاكية، أو أن هذه السرية كانت مددا لفتوح نفسه، فقابل هؤلاء العساكر قافلة تحمل علوفة لأنطاكية، فأخذوها وقد شارفوا الإسكندرونة، وانتهى الحال بهزيمتهم.

وليس هناك ما يمنع من الأخذ بمدة الشهور الخمسة التي نص عليها كل من يحيى وابن الشحنة وترجيح صحتها إذا ما قارناها بما أورده كل من الدواداري والمقريزي. فهي تتفق إلى حد ما وماذكره الدواداري عن مسير العساكر الفاطمية بقيادة فتوح إلى أنطاكية في شهر صفر أو ربيع الأول إذا أخذنا بشهر ربيع الأول فقط الذي ذكره المقريزي أيضا، وهو يتفق إلى حد كبير وما نص عليه كل من يحيى وابن الشحنة، وكذلك ما ذكره كل من الدواداري والمقريزي اللذين يؤكدان أن إنفاذ هذه العساكر تم عند حلول الشتاء، وأن المهمة انتهت عند إقبال الربيع كما يقول الدواداري أو انصرام الشتاء كما يذكر المقريزي. ويؤكد هذا بصورة محددة إذا رجحنا أن ذلك إنما حدث - على وجه التحقيق - في أواخر شهر ربيع الأول وليس في أوائله، لأن مستهل ربيع الأول سنة ٣٦٠ه يوافق الثاني من يناير ٩٧١م، وإذا كان المقريزي قد قرر أن رسالة ابن فلاح إلى غلامه فتوح قد وصلته في أول رمضان سنة ٣٦٠ ه، فهذا يعني أن بداية العمليات الحربية عند أنطاكية لم تبدأ إلا في أوائل ربيع الثاني حتى تتم الشهور الخمسة. وبمعنى آخر يمكن الاطمئنان إلى القول بأن خروج العساكر الفاطمية من

دمشق إلى أنطاكية إنما يتفق وتاريخ خروجه مع أواخر شهر ربيع الأول أو قرب نهايته في حين أن شروع فتوح حصار أنطاكية ومنازلتها إنما وقع في أوائل ربيع الثاني سنة ٣٦٠هـ . أما السرية التي أنفذها ابن فلاح ووصولهـا إلى مشارف الإسكندرونة ، فيبدو أن ابن فلاح أنفذها من دمشق إلى الإسكندرونة بالفعل وليس إلى فتوح نفسه ، ويبدو أيضا أن مدة الحصار قد طالت بسبب الإمدادات المتواصلة من الإسكندرونة إليها (١٦٠) ، الأمر الذي يفسر ما أورده المقريزي بأن ابن فلاح أرسل « عسكراً بعد عسكر إلى أنطاكية (١٦١) » ، ويجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن القوافل الذي ذكرها المقريزي إنما كانت قوافل بيزنطية تخرج من الاسكندرونة إلى أنطاكية مدداً لها .

ونخرج من هذا التحليل الذي سقناه الآن - وكذلك ما أوردناه من قبل من تفاصيل ذكرها يحيى وابن الشحنة والدواداري والمقريزي (١٦٢) - بالحقـائق الآتيـة :

في أواخر شهر ربيع الأول سنة ٣٦٠هـ ، ينفذ ابن فلاح العساكر بقيادة غلامه فتوح لفتح أنطاكية . وفي أوائل ربيع الثاني ، يصل فتوح إلى أنطاكية ويحاصرها ، ويستمر هذا الحصار مدة خمسة أشهر تنتهي في أول رمضـان سنة ٣٦٠ هـ . وفي خلال هذا الحصار ، يبعث ابن فلاح بسرية مكونة من أربعـة آلاف رجل إلى الإسكندرونة للاستيلاء عليها ، إذ كانت الأقوات ترسل منها إلى أنطاكية مما أدى إلى صمود هذه المدينة لحصار فتوح . وتنزل الهزيمة بهـذه

---

(١٦٠) قارن ما جاء هنا فيما بعد عند إشارتنا إلى الهامش رقم (١٢٠) بالفصل السابع .

(١٦١) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

(١٦٢) راجع هذه التفاصيل فيما فات هنا من قبل ، ص ١٤٥ — ١٤٧ .

السرية التي وصلت بالفعل إلى مشارف الإسكندرونة ، وتنضم فلولها إلى قوات فتوح خارج أنطاكية لكي يعود الجميع بعد الأول من رمضان سنة ٣٦٠ هـ إلى دمشق .

٣ ـ في روايات المحدثين :

أما عن المحدثين (١٦٣) ، فهم يشيرون بصورة أو بأخرى إلى الأحداث التي أوردناها منذ قليل ، بينما نلاحظ أن منهم من لم يذكر مصادره ، كما لم يحدد البعض منهم تاريخ انفاذ هذه الحملة إلى أنطاكية ، وهناك فريق منهم لا يشير إلى إنفاذ الحملة نفسها ولكنه يكتفي بخبر استدعائها ، في حين لم يذكر منهم الإسكندرونة سوى الدكتور عمر كمال . ويستوقف النظر هنا ما أورده بعض مؤرخي الدولة البيزنطية من أحداث وتواريخ تتصل بالموضوع . من ذلك ما ذكره فنلي Finlay عن ذلك التحالف الذي كونه أمراء المسلمين بالشام ـ كما يقول ـ لاستعادة أنطاكية من يد البيزنطيين وقيادة جوهر نفسه للجيش المتحالف الذي حلت به الهزيمة أخيراً ، ولا يذكر فنلي تاريخا لذلك ، ولكنه يسوق الخبر بما يفيد وقوعه في عام ٩٧٢م ، ويوافق الأول من يناير في هذا العام ١١ ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ، بمعنى أنه يضع الخبر في أحداث سنة ٣٦١هـ أي بعد سنة كاملة من وقوعها ، وهو يرجع في ذلك الى سيدرينوس كما ذكرنا في حينه ، وهو في كل هذا يناقض روايات القدامى بل وبعض كتابات المحدثين من مؤرخي التاريخ البيزنطي مثل أستروجورسكي Ostrogorsky الذي حدد مهاجمة الفاطميين لأنطاكية بأوائل سنة ٩٧١م والتي يقابل الأول من يناير منها ٢٩ صفر سنة ٣٦٠ هـ وان لم يحدد مصادره ، وكذلك الدكتور أسد رستم الذي

---

(١٦٣) راجع أولا ما استعرضناه من أقوال المحدثين فيما جاء هنا من قبل ، ص ١٨٤ ـ ١٨٩ .

حدد عام ٩٧٠ - ٧١ م تاريخا لذلك ، ويوافق آخر ديسمبر من سنة ٩٧٠م يوم ٢٨ صفر سنة ٣٦٠ هـ ، فى حين ذكر الدكتور رستم خطأ أن جوهراً هو الذى أنفذ الجيش الفاطمى إلى أنطاكية ، كما لم يحدد المكان الذى بعث منه الجيش وإن كان ذكر الشهور الخمسة زمنا لحصار أنطاكية ، واستمد معلوماته جميعاً من شلومبرجيه Schlumberger . وقد وقع فى أخطاء مشابهة المؤرخ فازيلييف - الذى لم يشر إلى مصادره - وذلك فى تحديده سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م تاريخا لمحاصرة الفاطميين لأنطاكية ، كما ينص على أن المعز لدين الله فى مصر أنفذ واحداً من قواده - لم يذكره لنا - لمحاصرة أنطاكية ، ولم يرفع الفاطميون عنها الحصار إلا بعد الهجوم المفاجىء الذى شنته القرامطة عليهم هناك ، والمعروف أن المعز لم ينتقل إلى مصر إلا فى عام ٣٦٢هـ ، كما أن القرامطة الذين ذكرهم فازيلييف لم يصلوا فى أى وقت من الأوقات إلى أنطاكية حتى نقول بأنهم شنوا هذه الغارة المفاجئة على الفاطميين المحاصرين لأنطاكية ، بل إن الفاطميين - كما هو معروف أيضاً - انسحبوا من أنطاكية قبل أن يصل القرامطة إلى الشام لمقاتلة ابن فلاح فى عام ٣٦٠هـ - لا فى عام ٣٦١ هـ - كما هو مشهور ، علاوة على أن جوهراً لم يكن بالشام إلا فى عام ٣٦٥هـ لمحاربة أفتكين التركى المتغلب على دمشق وقتئذ(١٦٤) .

---

(١٦٤) انظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٣ ، ص ٤١٦ .

رابعا

دور القرامطة

١ — فى المصادر القديمة :

أول ما نلاحظه فى أقوال القدامى(١٦٥) عن السبب الذى حدا بابن فلاح لاستدعاء قوات غلامه فتوح التى كانت تقاتل فى الشمال حول أنطاكية هو وصول الأخبار إليه بمسير القرامطة بقيادة أبى محمد الحسن بن أحمد القرمطى المعروف بالأعصم ، وأنهم وردوا الكوفة ، ثم انصراف فتوح عن أنطاكية ووصوله إلى دمشق ، ويضعها غالبية القدامى فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ من غير أن يثبتوا تاريخا لأى منها باستثناء المقريزى الذى يحدد تاريخ وصول رسالة ابن فلاح إلى فتوح غلامه بالأول من رمضان سنة ٣٦٠ هـ ، وهو مما يرجح ورود القرامطة الكوفة فى طريقهم إلى دمشق ووصول الخبر إلى ابن فلاح بشهر شعبان من سنة ٣٦٠ هـ ، كما يرجح هذا وصول فتوح بقواته إلى دمشق فى النصف الأول من شهر رمضان سنة ٣٦٠ هـ .

وتشير معظم المصادر إلى السبب الأساسى الذى من أجله دفع الحسن الأعصم إلى التوجـــه إلى الشـام لفتحه فى سنة ٣٦٠ هـ ، ويتلخص فى قطع ابن فلاح للإتارة السنوية التى كان يفرضها القرامطة على ابن طغج بدمشق قبل فتح الفاطميين لها ، وقدرت هذه المصادر المبلغ بثلاثمائة ألف دينار ، وإن أغفل البعض ذكر هذه السنة التى أشرنا إليها الآن فى كلامهم عن قطع هذه الأتاوة ، بينما لم

(١٦٥) راجع أولا ما استعرضناه من أقوال المؤرخين القدامى بدءا بهذه المرحلة التى نتكلم عنها الآن والتى تنتهى بدخول المعز مصر فيما فات هنا من قبل ، ص ١٤٦ — ١٦٩ .

يشر البعض الآخر إلى قطع المال المقرر للقرامطة وإنما كان السبب هو فتح الفاطميين لها ، في حين قدرت بعض المصادر هذه الأتاوة بمبلغ مائة وخمسة وعشرين ألف دينار مصرية كما يقول يحيى عند تعرضه للحرب بين القرامطة والحسن بن عبيد الله بن طغج عند الرملة سنة ٣٥٧هـ وفرضها على أهل الرملة ؛ أو مائة وعشرين ألف دينار كما يقول الذهبي عن نفس الأحداث التي أوردها يحيى سنة ٣٥٧ هـ . بينما ينفرد البعض الآخر – مثل ابن تغرى بردى – بذكرها في حوادث سنة ٣٦٢هـ وينص على أن الذي قطع الأتاوة عن القرامطة هو المعز نفسه لما دخل القاهرة . ولا يمكن الاعتداد بما ساقه ابن تغرى بردى في هذا الصدد، إذ هو يناقض جميع النصوص التي بين أيدينا ، كما أن ما ذكره يحيى والذهبي – بغض النظر عن الاختلاف في روايتيهما عن قيمة الأتاوة بالنسبة إليها وبمقارنة بقية القدامى – لا يناقض بقيـة النصوص التي لم تشر إلى فرضها على الرملة في عام ٣٥٧هـ كما ذكرا ، ولكنه يتفق وسياق الأحداث بفرضها أولا على الرملة ثم على دمشق لما تولاها ابن طغج في رجب سنة ٣٥٨هـ ، كما أشرنا إلى ذلك في موضعه من قبل(١٦٦) .

وقد اختلف القدامى – ممن تعرضوا لخط سير الحسن الأعصم في توجهه عن بلاده الأحساء إلى الشام لفتحه – في ترتيب المدن التي نزلها الأعصم ، كما اختلفوا في إيراد بعض التفاصيل. فسبط ابن الجوزي ينص أولا على أن القرامطة أنفذوا رسولا منهم إلى عز الدولة بختيار لطلب المساعدة بالمال والرجال ، بينما لم تشر المصادر الأخرى إلى شيء من هـذه السفـارة . ثم يستطرد سبط ابن الجوزي

---

(١٦٦) راجع ما قبله ، ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .

فيذكر أن بختيار وافق على مد القرمطى بالمال والسلاح إذا جاء الكوفة التى يصل إليها الحسن الأعصم فينفذ إليه بختيار بالمال والسلاح، ثم يتوجه الأعصم من الكوفة رأساً إلى دمشق؛ وهكذا لا يشير سبط ابن الجوزى إلى تواريخ محددة لكل هذه الوقائع بينما يضعها جميعـــا فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ. وقد أورد ابن الأثير - فى حوادث سنة ٣٦٠هـ - نفس رواية سبط ابن الجوزى وإن نص على طلب القرمطى المال والسلاح.

أما ابن كثير فقد اكتفى بمجرد إشارة إلى أن بختيار أمد القرمطى من بغداد بالسلاح وعدة كثيرة، وذلك فى معرض كلامه عن سقوط دمشق فى يد الأعصم فى ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ.

بينما نجد لدى كل من الدوادارى والمقريزى توضيحا أوفى حتى وصـــول الأعصم إلى دمشق. فهما ينصان على خروج القرامطة من بلدهم إلى الكوفة أولا، ومن هناك يراسلون السلطان ببغداد - وإن لم ينص الدوادارى على السلطان -، فتبعث إليهم بغداد بالسلاح وتوقيع بمبلغ من المال على أبى تغلب الحمدانى بالرحبة. ثم يرحل القرمطى من الكوفة، حيث ينزل الرحبة، بينما يحمل إليه أبو تغلب العلوفة والمال، كما يبيح له أن يضم إليه من شاء من عسكره - أى عسكر أبى تغلب - علاوة على فلول الإخشيدية ممن كانوا عنده ورحلوا إليه من مصر والشام. ومن الرحبـــة، يتوجه القرمطى إلى دمشق لملاقاة ابن فلاح. ويذكر الدوادارى هذه الوقائع فى حوادث سنة ٣٦٠هـ كما يفعل المقريزى بصورة إجمالية، ولكنه - أى المقريزى - يذكر بعضها فى سياق حوادث سنة ٣٥٨هـ وهو يتكلم عن طرف من أخبار القرامطة مستطرداً بذلك إلى حوادث سنة ٣٦٠هـ. ومن الملاحظ أيضا أنهما لم يشيرا إلى تواريخ محددة من وقت خروج الأعصم من بلاده حتى رحيله

من الرحبة باستثناء ما يذكره المقريزى من تحديده الأول من رمضان سنة ٣٦٠هـ تاريخا لوصول رسالة ابن فلاح إلى غلامه فتوح مستدعيا إياه بعد أن وصلته أخبار مسير الأعصم إليه ، وكذلك ما ذكره فى حوادث شهر شوال سنة ٣٦٠ هـ من الإرجاف بمصر بوصول القرامطة إلى الشام .

أما ابن تغرى بردى ، فهو وإن كان يذكر فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ وصول الأعصم إلى الشام بدون الإشارة إلى أى تفاصيل ، إلا أنه يأتى فى موضع آخر براوية لا يمكن الركون إليها عند تعرضه لترجمة المعز فى سنة ٣٦٢هـ ، إذ أنه ينفرد بذكر مضمون بعض هذه الأحداث فى تلك السنة ، وينص على أن الحسن الأعصم سار إلى بغداد نفسها وسأل المطيع على لسان بختيار أن يمده بمال ورجال ويوليه الشام ومصر ليخرج المعز عنها ، ويضيف ابن تغرى بردى أن الخليفة رفض مطالب الأعصم فى حين وافق بختيار على إمداده بالمال والسلاح ، ثم يذكر أخيرا أن الأعصم سار من بغداد إلى الشام لفتحه. والخلط واضح ولا شك فى رواية ابن تغرى بردى ، إلا إذا افترضنا أنه يشير إلى الأحداث التى جدت فى سنة ٣٦٣هـ بين المعز والحسن الأعصم خاصة فيما ذكره من سؤاله المطيع أن يوليه الشام ومصر لإخراج المعز عنها ، لكن نصه فيما يتعلق بسير الحسن إلى بغداد بعد أن علم بقطع الأتاوة المفروضة على دمشق ينفى ذلك ، كما ينفيه بالمثل ما كان قد ذكره فى حوادث سنة ٣٦٠هـ من مسير الأعصم إلى الشام .

وتدل ظواهر النصوص هنا على أن سفارة القرامطة إلى بختيار إنما تمت أولا ، ثم توجهوا بعد ذلك إلى الكوفة ، ومنها إلى الرحبة ، ومن ثمة إلى دمشق . أما عن المساعدات التى طلبها القرامطة ، فيدل ما رواه هؤلاء القدامى على أن بختيار

رفض طلب القرامطة مدهم بالرجال ، بينما وافق على إعانتهم بالمال والسلاح ، في حين انضاف إليهم الرجال من عسكر أبي تغلب الحمداني نفسه وكذلك من لجأ إليه من الإخشيدية بعد رحليهم من مصر وفلسطين . ومن المرجح أن القرمطي كان في أواخر رمضان أو أوائل شوال بمدينة الرحبة التي توجه منها في أواخره إلى دمشق ، إذ أن ما أشار إليه المقريزي - وانفرد به - في أكثر من موضع عن وصول الخبر إلى مصر بتوجه القرامطة إلى الشام سنة ٣٦٠ هـ يؤيده ما ذكره هو نفسه في خططه من قدوم سعادة بن حيان من المغرب حيث وافى القاهرة في رجب سنة ٣٦٠ هـ ، فسيره جوهر إلى الشام في شوال من نفس السنة عندورود الخبر من دمشق بمجيء الأعصم إلى الشام(١٦٧) .

وتجمع المصادر - باستثناء ابن خلدون وابن تغرى بردى في بعض أقوالها - على أن عام ٣٦٠هـ شهد استيلاء الحسن القرمطي على دمشق ، وحدد بعضهم تاريخ امتلاك القرامطة دمشق ومقتل ابن فلاح بيوم الخميس ٦ من ذى القعدة من السنة مثل ابن خلكان والدوادارى ، وبيوم ٦ من ذى القعدة بدون ذكر موقعه من أيام الأسبوع مثل المقريزى ، وبشهر ذى القعدة بدون ذكر اليوم والشهر كأبي الفدا وابن كثير ، بينما يكتفي بالنص على سنة ٣٦٠هـ أو ذكر الوقائع في سياق حوادث سنة ٣٦٠هـ كل من يحيى وسبط ابن الجوزى وابن عساكر وابن الأثير والذهبي الذى أشار فقط إلى قتل القرمطي لابن فلاح من غير أن يذكر دخول القرامطة دمشق . كما لا تذكر كل هذه المصادر تاريخاً محدداً لوصول القرامطة ونزولهم على ظاهر دمشق .

---

(١٦٧) انظر : ج ١ ، ص ٢٨٢ .

وقد ذكر الدكة(١٦٨) ـ فوق نهر يزيد(١٦٩) بظاهر دمشق ـ مكاناً لهجوم الحسن الأعصم على ابن فلاح كل من سبط ابن الجوزى وابن خلكان ، كما يفهم هذا من مضمون النص الذى أورده كل من ابن الأثير (الذى يشير إلى ظاهر دمشق) ، وأبى الفدا (الذى يشير إلى خارج دمشق) ، وكذلك المقريزى (الذى يذكر طرف البرية موقعاً دار فيه القتال قرب دمشق) ، وإن كان ينضم إلى الدواداري ـ الذى ذكر الدكة ـ فى أن القتال لم يدر مرة واحدة خارج دمشق وإنما على دفعتين ؛ كانت الأولى فيها الدكة كما يفهم من كلام الدواداري وبطرف البرية كما يقول المقريزى ؛ أما الدفعة الثانية فهى ما نص عليه الدواداري من انكسار المغاربة وانهزام الكثير منهم مع ابن فلاح إلى الدكة حيث استؤنف القتال ولقى ابن فلاح مصرعه ، وما ذكره المقريزى أولا من وصول القرامطة إلى قرب دمشق فخرج إليهم ابن فلاح فواقعهم فانهزم منهم ثم أخذ السيف أصحابه وقتل ، ثم ما ذكره ثانياً من مقاتلة ابن فلاح للقرامطة بطرف البرية إذ خرج إليهم وواقعهم فانهزم وقتل . واللفظ « انهزم » يفيد معنى « ارتد » كما لا يخفى . ومن المعقول أن نأخذ بما رواه الدواداري والمقريزى ، إذ أن الدواداري بالذات ينص على استئناف القتال بالدكة هذه الكسرة الأولى للمغاربة .

---

(١٦٨) عرفها الأستاذ كرد على (غوطة دمشق ، ص ٢١١) بقوله : « موضع بظاهر دمشق فوق نهر يزيد ، وتسمى فى أيامنا الدواسة ، وكان الفاطميون قد جعلوا من هذه الحدائق بيت إمارة ، وكان بها قصر خمارويه » .

(١٦٩) يتفرع هذا النهر من نهر بردى الذى ينبع من جبل سنير ؛ راجع : ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١٦١ ؛ فهو يبدأ ـ على هذا ـ من شمالى غرب دمشق ثم يواصل جريانه إلى الشمال منها ، حيث تقع الدكة فى أقصى الطرف الشمالى الغربى من دمشق ؛ راجع : خريطة دمشق .

كما يعني التقاء الفريقين قرب الدكة أولا ثم عند الدكة ثانيا أن القرامطة وافوا ابن فلاح من شمالي دمشق .

أما يحيى وابن كثير فلا يذكران سوى دمشق مسرحا للأحـــداث ، بينما لا يذكرها ابن عساكر إذ يكتفي بذكر خروج الأعصم إلى الشام سنة ٣٦٠ هـ وتمكنه من التغلب على جيش ابن فلاح وقتله ، في حين لا يشير الذهبي إلا القتل القرمطي لابن فلاح في تلك السنة ، كما ينفرد بذكر أسر ابن فلاح ثم قتله، وهذا قول تعارضه جميع النصوص الأخرى خاصة ماذكره الدواداري (١٧٠) والمقريزي (١٧١) من العثور عليه مقتولا مطروحا في الطريق خارج دمشق كما يحـــدد المقريزي نفسه .

ولا يذكر سوى الدواداري والمقريزي نزول الحسن الأعصم بظاهر المزة (١٧٢) بعد انتصاره وكذلك جبايته الأموال من البلد أي دمشق، وإن كان المقريزي يكتفي بذكر جباية المال دون البلد .

وينص، كل من سبط ابن الجوزي وابن خلكان وأبي الفدا والدواداري وابن كثير والمقريزي على انتقال الحسن الأعصم إلى الرملة بعد هذه الأحداث، بينما ينص ابن الأثير على استيلاء القرامطة على جميع الاراضي الواقعة ما بين دمشق والرملة في توجههم إلى الأخيرة مع إغفاله تحديد هذه الأماكن ، أما يحيي وابن عساكر فيذكران مسير الأعصم إلى مصر مباشرة بعد فتحه لدمشق، بينما

(١٧٠) الدرة المضية ، ص ١٣٥ .

(١٧١) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

(١٧٢) المزة : تقع الى الغرب من دمشق ، وهي من قرى الغوطة على نهر الديراني بوسط هدها الغربي ؛ راجع : كرد علي ، غوطة دمشق ، ص ١٦ ، ٢٢١ ؛ وانظر خريطة دمشق .

أغفل الجميع ذكر التواريخ المتصلة بالأحداث التى تلت استيلاء الأعصم على دمشق وحتى مسير القرمطى إلى الرملة أو مصر .

أما رواية ابن خلدون عن هذه الأحداث كلها ، فهو يسوقها فى أربعة مواضع تم كلها عن اضطراب فى السياق واختلافه ، خاصة وأنه يذكر فى روايته الأولى خبر زحف القرامطة على دمشق فى سنة ٣٦٠ هـ وتقابلهم مع ابن فلاح الذى هزمهم ؛ ثم ينص فى الرواية الثانية على رجوع القرامطة إلى ابن فلاح فى العام التالى - أى ٣٦١ هـ - فقاتلهم فهزموه وقتلوه وبعدها سار الأعصم من دمشق إلى مصر ؛ بينما يذكر من غير أن يحدد سنة للأحداث مسير القرامطة إلى دمشق بعـــد قطع المال الذى كانوا يقررونه على بنى طغج بدمشق ، فبرز إليهم ابن فلاح فقتلوه وملكوا دمشق وما بعدها إلى الرملة ؛ وهى لوقائع التى ضمنها جمهور المؤرخين القدامى فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ ؛ ثم يذكر ابن خلدون فى فى روايته الأخيرة ما يتصل بقطع الأتاوة عن القرامطة ومكاتبة المعز للحسن الأعصم مغلظا له ، وخلع الأعصم للمعز فى سنة ٣٦٢ هـ ، ثم زحفه على دمشق ، وخروج ابن فلاح لحربه ، وهزيمته وقتله على يد الأعصم وملك الأخير لدمشق ومسيره عنها إلى مصر . ولا يصدق من كل هذه الروايات إلا تلك الرواية الثالثة التى لم يحدد تاريخا لأحداثها ؛ ويكفى ما نص عليه فى معظم هذه الروايات من مقتل ابن فلاح فى أكثر من سنة ، ومن هزيمة الأعصم على يد ابن فـــلاح سنة ٣٦٠ هـ وعوده إليه فى العـام التالى ، وهـــو ما لم يتفق عليه جمهور المؤرخين القدامى .

ولا يمكن لنا أيضا الأخذ بما قاله ابن تغرى بردى - فى حوادث سنة ٣٦٠ هـ - من محاصرة الحسن الأعصم لدمشق وخروج ابن فلاح إليه من مصر بعسا كره

وأنشوب القتال أياما وقتل ابن فلاح على يد الأعصم نفسه ثم توجه الحسن القرمطى إلى هجر. بينما ينص ابن تغرى بردى بعد قليل عند ذكره لوفيات نفس العام أى ٣٦٠ هـ إلى وفاة ابن فلاح الذى ولى دمشق إلى أن قدم عليه القرمطى وحاربه وظفر به وقتله . كما يذكر فى موضع ثالث - فى حوادث سنة ٣٦٢ هـ — توجه القرمطى إلى الشام فى ذلك العام بعد ما قطع للقرامطة من أتاوه سنوية وما كان من مسير الأعصم إلى بغداد للاستعانة بالمطيع وبختيار لمقاتلة المعز،وهى الوقائع التى ربما أنها تتصل بحوادث سنة ٣٦٠هـ وقبل وصول الحسن الأعصم إلى دمشق وفتحها وقتله لابن فلاح،وهذا بلا شك تداخل واضح وقع فيه ابن تغرى بردى فى وقائع سنة ٣٦٠ هـ وما حدث بعد ذلك من صدام حربى بين الأعصم والمعز نفسه فى عام ٣٦٣هـ .

ولم تحدد لنا جميع المصادر التى ذكرت الرملة - كهدف للحسن الأعصم بعد استيلائه على دمشق — تاريخا يفيد وصول الحسن الأعصم لتلك المدينة ، مثل سبط ابن الجوزى ، وابن الأثير ، وأبى الفدا ، والدوادارى ، وابن كثير ، والمقريزى ؛ إلا أن سقوط دمشق فى يد الأعصم فى يوم الخميس ٦ ذى القعدة سنة ٣٦٠هـ ونزوله فى نفس اليوم بظاهر المزة التى توجه منها إلى الرملة،وكذلك عدم تعرض المصادر - سوى ما كان من ابن الأثير من ذكره استيلاء القرمطى على ما بين دمشق والرملة وهو فى طريقه إلى الأخيرة ، وكذلك ابن خلدون وإن لم يحدد السنة التى تمت فيها هذه العمليات نقول إن هذا قد يدل على إمكان تحديد تاريخ وصول القرمطى إلى الرملة بأواخر هذا الشهر نفسه، لكى يستقيم منطق تتابع الأحداث منذ خروجه عن المزة بعد اليوم السادس من ذى القعدة ٣٦٠هـ بقليل أو كثير واستغراقه زمنا فى الاستيلاء على الأماكن ما بين دمشق والرملة،

وقد يؤيد هذا أيضا ما سوف نذكره بعد قليل من استيلاء رجاله على القلزم (السويس) فى ذى الحجة من نفس العام .

وينص كل من سبط ابن الجوزى والدوادارى على وجود سعادة بن حيان بالرملة واليا عليها من قبل جوهر عند مسير الأعصم إلى الرملة . إلا أن النصوص التى أوردها المقريزى يفيد بعضها بأن ابن حيان لم يدخل الرملة وإنما انحاز عنها - وهو فى طريقه إليها من مصر - إلى يافا للتحصن بها عندما وجد الأعصم قد قصدها ، أى وصل إليها فعلا ، بينما يدل بعضها الآخر على أنه كان فعلا بالرملة وقت مسير الحسن الأعصم إليها . وإذا نحن أخذنا بما قاله المقريزى فى بعض كلامه عن عدم دخول ابن حيان الرملة ، فمعنى هذا أنه عندما توجه إليها من مصر لابد وأن يكون قد اقترب منها فى أواخر شهر ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ أو على الأقل فى أوائل النصف الثانى منه ، وهو الوقت الذى كان الأعصم يسير فيه إليها ، بينما ينص المقريزى نفسه فى أكثر من موضع على أن سعادة بن حيان - الذى كان قد وصل من المغرب فى جمادى الآخرة ٣٦٠ هـ(١٧٣) ودخل القاهرة فى رجب من نفس السنة (١٧٤) - سار من مصر بأمر من جوهر إلى الرملة فى شهر شوال سنة ٣٦٠ هـ لما كثر الإرجاف بالقرامطة ومسيرهم إلى الشام ومن ثم إلى مصر ، وهذا يعنى أنه بلغ الرملة إما فى أواخر نفس شهر شوال أو أوائل ذى القعدة من السنة ، وربما قبل الوقائع التى تمت بين القرامطة وابن فلاح قرب دمشق ، ويؤيد هذا ما ذكره المقريزى نفسه أيضا - نقلا عن ابن زولاق

---

(١٧٣) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

(١٧٤) الخطط ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

المؤرخ المعاصر - بورود الخبر إلى مصر « بقتل ابن فلاح على يد القرامطة الذين ملكوا دمشق و توجهوا إلى الرملة ، فانحاز سعادة بن حيـــان إلى يافا متحصناً بها(١٧٥) » . وهذا ما يعززه أيضا ما نص عليه سبط ابن الجوزى والدوادارى من وجود ابن حيان بالرملة وقت نزول الأعصم عليه كما ذكرنا منذ قليل . كما يؤكد لنا هذا - من واقع ما ذكره سبط ابن الجوزى ، والدوادارى ، وابن خلدون وإن لم يشر إلى ابن حيان ، والمقريزى - أن الحسن الأعصم استولى على الرملة بدون قتال بعد أن غادرها ابن حيان فى عساكره ، ولا يعتمد فى هذا بما ذكره ابن كثير من تحصن من كان بها من المغاربة ، إذ هو يذكر ذلك بعد نصه على أخذ القرامطة لها(١٧٦) . ولكن على الرغم من كل هذه النصوص التى تؤيد وجود ابن حيان بالرملة حين قدم عليه القرمطى ثم ملاحقة الأعصم له حتى يافا ومحاصرته بها ، فثمة شاهد يقف وحده دليلا كافيا على ذلك فى ذلك الخطاب - الذى أورده المقريزى - الموجه من المعز ، لما جاء القاهرة ، إلى الحسن الأعصم وفيه يقول المعز للأعصم : « .... وسرت إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح .... فقتلته . .. ثم سرت أمامك .... حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيـــان فى زمرة قليلة وفرقة يسيرة ، فاعتزل عنك إلى يافا ، مستكفيا شرك وتاركا حربك ،

---

(١٧٥) الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .

(١٧٦) يبدو أن ثمة خطأ مطبعيا فى إيراد كلمة (بهـا) بعد (تحصن) فى النص ، ومن المرجح أن المقصود هو (بيافا) ، يقول ابن كثير — فى حـوادث سنة ٣٦٠ هـ — : « ثم ساروا [أى القرامطة] إلى الرملة فأخذوها ، وتحصن بها من كان بها من المغـاربة نوابا . ثم إن القرامطة تركوا عليهم من يحاصرها ، ثم ساروا الى القـاهرة » ؛ راجـع : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٩ .

فلم نزل .... نقعد لهم بكل مقعد ونأخذ عليهم بكل مرصد .. الخ[177] ». وفى هذا الكلام دليل آخر أيضا على استيلاء الأعصم على الرملة بدون قتـــال . ولا يتعارض هذا مع قول المعز فى نفس خطابه : « إما قدت نفسك لجعفر ابن فلاح وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرمله من رجاله ورجال سعادة بن حيان ... الخ[178] » ، إذ أن الأعصم قتل بالرملة من تبقى من المغاربة من خلفهم ابن حيان وراءه إبان اعـــتزاله إلى يافا ، وفى ذلك يقول سبط ابن الجوزى : « ودخل أبو على [أى الحسن القرمطى] الرملة وقتل من وجده من المغاربة[179] » .

ويؤدى بنا كل هذا أيضا إلى ترجيح مالم تذكره المصادر جميعاً عن تاريخ استيلاء القرمطى على الرملة وهو أواخر ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ .

ولم تذكر المصادر أيضا تاريخا لوصول ابن حيـــان إلى يافا متحصنا بها ، ولا تاريخ نزول الأعصم عليها لمحاصرتها ، ولكن تتابع الأحداث يدل على أن ذلك حدث فى أوائل ذى الحجة سنـة ٣٦٠ هـ ، وهـو نفس الشهر الذى سقطت فيه القلزم بيد القرامطة كما سنشير بعد قليل .

وتدل النصوص لدى كل من ابن الأثير والدوادارى وابن خلدون والمقريزى على أن الأعصم توجه بنفسه إلى يافا وقام بمحاصرتها ، ثم ترك عليهـا من يقوم بهذه المهمة وتوجه بعدها إلى مصر . وبذا تمنى إشارة سبط ابن الجوزى أن

---

(١٧٧) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

(١٧٨) اتعاظ ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

(١٧٩) فى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢ .

الأعصم توجه إلى مصر مباشرة بعد فتحه الرملة فى الوقت الذى كان ابن حيسان قد تحصن بيافا ، وهو ما يستفاد أيضا من كلام أبى الفدا الذى أسقط ذكر يافا ولم ينص إلا على مسير القرامطة من الرملة بعد فتحها إلى مصر . إلا أن ما ذكره غير سبط ابن الجوزى وأبى الفدا ممن ذكرناهم الآن هو المؤكد فعلا ، خاصة وأن الدوادارى والمقريزى قد نصا على اسمى من أناط القرمطى بهما حصار يافا ، وهما ابن المنجا وظالم العقيلى(١٨٠) .

وبغض النظر عن هذا الخلاف القائم بين القدامى فى تحديد المكان الذى سار منه القرمطى إلى مصر لمقاتلة جوهر ، فلاحظ أن جميع القدامى ممن تكلموا عن غزو القرامطة لمصر أول دفعة قد أسقطوا من رواياتهم تلك الأماكن التى مر عليها القرامطة حتى نزولهم عين شمس ، وذلك باستثناء المقريزى الذى أمدنا بمعلومات فريدة قيمة فى هذا الصدد .

فقد نص المقريزى على أن القرامطة كبسوا القلزم فى شهر ذى الحجة سنة ٣٦٠هـ من غير أن يعين لنا اليوم الذى تم فيه ذلك ، وهذا يحدد لنا تاريخا قريبا لمسير القرامطة عن يافا فى العشر الأخير من هذا الشهر ، فمن المعقول أن القرامطة استمروا فى محاصرة يافا - التى رجحنا أن ابن حيسان تحصن بها فى أوائل هذا الشهر - بعض الوقت ، وساروا من ثمة إلى الديار المصرية حيث استولوا على القلزم . كما يحدد لنا المقريزى سقوط الفرما فى أيدى القرامطة بشهر المحرم من سنة ٣٦١ هـ بدون أن يذكر أيضا تاريخا بعينه ، وهو تاريخ يمكن أن نحدد من خلاله تاريخ استيلاء القرامطة على القلزم بالأيام الأخيرة من شهر ذى الحجة سنة ٣٦٠ هـ .

---

(١٨٠) راجع : الدرة المضية ، ص ١٣٦ ؛ اتعاظ الحنفاء ج ١ ، ص ١٨٨ (على التوالى).

إلا أن نظرة واحـــدة على خريطة مصر عند برزخ السويس (القلزم) قد تجعلنا نشك فيما إذا كان القرامطة قد ساروا أولا إلى القلزم ثم تابعوا سيرهم شمالا حتى الفرما ، فمن المنطق أن يأخذوا طريق الساحل من يافا بالشام حتى الفرما بمصر لا أن يقطعوا الطريق متجهين جنوبا بغرب عـــبر صحراء سيناء ليستولوا على القلزم . وهذا يؤدى بنا إلى ترجيح أن الحسن القرمطى قد سيرــ وهو ما زال محاصرا ليافا — جيشا من القرامطة استولى على القلزم أولا بينما سار هو بعد قليل صوب مصر على طريق الساحل فاستولى على الفرما فى التاريخ المذكور ، حيث لحقت به عساكره التى استولت على القلزم ، ومن ثمـــة سار الجميع تجاه عين شمس ، لاسيما وأن المقريزى لم ينص فى كلامه على أن الحسن الأعصم هو نفسه الذى كبس القلزم أو الفرما ، ولكنه يذكر القرامطة فحسب . وبمعنى آخر يكون الحسن القرمطى قد سير قطعة من جيشه وهو محاصر ليافا فى التاريخ الذى ذكرناه منذ قليل وهو العشر الأخير من ذى الحجة سنة ٣٦٠ هـ ، بينما أخذ هو سمته من يافا فى الأيام الأخيرة من شهر ذى الحجة المذكور واستولى على الفرما فى أوائل المحرم سنة ٣٦١ هـ ؛ ويدل على هذا أيضا أن المقريزى يذكر أن القرامطة وصلوا إلى عين شمس فى شهر المحرم هـذا وهم يلاحقون فلول المغاربة بعد أن يشير إلى عصيان أهل تنيس فى شهر المحـرم سنة ٣٦١ هـ ومقاتلة العساكر الفاطمية لهم ، ومن المرجح أن يكون هؤلاء المغاربة المنهزمون الذين يتكلم عنهم المقريزى هنا أحد فريقين ؛ الفريق الذى كان فى تنيس نفسها ؛ أو الفريق الذى كان يتراجع أمام القرامطة على طـــول الساحل حتى الفرما وتمثلهم ولا شك حاميات فاطمية بالمدن الساحلية الواقعة بين يافا والفرما — وإن لم يشر أى مصدر إلى هذا — ولا يمكن لنا أن نعلل كلام المقريزى عن هؤلاء المنهزمين

من المغاربة إلا بمثل ما قلنا ، خاصة وأن المقريزى وغيره ينصون صراحة على أن بقية الجنود الفاطمية كانت لاتزال محصورة بيافا فى ذلك الوقت ، إلا إذا ذهبنا بعيدا على أساس أن من عناهم المقريزى هم الذين انهزموا عن دمشق بعد استيلاء القرامطة عليها فى ٦ ذى القعـــدة سنة ٣٦٠ هـ ، ولكنه قول مستبعد خاصة إذا راعينا الفترة الزمنية من تاريخ ذى القعدة هذا إلى زمن وصول هذه الفلول إلى عين شمس فى المحرم سنة ٣٦١ هـ ، وهى كما نلاحظ فترة تربو على الشهرين لايمكن أن تستغرقها هذه الفلول فى الوصول إلى مصر فى هذا التاريخ الأخـــير . وكل مايمكن أن يقال عمن انهزم من دمشق من المغاربة بعد استيلاء الأعصم عليها انهم ارتدوا إلى الرملة وخرج بهم ابن حيان - مع جنوده الواصلين معه من من مصر — إلى يافا متحصنا بها .

ولاتمدنا المصادر أيضا بشىء عن تنيس إلا ما ذكره المقريزى ، ومن المرجح فى هذا الصدد أن تنيس بعد أن وثبت بواليها فى شهر شوال سنة ٣٦٠ هـ انتهزت فرصة دخول القرامطة إلى الأراضى المصرية واقترابهم منها بعـــد الاستيلاء على الفرما فقامت بالعصيان وأعلنت طاعتها للقرامطة ، خاصة وأن المقريزى يذكر أولا كبس الفرما ثم يأتى على خبر تنيس . وهذا يزيد من ترجيح الرأى بأن فلول المنهزمين هم الذين كانوا فى الفرما وفى تنيس أيضا علاوة على تلك الحاميات التى أشرنا إليها منذ قليل والتى كانت تتمركز بلاشك على طول الساحل من غزة إلى العريش مارة برفح . وقد يؤيد هذا الترجيح ما ذكره من دخول بعض المنهزمين من المغاربة ، إذ يعنى هذا أنهم دخـــلوا مصر من خارجها أمام زحف القرامطة إليها وإن لم تشر المصادر جميعا — كما ذكرنا منذ قليل — إلى أى نوع من الوجود الفاطمى فى تلك المدن ، خاصة إذا علمنـا أن غموضا كثيفا

لا يزال يلف مدى السيطرة الفاطمية على السواحل الشامية فى الفترة التى نؤرخ لها منذ استيلاء الفاطميين على الشام وحتى دخول الأعصم مصر وهو ما سوف نتعرض له فى موضعه فى الفصل القادم(١٨١) .

ومن البديهى أيضا أن يكون القرامطة قد وصلوا إلى عين شمس فى العشر الأول من شهر المحرم على أبعد تقدير ، إذ لا معنى لأن نغفل ما نص عليه المقريزى من دخول بعض المنهزمين إلى مصر وملاحقة القرامطة لهم حتى عين شمس فى الوقت الذى كان الأعصم قد استولى فيه على الفرما فى أوائل المحرم المذكور ، ولن تتأتى هذه الملاحقة بعد أيام طويلة بطبيعة الحال ، وإنما المعقول أن القرامطة ساروا فى إثر المنهزمين بعد استيلائهم على الفرما مباشرة ، فوصل الجيع إلى عين شمس فى التاريخ الذى رجحناه وهو العشر الأول من المحرم سنة ٣٦١ هـ . ولا ينفى هذا ما ذكره المقريزى أيضـا فى روايته عن تتابع الأحداث من أن جوهراً استعد فى القاهرة لقتال القرامطة لعشر بقين من صفر سنة ٣٦١ هـ فأغلق أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج ، إذ يعنى هذا أنه انتظر أكثر من أربعين يوما ليقوم بهذا الإجراء الدفاعى بينما القرامطة ينزلون مشارف القاهرة بعين شمس ، ولا يمكن أن يمكث جوهر هذه المدة إلا إذا كان القرامطة لا يحركون ساكنا فى الوقت الذى يزيد فيه جوهر من اجراءاته الدفاعية بالقاهرة ، ويدل على هذا ما ذكره المقريزى نفسه فى تعليق له بعد أن تعرض لذكر هزيمة القرمطى : « وكان جميع ما جرى على القرمطى بتدبير جوهر وجوائز أنفذها(١٨٢) » ، أى أن جوهراً اتبع من الوسائل فى أول الأمر – وقبل

---

(١٨١) راجع ما جاء هنا فيا بعد بدءا بالفقرة التالية على النص على الهامش رقم (٩) مباشرة بالفصل السابع ، وما يليها من فقرات .

(١٨٢) الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

الاشتباك بالقرامطة فى أول ربيع الأول سنة ٣٦١هـ - ما أعانه أخيرا على الانتصار على الأعصم ، ويفسر هذا ما ذكره عن الجوائز التى أنفذها جوهر إلى أتباع القرمطى - كما يفهم من ظاهر النص - يستميلهم إليه ليكونوا عونا له متى حان اللقاء ، ولا شك أن ذلك استغرق منه بعض الوقت حتى يتأكد من استمالتهم(١٨٣) . هذا علاوة على إشارته إلى الإجراءات الدفاعية الأخرى التى اتخذها جوهر من حفر خندق حول القاهرة ونصب بابين حديد عليه . وهى الإجراءات التى تمت بعد شوال سنة ٣٦٠ هـ عند ما وصلت الأخبار بمسير القرامطة إلى الشام ومصر(١٨٤) .

ويوافق التاريخ الذى ذكره المقريزى فى شهر صفر ٣٦١ هـ يوم الثلاثاء عشرين منه الموافق اثنى عشر من ديسمبر سنة ٩٧١م(١٨٥) . واستمر الوضع مجمدا - كما يمكن أن نقول بلغة العصر - حتى يوم الجمعة مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ٩٧١م(١٨٦) . والملاحظ فى هذا التاريخ الذى

---

(١٨٣) يؤيد هذا مجموعة من التفسيرات المتشابهة التى أوردها بعض المحدثين فى هذا الصدد والتى سوف نتعرض لها فى حينها ؛ راجع أولا ما فات هنا من قبل ص ٢٠٢ وما بعدها ؛ وانظر أيضا ما جاء بالفقرتين السابقتين على الفقرة التى أشرنا فيها إلى الهامش رقم (٢٢٩) بالفصل السابع .

(١٨٤) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ ؛ وله أيضا : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ ، ٤٥٩ .

(١٨٥) راجع : التوفيقات الإلهامية :

(١٨٦) يوافق يوم الجمعة فعلا مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ، إذ أن عدة شهر صفر تسعة وعشرون يوما تنتهى يوم الخميس ؛ انظر : التوفيقات الالهامية ؛

Haig (Lt. - Colonel Sir Wolseley), Compartaive Tables of Muhammadan and Christian Dates , London 1932 .

حدده المقريزى أنه ينفرد به دون القدامى ، إلا أنه يمكن استنتاجــه أيضاً من كلام سبط ابن الجوزى الذى ذكر أن القتال استمر حتى يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأول ، كما أن سبط ابن الجوزى ينضم إلى يحيى وابن الأثير وأبى الفدا وابن كثير وابن خلدون والمقريزى - بطبيعة الحال - فى تحديدهم نزول الأعصم أول ما نزل قرب القاهرة بعين شمس ، بينما أغفل هـذا الموضع كل من ابن عساكر وابن تغرى بردى . وقد اكتفى يحيى بالإشارة إلى نشوب القتال خارج القاهرة فى وقعتين - كما يفهم من كلامه - انهزم القرامطة فى ثانيتها عند مغيب الشمس ؛ بينما يشير ابن الأثير وابن كثير وابن خلدون إلى وقوع القتال لعدة أيام كان الظفر فيها أولا للقرامطة ثم المغاربة ؛ كما ينص كل من ابن عساكر وابن خلدون على حصار القرامطة للقاهرة ؛ ولم يشر إلى ذلك غيرهما حتى المقريزى نفسه ؛ إلا أن ابن عساكر يحدد لنا المدة التى استغرقها حصار القرامطة القاهرة بالشهور ؛ بينما لم يبق القرامطة أمام القاهرة سوى شهرين على الأكثر كما نتبين من كلام المقريزى نفسه .

وبدأ القتال فى يوم الجمعة مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ كما يقول المقريزى وكما يفهم من كلام سبط ابن الجوزى ، واستمر حتى يوم الأحد الثالث منه . وقد أمدنا المقريزى بمراحل القتال فى هـذه الأيام الثلاثة - وهو ما ينفرد به عن غيره من الذين أجملوها إجمالا — فكانت الكسرة أولا على المغاربة على باب القاهرة خارج الخندق ، إلا أن الهزيمة حلت بالقرامطة أخيرا عند زوال شمس ذلك اليوم ، وهو ما عبر عنه يحيى الانطاكى بمغيب الشمس ؛ وسبط ابن الجوزى فى ذكره استمرار القتال إلى العصر ؛ بينما لم يحــدد - مع المقريزى - خارج الخندق مكانا لذلك اللقاء سوى سبط ابن الجوزى ؛ ولم يذكر وقت رحيل

القرمطى فى ليل الثالث من ربيع الأول نفسه بعد هزيمته إلا المقريزى .

ولم يتعرض من القدامى إلى الطريق الذى اتبعه الحسن القرمطى فى انهزامه ليلا سوى المقريزى ، فقد نص على طريق القلزم . ويتفق كل من يحيى وسبط ابن الجوزى وابن الأثير وأبى الفدا وابن كثير وابن خلدون على رحيل القرمطى إلى الشام بعد هزيمته التى منى بها أمام القاهرة ، بينما حدد الرملة كأول مدينة ينزلها القرمطى بالشام كل من يحيى وسبط ابن الجوزى وابن الأثير وابن خلدون ، ولم يشذ عن كل هؤلاء سوى المقريزى الذى نص على رحيل الحسن الأعصم إلى الاحساء بعد هزيمته (١٨٧) . إلا أن مانص عليه من ذكرناهم الآن من القدامى ينفى ما رواه المقريزى ، خاصة وأن ابن عساكر يذكر فى ترجمته للحسن الأعصم: « . . . ثم توجه إلى مصر فحاصرها شهورا سنة إحدى وستين ، واستخلف على دمشق ظالم بن موهوب العقيلى ، ثم رجع إلى الاحساء ثم إلى الشام(١٨٨) » ؛ وظاهر النص يشير هنا إلى أن الأعصم ولى ظالما دمشق فى سنة ٣٦١ هـ بعد محاصرته لمصر ، كما يشير النص إلى رجوعه إلى الاحساء بعد توليته ظالما ، أى أنه رجع إلى بلده فى نفس السنة ، ثم عاد الأعصم أخيرا إلى الشام . كما يقول ابن عساكر فى ترجمة ظالم بن موهوب العقيلى : « . . . ثم ولاه الحسن القرمطى سنة ستين وثلاثمائة ، ثم رحل [أى ظالم بن موهوب] عنها [أى دمشق] واستخلف أخاه المنصور ، ثم رجع إلى دمشق لما سار الحسن

---

(١٨٧) كان لرواية المقريزى هذه أثرها فى كتابات المحدثين الذين تابعوه فى روايته ؛ راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٦ ؛ وانظر أيضا ما جئنا به فيما بعد بالفصل السابع بالفقرة التى تلى مباشرة النص على الهامش رقم (٢٢٩) .

(١٨٨) تاريخ دمشق ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .

القرمطى إلى الأحساء سنة إحدى وستين ، ثم توجه للقاء القرمطى بعد عوده من الأحساء فقبض عليه ، ثم تخلص منه وهرب إلى شط الفرات(١٨٩) ؛ أى أن ثمة ولاية أولى من قبل الأعصم فى سنة ٣٦٠ ﻫ ، ثم تركها ظالم فى نفس السنة وأناب عنه أخاه المنصور ، ثم عاد إليها عندما سار القرمطى إلى الأحساء سنة ٣٦١ ﻫ ، بينما اتيه عنه عودته فى تاريخ لم يحدده ابن عساكر .

ويترجم الصفدى لظالم، فيذكره فى متنه وأرجوزته ، كما يضعه الدكتور المنجد فى جدوله الملحق بآخر كتاب الصفدى، ولا يشير الصفدى فى متنه إلا إلى أن ظالما قصد دمشق غير مرة وغلب عليها وبها ابن عمير العقيلى (١٩٠) الذى مر بنا أنه كان واليا على دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٧ ﻫ (١٩١) ، وهو ما أشار إليه ابن عساكر — ولم نذكره فى نصه فى ترجمته لظالم — من أن ظالما غلب على دمشق سنة ٣٥٧ ﻫ (١٩٢) . بينما يذكره الصفدى فى أرجوزته فيمن ولى دمشق للحسن الأعصم فيضعه تاليا لوشاح السلمى وسابقا لأحمد بن مستور(١٩٣)، فى حين يذكره

---

(١٨٩) نفس المصدر ، ج ٧ ص ١١٧ .

(١٩٠) أمراء دمشق ، ص ٤٦ .

(١٩١) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٢٣٩ .

(١٩٢) تاريخ دمشق ، ج ٧ ، ص ١١٧ .

(١٩٣) امراء دمشق ، ص ١٣٦ — ١٣٧ ؛ ويقول الصفدى فى هذه الأرجوزة :

وناب للأعصم فيها عده	ولم تطل بها لهم مده
منهم أبو الليث وشاح السلمى	ومن عدة الإخشيد قادر واعلم
ثم ابن موهوب العقيلى ظالم	وكم به تجددت مظالم
ومنهم أحمد بن مستور	والعمر منه كان فيه مبتور

الدكتور المنجد فى ملحقه بكتاب الصفدى فيحدد ولاية ظالم لدمشق أولا بسنة ٣٦٠ هـ (١٩٤)، ثم فى ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ إلى رمضان سنة ٣٦١ هـ (١٩٥).

وقد مر بنا من قبل — عن المقريزى نفسه — أن الأعصم حين اتجه إلى مصر، ترك على حصار يافا كلا من ظالم وابن المنجا (١٩٦)، كما يذكر المقريزى أن جوهرا أنفذ جيشا نحو يافا — بعد رحيل الحسن الأعصم إلى الأحساء — فملكوها، بينما رحل المحاصرون لهـا إلى دمشق، واختلف ظالم وابن المنجا بسبب الخراج (١٩٧)؛ وهذا قد ينفى ما ذكره القدامى من مسير الحسن الأعصم إلى الشام بعد رحيله من مصر، إذ أن هذا يعنى أيضا أن الحسن الأعصم لم يستخلف ظالما بدمشق عند مسيره إلى مصر طالما أن ظالما كان وقتها على حصار يافا، كما يعنى هذا أن تولية الأعصم لوهوب إمرة دمشق تمت بعد رجوعه من الإحساء، وفى هذا ما يناقض أيضا ما ذكره المقريزى من عودة الحسن من الأحساء ونزوله الرملة ومعاقبته ظالما لخلافه مع ابن المنجا (١٩٨).

إلا أن تحليلنا للنصين اللذين أوردهما ابن عساكر يساعدنا على ترتيب الحقائق ومن ثم الخروج بالنتيجة المطلوبة لإثبات أن الأعصم سار إلى الشام — وإلى

---

(١٩٤) للفاطميين، وهو خطأ، وإنما للقرمطى؛ راجع: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٧، ص ١١٧.

(١٩٥) ص ٢٠٩.

(١٩٦) انظر ما فات هنا من قبل، ص ٣٠٢؛ وراجع: المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٨٨.

(١٩٧) اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٨٨.

(١٩٨) المصدر نفسه.

الرملة بالذات — بعد رحيله من مصر ثم توجه بعد ذلك إلى الأحساء وعاد بالتالى إلى الشام ، هذا إلى جانب ترتيب الدكتور المنجد لتتابع الولاة على دمشق فى تلك الآونة وذلك فى ملحقه الذى أشرنا إليه .

فالنص الأول الذى جئنا به عن ابن عساكر يفيد — حسب قواعد اللغة — العطف على سنة ٣٦١ هـ حين استخلف الأعصم ظالما على دمشق ، كما أن فيه تحديدا فى العطف بعد ذلك على رجوع الأعصم إلى الأحساء ثم على عوده إلى الشام . أما النص الثانى ، فهو صريح فى تحديد سنة ٣٦٠ هـ تاريخا لهذه الولاية ، ويفيد صراحة أيضا بأن ظالما ترك دمشق فى نفس العام وأناب عنه أخاه المنصور ، ويفيد ثالثا برجوع ظالم إلى دمشق فى عام ٣٦١ هـ لما سار الحسن القرمطى إلى الأحساء . ومن هذين النصين يمكن تفسير ما حدث ؛ ففى الوقت الذى كان فيه الأعصم قد استولى على دمشق فى ٦ ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ ، استخلف بها ظالما ، ولكن الأخير سار معه فى جيشه المتوجه إلى الرملة ، بعد أن أناب ظالم أخاه المنصور عنه بدمشق ، واشترك ظالم فى حصار يافا ، ولما انهزم الأعصم من مصر (٣ ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ) ، دخل الشام ، بينما توجه ظالم إلى دمشق ليستعيد ولايته من أخيه المنصور ، كما رحل الأعصم من الرملة — كما سنشير بعد قليل — إلى الأحساء ، ثم عاد منها إلى الشام ، ثم توالت الأحداث .

وإذا نحن حاولنا ترتيب رواية المقريزى وفق ما استنبطناه من كلام ابن عساكر وحسب ما أورده الدكتور المنجد فى ترتيبه لولاة دمشق ، أمكننا أيضا أن نخرج بنفس النتيجة ، فهو — أى المقريزى — قد ذكر أن جوهرا أنفذ جيشا لتخليص يافا ، بينما كان ظالم وابن المنجا لا يزالان محاصرين لها ، ثم رحل

المحاصرون لها إلى دمشق حيث تسلم ظالم ولايته من أخيه، فى حين يأخذ الأعصم وجهته إلى الأحساء خارجا على الأرجح من الرملة بالذات كما يفهم من كلام سبط ابن الجوزى، ثم وقع الخلاف - الذى أشار إليه المقريزى - بين ظالم وابن المنجا بعد رحيل الحسن الأعصم، ولما عاد القرمطى من الأحساء لقيه ابن المنجا وظالم «وبلغه ما جرى بينهما من الاختلاف، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلى عنه (١٩٩)».

ويؤيد هذا أيضا أن الدكتور المنجد قد حدد فى ملحقه تاريخ ولاية ظالم الأولى بعام ٣٦٠ هـ، وولايته الثانية - أو تجديد الأولى - بشهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ، أى فى نفس الشهر الذى تقهقر فيه الأعصم إلى الشام، وهذا فى حد ذاته أيضا تفسير منطقى لما ذكره ابن عساكر أولا من تولية الأعصم إمرة دمشق لظالم فى سنة ٣٦٠ هـ كما أوردنا فى نصه الأول، وتوليته سنة ٣٦١ هـ - التى تعتبر تجديدا لولايته سنة ٣٦٠ هـ - كما جئنا به فى نصه الثانى، إذ كيف يمكن تفسير ولاية ظالم على دمشق فى سنة ٣٦١ هـ - بغض النظر عن تحديد الدكتور المنجد ذلك بشهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ - بينما الأعصم قد سار إلى الأحساء من مصر مباشرة فى نفس الشهر حسبما ذكره المقريزى؟ وعلاوة على هذا، فإن تحديد الدكتور المنجد انتهاء ولاية ظالم بشهر رمضان سنة ٣٦١ هـ - والتى بدأت فى ربيع الأول من السنة (٢٠٠) - تحديد لتاريخ عودة القرمطى من

(١٩٩) اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٨٨.

(٢٠٠) من المرجح أن الدكتور صلاح الدين المنجد يرجع فى تحديد هذه التواريخ إلى ابن عساكر نفسه الذى رجع إليه فى هوامشه على كتاب الصفدى - وهو نفسه الذى ينقل عنه الصفدى تراجم أمراء دمشق - وذلك فى الأجزاء التى لم يتم طبعها من تاريخ ابن عساكر والتى لم يتح لنا الاطلاع عليها.

الأحساء إما فى الشهر نفسه (أى رمضان) أو فى أواخر شهر شعبان ٣٦١ ﻫ ، وقبضه على ظالم ثم إخلاء سبيله كما يذكر المقريزى ، أو تخلص ظالم من الأعصم كما يشير ابن عساكر ، أى أن ولايته هذه انتهت فى شهر رمضان من السنة كما يذكر الدكتور المنجد فى ملحقه ، ثم ولاها الأعصم لأحمد بن مستور كما ينص الصفدى ، هذا إلى جانب ما سوف نشير إليه بعد قليل للتدليل على عودة الأعصم من الأحساء إلى الشام فى حدود هذين الشهرين (شعبان ورمضان ٣٦١ ﻫ(٢٠١)).

على كل حال ، بعد أن انهزم الحسن الأعصم إلى الشام ، نزل الرملة ، ثم رحل منها إلى الأحساء كما أشرنا . ولا يسهب القدامى بعد ذلك فى إيراد تفاصيل الأحداث التالية سوى المقريزى ، الذى يتابع الوقائع ، فينص على وصول نجدات من المغرب بقيادة أبى محمد الحسن بن عمار غداة يوم انهزام الحسن الأعصم من مصر ، أى فى يوم الإثنين الرابع من ربيع الأول سنة ٣٦١ ﻫ ، بينما يسير فى نفس اليوم أيضا عسكر فاطمى - بقيادة الحسن بن عمار على الأرجح - إلى تنيس التى كانت قد عصت وسودت فى شهر المحرم سنة ٣٦١ ﻫ ، بعد أن كانت قد وثبت بواليها فى شوال سنة ٣٦٠ ﻫ . وفى ذلك اليوم الرابع أيضا من شهر ربيع الأول المذكور ، يبعث جوهر القائد سعادة بن حيان إلى الرمله التى يتمكن من الاستيلاء عليها ، دون أن يحدد لنا المقريزى تاريخ وصول ابن حيان إلى الرملة وتاريخ استعادتها مرة ثانية ، فى حين ينص يحيى الانطاكى على أن جوهرا سير العساكر بعد انهزام الحسن الأعصم إلى الشام ولم يحدد الرملة أو غيرها، كما يخالف المقريزى فى تحديد

(٢٠١) انظر ما جاء هنا فيما بعد ، ص ٣١٥ .

اسم قائد العساكر الفاطمية ، فهو عنده إبراهيم إبن أخي جوهر نفسه ، وينص أيضا على أن الهزيمة حلت بهؤلاء العساكر على يد القرامطة فدخلوا مصر في شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ . بينما يشير المقريزي إلى أن ابن حيان بقى بالرملة بعد استيلائه عليها حتى موافاة القرمطي له - بعد عودته من الأحساء - فما كان من ابن حيان إلا أن فر منه إلى القاهرة ، كما لا يحدد المقريزي أي تواريخ لهذه الأحداث وخاصة تاريخ دخول ابن حيان مصر .

وهاتان الروايتان لكل من يحيى والمقريزي يكملان بعضها بعضا فيما يبدو . بمعنى أن يحيى قد تجاوز في خبره وانتهى به إلى هزيمة هؤلاء العساكر الفاطمية ودخولهم مصر في التاريخ الذي أشار إليه ، مغفلا بذلك ما أشار إليه المقريزي من استيلائهم على الرملة . وقد يصح أن نقول إن الخبر خبران ، ولكن رواية المقريزي صريحة خاصة عندما حدد الرابع من شهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ - أي غداة رحيل القرمطي من مصر - وهو ما أشار إليه أيضا يحيى من أن جوهرا سير العساكر إلى الشام بعد انهزام القرمطي مباشرة وإن لم يعين تاريخا لذلك . أما الإسم الذي أورده يحيى فلا يمكن الأخذ به ، إذ لم يحفظ لنا التاريخ شيئا فيه ذكر لوجود أخوة لجوهر (٢٠٢) ، ولم تشر المصادر التي ترجمت له شيئا يفيد ذلك اللهم إلا ما كان من ذكر ابنه الحسين الملقب بقائد القواد(٢٠٣)؛

---

(٢٠٢) راجع : علي إبراهيم حسن ، جوهر الصقلي ، ص ٢٠ .

(٢٠٣) راجع من المصادر في ترجمة جوهر الصقلي : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٣ ، ص ٤١٦ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٢٥ — ٣٣٠ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ٣٧٧ — ٣٧٩ ؛ وفي ترجمة ابنه الحسين بن جوهر ، راجع : المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٤ — ١٥ ؛ وانظر أيضا من المراجع : علي إبراهيم حسن ، تاريخ جوهر الصقلي ، ص ١٣ — ٢٢ .

فتكون رواية المقريزى على هذا هى الأرجح كما يبدو من المعقول أن نأخذ بما حدده يحيى من تاريخ رجوع هؤلاء العساكر الفاطمية بعد هزيمتهم ودخولهم مصر فى شهر رمضان من سنة ٣٦١ هـ . ويكاد هذا التاريخ يحدد لنـــا عودة الحسن الأعصم من الأحساء إلى الشام ، إذ أن ابن عساكر - وإن لم يذكر تاريخا محددا لعودته هذه - يسوق الخبر ليدل على أن ذلك كان فى نفس السنة التى سار فيها إلى الأحساء ، أى سنة ٣٦١ هـ ، كما أن ما ذكره المقريزى من إنفـــاذ جوهر لسعادة بن حيان فى اليوم الرابع من شهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ثم استيلائه عليها فى تاريخ لم يذكره يقوم شاهدا على ترجيح مغادرة الأعصم مدينة الرملة - فى رحيله إلى الأحساء بعد انهزامه عن مصر - بحـــدود العشر الأول من نفس الشهر ، كما أن ما ذكره يحيى من دخـول المنهزمين من المغاربة إلى مصر فى شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ وهم نفس العساكر الذين عاد بهم ابن حيـان من الرملة كما يذكر المقريزى وإن لم يحدد تاريخا لدخولهم مصر ، يقوم شاهدا أيضـــا على ترجيح قدوم الحسن الأعصم على ابن حيان بالرملة فى أواخر شهر شعبان سنة ٣٦١ هـ إن لم يكن فى شهر رمضان نفسه ، وهـــو ما كنا توصلنا إليه منذ قليل (٢٠٤) .

وقد ذكر كل من ابن الأثير وابن خلدون إنفاذ جوهر(٢٠٥) لأسطول فاطمى نجدة ليافا التى اشتد عليها حصار القرامطة بعد رحيلهم من مصر ، ولم يحدد لنا أى

---

(٢٠٤) راجع مافات هنا من قبل ، ص ٣١٣ .

(٢٠٥) ورد هذا الاسم عند ابن خلدون (العبر ، ج ٤ ، ص ٥٠) : (جعفـــر) ، وهو خطأ كما لا يخفى ؛ راجـع مافات هنـــا من قبـل ، ص ١٦٥ ؛ وقارن ماقبله ، ص ٢٩٧ .

تواريخ تتصل بذلك ، إلا أن سياق الأحــداث يدل على أن ذلك تم فى نفس شهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ بعد وصول القرامطة إلى الرملة منهزمين عن مصر، ثم توجههم عقب ذلك إلى يافا لتشديد الحصار عليها. وقد حددلنا ابن الأثير عدد هذه المراكب بخمسة عشر مركبا تمكن القرامطة (٢٠٦) من الاستيلاء على ثلاثة عشر منها بينما وقعت بقيتها غنيمة فى يد الروم . ويذكر ابن كثير نفس التفاصيل دون تحديد للتواريخ أيضا، إلا أن النص لديه يدل على أن المحصورين من المغاربة كانوا بالرملة وليس بيافا ، وهو أمر مستبعد كما شرنا من قبل (٢٠٧) ، كما أنه لا يحدد الأماكن التى سار إليها الأسطول الفاطمى .

وفى الوقت نفسه ، يشير المقريزى - بعد أن يذكر أحــداث انهزام الحسن الأعصم أمام القاهرة - أن جوهرا أنفذ جيشا إلى يافا استطاع أن يملكها، بينما تركها المحاصرون لها من القرامطة وتوجهوا إلى دمشق . ويمكننا أن نحدد ذلك بالفترة الواقعة بعد الرابع من شهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ، ولم يتعرض المقريزى لذكر شىء عن الأسطول الذى سيره إلى يافا نجدة لها بعــد انهزام المغاربة ، ولكنه يشير إلى وصول الأسطول الفــاطمى من المغرب فى شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ - دون تحديد اليوم - ثم مسير هذا الأسطول فى نفس الشهر إلى الشام حيث أسر وغنم ، بلا تحديد أيضــا لأى تواريخ للأحداث هناك أو للأماكن التى نزل عليها هـذا الأسطول الفاطمى . ولاشك أن هـذا الأسطول ليس هو الذى أنفذه جوهر إلى يافا والذى ذكره ابن الأثير وابن كثير - وإن لم يشر إلى يافا وابن خلدون ، إذ أن تاريخ وصول الأسطول الفاطمى من المغرب

---

(٢٠٦) قارن ماجاء هنا فيما بعد تلك الفقرة التى تقع فيها الإشارة إلى الهوامش من رقم (١٤٨) إلى (١٥٢) بالفصل السابع .

(٢٠٧) انظر : هـ ١٧٦ بهذا الفصل .

هو تاريخ لاحق على هذه الأحداث . ويمكن تفسير ذلك بأن جوهرا - بعد هزيمة القرامطة أمام خندق القاهرة ورحيلهم من مصر - أنفذ ثلاثة بعوث إلى الشام ؛ اثنين منهما بريين إلى الرملة ويافا ، وبعثا بحريا إلى يافا أيضا ؛ أى أن جوهرا سير جيشين بريين تولى قيادة أحدهما سعادة بن حيان الذى سار إلى الرملة فى ٤ ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ واستولى عليها ، وآخر فى أوائل هذا الشهر أيضا بقيادة من نجهله إلى يافا خلاص المحصورين بها ؛ فى الوقت الذى سار فيه أسطول مكون من خمسة عشر مركبا نجدة للمحصورين بيافا ، فتمكن القرامطة من ثلاثة عشر منها بينما وقع منها اثنان فى يد الروم .

وتتوالى الأحداث بعد رجوع الحسن الأعصم إلى الشام ودخوله الرمله ، فيسير مراكب له مشحونة بالمقاتلة إلى تنيس وغيرها من سواحل مصر كما ينفرد بذلك المقريزى ؛ ويمكن تحديد تاريخ لذلك بشهر رمضان سنة ٣٦١ هـ ، وهو التاريخ الذى دخل فيه ابن حيان مصر بعد فراره من الرملة التى رجحنا أن أن الحسن الأعصم وصل إليها من الأحساء فى أواخر شهر شعبان من السنة ، هذا فى الوقت الذى يتأهب فيه الحسن الأعصم - كما ينص المقريزى أيضا - للمسير مرة ثانية إلى مصر . ويبدو أنه قد بدأ يبث سراياه فى الأراضى المصرية نفسها بعد هذا التاريخ ، إذ أن هذا ما نخرج به من كلام المقريزى - الذى انفرد به أيضا - عن مسير الحسن بن عمار إلى الحوف فى عشرة آلاف واقعوا القرامطة هناك ، وذلك فى أول رجب سنة ٣٦٢ هـ .

أما روايتا ابن خلدون الأخريان عن بعض هذه الأحداث منذ دخول القرامطة مصر إلى خروجهم إلى الشام ، وكذلك ما أورده ابن تغرى بردى فى هذا الصدد ، فمما لا يلتفت إليه ، إذ أنه يناقض كافة النصوص التى أوردناها

هنا من بقية القدامى ، وهو ما كنا أشرنا إليه فى أكثر من موضع (٢٠٨) .

ويجمع الذين تعرضوا لتاريخ دخول المعز القاهرة بعد قدومه من المغرب على أن ذلك حدث فى شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، إلا أنهم يختلفون فى تحديد اليوم بهذا الشهر ، كما نلاحظ أنهم جميعا أخطأوا فى إيراد موقعه من أيام الأسبوع .

فقد نص كل من يحيى الأنطاكى والمقريزى على أن المعز دخل القاهرة فى ٧ رمضان سنة ٣٠٢ هـ ، وهو يوافق عند المقريزى يوم الثلاثاء ، ولم يذكره يحيى وإن كانت النسخة التى بين أيدينا من كتابه يشير أحد هوامشها (٢٠٩) إلى نفس تحديد المقريزى أى يوم الثلاثاء . أما ابن الأثير وأبو الفدا وابن كثير فقد حددوه بالخامس من شهر رمضان المذكور وإن لم يذكروا موقعه من أيام الأسبوع . فى حين يشير ابن خلكان إلى نفس التاريخ ويحدده بيوم الثلاثاء أيضا (٢١٠) ، ويحدده ابن الجوزى بيوم الجمعة الثامن من رمضان سنة ٣٦٢هـ (٢١١) . أما ما ذكره ابن خلدون عن هذا التاريخ فلا يلتفت إليه ؛ بينما نلاحظ أن ابن تغرى بردى قد أغفل هذا التاريخ تماما .

وليس ثمة ما يجعلنا نرفض التاريخ الذى حدده كل من المقريزى ويحيى ، إذ أن المقريزى ينص عند تعرضه لذكر قدوم المعز إلى مصر على أنه يستمد

---

(٢٠٨) راجع ماقبله ، ص ١٥٦ .

(٢٠٩) ص ١٣٩ ، هـ ٤ (عن نسخة أخرى)

(٢١٠) وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣١٥ .

(٢١١) المنتظم ، ج ٧ ، ص ٦٠ ؛ وهو يوافق يوم الخميس لا يوم جمعة ؛ راجع : التوفيقات الإلهامية .

مادته من ابن زولاق ومن خطه ينقل(٢١٢) . ولرواية ابن زولاق قالها ، إذ هو مؤرخ معاصر شاهد المعز وهو يدخل القاهرة وصلى ورءا (٢١٣) ، وفيه يقول المقريزى : « و .. ابن زولاق أعرف بأحوال مصر .. خصوصا المعز ، فإنه كان حاضرا ، ومشاهدا له ، ممن يدخل إليه ويسلم مع الفقهاء عليه »(٢١٤) . حقيقة أن المقريزى لا ينص فى مفتتح كلامه عن قدوم المعز إلى مصر - والذى ذكر فيه السابع من رمضان سنة ٣٦٢هـ - على أنه ينقل هناك من ابن زولاق ، فإلا أنه من المؤكد أنه كان ينقل - قبل أن ينص على ابن زولاق - منه نفسه . ن غير المنطق أن ينقل ابن زولاق ذكر هذا التاريخ وهو الذى يورد - كما ينقل المقريزى - تواريخ بعض الأحداث عن المعز(٢١٥) . ولكن يبقى تصحيح اليوم الذى أورده المقريزى وهو الثلاثاء ، إذ أن مقابلة السابع من رمضان فى هذه السنة بالتاريخ الميلادى يحدد لنا تماما يوم الأسبوع الصحيح ، وهو يوافق يوم الأربعاء ١١ من يونيه سنة ٩٧٣م(٢١٦) ، وعلى هذا يكون المعز قد دخل القاهرة فى يوم الأربعاء السابع من شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ ، الموافق الحادى عشر من يونيه سنة ٩٧٣ م .

وفيما يلى أهم النتائج التى نخرج بها من مناقشتنا - التى انتهينا منهـا الآن -

(٢١٢) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٣٤ ومابعدها .

(٢١٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٢١٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٢١٥) راجع فى اتعاظ الحنفا — على سبيل المثال — : ج ١ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢١٦) يوافق الأول من رمضان سنة ٣٦٢ هـ الخامس من يونيه سنة ٩٧٣م كما فى جداول الـكولونيل هيج Haig ؛ راجع له : . . . Comparative Tables ؛ بينما يوافق الخامس من يونيه سنة ٩٧٣ م يوم خميس كما فى جداول اللواء محمد مختار ؛ راجع له : التوفيقات الإلهامية.

لروايات القدامى منذ توجه الأعصم إلى الشام ثم إلى مصـــر ليغزوها وحتى دخول المعز القاهرة .

فى حوالى شهر شعبان سنة ٣٦٠هـ ، يصل القرامطة بقيادة الحسن الأعصم إلى الكوفة فى طريقهم إلى الشام لمقاتلة جعفر بن فلاح . وترد الأخبار على ابن فلاح بذلك فى نفس الشهر ، فينفذ رسالة تصل إلى غلامه فتوح فى أول رمضان سنة ٣٦٠ هـ يستدعيه فيها للقدوم عليه بقواته . ويصل فتوح إلى دمشق فى حدود النصف الأول من شهـــر رمضان المذكور .

ويرجع السبب الجوهرى فى توجه الحسن الأعصم إلى الشام لفتحه إلى إقدام ابن فلاح على قطع الاتاوة التى كان يفرضها القرامطة على أهل الرمله فى عام ٣٥٧هـ ثم على ابن طغج بدمشق فى عام ٣٥٨ هـ ، وقدرها ثلاثمائة ألف دينار ، أو مائة وخمسة وعشرون ألف دينار مصرية أو مائة وعشرون ألف دينار .

وأنفذ القرامطة رسولا من قبلهم إلى بختيار لطلب المال والرجال عونا لهم على مقاتلة الفاطميين بالشام ، فقبل بختيار مدهم بالمال والسلاح دون الرجال إذا هم قدموا الكوفة . وخرج الحسن الأعصم فى تاريخ من الصعب تحديده بدقة من بلاد الأحساء ، فبلغ الكوفة حيث وصل إليه السلاح من بختيار ببغداد وتوقيع بمبلغ من المال على ابن تغلب الحمدانى بالرحبة ، فرحل القرمطى إليها فبلغها فى أواخر رمضان أو أوائل شوال سنة ٣٦٠ هـ حيث وافاه أبو تغلب بالمال المقرر له كما أمده برجال من عسكره علاوة على الإخشيدية الذين كانوا قد ارتحلوا

إليه من فلسطين ومصر . ومن الرحبة ، أخذ القرمطى سمته فى أواخر شهر شوال سنة ٣٦٠ هـ نحو دمشق لفتحها .

وفى يوم الخميس ٦ ذى القعدة سنة ٣٦٠هـ ، وصل القرامطة إلى شمال دمشق فنشب القتال بطرف البرية قرب الدكة - على نهر يزيد - فانكسر عسكر المغاربة ، وانهزم ابن فلاح إلى الدكة حيث لحق به الحسن الأعصم. واستؤنف القتال ثانية ، فحلت الهزيمة بالمغاربة ، كما قتل ابن فلاح .

وسقطت دمشق فى يد الحسن الأعصم فى نفس اليوم ، ونزل فيه أيضا ظاهر المزة حيث جبيت له الأموال من دمشق . ثم ولى الأعصم وجهه شطر الرملة ، فاستولى على جميع الأراضى الواقعة بينها وبين دمشق .

ووصل الأعصم إلى الرملة ، واستولى عليها فى حدود أواخر ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ. وكان سعادة بن حيان واليا على الرملة من قبل جوهر الذى كان أنفذه إليها فى أواخر شوال من السنة ، ووصل إليها فى أوائل ذى القعدة على الأرجح ، فجاءته أخبار مسير القرامطة إليه ، فغادر الرملة فى أواخر ذى القعدة إلى يافا ، وتحصن بها ، بينما دخل الأعصم الرملة دون قتال ، ثم توجه إلى يافا وحاصرها فى أوائل ذى الحجة سنة ٣٦٠هـ . وترك عليها من يحصرها بينما توجه بنفسه إلى الديار المصرية .

وقبل مسير الأعصم بنفسه إلى مصر ، بعث لفيفا من جنوده فى العشر الأخير من ذى الحجة سنة ٣٦٠هـ ، فكبسوا القلزم واستولوا عليها ، أما هو فقد واصل سيره فى الأيام الأخيرة من ذى الحجة المذكور ، ودخل الديار المصرية واستولى على الفرما فى أوائل المحرم سنة ٣٦١هـ . هذا فى الوقت الذى كانت

مدينة تنيس قد أعلنت العصيان على الفاطميين قبل دخوله الفرما أى فى أوائل المحرم أيضا ، وبعد أن كانت قد وثبت بواليها الفاطمى فى شوال سنة ٣٦٠ هـ ، وأعلنت طاعتها للحسن الاعصم .

وكانت قواته التى استولت على القلزم قد انضمت إليه بعد استيلائه على الفرما ، واتجه الجميع صوب عين شمس وراء فلول المغاربة الذين تركوا حامياتهم بالمدن الساحلية الواقعة جنوبى يافا بالإضافة إلى من انهزموا عن الفرما وتنيس ودخلوا الديار المصرية ، ووصل القرامطة والمنهزمون من المغاربة إلى عين شمس فى العشر الأول من المحرم سنة ٣٦١هـ ، بينما استعد جوهر لملاقاة القرامطة فى يوم الثلاثاء ٢٠ صفر سنة ٣٦١هـ بأن أغلق أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج ، بعد أن نجح فى استمالة رجال من أتباع القرمطى .

وفى يوم الجمعة مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ، إلتحم القتال مع القرامطة خارج خندق القاهرة ، واستمر القتال ثلاثة أيام حتى يوم الأحد الثالث منه ، وكانت كفة القرامطة فيه هى الراجحة ، ولكن الهزيمة حلت بهم أخيرا عند انصرام نهار ذلك اليوم ، فرحل القرمطى من أمام القاهرة فى ليل نفس اليوم على طريق القلزم . ولم يقف فى طريقه إلا عندما وصل الى الرملة فى الأيام الأولى من نفس الشهر . ثم رحل عنها إلى الأحساء فى حدود العشر الأول من شهر ربيع الأول المذكور .

وفى اليوم التالى لانهزام القرمطى - أى الإثنين ٤ ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ - وصل الحسن بن عمار إلى مصر بنجدات لجوهر من المغرب ، فسيره إلى مدينة تنيس لإعادتها إلى الطاعة . وفى نفس اليوم أيضا ، بعث جوهر بجيشين على طريق البر . قاد أحدهما سعادة بن حيان الذى خرج الى الرملة فاستولى

عليها بعد رحيل القرمطى عنها إلى الاحساء أى فى العشر الأول من ربيع الأول سنة ٣٦١هـ . وسار الجيش الثانى - بقيادة قائد آخر لم نتوصل إلى معرفة اسمه - إلى يافا واستطاع تخليص المحصورين بها فى حين ارتد القرامطة المحاصرون لها إلى دمشق .

وفى الوقت الذى أنفذ فيه جوهر هذين الجيشين بطريق البر إلى الشـام ، سير أسطولا مكونا من خمسة عشر مركبا نجدة ليافا أيضا ، إلا أن القرامطة تمكنوا من الاستيلاء على ثلاثة عشر منها بينما غنم الروم بقيتها .

وفى أواخر شعبان سنة ٣٦١هـ - أو أوائل رمضان سنة ٣٦١ هـ - رجع الحسن الأعصم من الاحساء ، وقدم على الرملة وبها سعادة بن حيان الذى لم يلبث أن فر أمام القرمطى ودخل مصر فى شهر رمضان المذكور . وفى نفس هذا الشهر ، وصل إلى مصر أسطول فاطمى قادما من المغرب ، فسيره جوهر فى نفس الشهر أيضا إلى سواحل الشام حيث أسر وغنم . وفى الشهر نفسـه ، أنزل القرمطى مراكب فى البحر شحنها بالمقاتلة وسيرها إلى تنيس وغيرها من سواحل مصر ، وكان قد بث سراياه فى الأراضى المصرية فى الفترة الواقعة بين رمضان سنة ٣٦١هـ وأول رجب سنة ٣٦٢هـ . وفيه - أى أول رجب - سير جوهر الحسن ابن عمار إلى الحوف حيث واقع القرامطة.

وفى يوم الأربعاء السابع من شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، الموافق الحادى عشر من يونيه سنة ٩٧٣م ، دخل المعز لدين الله عاصمته القاهرة .

٣ - فى كتابات المحدثين :

أما عن المحدثين(٢١٧) وتناولهم الموضوع منذ اتجاه الحسن الأعصم من بلاده الأحساء إلى الشام فمصر فرحيله عنها حتى دخول المعز مصر ، فهناك من اكتفى بمجرد الإشارة إلى استدعاء ابن فلاح للجيوش الفاطمية المحاصرة لأنطاكية ، ومنهم من ذكر السبب الذى لا يخرج عما أورده القدامى ، فى حين نلاحظ أن منهم من أغفل التواريخ والمصادر ، بينما حددها غيرهم ، كالدكتور سرور والدكتور سالم والدكتور عمركمال الذين رجعوا جميعا إلى المقريزى(٢١٨)، بينما أضاف الدكتور سالم إلى مصادره يحي الأنطاكى(٢١٩) .

ويورد غالبية المحدثين نفس السبب الذى ذكره القدامى من قطع الأتاوة المفروضة على الإخشيديين بدمشق بعد أن فتحها جعفر بن فلاح ، بينما نلاحظ أن القليل منهم قد ذكر قيمة هذه الأتاوة وقدرها بثلاثمائة ألف دينار معتمدين فى ذلك على مصدر أو آخر من المصادر التى ذكرتها والتى أشرنا إليها من قبل قبل ، ولم يتعرض منهم لذكر قيمة المبلغ الذى أورده يحيى - وهو مائة وخمسة وعشرون ألف دينار مصرية - سوى الدكتور عمر كمال إلى جانب ذكره المبلغ الاول ، فى الوقت الذى لم يشر فيه جميع المحدثين إلى المبلغ الذى ذكره الذهبى وهو مائة وعشرون ألف دينار .

---

(٢١٧) راجع أولا استعراضنا لكتابات المحدثين — بدءاً بهذه الفترة التى نتكلم عنها الآن والتى تنتهى بدخول المعز مصر — فيما فات هنا من قبل ، ص ١٨٩ — ٢١٦ .

(٢١٨) (فى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٨ من طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويطابقها : ج ١ ، ص ١٢٦ من طبعة ١٩٦٧ م) .

(٢١٩) (فى تاريخه ، ص ١٣٩) .

وأهم ما نخرج به من كلام المحدثين عن خط سير القرامطة منذ خروجهم من بلادهم حتى نزولهم على دمشق هو نفس ما يمكن أن نخـــرج به من أقوال القدامى قبل ترتيبها ، بمعنى أنهم اختلفوا فى الترتيب الذى استقر عليه رأينا فى موضعه(٢٢٠) ؛ كما نلاحظ أنهم جميعا لم يحددوا - كالقدامى - التواريخ التى تحدد وجود القرامطة فى الكوفة أو الرحبة أو تاريخ خروجهم عن الرحبة فى توجههم إلى دمشق ،وإن أشاروا إلى هذا فى جملة ما أوردوه من حوادث عن سنة ٣٦٠هـ. ويلاحظ بالمثل أن البعض منهم أشار إلى مصادره ، بينما أغفل البعض الآخر ذكرهـــا .

ويبدو أن ابن بول يعتمد - وإن لم يشر إلى هذا - عـــلى ابن تغرى بردى وذلك عندما ذكر أن المطيع رفض الاستجـــابة لطلب القرامطة ، إذ أن ابن تغرى بردى كان الوحيد من بين القدامى الذى ذكر هذه الواقعـــة ؛ بينما يذكر الدكتور على إبراهيم حسن أن الرفض جاء من قبل كل من المطيع والبويهيين وأنه لم يستجب له سوى الحمدانيين بالرحبة وبعض القبائل العربية ، وهو يستند فى هذا إلى أبى الفدا(٢٢١)؛ إلا أن أبا الفدا لم يذكر شيئا عن هـــذه الوقائع فى حوادث سنة ٣٦٠هـ ، وكل ما أشار إليه فيهـا هو وصول القرامطة إلى دمشق وما أعقب ذلك من أحداث(٢٢٢) .

---

(٢٢٠) راجع ما قبله ، ص ٢٩١ — ٢٩٤ ، ٣١٩ — ٣٢١ .

(٢٢١) (فى : المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ، ٣٥٠ ، ٥٠٩ من طبعـة القسطنطنية ١٢٨٦ هـ) .

(٢٢٢) راجع : ﻫ ١٤١ بالفصل الخامس .

كما استقى الدكتور عمر كمال بالمقريزى(٢٢٣) بصدد مكاتبة بختيار لأبى تغلب لإمداد القرمطى بالمال ، وذكر الدكتور عمر كمال أن هذه المكاتبة كانت من بختيار إلى أبى تغلب بالموصل ، فى حين لم يذكر المقريزى ذلك ، إلا أن هذا لا ينفى صحة ما قاله الدكتور عمر كمال ، فقد كانت الموصل هى مقر إمارة أبى تغلب الحمدانية بالجزيرة .

أما ما ذكره الدكتور ماجد من اتفاق الحسن الأعصم مع الحمدانيين فى شمالى الجزيرة والشام واستناده فى ذلك إلى ابن تغرى بردى(٢٢٤) ، فليس ثمة إشارة عند ابن تغرى بردى إلى الحمدانيين بالشام أو بشمالى الجزيرة فى هذا الصدد(٢٢٥) ، بينما أخطأ الأستاذ تامر عندما استبدل بالمطيع الخليفة المعتمد وذلك عند حديثه عن تخطيط العباسيين لاتفاق مع القرامطة يخفف عن بغداد

---

(٢٢٣) (ق : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٨ ، طبعة ١٩٤٨ م ؛ ويقابلها : ج ١ ، ص ١٢٦ — ١٢٧ ، طبعة ١٩٦٧ م) .

(٢٢٤) (ق : النجوم ، ج ٤ ، ص ٣٢٦) .

(٢٢٥) يبدو أن ثمة خطأ مطبعيا فى إيراد الصفحة التى أشرنا إليها عن النجوم فى الهامش السابق ، إذ لا يوجد فى هذه الصفحة سوى جانب من فهرس الأماكن — بقية حرف السين وجزء من حرف الشين — والطبعة التى يعتمد عليها الدكتور ماجد هى طبعة دار الكتب سنة ١٩٣٣ م ، وهى نفس الطبعة التى بين أيدينا ونستأنس بها ، ولا يوجد فى صفحات هذا الجزء مايدل على اتصال الأعصم بالحمدانيين سواء فى العراق أو الشام إلا تلك الإشارة السريعة (ص ٦٢ ، حوادث سنة ٣٦١ هـ) والتى جاء فيها : « وفيها عاد الهجرى كبير القرامطة من الموصل إلى الشام ، وانصرف المغاربة — أعنى عسكر العبيدية — إلى مصر ، ودخل القرمطى إلى دمشق وسار إلى الرملة » ، بينما لا يرد فى صفحة ٧٤ من نفس الجزء إلا اتصال الأعصم بالمطيع العباسى وبالأمير بختيار . ومن المرجح أن الدكتور ماجد يرجع إلى مصدر آخر سقط اسمه عند الطبع ويوافق أرقام الصفحات الموجودة عنده .

خطارهم ويوجههم إلى دمشق ثم إلى القاهرة ، كما ذكر نفس الخليفة ـ المعتمد ـ مرة أخرى فى إشارته إلى مسير الحسن الأعصم إلى بغداد سنة ٣٦٠هـ لمفاوضة المعتمد . والمعروف أن الخليفة المعتمد العباسى قد توفى فى عام ٢٧٩هـ ، هـذا علاوة على أننا أثبتنا أن الأعصم لم يسر بنفسه إلى بغداد ، وإنما بعث القرامطة برسول منهم إلى العاصمة العباسية لطلب المساعدة على قتال ابن فلاح بالشام(٢٢٦) .

وأكثر ما يلفت النظر فى أقوال المحدثين عن استيلاء الأعصم على دمشق ، ما ذكره الدكتور على إبراهيم حسن ، فهو ينص على هزيمة جعفر بن فلاح عند الدكة وأسره وقتله فى ٦ ذى الحجة سنة ٣٦٠هـ ، معتمداً فى ذلك على ابن خلكان(٢٢٧) ، إلا أن الذى بين أيدينا من كتاب الوفيات لا ينص على أسر ابن فلاح قبل قتله ، كما ينص على أن هذه الأحداث وقعت فى يوم الخميس ٦ ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ ، وهو التاريخ المتفق عليه كما مر بنا . والملاحظ أيضا ـ فيما بين أيدينا من مصادر ـ أنه لم يذكر واقعة الأسر هذه سوى الذهبى كما مر بنا أيضا فى أقوال القدامى وتحليلها ، وهو أمر استبعدناه وعللنا له(٢٢٨).

وقد أورد الدكتوران حسن وشرف نفس التاريخ الذى ذكره الدكتور على إبراهيم وإن لم ينصا على اليوم السادس منه ، بينما لا يحددان لنا مصادرهما

---

(٢٢٦) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٢٩١ — ٢٩٤ .

(٢٢٧) (فى : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٤١ من طبعة القاهرة ١٣١٠ هـ ، وما بين أيدينا هو : ج ١ ، ص ٣١٢ من طبعة محيى الدين عبد الحميد) .

(٢٢٨) راجع مافات هنا من قبل ، ص ٢٩٥ .

التى رجعا إليها عن هذا التاريخ . ولكن يبدو أنهما يرجعان إلى نفس الطبعة من وفيات الأعيان التى رجع إليها الدكتور على إبراهيم ، إذ أن الدكتور حسن إبراهيم حين يكتب منفرداً فى كتابه تاريخ الدولة الفاطمية يذكر ابن خلكان مصدراً له عن نفس الوقائع ويذكر شهر ذى الحجة سنة ٣٦٠ هـ أيضا تاريخا لمقتل ابن فلاح وسقوط دمشق ولكنه يحدد اليوم السادس منه تاريخا لذلك ، بينما كان أشار قبل ذلك إلى السادس من ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ كتاريخ محدد لمقتل ابن فلاح وسقوط دمشق نقلا عن ابن خلكان أيضا ، وهو فى رجوعه إلى ابن خلكان يعتمد على أربع طبعات من وفيات الأعيان ـ كما يشير إلى ذلك فى ثبت مصادره ومراجعه ـ فى الوقت الذى لا يحدد لنا فى هوامشه مكان وتاريخ طبع النسخة التى يأخذ عنها .

ولا نخرج من كلام المحدثين عن مسير الأعصم إلى مصر ثم انهزامه عنها إلا بما ذكره القدامى الذين استعرضنا رواياتهم فى الفصل الرابع وكذلك تحليلنا لها فى هذا الفصل السادس، وتكاد النتائج على هذا تتشابه اللهم إلا ما ذكره بعض المحدثين من وقائع لم ينصوا فيها على مصادرهم وتعتبر إضافة للموضوع لها قيمتها لو كانوا أشاروا إلى هذه المصادر .

وأهم ما يمكن ملاحظته فى كتابات المحدثين عن ترتيب الأحداث بعد استيلاء القرامطة على دمشق ، وهو ما كادوا يجمعون عليه من الاستيلاء بعد ذلك على الرملة وحصارهم ليافا ؛ إلا أن المؤرخ أوليرى يغفل حصار القرامطة ليافا ، بل وينص على تجنب الأعصم لها ، كما يستبدل جعفرا بسعادة ابن حيان ، ويذكر أن جعفراً هذا كان متمركزا برجاله فى يافا التى لم يتعرض

لها الحسن الأعصم ، وفى هذا ـ كما نرى ـ تجاوز للحقائق التى أوردها غالبية القدامى والمحدثين من النص على حصار القرامطة ليافا ، ومن إشارة بعضهم إلى أن ابن حيان نفسه كان متحصنا بها بعد أن التجأ إليها من الرملة عند مسير الأعصم إليه . ونلاحظ أيضا أن أوليرى لم يذكر لنا أى مصدر اعتمد عليه فى هذه المعلومات التى أوردها عن يافا وجعفر . كما أن تحديد الدكتورين حسن وشرف لأوائل سنة ٣٦٠هـ ـ بدون الإشارة لمصادرهما ـ تاريخا لوقوع الشام فى قبضة القرامطة وذلك حتى استيلائهم على الرملة وحصارهم ليافا إنما يجافى أبرز الحقائق التاريخية وأبسطها من بدء الصدام الحربى بين الفاطميين والقرامطة خارج دمشق فى ٦ ذى القعدة سنة ٣٦٠هـ أى أواخر تلك السنة .

ونلاحظ أيضا أن طائفة من المحدثين وضعوا فى الترتيب سقوط القلزم فى يد القرامطة بعد استيلائهم على الفرما، على الرغم من أن بعضهم نص على نقله من المقريزى الذى مر بنا أنه ذكر أولا سقوط القلزم فى حوادث شهر ذى الحجة سنة ٣٦٠هـ وكبس الفرما فى حوادث شهر المحرم سنة ٣٦١هـ ؛ بينما لم يشر البعض الآخر إلى هذا المصدر أو غيره . فمن ذكر الفرما أولا ثم القلزم وأشار إلى المقريزى مصدرا له الدكتور سالم ، فى حين أتى الأستاذ تامر بنفس النسق بدون أن يحدد مصادره . هذا بينما ينص على ذلك الدكتوران حسن وشرف ولكنهما يعتمدان فى ذلك على الدكتور على إبراهيم مرجعا لهما ، وعلى الرغم من أن الدكتور على إبراهيم يذكر القلزم أولا ثم الفرما ثانيا إلا أنه من الملاحظ أنه نص على استيلاء القرامطة على القلزم بعد ذكره مسير القرامطة إلى مصر فى مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١هـ ، ثم أشار بعد ذلك إلى استيلائهم على الفرما فى المحرم سنة ٣٦١هـ ، وربما كان هذا هو السبب فى الترتيب الذى أتى به

الدكتوران حسن وشرف نقلا عن الدكتور علي إبراهيم ، ولا شك أن ذكر الدكتور علي إبراهيم لهذه الواقعة بعد تاريخ مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ فيه إشارة إلى سقوط القلزم بعد الفرما ، وهو ما لم ينص عليه المقريزي الذي لم يشر إليه أو إلى غيره الدكتور علي إبراهيم .

إلا أن الدكتورين حسن وشرف عادا مرة أخرى فذكرا الواقعتين مرتبتين ترتيبا صحيحا،أي أنها ذكرا القلزم أولا،ثم الفرما،ولكنهما على الرغم من هذا لم يشيرا إلى مصادرهما،في حين نلاحظ أيضا أن الدكتور حسن إبراهيم حين يكتب منفردا - لا يذكر منهما إلا الفرما وسقوطها في يد القرامطة في المحرم سنة ٣٦١هـ بدون أن يشير أيضا إلى مصادره ؛ وهو ما ذكره أيضا الدكتور ماجد بدون أن يحدد تاريخا لإستيلاء القرامطة على الفرما كما أنه لم يذكر مصادره ؛ أما الدكتور سرور فقد أتى بعكس ذلك ، فأغفل الفرما وذكر القلزم دون أن يحدد تاريخا ولكنه يعتمد على المقريزي مصدرا له . ولم يذكر من المحدثين مصادره في الترتيب الصحيح لسقوط القلزم ثم الفرما بيد القرامطة سوى الدكتور عمر كمال الذي اعتمد على المقريزي ، ولكنه يضع أيضا ملحقا في كتابه ابن القلانسي لسبط ابن الجوزي إلى جانبه ، في حين أننا نعلم أن سبط ابن الجوزي لم يشر إلى أي من هاتين الواقعتين . وإلى جانب كل هؤلاء ، فقد نص ابن بول وأوليري على سقوط القلزم ثم الفرما بيد القرامطة ، إلا أنهما لم يحددا مصادرهما .

وأهم ما نلاحظه أيضا في أقوال المحدثين عن الوقائع التالية هو ما ذكره الدكتوران حسن وشرف من أن القرامطة كانوا يعدون جيوشهم في مصر إلى شهر ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ بعد أن دخلوها في المحرم سنة ٣٦١ هـ ، ونحسب أن هذا يتفق أيضا والتفسير الذي سبق أن ذكرناه في تحليلنا لنصوص المقريزي عن الفترة الواقعة بين

المحرم وربيع الأول سنة ٣٦١ هـ والتى أشرنا فيها إلى أن جوهرا استعد فى العشرين من صفر سنة ٣٦١ هـ ببعض الإجراءات الدفاعية . إلا أن ما ذكره الدكتوران حسن وشرف من أن الحرب كانت سجالا بين القرامطة وجوهر منذ أواخر صفر سنة ٣٦١هـ إلى أن حلت الهزيمة بالقرامطة فى ربيع الأول من السنة مما يدعو إلى التأمل فقد نصا على المقريزى مصدرا لهما فى ذلك ، بينما - كما نعلم - لم يذكر المقريزى شيئا يشير إلى أى اشتباكات جانبية وقعت فى الفترة الواقعة من نزول القرامطة عين شمس فى المحرم سنة ٣٦١هـ إلى افتتاح القتـــال فى أول ربيع الأول سنة ٣٦١هـ مارة بشهر صفر المذكور . وكل ما يمكن قوله فى هذا الصـدد هو الركون إلى ما ذكره المقريزى ولم يشر فيه إلى أية وقائـع بين الطرفين سوى ما بينه من محاولات جوهر استمالة رجال الحسن الأعصم بجوائز أنفذها اليوم .

ومما يدعو إلى التأمل أيضا ما ذكره الأستاذ ثامر من أن القتال الذى دار خارج القاهرة بين القرامطة والفاطميين استغرق أربعة أيام على الرغم من أنه لم يحدد بداه وانتهاءه كما لم يشر إلى أى مصدر . وفى هذا ما يناقض ما أخذنا به عن كل من سبط ابن الجوزى والمقريزى من مزاوحه القتال يوما بعد يوم من أول ربيع الأول سنة ٣٦١هـ إلى اليوم الثالث منه وانهزام القرمطى ليلا فى نفس اليوم على طريق القلزم راحلا عن مصر .

كما يشير الدكتور على إبراهيم إلى أبى الفدا والمقريزى كمصدرين له حين تعرض للقتال الذى نشب بين القرامطة والفاطميين خارج القاهرة

فى أوائل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ثم انهزام القرمطى على طريق القلزم. ومن الملاحظ أن التفاصيل والتواريخ التى ذكرها أشار إليها المقريزى فعلا، إلا أن أبا الفدا لم يتعرض لها فى كلامه خاصة ما كان منها يتصل بانهزام القرمطى على طريق القلزم (٢٢٩).

وبعد هزيمة القرمطى وخروجه من مصر نرى من المحدثين من نص فعلا - بجانب الدكتور على إبراهيم - على خروجه بطريق القلزم ليلا، مثل لين بول وأوليرى والدكتورين حسن وشرف والأستاذ تامر، ولم يشر منهم إلى مصادره سوى الدكتورين حسن وشرف اللذين رجعا إلى المقريزى. فى حين نص كل من أوليرى والدكتور حسن إبراهيم والدكتور نقولا زيادة - ولم يذكروا مصادرهم - على رحيل الأعصم إلى دمشق مباشرة إثر هزيمته فى مصر، وهو ما يمكن أن نستنتجه أيضا من كلام كل من لين بول والأستاذ غرايبة وإن لم ينصا على ذلك صراحة، كما أنهما لم يحددا مصادرهما؛ وهو أمر استبعدنا حدوثه بعد أن دللنا - فى تحليلنا لروايات القدامى - على مسير الأعصم إلى الرملة ورحيله منها إلى الأحساء. وتنسحب هذه الملاحظة وهذا النقد على من ذكر من المحدثين توجه الحسن الأعصم إلى البحرين أو الأحساء وهم الدكتوران حسن وشرف والأستاذ تامر الذين لم يذكروا مصادرهم، والدكتور سرور والدكتور عمر كمال والأستاذ عنان والدكتور سالم الذين اعتمدوا على المقريزى مصدرا لهم.

---

(٢٢٩) رجع الدكتور على إبراهيم إلى أبى الفدا فى مختصره (ج ٢، ص ١١٧، ١١٨ من طبعة القسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ) ويقابلها (ج ٢، ص ١١٢ من الطبعة التى بين أيدينا)، وفيها لا يذكر أبو الفدا شيئا مما أورده عنه الدكتور على إبراهيم.

وقد ذكر كل من لين بول وأوليرى والدكتور على إبراهيم محاولة القرامطة استعادة تنيس بطريق البحر - بعد هزيمتهم فى مصر - حلت بهم الهزيمة وخسروا سبع سفن وخمسمائة أسير . وهذه معلومات طريفة وجديدة بلا شك خاصة إذا كانت تتصل بوقائع تلك الفترة وهو ما لم تشر إليه المصادر التى رجعنا إليها فى حوادث سنة ٣٦١ ه ، إلا أن لين بول وأوليرى لا يحددان مصادرهما ، بينما يرجع الدكتور على إبراهيم فى ذلك إلى أوليرى نفسه ، وهذا يدعو إلى كثير من التحرز إذا أردنا الأخذ بهذه الرواية . وعلى الرغم من ذلك ، فقد انفرد أوليرى بإشارة تفيد تحديد تاريخ هذه الواقعة ، إذ هو ينص على أن القرامطة بعثوا هذه السفن إلى تنيس لتغطية ارتداد الحسن القرمطى بعد هزيمته أمام القاهرة (٢٣٠) ، وهذا يعنى أنها حدثت فى نفس اليوم الذى انهزمت فيه القرامطة وهروب الأعصم ليلا على طريق القلزم ، أو أنها كانت فى اليوم التـــالى بينما لا يزال الأعصم بالقلزم التى فر إليها ، وهذا هو الأرجــح فيما لو صحت هذه الرواية . بينما نلاحظ أن لين بول يكتفى بذكر هذه الواقعة عن استعادة تنيس بما يفيد أنها كانت تالية أيضا لهزيمة القرمطى وبعد رحيله من مصـر بالذات ؛ أما الدكتور على إبراهيم فلا يذكر شيئا مما قاله أوليرى عن تغطيـــة انسحاب الأعصم على الرغم من أنه ينقل عنه كما ذكرنا ، وكل ما أشار إليه هو رجـوع أسطول القرامطة من النيل بعـــد أن خسر السفن السبع علاوة على الأسرى الخمسمائة .

إلا أن المقريزى يمدنا بنص صريح على أن هذه الواقعة إنمـــا جرت فى عام ٣٦٢ ه وفى شهر ذى الحجة بالذات ، فهو يقول فى حوادث هذا الشهر :

---

(٢٣٠) A Short History, p. 109.

« وورد الخبر بوصول أسطول القرامطة إلى تنيس فى البحر ، فكانت بينهم وبين أهل تنيس حرب انهزم فيه أصحاب القرامطة ، وأخذ منهم عدة مراكب ، وأسر طائفة منهم (٢٣١) » . حقيقة أن المقريزى لم يحدد عدد السفن التى أخذت ومجموع الأسرى الذين اعتقلوا ، بيد أن هذا لا ينفى استبعادنا لتحديد ابن يول وأوليرى والدكتور على إبراهيم تاريخ هذه الواقعة عقب انهزام الأعصم من مصر مباشرة أو خلال رحيله عنها ، أى فى شهر ربيـــع الأول سنة ٣٦١ هـ . ويؤكد ما أورده المقريزى هنا أنه يعود فيقول فى موضع آخر عندما يتعرض فى كلامه لأهم الأحداث التى تمت فى عهد المعز - نقلا عن ابن زولاق المؤرخ المعاصر - : « وهزمت القرامطة فى أيامه أربع مرات : مرتين فى البر على باب مصر ، ومرتين فى البحر ، وما تم عليهم هذا قط منذ ظهر أمرهم (٢٣٢) » . ففى البر ، كانت المرة الأولى أمام القاهرة فى ربيع الأول سنة ٣٦١هـ ؛ والثانية أمام القاهرة أيضا فى رجب سنة ٣٦٣ هـ (٢٣٣) ؛ أما فى البحر ، فكانت الأولى هى هذه التى أشار إليها المقريزى فى حوادث شهر ذى الحجة سنة ٣٦٢ هـ ؛ والثانية لم يذكرها المقريزى ؛ إلا إذا ذهبنا إلى أن هذه المرة الأولى حدثت بعد رجوع الأعصم من الأحساء وتوجهه إلى الشام والذى رجحنا تاريخا لرجوعه بأواخر شعبان أو أوائل رمضان من سنة ٣٦١ هـ (٢٣٤) ، حسبما أخبرنا به المقريزى من أن الأعصم طرح مراكب فى البحر وشحنها بالمقاتلة وســيرها إلى تنيس

---

(٢٣١) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٢٣٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

(٢٣٣) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٢٣٤) راجع ماقبله ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ .

وغيرها من سواحل مصر (٢٣٥) . ولكن هذا يعنى أيضا أن هذه الواقعة لابد وأنها حدثت فى تاريخ لاحق عما نناه من ذكرناهم الآن من المحدثين ؛ كما أننا نلمس فى هذا التفسير الأخير كثيرا من التجوز ، إذ أن نص المقريزى الذى أوردناه عن حوادث شهر ذى الحجة ٣٦٢ ﻫ هو أقرب ما يمكن الأخذ به فى هذا الصدد .

أما ما ذكره لين بول من استعادة يافا بعد تخليصها من حصار القرامطة ثم عودة الجيش الفاطمى الذى أنفذ لنجدتها ومعه الحامية الفاطمية ، فهو يعنى أن الفاطميين أخلوا يافا على الرغم مما نص عليه لين بول نفسه وغيره من المحدثين من أن القرامطة المحاصرين لها ارتدوا إلى دمشق بعد استعادة الفاطميين ليافا ، وهو - أى إخلاء الفاطميين ليافا - شئ لم تشر إليه كل المصادر التى رجعنا إليها ، كما أن لين بول لا يحدد لنا المصدر الذى اعتمد عليه فى هذه المعلومات . ومن المستبعد على هذا أن يكون الفاطميون قد انسحبوا من المدينة ، إذ ليس ثمة ما يدعو إلى ذلك خاصة وأن المصادر - كما ذكرنا الآن - لم تشر إلى هذه الواقعة على الرغم من أهميتها .

ومما يلفت النظر أيضا فى كلام بعض المحدثين عن الوقائع بعد انهزام الحسن الأعصم من مصر ، ما نص عليه الدكتور على إبراهيم - بدون أن يحدد مصدره - من مسير جوهر بنفسه لإخضاع تنيس ؛ كما أن الدكتور ما جد ينص على ملاحقة جوهر القرامطة بنفسه إلى يافا ، ومصدره هو المقريزى ؛ بينما يشير

---

(٢٣٥) راجع ماقبله ، ص ١٦٧ ، ٣١٧ ، ٣٢٣ ؛ وانظر أيضا : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

الأستاذ تامر إلى ما يمكن أن يفهم منه أن جوهرا لنفسه استرد الفرما وتنيس ، كما ينص على أن جوهرا زحف صوب فلسطين وشدد بنفسه الهجوم على القرامطة المحاصرين ليافا وأرغمهم على الانهزام إلى دمشق ، وهو فى كل هذا لم يحدد مصادره. ولا شك فى أن ما ذكروه جميعا فيه كثير من التجوز، إذ لم تنص المصادر جميعها التى رجعنا إليها - خاصة المقريزى الذى أسهب وأفاض فى الكلام عن الأحداث بعد هزيمة القرمطى أمام القاهرة - على أن جوهرا خرج بنفسه فى تلك الآونة ، وإنما — كما ينص يحيى الأنطاكى والمقريزى — أنفذ الجيوش فى إثر القرامطة نحو الشام كما بعث غيرها لاستعادة تنيس ، على الرغم من اعتماد الدكتور ماجد على المقريزى فيما ذكره ، إذ أن المقريزى - كما قلنا - لم ينص على ذلك بالمرة .

أما الملاحظة الأخيرة الهامة فى كتابات المحدثين ، فهى اختلافهم فى تحديد تاريخ دخول المعز القاهرة ، على الرغم من أن البعض منهم أغفل هذا التاريخ تماما ، أو اكتفى بذكر تاريخ وصول المعز إلى الاسكندرية . ولكن الذى يعنينا هنا هو تحديد تاريخ دخوله القاهرة . فقد أجمع المحدثون الذين ذكروا بصورة عامة تاريخ وصول المعز إلى الديار المصرية على أن ذلك تم فى سنة ٣٦٢ ﻫ باستثناء أوليرى الذى حدد أوائل سنة ٣٦٣ ﻫ تاريخا لخروج المعز من القيروان متوجها منها إلى القاهرة ، وأشار فى ذلك إلى أن المعز أناب عنه قبل رحيله بلكين بن زيرى على أفريقية ، كما يحدد فصل الربيع فى سنة ٣٦٣ ﻫ تاريخا لبلوغ المعز الإسكندرية ، وبداية صيف نفس العام تاريخا لإقامة المعز بعسكره بالجيزة ، بينما أغفل التاريخ الذى دخل فيه القاهرة . ولا أشك فى خطأ هذا التاريخ ، إذ هو يناقض أولا ما أجمع عليه القدامى من تحديد شهر رمضان سنة ٣٦٢ ﻫ تاريخا لدخول المعز القاهرة ، بغض النظر عن اختلافهم فى تحديد

اليوم الذى دخل فيه . كما أن المعز خرج من المغرب فى أواخر سنة ٣٦١ ﻫ أو أوائل سنة ٣٦٢ ﻫ ، وهذا ما أجمعت عليـــه أيضا المصادر التى تعرضت الموضوع (٢٣٦) ، باستثناء ابن خلدون الذى أشار خطأ فى بعض رواياته إلى دخول المعز القاهرة سنة ٣٦٣ﻫ (٢٣٧)؛ ويبدو أن أوليرى ينقل عن ابن خلدون وإن لم يشر إليه ، إذ أن ابن خلدون ينفرد دون بقية القدامى بتحـديده سنة ٣٦٣ ﻫ تاريخا لدخول المعز القاهرة . كما يناقض ما ذكره أوليرى من استخلاف المعز لبلكين بن زيرى بإفريقية فى ربيع سنة ٣٦٣ ﻫ ما أورده ابن خـــلكان نفسه ـ الذى ينقل عنه أوليرى (٢٣٨) ـ من تحديده شهر ذى الحجة سنة ٣٦١ ﻫ

---

(٢٣٦) راجع : يحيى ، تاريخه ، ص ١٣٩ (من القيروان فى صفر ٣٦٢) ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٤ (من المنصورية فى أواخـر شوال سنة ٣٦١ ﻫ) ؛ ابن خلـكان ، وفيات الأعيـــان ، ج ٤ ، ص ٣١٤ (من المنصورية فى يوم الإثنين لثمـــان بقـين من شوال سنة ٣٦١ ﻫ)؛ أبو الفدا ، ج ٢ ، ص ١١٢ (من إفريقية فى أواخر شوال سنة ٣٦١ ﻫ) ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٠٠ (من المغرب فى يوم الإثنين لثمان بقين من شوال سنة ٣٦١ ﻫ) ، ص ١٣٤ (من إفريقية ؛ نفس التاريخ) ؛ ابن عذارى المراكشى ، البيـان المغرب فى أخبار المغرب ، ج ١ ص ، ٣٢٥ (من المنصورية فى أواخر شوال لثمان بقين منه سنة ٣٦١ ﻫ) ، مكتبـة صادر ، بيروت ١٩٥٠ م ؛ ابن تغرى بردى ، النجــوم ، ج ٤ ، ص ١٧٢ (من المغـرب فى سنة ٣٦١ ﻫ) . وليس فيما ذكـــره يحيى وابن تغرى بردى من التاريخ الذى أشار إليـه ما يتعارض مع بقية النصوص ، إذ أن المعز خـرج أول ما خرج من المنصورية فى التاريخ الذى ذكره ابن الأثير وابن خلـكان وأبوالفدا والمقريزى وابن عذارى، ثم كان يتابع سيره فينزل على المدن المختلفة .

(٢٣٧) العبر ، ج ٤ ، ٩٠ .

(٢٣٨) (فى : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٧ ؛ دون تحـديد لأى من الطبعتين اللتين حددهما فى ثبت مصادره ومراجعه) ؛ قارن ما فات هنا من قبل ، ﻫ ١٩٦ بالفصل الخامس .

تاريخا لاستخلاف المعز لبلكين بن زيرى على إفريقية عند توجهه إلى الديار المصرية (٢٣٩)، وهو نفس التاريخ الذى ذكره المقريزى أيضا لتحديد خروج المعز من المنصورية وتسليم بلكين إفريقية والمغرب (٢٤٠). ويدل أيضا على خطأ التاريخ الذى أورده أوليرى أنه ينقل كذلك عن نفس الجـــزء والصفحة ـ اللذين استشهد بهما عن ابن خلكان ـ وصية المعز لبلكين التى أوردها ابن خلكان فى الطبعة التى بين أيدينا وفيها يقول : « إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية ، والسيف عن البربر، ولا تول أحداً من أخوتك وبنى عمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً (٢٤١)» . ويسجل المقريزى نفس الوصية ، مع تغيير غير محسوس فى الصياغة (٢٤٢) .

---

(٢٣٩) وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٥٧ (فى ترجمة بلـكين بن زيرى) ، من طبعـة محيى الدين عبد الحميد التى بين أيدينا .

(٢٤٠) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٢٤١) وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٢٤٢) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٠١ . هذا وقد حدد ابن خلـكان خطا اليوم الذى سلم فيه المعز لبلـكين الأمور فى إفريقية بيوم الأربعاء لسبع بقين من شهر ذى الحجة المذكور هنا بالمتن ، بينما كان المقريزى مصيبا فى تحديده بيوم الأربعاء لتسع بقين منه ، وهـو يوافق الأربعاء ٢٠ من ذى الحجة سنة ٣٦١ هـ (راجـع : التوفيقات الإلهامية) المقـابل للثانى من أكتوبر سنة ٩٧٢ م (راجع : Haig, Comp. Tables)

الفصل السابع

إنبساط النفوذ الفاطمى
على المدن الداخلية والساحلية بالشام
إبان المرحلة الأولى من الفتح



الفصل السابع

انبساط النفوذ الفاطمى على المدن الداخلية والساحلية بالشام إبان المرحلة الأولى من الفتح

رأينا فى تتبعنا لروايات القدامى وكتابات المحدثين وما انتهينا إليه فى تحليلنا لأقوالهم جميعا ، أن خط سير الحملة الفاطمية على الشام لم يتعد بضع مدن أولاها الرملة وآخرها أنطاكية مارا بطبرية ودمشق . وقد أغفلت جميع المصادر — كما ذكرنا أيضا — الإشارة إلى مدى طبيعة السيطرة الفاطمية على غيرها من مدن الشام الداخلية وكذلك الساحلية ، على الرغم مما تفيده النصوص لدينا بتبعية بعضها للنفوذ الفاطمى سواء بطريق الفتح أو الاعتراف بهذه التبعية ، خاصة إذا علمنا أن من هذه المدن ما كان يقع على خط السير الذى اتبعته الحملة الفاطمية ولم تذكر عنها المصادر شيئا أو هى أشارت إليها بمجرد إشارات عابرة تفيد — بمعنى أو بآخر — سيطرة الفاطميين عليها .

وما يمكن أن يقال عن المدن الداخلية فى هذا الصدد يقال أيضا عن مدن الساحل .

وقد مر بنا من قبل أسماء مدن أو مناطق فى الداخل مثل حوران (١)

(١) ذكر ياقوت (معجم البلدان) أن حوران كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وقصبتها بصرى . وقد عرف بها وحدد موقعها الدكتور =

والبثنية (٢) ومشارف أرض حمص ، بينما لم نتعرض لبيت المقدس مثلا ؛ كما مر بنا من مدن الساحل يافا وإن لم نذكر صور وصيدا وبيروت وطرابلس .
أما باقى مدن الداخل والساحل والتى يمكن أن تكون قد انتظمتها السيطرة الفاطمية ، فلم تتعرض لها المصادر من قريب أو بعيد ، باستثناء ما سوف نذكره من إقامة الخطبة بحلب وحمص الحمدانيتين للخليفة المعز الفاطمى ، وذلك فى تاريخ مبكر إبان مرحلة الفتح الأولى .

ويبدو من المناسب أن نذكر أولا فى هذا المقام تلك التقسيمات الإدارية لبلاد الشام من واقع ما أورده اثنان من الجغرافيين العرب المعاصرين ، هما المقدسى البشارى وابن حوقل النصيبى .

أما المقدسى ، فقد قسم الشام إلى ست كور ، هى قنسرين ، وقصبتها حلب ؛ وحمص ، وهى اسم قصبتها أيضا ؛ ودمشق ، وهى القصبة كذلك ؛ والأردن ، وقصبتها طبرية ؛ وفلسطين وقصبتها الرملة ؛ والشراة ، وقصبتها صغر (٣) . وقد اتبع ابن حوقل نفس التقسيم ، ولكنه جعل الكور أجنادا ،

سليم عادل عبد الحق ، فقال إنها سهل يقع جنوبى دمشق ، وتقع به مدينة بصرى التى تؤلف قاعدة للاستثمار الزراعى ؛ راجع له : مسرح بصرى وقلعتها ، فى : مجلة الحوليات السورية ، المجلد الرابع عشر (١٩٦٤ م) ، ص ٥ ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٦٤ م ؛ وانظر أيضا : خريطة كور أو أجناد الشام .

(٢) ذكر ياقوت (معجم البلدان) البثنية فقال إنها قرية من نواحى دمشق وهى نفسها مدينة أذرعات من الأعمال الجنوبية لدمشق ؛ راجع : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٠٥ ؛ وانظر أيضا : Le Strange (Guy), Palestine under the Moslems, pp. 32 - 4, 39 - 41, Beirut 1965 ؛ وراجع : خريطة كور أو أجناد الشام .

(٣) المقدسى البشارى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، نشر دى غويه De Goeje ص ١٥٤ — ١٥٥ ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦ م . وتنطق (صغر) بضم الصاد المهملة وفتح الغين المعجمة .

كما تميز عن المقدسى بأنه أدمج فلسطين والشراة فى جند واحد (٤). وأهم المدن والمناطق التى تعنينا ـ والتى سوف نذكرها هنا ـ هى حوران والبثنية وصيدا وبيروت وطرابلس فى جند أو كورة دمشق ؛ وصور وعكا فى جند أو كورة الأردن ؛ وبيت المقدس ويافا وعسقلان وأرسوف وقيسارية فى جند أو كورة فلسطين(٥).

ومن هذه التقسيمات ، يمكننا أن ندرك لماذا أغفلت المصادر تحركات القوات الفاطمية إلى غالبية هذه المدن الداخلية منها والساحلية ، إذ المرجح أن سقوط عواصم هذه الأجناد تبعها بالتالى إما سقوط مدنها التابعة لها ، أو اعترافها بالتبعية للنفوذ الفاطمى .

وأول ما يلفت النظر فى خط سير الحملة الفاطمية ، أن المصادر لم تذكر مثلا بيت المقدس وهل سقطت قبل أو بعد استيلاء ابن فلاح على الرملة ، خاصة وأنها تقع فى نفس خط السير إلى الجنوب الشرقى من الرملة عاصمة فلسطين فى ذلك الوقت. وعلى الرغم من أن واحداً من أبناء بيت المقدس وأكبر قضاتها فى أواخر القرن التاسع والثلث الأول من القرن العاشر الهجريين ، وهو قاضى القضاة أبو اليمن مجير الدين الحنبلى ، قد أفرد كتابا عن تاريخ القدس والخليل يتضمن عرضا لتاريخ المدينة المقدسة ، إلا أنه لم يشر فى كتابه هذا عند كلامه عن الفاطميين أية إشارة تفيد سقوط المدينة بأيديهم أو تبعيتها لهم فى أول

---

(٤) صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١٥٤ — ١٥٦ ، ١٥٧ — ١٥٩ ، ١٦٠ — ١٦٤ ؛ وانظر فيه أيضا : ص ١٦٥ — ١٧٠ .

(٥) انظر خريطة كور أو أجناد الشام عند الفتح الفاطمى .

لتحرم الشام (٦) .

بيد أن الدواداري ينفرد بإشارة تفيد بلا شك اعتراف بيت المقدس بهذه التبعية قبل سقوط الرملة ، بينما تأكدت بعد سقوطها . وبغض النظر عن التاريخ الذى حدده كل من الدواداري والمقريزي لسقوط الرملة في يد ابن فلاح - وهو النصف من رجب سنة ٣٥٩ هـ - فقد أوضح الدواداري أن جوهرا كاتب - قبل دخول ابن فلاح الشام - من كان قبل الحسن بن عبيد الله بن طغج من العمال والولاة يعدهم الإحسان إليهم لكى يقعدوا عن ابن طغج ولا يناصروه ، وكان شمول من أبرز هؤلاء العمال الذى خلفه ابن طغج على دمشق وقت رحيله عنها إلى الرملة استعداداً لملاقاة الجيوش الفاطمية فى غزوها المرتقب للشام ، إلا أن الدواداري لم ينص على مكاتبة جوهر للصباحى والى بيت المقدس من قبل ابن طغج أيضا ، وإن كانت الدلائل تشير بالمثل إلى هذا ، إذ تقاعد عنه - هو وشمول - عندما أنفذ إليهما لجمع رجالهما من بيت المقدس ودمشق ونواحيهما لحرب المغاربة (٧) . ولكننا نلاحظ أن المقريزي قد اكتفى بذكر بعث ابن طغج إلى شمول وإلى الصباحى بالقدوم عليه لمحاربة المغاربة . بينما خالف الدواداري حين ذكر أن ابن فلاح نفسه - لما قرب من ابن طغج - أرسل كتبه إلى ولاة الأعمال يعدهم الإحسان ويدعوهم إلى طاعة المعز (٨) .

---

(٦) راجع : مجير الدين الحنبلي (أبو اليمن قاضى القضاة ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، قدمه محمد بحر العلوم ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها فى النجف الأشرف ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

(٧) الدرة المضية ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٨) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

وسواء كان جوهر أو ابن فلاح هو الذى راسل ولاة أعمال الشام التابعين لابن طغج - ومن بينهم شمول بدمشق والصباحى ببيت المقدس - فليس يعنينا من كل هذا إلا تلك المكاتبات بحد ذاتها التى تدل على تقاعد الصباحى عن نصرة ابن طغج حين تم اللقاء بين الأخير وابن فلاح عند الرملة ، وهو مما يدل أيضا على اعتراف بيت المقدس بالتبعية للفاطميين حتى قبل دخولهم الشام ، ثم تأكدت هذه التبعية بعد استيلاء ابن فلاح على الرملة . وهذا يفسر عدم مسير ابن فلاح إليها وهو فى طريقه إلى الرملة ، كما يبرر إغفال جميع المصادر ذكر ذلك ، بينما اكتفت بذكر سقوط الرملة قاعدة ابن طغج فى ولاية فلسطين .

ولما كنا قد خلصنا فى الفصل السابق فى تحليلنا لروايات القدامى - ومن بينهم المقريزى - إلى أن الفتح الفاطمى للشام قد بدأ فى أواخر ذى القعدة سنة ٣٥٨ هـ أو أوائل ذى الحجة من نفس السنة ، فمن المحتمل الآن أن غزة وعسقلان قد سقطتا فى يدى ابن فلاح فى حدود هذا التاريخ الأخير أيضا ، بينما اعترفت القدس بتبعيتها للفاطميين بصورة نهائية بعد سقوط الرملة فى يد ابن فلاح فى أوائل ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ (٩) .

ويتصل بهذا أيضا ما أهملته المصادر جميعا من ذكر المدن الساحلية فى جند - أو كورة - فلسطين ، فمن المرجح أن ابن فلاح وقت دخوله الشام قادما من مصر كان يسير بحذاء الساحل ، وهو الطريق السهل الطبيعى لدخول بلاد الشام من الناحية الشرقية من مصر . بمعنى أن ابن فلاح - وهو ما لم تذكره المصادر أيضا - بدأ سيره من القاهرة حتى وصل الفرما ومنها إلى العريش فرفح ، ودخل

(٩) راجع مافات هنا من قبل ، ص ٢٤٩ .

ديار الشام مارا بغزة وعسقلان - أو قربهما - ثم إلى الرملة مباشرة ، إذ لامعنى لأن يقطع الطريق داخل الأراضى الصحراوية فى كل من شبه جزيرة سيناء والنقب بجنوبى فلسطين لكى يصل إلى الرملة .

وما يقال عن غزة وعسقلان ، يمكن أن يقـال أيضا عن يافا وأرسوف وقيسارية من مدن ساحل جند فلسطين ، إلا أن المصادر لم تذكر من هـذه المدن الساحلية سوى يافا عنـدما تعرضت لذكر الوقائع بين الحسن الأعصم وابن حيان حين خرج الأخير من الرملة إلى يافا متحصنا بهـا ، وكذلك حصار القرمطى له بها (١٠) ؛ فهذه أيضا إشارة إلى الوجود الفاطمى بيافا فى ذلك الوقت أى فى أواخر سنة ٣٥٩ هـ ، إذ لا معنى لأن يفر ابن حيان إلى يافا فى الوقت الذى لم تكن فيه أية سيطرة فاطمية على هذه المدينة ، وإلا كان رحل إلى مصر مباشرة وكفى نفسه مؤونة قتال من بها ليدخلها ويعتصم بها من القرمطى . وهذا يدل أيضا على أن هذه المدينة لم تسقط فى يد الفاطميين عن طريق القتال وإنما بإعلان الولاء والتبعية لهم ؛ وما ينسحب على يافا فى هـذا الصدد ينسحب أيضا على كل من أرسوف وقيسارية - وإن لم تذكر ذلك المصادر كما أشرنا - بمعنى أنهما أعلنتا هذه التبعية بعد سقوط الرملة فى يد ابن فـلاح فى أوائل ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ .

وقد سقطت طبرية - عاصمة جند الأردن - فى شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ كما ذكرنا من قبل (١١) ، وأهم المدن الساحلية بهذا الجـند هى عكا وصور ،

---

(١٠) راجع مافات هنا من قبل ، ص ١٥٧ وما بعدها ، ٢٩٨ - ٣٠٢ .

(١١) راجع مافات هنا من قبل ، ص ٢٥١ .

ولم تذكر المصادر شيئا عن سقوطهما أو تبعيتهما خاصة عـــكا . إلا أن بعض المصادر تشير إلى مدينة صور - بعد سقوط طبرية - بما يفيد دخول هذه المدينة فى فلك النفوذ الفاطمى ، إذ لم تذكر أى قتال وقع ودخل بعـــده الفاطميون المدينة ، أى أن صور دانت للفاطميين دون قتال أيضا .

ولعل يحي الأنطاكى هو أول من أشار - فيما بين أيدينا من مصادر - إلى مدينة صور الساحلية وهو يتكلم عن خروج تبر الإخشيدى بمصر على جوهر فى شعبان سنة ٣٥٩ هـ ، بما يفيد اعتراف صور بالنفوذ الفـــاطمى ، إلا أنه لا يمدنا بأية إشارة عن تاريخ الاستيلاء عليها أو تبعيتها . فقد ذكر يحي أن تبرا الإخشيدى (١٢) خرج فى التاريخ المشار إليه « بناحية الأرض السفلى من عمل مصر ، فحشد وكبس الفرما ، وأخـــذ واليها ونهب ماله وملك الأرض السفلى . وسير إليه جوهر الجيوش من مصر . وسار تبر حتى بلغ صهرجت(١٣) ومضى هاربا وركب البحر يريد بلد الروم ، فخرج عليه إنسان من أهل صور يعرف بابن أبان فى جماعة وأخذه وحمله إلى ابن فلاح بالشام ، وسير به إلى جوهر بمصر ، فأشهر بها وسجن ثمانية أشهر ، ومات فى السجن (١٤) » .

---

(١٢) ترجم المقريزى (فى: الخطط ، ج ٢ ، ص ٤١٣) لتبر الإخشيدى ، فذكر أنه كان أحد الأمراء الأكابر فى أيام كافور الإخشيدى ، وعرف مسجد تبر باسمه ، وحدد المقريزى مكانه بأنه يقع خارج القاهرة مما يلى الخندق قريبا من المطرية (عين شمس) .

(١٣) صهرجت ، إحدى قرى مديرية الدقهلية الحالية ، وهى الآن قريتان : صهرجت الصغرى وتتبع مركز أجا ، وصهرجت الكبرى وتتبع مركز ميت غمر ، راجع تحقيقات الدكتور جمـــال الدين الشيال على هذا الموقع فى (اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، هـ ٢ ، وما به من مراجع).

(١٤) تاريخه ، ص ١٣٨ .

وقد أشار المقريزى إلى تبر الإخشيدى الذى يبدو أنه كان يتولى تنيس(١٥) وقت عصيانه ، وذكر نفس الوقائع - التى أتى بها يحيى - وهو يتكلم عن الأحداث فيما بين شهرى جمادى الآخرة ورمضان سنة ٣٥٩ هـ ، إلا أن يحيى كان أدق منه فى تحديده تاريخ عصيان تبر على جوهر ؛ كما نلاحظ أن المقريزى اكتفى بذكر عصيان تبر بأسفل الأرض ومحاربة جوهر له - بعسكر سيره إليه - فى صهرجت ، وينص على مضى تبر إلى الشام منهزما فى البحر ، فأخذ بصور ، وبعث به ابن فلاح إلى جوهر بمصر (١٦) ، ليلقى نهايته منتحرا فى ربيع الآخر سنة ٣٦٠ هـ (١٧) .

وأهم ما نخرج به من كلام يحيى والمقريزى ، هو ما انفرد به يحيى من ذكره ابن أبان الذى اعتقل تبرا الإخشيدى وسلمه إلى ابن فلاح . فقد يكون ابن أبان هذا هو متولى صور من قبل ابن فلاح بعد إعلان تبعيتها التى أغفلتها جميع المصادر ، وإلا كان متوليها - إذا أغفلنا ابن أبان نفسه - هو الذى قام بتلك المهمة بعد أن سلمه ابن أبان أسيره تبرا . وفيما ذكره يحيى من أن تبرا اعتقل بمصر ثمانية أشهر حتى مات تحديد لتاريخ القبض عليه بصور ومن ثم إرساله إلى ابن فلاح ثم إلى جوهر بمصر بأواخر شوال وأوائل رمضان سنة ٣٥٩ هـ ، وهو تحديد يفيد أيضا أن صور كانت فى ذلك التاريخ تابعة فعلا للفاطميين . إلا أننا نعلم أن طبرية - عاصمة جند الأردن - سقطت فى يد

---

(١٥) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٠ (حوادث شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ) .

(١٦) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(١٧) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ ؛ وانظر له أيضا نفس الرواية فى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٤١٣ .

ابن فلاح دون قتال أيضا فى شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ ه [١٨] ، وهذا يدل على أن صور كانت واقعة تحت النفوذ الفاطمى خلال شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ ه أو بعده بقليل .

ولم تحدد لنا المصادر شيئا عن الأماكن الداخلية أو الساحلية فى جند دمشق فى هذه الفترة التى نتكلم عنها باستثناء ما ذكره الدوادارى والمقريزى اللذان انصب كلامهما على بعض المناطق الداخلية دون الساحلية ، ممثلة فى حوران والبثنية ومشارف أرض حمص كمسرح للأحداث التى تمت بين الفاطميين - ومن والاهم من القبائل العربية - وبين بنى عقيل . وتدل ظواهر النصوص لدى كل من الدوادارى والمقريزى على أن الاشتباكات التى حدثت بين السرايا التى أنفذها ابن فلاح لتعضيد بنى فزارة ومرة ضد بنى عقيل فى حوران والبثنية قد حدثت بعد استيلاء ابن فلاح على طبرية بعد منتصف رجب سنة ٣٥٩ ه حسب روايتيهما - وهو تاريخ لم نأخذ به كما مر بنا من قبل [١٩] - وقبل استيلاء جعفر على دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ ه حسب روايتيهما أيضا . إلا أن سياق الحوادث لدى بقية المؤرخين القدامى - وإن لم يشيروا إلى وقائع حوران والبثنية التى انفرد بها الدوادارى والمقريزى - تدل على أن تلك الوقائع قد تمت فى شهر ذى الحجة سنة ٣٥٩ ه بالفعل ، بيد أنها لم تقع بعد استيلاء جعفر على طبرية مباشرة فى التاريخ الذى ذكر فيه الدوادارى والمقريزى سقوط الرملة فى منتصف رجب سنة ٣٥٩ ه ، وإنما وقعت بعد فترة طويلة من الفتح الأول لدمشق فى المحرم سنة ٣٥٩ ه على يد ابن فلاح وبعد مسيره

---

(١٨) راجع : ه ١١ بهذا الفصل .

(١٩) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

هنا - فى تاريخ لا نستطيع تحديده بدقة - إلى الرملة وبعدها إلى طبرية كما سنحاول أن نثبت بعد قليل . وبمعنى آخر ، سوف نبين هنا أن وقائع حوران والبثنية أتت تالية للفتح الأول لدمشق فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ وقبيل الاستيلاء على دمشق نهائيا فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ وليس بعد الاستيلاء مباشرة على طبرية فى التاريخ الذى أخذنا به وهو شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، أو فى التاريخ الذى ذكره الدوادارى والمقريزى عن سقوط الرملة ثم طبرية فى يد ابن فلاح .

ولما كنا قد اثبتنا أن رواية كل من الدوادارى والمقريزى عن فتح دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ إنما تمثل المرحلة الثانية لاستيلاء ابن فلاح على هذه المدينة ، فمن المنطقى أن نقف قليلا عند روايتيهما التى انفردا بها عن أحداث حوران والبثنية لنحاول أن نضعها فى مكانها الصحيح من سلسلة تتابع الأحداث ، خاصة وأنهما يذكران وقوعها بعد استيلاء ابن فلاح على طبرية مباشرة وقبل نزوله هو نفسه بالشماسية جنوبى دمشق فى ١٠ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، وهو تاريخ انفرد به المقريزى عن الدوادارى .

ونبدأ - كالعادة أيضا - بعرض رواية المقريزى ، ثم نثنيها برواية الدوادارى ، مع إثبات أهم ما نخرج به منهما ، ثم مقابلتهما وتحليلها فى ضوء النصوص الواردة فى المصادر الأخرى التى تعين على ترتيب الوقائع ، ومن ثم الخروج بالنتائج النهائية .

(أ) يقول المقريزى بعد أن يذكر رحيل القرامطة عن ابن طغج بعدما أقاموا بظاهر الرملة ثلاثين يوما إثر الوقعة التى دارت بينهما فى التاريخ الذى يحدده وهو شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ : « فبعث [أى ابن طغج] إلى شمول

بالمسير إليه لمحاربة من تقدم من مصر ، وأنفــذ إلى الصبــاحى ، والى بيت المقدس - بالقدوم عليه ، فتقاعد عنه شمول ، وقرب منه جعفر ابن فلاح وقد انتشرت كتبه إلى ولاة الأعمال يعدهم الإحسان ويدعوهم إلى طاعة المعز ، فالتقى مع ابن طغج وحاربه ، فانهزم منه ، واحتوى على عسكره ، فقتل كثيرا من أصحابه ، وأخذه أسيرا فى النصف من رجب سنة تسع (٢٠) » .
وأهم ما نخرج به من هذا النص هو تقاعس شمول نائب ابن طغج بدمشق عن نصرته ، بينما لا يبين لنا مدى استجابة الصباحى والى بيت المقدس له ، كما يدل على أن ابن فلاح كان قد بعث برسائله إلى ولاة الأعمال يستميلهم فى فلسطين والأردن على الأقل ، ونخرج من النص أخيرا بهزيمة ابن طغج وأسره فى منتصف رجب سنة ٣٥٩ هـ عند الرملة كما سبق وأن ذكرنا فى موضع سابق(٢١).

(ب) ويسترسل المقريزى فى إثر ذلك ليقول : « فأقام [أى ابن فلاح] يتتبع ما كان لابن طغج ولأصحابه(٢٢) » . أى أن ابن فلاح بقى بالرملة بعـد النصف من رجب سنة ٣٥٩ هـ يتتـبع ما كان لابن طغج وأصحـابه بها وبنواحيها .

(ج) ويقول بعد ذلك مباشرة : « وسار إلى طبرية فبنى قصـرا عند الجسر ليحارب فاتك غلام ملهم - وكان عليها من قبل كافور الإخشيدى - فلم

---

(٢٠) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (أ) .

(٢١) انظر ما قبله ، ص ١٣٧ ؛ وراجع اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٢٢) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٣ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (ب) .

فلم يعرض له ملهم ، وملك جعفر طبرية (٢٣) » ويفيد هذا النص أن ابن فلاح بعد أن استولى على ما كان لابن طغج وأصحابه ، غادر الرملة وتوجه إلى طبرية في تاريخ لم يذكره لمحاربة فاتك غلام ملهم ، كما يفيد النص أن فاتكا هـذا كان واليا على طبرية ، بينما نستدل منـه أيضا على أن ملهما ـ مولى فاتك ـ كان هو نفسه والى طبرية وذلك في قوله : « فلم يعرض له ملهم » ، كما يدل النص أخيراً على استيلاء ابن فلاح على طبرية .

(د) ويواصل المقريزى كلامه ، فيقول : « وكان بحوران والبثنية بنو عقيل ـ من قبل الإخشيد ـ وهم : شبيب وظالم بن موهوب ، وملهم بن . . . (٢٤) قد ملكوا تلك الديار ، فأخذ جعفر يستميل إليه من العرب فزاره ومرة ، وباطنهم على قتل ملهم ، فرتبوا له رجالا قتلوه على حين غفلة ، وأظهر جعفر أن ذلك من غير علمه ، وقبض على من قتله وبعث بهم إلى ملهم ، فعفا عنهم (٢٥) » . ونخرج من هذا النص أولا بأن شبيبا وظالما و لمهما ـ من بنى عقيل ـ كانوا يتولون جهات حوران والبثنية ، وأن ابن فلاح استمال بنى فزارة ومرة واتفق معهم على قتل ملهم ، فاغتالوه ، بينما تنصل ابن فلاح من تبعة قتله وأنفذ قتلته إلى ملهم (المقتول !!) الذى عفـا عنهم . وفي ذلك يقول الدكتور الشيال ـ محقق اتعاظ الحنفا ـ : « . . . والمعنى فى هـذه الفقرة مضطرب ، إذ كيف يتفق أن يقتل رجال جعفر ملهما ثم يرسل جعفر هؤلاء الرجال إلى ملهم ـ

---

(٢٣) نفس المصدر ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (ج) .

(٢٤) بياض بالأصل .

(٢٥) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٣ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليـل على انه رقم (د) .

المقتول ـ فيعفو عنهم ؟ ! (٢٦) » .

(هـ) ثم يقول المقريزى مباشرة : « وسار من دمشق مشايخ أهلهـــا إلى طبرية للقاء جعفر . فاتفق وصولهم إليها يوم قتل فاتك ، وقد ثارت بها فتنة ، فأخذوا وسلبوا ما عليهم ، فلقوا جعفر بن فلاح ، وعادوا إلى دمشق وهم غير شاكرين ولا راضين ، فبسطوا ألسنتهم بذم المغاربة حتى استوحش أهل دمشق منهم (٢٧) » . وأهم ما نخرج به هنا أن أهـل دمشق بعثـوا وفـــدا منهم إلى ابن فلاح وهو بطبرية،فوصلوا إليها يوم قتل فاتك غلام ملوم، وتعرضوا لمعاملة قاسية ، فرجعوا إلى دمشق ساخطين .

(و) ويواصل المقريزى روايته ، فيقول : « وكان شمول قد خرج منها [أى من دمشق] إلى جعفر ، فلقيه بطبرية ، وصار البلد خاليـا من السلطان ، فطمع الطامع ، وكثر الزعار (٢٨) وحمال السلاح به . وجهز جعفر من طبرية من استمالهم من مرة وفزارة لحرب بنى عقيل بحوران والبثنية ، وأردفهم بعسكر من أصحابه ، فواقعوا بنى عقيل ، وهزموهم إلى أرض حمص وهم خلفهم ، ثم رجعوا إلى الغوطة ، وامتدت أيديهم إلى أخـــذ الأموال ـ وهم

---

(٢٦) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٣ ، هـ ٤ .

(٢٧) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٣ ، وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (هـ) .

(٢٨) الزعار ، والمفرد زاعر ، عرفه دوزى Dozy بأنه اللص والشرير ، انظر له :
Supplément aux Dictionnaires Arabes, 3eme edition, p.592, Leyde, Paris 1967 .
وانظر أيضا : شروح الدكتور جمال الدين الشيال على هذا اللفظ فى : المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، هـ ١ .

سائرون — حتى نزلوا بظاهر دمشق ، فثار عليهم أهل البلد ، وقاتلوهم وقتلوا منهم كثيرا من العرب ، فانهزموا عنها ، وذلك لثمان خلون من ذى الحجة ، فلحقوا بطلائع جعفر ، فساروا معها إلى دمشق ، وخرج إليهم الناس مستعدين لمحاربتهم — فى خيل ورجل — فاقتتلوا يومهم ثم انصرفوا ، وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا ، وصاح الناس فى الجامع بعد الصلاة بالنفير ، فخرج النفير ، واشتد القتال إلى آخر النهار . ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلون منه بالشماسية(٢٩)» . ونخرج من هذا النص الطويل بالحقائق الآتية :—

أولا : أن شمولا كان قد وصل من دمشق إلى طبرية قبل وصول وفدها إلى ابن فلاح بطبرية ، وأن انفصاله عن دمشق أدى إلى خلوها ممن يتولى أمورها فحلت الفوضى بها ؛ ثانيا : أن ابن فلاح أنفذ من استمالهم من فزارة ومرة إلى حوران والبثنية لمحاربة بنى عقيل وأمدهم بعسكر من عنده ، فحلت الهزيمة ببنى عقيل وطاردوها إلى أرض حمص ؛ ثالثا : أن بنى فزارة ومرة وعساكر جعفر نزلوا — فى رجوعهم — على الغوطة ، ثم نزلوا بظاهر دمشق ، فقاتلهم أهلها ، فانهزموا عنها وذلك فى التاريخ الذى حدده وهو ٨ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ؛ رابعا : أن طلائع ابن فلاح كانت فى الطريق إلى دمشق فى نفس اليوم وناصبوها القتال ثم انصرفوا عنها (٣٠) ؛ خامسا : فى اليوم التالى — أى

---

(٢٩) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (و) .

(٣٠) سبق لنا أن أوضحنا أن القتال إنما دار فى اليوم التالى لوصول طلائع ابن فلاح وانضمام السرايا الفاطمية إليهم ، وإنما نفسر هذا النص حسب ظاهره فحسب ؛ وراجع تصحيحنا للتواريخ التى ذكرها المقريزى بهذا النص فيما فات هنا من قبل ، ه ١٠٢ بالفصل السادس ، وص ٢٦٤ — ٢٦٩ .

الجمعة ٩ ذى الحجة كما يحدد المقريزى - عاود الجميع القتال حتى آخر النهار ؛ سادسا : أن ابن فلاح نزل بقواته فى يوم السبت ١٠ ذى الحجة - كما يقول المقريزى - بالشماسية .

(ز) ويقول المقريزى بعد قليل : « وكان رئيس أهل الشام فى هـــذه الحروب أبو القاسم بن أبى يعلى العباسى ، ومحمد بن عصودا ، وصدقة الشوا (٣١) » . وأهم ما نخرج به هنا أن رياسة البلد كانت فى يد ثلاثة منهم محمد بن عصودا .

(ح) ويقول المقريزى بعد قليل ، وبعد أن يذكر استيلاء ابن فلاح على دمشق ودخولها فى يوم الجمعة الذى لم يحدد تاريخا له : « . . . . وتطلب حمال السلاح فظفر بقوم منهم ، وضرب أعناقهم ، وصلب جثثهم ، وعلق رءوسهم على الأبواب وفيها رأس إسحاق بن عصودا . وكان ابن أبى يعلى لما انهزم خــرج إلى الغوطة يريد بغداد ، فقبض عليه ابن عليان العدوى عند تدمر وجاء به إلى جعفر بن فلاح . . . وأما محمد بن عصودا فإنه لحق بالقرامطة فى الأحساء - هو وظالم بن موهوب العقيـــلى - لما انهزم بنو عقيـل عن حـــوران والبثنية ، فحثوهم على المسير إلى دمشق (٣٢) » . ويعنينا من هذا النص ان إسحاق بن عصودا - أخا محمد بن عصودا أحد رؤساء دمشق وقت نزول ابن فلاح عليها — كان من بين القتلى ، وأن ابن أبى يعلى قبض عليه عند تدمر وهو فى طريقه هاربا إلى بغداد ، وأن محمد بن عصودا لحق هو وظالم بن موهوب بالقرامطة فى الأحساء بعد هزيمة بنى عقيل فى حوران والبثنية .

---

(٣١) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٤ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليـل على أنه رقم (ز) .

(٣٢) نفس المصدر ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (ح) .

(ط) ويذكر المقريزى بعض هذه الأحداث بصورة مجملة ومختصرة فى موضع آخر ، فيقول : « وسار جعفر بن فلاح من مصر ، فهزم الحسن ابن عبيد الله بن طغج ، وقتل رجاله ، وأخذ أسيرا ، فسار إلى دمشق فنزل بظاهرها ، فمنعه أهل البلد ، وقاتلوه قتالا شديدا ، ثم إنه دخلها بعد حروب ، وفر منه جماعة منهم ظالم بن موهوب العقيلى ومحمد بن عصودا ، فلحقا بالأحساء إلى القرامطة وحثوهم على المسير إلى الشام (٣٣) » . وأهم ما يفيد به هذا النص أن ظالما ومحمد بن عصودا كانا بدمشق وقت استيلاء ابن فلاح عليها ، ففرا إلى الأحساء حيث لحقا بالقرامطة هناك .

(أ أ) أما الدوادارى ، فهو يقول فى حوادث سنة ٣٥٨ ﻫ وبعد أن يذكر مسير ابن طغج من دمشق - حيث خلف عليها شمولا الإخشيدى - : « ... وكان فى نفس شمول منه حقد ، فكان - على ما ذكر - يكاتب جوهرا بمصر . ونزل الحسن بن عبيد الله الرملة (٣٤) » . وأهم ما نخرج به من هذا النص هو مكاتبة شمول جوهرا بمصر فى الوقت الذى كان فيه ابن طغج بالرملة فى انتظار اللقاء بينه وبين جيوش المغاربة .

(ب ب) ثم يقول الدوادارى - بعد أن يأتى على خبر هزيمة ابن طغج على يد القرامطة فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ ﻫ كما يحدد ورحيل القرامطة عنه - : « فلما بلغ المغاربة كسرة الحسن بن عبيد الله من القرامطة ، داخلهم الطمع فيه

---

(٣٣) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٨٦ ؛ وسوف نشير الى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (ط) .

(٣٤) الدرة المضية ، ص ١٢١ — ١٢٢ ؛ وسوف نشير الى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (أأ) .

واستضعفوه ، وكاتبوا من كان قبله من العمال والولاة ووعـــدوهم الإحسان اليوم ليقعدوا عنه ، وجهز لحربه من مصـــر جعفر بن فلاح في عسكر من المغاربة (٣٥) » .

(ج ج) ويقول الدوادارى بعد ذلك مباشرة : « وكان الحسن بن عبيد الله يكاتب شمولا الذى خلفه على دمشق بأن يسير إليه بمن معـــه وبمن يستخدمه ليجتمعوا على حرب المغاربة ، فكان يتقاعد عنه لما بينه وبين جوهر القائد من المكاتبات . وكان أيضا قد انفذ إلى الصباحى - وهو والى بيت المقدس - بأن يجمع له الرجال من تلك النواحى والجبال ويسير إليه . وقرب المغاربة منه ، وتقاعد عنه الفئتان من دمشق والقدس . فلما يئس ممن ينجده من أوليائه التقاهم بمن كان معه ، فانهزم . . . . وأخذوه أسيرا . وتمكن جعفر بن فلاح من الرملة ، وذلك فى النصف من رجب سنة تسع وخمسين وثلاثمائة (٣٦) » .
ويدل النص هنا على وجود المكاتبات فعلا بين جوهر وشمول خليفة ابن طغج بدمشق ، وتقاعد شمول عن ابن طغج . كما يدل على أن الصباحى والى بيت المقدس - وإن لم يشر إلى أن جوهرا كاتبه - قد تقاعد هو أيضا - مع شمول - عن تنفيذ ما كتب به إليهما ابن طغج . ويدل أيضا على أن الهزيمـــة حلت بابن طغج فى منتصف رجب سنة ٣٥٩ هـ وهو تاريخ تمكن ابن فلاح من الرملة حسب روايته .

---

(٣٥) الدرة المضية ، ص ١٢٢ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (ب ب) .

(٣٦) نفس المصدر ، ص ١٢٢ — ١٢٣ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (ج ج) .

(د د) ثم يقول الدواداري بعد قليل : « ولما انكسر الحسن بن عبيد الله ابن طغج وأسر ، انتقل جعفر بن فلاح من الرملة إلى طبرية ، وابتدأ يبنى قصراً عند جسر الصبرة (٣٧) . وكان بها يومئذ فاتك غلام ملهم واليا عليها من قبل كافور الإخشيدي ... وقد كان ابن فلاح راسله وخدعه حتى قعد عن نصرة الحسن بن عبيد الله (٣٨) » . وأهم ما نخرج به من هذا النص هو أن جعفرا انتقل بعد هزيمة ابن طغج وأسره من الرملة إلى طبرية ، وأن فاتكا غلام ملهم كان واليا على طبرية فى ذلك الوقت ، وأن ابن فلاح كان يراسل فاتكا هذا حتى يقعد عن نصرة ابن طغج .

(ه ه) ويصل الدواداري كلامه ، فيقول : « وكانت بنو عقيل على حوران والبثنية من قبل الإخشيدية حين ولى كافور مروان وظالما وملهما تلك الديار . فلما تمكن جعفر بن فلاح من طبرية ومن الملاهمة أراد أن يقلع الجميع من تلك الديار ، فاستجلب إليه مرة وفزارة من العرب وقرر معهم قتل فاتك غلام ملهم والى طبرية، فرتبوا له رجالا من المغاربة فظفروا به غيلة . فلما رآهم قد أحاطوا به يئس من الحياة ، فجرد سيفه وقال : غدرتم ونقضتم الأيمان ، وضرب رجلا منهم على وجهه ... وأدركه بقية القوم فقتلوه . ثم إن جعفر بن فلاح أظهر عدم الرضا بقتله ، وأن ذلك كان بغير إرادته ، وقبض على الذين قتلوه ، فأوثقهم وبعث بهم إلى ابن ملهم (٣٩) ، وقال له : هؤلاء

---

(٣٧) كذا بالأصل ، وهو تحريف واضح لجسر الصنبرة الواقع جنوبى بحيرة طبرية عند خروج نهر الأردن منها ؛ راجع ياقوت ، معجم البلدان (مادة الصنبرة) ؛ وانظر أيضا خريطة فتح الفاطميين للشام .

(٣٨) الدرة المضية ، ص ١٢٥ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (دد).

(٣٩) كذا ورد الاسم هذه المرة بالمتن عنده .

الذين قتلوا غلامك ؛ فقال : هو غلامى وقد وهبته ؛ وأطلق الذين قتلوه ، وقد علم أنه هو الذى أمر بقتله ، ولو قتلهم قتله بهم (٤٠) » . ويفيد النص هنا أن بنى عقيل كانوا ولاة على حوران والبثنية من قبل الإخشيدية ، وهم مروان وظالم وملهم . كما يدل النص على أن ابن فلاح بعد أن تمكن من طبرية أراد أن يتخلص من هؤلاء العقيليين فتحالف مع مرة وفزارة وقرر معهم قتل فاتك - غلام ملهم - والى طبرية .

(و و) ويواصل الدوادارى سرد روايته ، فيقول : « وكان مما اتفق لدمشق من الأمر المذموم أن مشايخ من أهلها ساروا إلى طبرية يتلقون جعفر ابن فلاح ... فأدركوا يوم دخولهم طبرية قتل فاتك ، والفتنة ثائرة والمغاربة قد ركبوا يأخذون الناس ، فوجد القوم مشايخ الذين قدموا من من دمشق ، فأخذوهم ... وضربوهم .... فرجعوا إلى دمشق فى أسوأ الأحوال ، وأخبروا بما جرى عليهم .... فلما سمع الناس ذلك ارتاعوا منه وتوحشت قلوبهم . وكان شمول قد سار من دمشق فلقى جعفر بن فلاح بطبرية قبل ذلك ، وخلا البلد من سلطان ، فطمع الطامع وكثر الدعار (٤١) وحمال السلاح (٤٢) » . وأهم ما نخرج به هنا أن شيوخ دمشق ساروا إلى ابن فلاح وهو بطبرية فوصلوا إليها فى نفس اليوم الذى قتل فيه فاتك ، وأنهم رجعوا بخفى حنين ، وأن شمولا كان قد سار من دمشق إلى طبرية فلقى جعفرا قبل

(٤٠) الدرة المضية ، ص ١٢٥ — ١٢٦ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (هـ هـ) .

(٤١) كذا فى المتن بالدال المهملة ، والصحيح بالزاى المعجمة ؛ راجع ما فات هنا من قبل ؛ هـ ٢٨ بهذا الفصل .

(٤٢) الدرة المضية ، ص ١٢٦ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (وو) .

وصول هؤلاء المشايخ ، وأن دمشق خلت من يتحكم فيها ».

(ز ز) ثم يقول الدواداري مباشرة : « ولما قتل جعفر بن فلاح فاتكا ، عول على قلع بنى عقيل من حوران والبثنية . فأنفذ إليهم مرة وفزارة ليقلعهم من الديار ، وبعث خلفهم عسكرا من المغاربة . فلما التقى القوم ، كانت عقيل أقوى من مرة وفزارة ، فأنجدتهم المغاربة ، فانهزم العقيليون ، فتبعوهم إلى أرض حمص ، ثم رجعوا عنهم ، فمالوا إلى جبل سنير فنهبوا . . . ثم نزلوا إلى الغوطة فجالوا فيها ، فخرج أهلها فمنعوهم النهب ، فساروا حتى نزلوا على نهر يزيد نحو الدكة ومعهم ما نهبوه من جبل سنير ، فثار بهم أهل البلد فقاتلوهم . . . وأهزموهم عن دمشق (٤٣) » . والنص يفيد هنا أن ابن فلاح عمد إلى القضاء على بنى عقيل فى حوران والبثنية بعد أن قتل فاتكا ، وأنه أنفذ إلى بنى عقيل مرة وفزارة وعسكرا من عنده فهزموهم حتى أرض حمص ، ثم رجعوا عنهم فوصلوا إلى جبل سنير ، ثم نزلوا على الغوطة فتصدى لهم أهلها ، ثم ساروا حتى نزلوا نحو الدكة فثار بهم أهل دمشق وقاتلوهم وأهزموهم عنها .

(ح ح) ويقول الدواداري فى إثر ذلك : « فلما كان لثمان خلون من ذى الحجة من هذه السنة [أى ٣٥٩ هـ] ، أقبلت طلائع ابن فلاح ، فخرجت الناس إليهم مستعدين للحرب فى خيل ورجل ، فاقتتلوا يومهم ذلك بأجمعه ، ثم انصرفوا ، ثم كانت بينهم حروب شديدة . . . وأهل دمشق صابرون . . . وأصبح القتال إلى يوم عيد الأضحى . . . الخ (٤٤) » . وأهم ما نخرج به من هذا النص

---

(٤٣) الدرة المضية ، ص ١٢٦ — ١٢٧ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (ز ز) .

(٤٤) نفس المصدر ، ص ١٢٧ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (ح ح).

هو قدوم طلائع ابن فلاج إلى دمشق فى ٨ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ - كما يحدد - ومن ثم بدأ القتال بين قوات ابن فلاح والدماشقة .

(ط ظ) ويقول الدوادارى بعد قليل : « وكان لما انهزمت أهل دمشق من المغاربة ، خرج ابن أبى يعلى إلى الغوطة ، ثم طلب البرية يريد بغداد يستصرخ بالخليفة على المغاربة ، حتى إذا صار نحو تدمر لحقه ابن عليان العدوى فأخذه ورده إلى جعفر بن فلاح ، فشهره فى عسكره على جمل ، ثم حمل إلى مصر . وكان محمد بن عصودا انهزم وخفى أمره ، وتوصل حتى صار إلى الأحساء إلى القرامطة ... وكان قد صار إليهم قبل محمد بن عصودا ظالم العقيلى لما انهزمت بنو عقيل أولا من حوران ، وكان يحثهم على المسير إلى الشام ؛ وردفه ابن عصودا ؛ فوقع ذلك منهم بالموافقة (٤٥) » . ويستدل من هذا النص على هروب ابن أبى يعلى بعد هزيمة الدماشقة والقبض عليه عند تدمر ورده إلى ابن فلاح ، وأن محمد بن عصودا هرب من دمشق إلى القرامطه بالأحساء ، وأن ظالما العقيلى كان قد سبق ابن عصودا فى التوجه إلى القرامطة لما انهزمت بنو عقيل من حوران .

هذه هى روايتا الدوادارى والمقريزى عن وقائع حوران البثنية وما سبقها وما تلاها من أحداث ترتبط - أو يبدو أنها ترتبط - بها . ولعل أول ما نلاحظه على هاتين الروايتين هو انفراد الدوادارى والمقريزى دون بقية القدامى بتسجيل الأحداث التى انتظمتهما ، كما نلاحظ اتفاقا فى عملية السرد وتتابعها بجانب اختلاف بعض التفاصيل .

---

(٤٥) الدرة المضية ، ص ١٣٢ ؛ وسوف نشير إلى هذا النص فى التحليل على أنه رقم (ط ظ).

وقد كنا أشرنا هنا - كما خلصنا فى الفصل السابق (٤٦) - إلى أن فتح طبرية تم فى شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، كما أن فتح دمشق تم على مرحلتين ، أولاهما فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ وثانيهما فى ذى الحجة من نفس السنة . وما يذكره المقريزى (٤٧) يؤيد ما أخذنا به عن ابن تغرى بردى من أنه رحل من دمشق إلى الرملة بعد الفتح الأول فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ (٤٨) فى تاريخ من الصعب تحديده على وجه الدقة ، إذ ليس من المنطقى أن يدخل ابن فلاح الشام من مصر فى شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ وتستغرق منه الأمور أكثر من ستة أشهر لكى يستولى على أول مدينة تذكرها المصادر جميعا - وهى الرملة - فى منتصف رجب من نفس السنة كما يذكر الدوادارى (٤٩) والمقريزى (٥٠) ، خاصة وأن هذه المصادر جميعا - ومن بينها الدوادارى والمقريزى - لم تذكر شيئــا عن أية مقاومة لاقاها ابن فلاح وهو فى طريقه إليها . وما أورده المقريزى (٥١) يمدنا بالتفسير المنطقى لتتابع الأحداث حين ذكر أن ابن فلاح أقام بالرملة يتتبع ما كان لابن طغج وأصحابه . أى أن ابن فلاح بعد الفتح الأول لدمشق ، رحل عنها إلى الرملة لهذا السبب ذاته ، وإن دل هذا على شىء فإنما يدل - مرة أخرى - على تداخل الأحداث عند الدوادارى والمقريزى فى هذا الصدد .

---

(٤٦) راجع ما قبله ، ص ٢٥١ ، ٢٧٦ — ٢٧٩ .

(٤٧) فى : (ب) .

(٤٨) النجوم ، ج ٤ ، ص ٣٢ — ٣٣ ؛ وانظر ما فات هنا من قبل ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٤٩) فى : (د د) .

(٥٠) فى : (أ) .

(٥١) فى : (ب) .

ويبدو من المنطق أيضا - على هـذا - أن ما ذكره الدوادارى (٥٢) والمقريزى (٥٣) من انتقال ابن فلاح من الرملة إلى طبرية بعد ذلك مباشرة إنما حدث بعد الوقائع التى أشرنا إليها الآن ، بمعنى أنه ارتأى تمكين سيطرته على الأماكن التى كان لا يزال يشغلها أتباع الإخشيدية ، فبدأ بطبرية وعليها فاتك غلام ملهم العقيلى (٥٤) ، فنزل على جسر الصنبرة (٥٥) جنوبى بحيرة طبرية استعداداً للقضاء على نفوذ العقيليين هنـاك ، وما ذكره الدوادارى (٥٦) من مراسلة ابن فلاح لفاتك يتلاءم وتسلسل الأحداث التى أشار إليها بقية القدامى من إقامة الدعوة للمعز فى طبرية قبل أن يصل إليها ابن فلاح فى التاريخ الذى أخذنا به ترجيحا وهو شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، فكان سقوطهـا بدون قتال ، ثم ما ذكره الدوادارى أيضا (٥٧) من مخادعة ابن فلاخ لفاتك ثم قتله يتناسب وما نأخذ به من وقوع الأحداث فى فترة تبعد عن تاريخ استيلاء ابن فلاح على طبرية دون قتال فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، خاصة وأن الدوادارى (٥٨) والمقريزى (٥٩) يذكران فى توالى الأحـداث بعد ذلك أن مشايخ دمشق وصلوا إلى ابن فلاح وهو بطبرية فى نفس اليوم الذى قتـل فيه

---

(٥٢) فى : (د د) .

(٥٣) فى : (ج) .

(٥٤) راجع : (د د) ، (هـ هـ) ، (ج) ، (د) .

(٥٥) راجع : هـ ٣٧ بهذا الفصل .

(٥٦) فى : (د د) .

(٥٧) فى : (د د) ، (هـ هـ) .

(٥٨) فى : (و و) ، (ز ز) ، (ح ح) .

(٥٩) فى : (هـ) ، (و) ، (ح) .

قاتك ، وأن ابن فلاح سير فزارة ومرة وجانبا من عسكره للإيقاع ببنى عقيل فى حوران والبثنية ، فغلب هؤلاء عليهم ثم طاردوهم حتى أرض حمص وبعدها نزلوا على دمشق ، ثم يذكران وصول طلائع ابن فلاح فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ .
وقد كنا أثبتنا من قبل (٦٠) قيام ثورة ثالثة بدمشق بزعامة الشريف ابن أبى يعلى فى الثانى من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، رجع بعدها ابن فلاح من الرملة - على حد قول ابن تغرى بردى - فى شهر ذى الحجة ٣٥٩ هـ (٦١) أو من طبرية على التحقيق كما يدل مسار الحوادث هنا ، ثم استرجع دمشق بصفة نهائية فى يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ (٦٢) ؛ وكل ذلك يدل على أن أحداث طبرية وحوران والبثنية التى ذكرها كل من الدوادارى والمقريزى إنما أتت تالية أولا لفتح دمشق أول مرة ، وبعد رجوع ابن فلاح إلى الرملة ليستولى على بقية أملاك ابن طغج وأصحابه هناك ، وليس كما ذكرا فى روايتيهما من تتابع هذه الأحداث منذ سقوط الرملة فى منتصف رجب سنة ٣٥٩ هـ - كما يقولان - إلى استيلاء ابن فلاح على دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ .

ويعزز هذا أيضا ما كان ذكره ابن الأثير من إحجام المغاربة عن أهل دمشق بعد ثورتهم الثانية فى المحرم سنة ٣٥٩ هـ وبقاء الوضع على ما هو عليه حتى مراسلة ابن أبى يعلى لابن فلاح وانتهاء الأمر بالصلح الذى عقد بين الطرفين فى يوم الخميس ١٦ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ودخول ابن فلاح دمشق حيث صلى بجامعها فى يوم الجمعة ١٧ منه (٦٣) ، وهو ما تفسره رواية الصفدى

(٦٠) راجع مافات هنا من قبل ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٨ .

(٦١) راجع مافات هنا من قبل ، ص ٢٦٤ .

(٦٢) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٢٧٩ .

(٦٣) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ ؛ وانظر ما فات هنا من قبل ، ص ٢٥٩ - ٢٦٣ .

عن ثورة ابن أبي يعلى في يوم الخميس الثاني من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ وخلعه طاعة المعز وإعلان الخطبة للمطيع العباسي ولبسه السواد (٦٤) ؛ ولعل هذا يفسر أيضا ما ذكره كل من الدواداري (٦٥) والمقريزي (٦٦) من خلو دمشق من السلطان وحلول الفوضى بها وقت وفود مشايخ دمشق على ابن فلاح وهى بطبرية ؛ ويشرح هذا أيضا تلك الحلقة المفقودة في نص ابن الأثير الذى قفز بالأحداث مباشرة بعد ذكره كف المغاربة عن أهالى دمشق بعد ثورتهم الثانية في المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، فقد قال : « ومشى الناس إلى الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى ، فطالبوا منه أن يسعى فيما يعود بصلاح الحال ، ففعل ودبر الحال (٦٧) » . ولا نشك الآن في أن ابن أبي يعلى أنفذ هؤلاء الشيوخ الذين قابلوا ابن فلاح بطبرية ، ثم توالت الأحداث بالصورة التى بيناها في الفصل السابق وإن كان ابن الأثير قد أغفل تماما أحداث تلك المرحلة الثانية من فتح دمشق واكتفى بذكره وقوع الصلح في يوم الخميس ١٦ من ذى الحجة ، ودخول ابن فلاح دمشق في يوم الجمعة ١٧ منه (٦٨) . وهذا يؤدى بنا إلى أن نحدد تاريخ وصول هذا الوفد من دمشق إلى طبرية في حدود اليوم الرابع من شهر ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، وهو التاريخ الذى نرجح — على هذا الأساس — أنه تم فيه قتل فاتك غلام ملهم ، أى بعد قيام ابن أبي يعلى بإعادة الخطبة العباسية في الثاني من ذى الحجة كما يذكر الصفدى ، كما يحدد هذا أيضا — وبصورة منطقية — توالى الأحداث

---

(٦٤) راجع الهامش رقم ٦٠ بهذا الفصل .

(٦٥) ق : (و و) .

(٦٦) ق : (و) .

(٦٧) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ .

(٦٨) نفس المصدر .

بعد ذلك حين أنفذ ابن فلاح فزارة ومرة وقطعة من جيشه للإيقاع ببني عقيل في حوران والبثنية ، ثم نزول هذه الجماعات وطلائعه على دمشق في التاريخ الذى أخذنا به من قبل وهو الأربعاء الثامن من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، بينما جاء ابن فلاح ونزل الشماسية جنوبى دمشق فى يوم السبت ١١ من ذى الحجة منه كما أثبتنا أيضا (٦٩) .

ولا يغير من الأمر شيئا ما اختلف فيه الدوادارى (٧٠) والمقريزى (٧١) عن المخاطبات والمراسلات التى تمت بين الفاطميين وأتباع الإخشيدية فى الشام، وهل جرت قبل دخول ابن فلاح الشام أو بعده ، أو ما إذا كانت هذه المراسلات قد جاءت من قبل جوهر وحده أو ابن فلاح نفسه أو منهما معا . كما أن ما ذكراه عن شمول - نائب ابن طغج بدمشق - لا يغير من الأمر شيئا بنفس الدرجة ، فالنصوص لدى الدوادارى تشير إلى مكاتبة شمول لجوهر فى الوقت الذى كان فيه ابن طغج بالرملة مترقبا وصول جيوش الفاطميين (٧٢) ، وإلى تقاعد شمول - على هذا - عن تسيير العساكر إلى ابن طغج كطلبه (٧٣) ، كما تبين أن شمولا قد سار من دمشق إلى ابن فلاح بطبرية قبل أن يصل إليه مشايخ دمشق (٧٤) ؛ أما المقريزى فهو يذكر أيضا تقاعد شمول عن تنفيذ طلب

---

(٦٩) راجع ما قبله ، ص ٢٦٤ ، ٢٧٨ .

(٧٠) ف : (ب ب) ، (جـ جـ) ، (د د) ، (هـ هـ) .

(٧١) ف : (أ) .

(٧٢) ف : (أ أ) .

(٧٣) ف : (جـ جـ) .

(٧٤) ف : (و و) .

ابن طغج (٧٥)، كما يشير إلى خروج شمول من دمشق إلى ابن فلاح وهو بطبرية فى تاريخ سبق مسير شيوخ دمشق إلى ابن فلاح وهو بطبرية أيضا(٧٦). ولا يعنى هذا إلا أن شمولا كان لا يزال بدمشق حتى التاريخ الذى أخذنا به لتحديد ثورة دمشق الثالثة فى الثانى من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ، وهو التاريخ الذى أورده الصفدى - كما مر بنا (٧٧) - لقطع ابن أبى يعلى دعوة المعز ولبسه السواد وخطبته المطيع العباسى (٧٨)، هذا على الرغم مما اضافه الدكتور المنجد - محقق الصفدى - عن ابن عساكر من مغادرة شمول لدمشق فى سنة ٣٥٨ هـ بعد أن أناب عنه بها غلامه إقبالا لمحاربة ابن فلاح (٧٩)، وهو ما لم نأخذ به فيما مر بنا فى الفصل السابق (٨٠).

ومن المعقول أن نفسر كل هذا بأن شمولا - الذى كان على اتفاق مع جوهر قبل دخول ابن فلاح الشام - قد بقى فعلا بدمشق نائبا عن ابن فلاح نفسه بعد رحيله عن دمشق إلى الرملة للاستيلاء على ممتلكات ابن طغج وأصحابه، وأنه - أى شمول - لم يتمكن من المكوث بدمشق بعد الثورة الثالثة فى ٢ ذى الحجة ٣٥٩ هـ، فخرج منها فى نفس اليوم على الأرجح متوجها إلى طبرية، فوصل إليها قبل مجىء وفد دمشق. ولا يكاد يتعارض هذا وما ذكره ابن تغرى بردى من إخراج ابن أبى يعلى فى ثورة دمشق الثالثة لإقبال - غلام

---

(٧٥) ق : (أ).

(٧٦) ق : (و).

(٧٧) راجع ما قبله، ص ٢٧٢.

(٧٨) امراء دمشق، ص ٦٧.

(٧٩) نفس المصدر، ص ١١.

(٨٠) راجع ما قبله، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

شمول ـ عن دمشق والذى ينص على أنه كان عليها من قبل جوهر (٨١) ، إذ قد يفسر هذا على أن شمولا نفسه خرج من دمشق قبل اليوم الثانى من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ـ يوم الثورة الثالثة ـ مخلفا بدلا منه إقبالا غلامه ، فأخرجه بالتالى ابن أبى يعلى فى التاريخ الذى ذكرناه الآن . ولكن ذلك ـ فى رأينا ـ بعيد الاحتمال لنفس السبب الذى ذكرناه من قبل عن إقبال من استبعاد وجود واليين على دمشق فى وقت واحد أحدهما ابن فلاح نفسه (٨٢) ، إلا إذا أخذنا فعلا باستنابة ابن فلاح لشمول على دمشق عند رحيله عنها إلى الرملة بعد الفتح الأول لدمشق . وأخيرا ، قد يمكن تبرير وصول شمول إلى ابن فلاح وهو بطبرية بأن شمولا بقى فى دمشق متخفيا أو معزولا عن إمرة دمشق بعد الفتح الأول ، ثم خرج منها إلى ابن فلاح بعد أمور لم تشر إليها المصادر ، خاصة وأن المقريزى نفسه يذكر أن شمولا وصل إلى مصر مستأمنا فى جمادى الآخرة سنة ٣٦٠ هـ (٨٣) ـ أى بعد وروده على ابن فلاح ـ ويعقل أن يصل إلى ابن فلاح بطبرية أو إلى جوهر بمصر مستأمنا من يكون نائبا عن أحدهما بدمشق فى تلك الآونة ، إذ ربما شارك شمول فى إرهاصات الثورة الثالثة بزعامة ابن أبى يعلى ، ونما ذلك إلى علم ابن فلاح وهو بطبرية ـ إذ كان الوجود الفاطمى لا يزال قائما بدمشق كما أثبتنا من قبل (٨٤) ـ ثم وجد شمول فى الفوضى التى تسبب عنها حمل السلاح ما دفعه إلى توقع فشل هذه الثورة وعدم

---

(٨١) النجوم ، ج ٤ ، ص ٣٣ .

(٨٢) راجع ما قبله ، ص ٢٧٣ .

(٨٣) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

(٨٤) راجع ماقبله ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

استبعاد تدخل ابن فلاح مرة ثانية . ومن البديهى ألا يسكت ابن فلاح عن ولاة الإخشيدية فى الأماكن التى فتحها إلا لحين يتمكن منها ، وهى السياسة التى تجلت فى قتله لفاتك غلام ملهم وقضائه على نفوذ بنى عقيل فى حوران والبثنية، وهذا مايعزز ما ذهبنا إليه أولا من ترجيح بقاء شمول نائبا عن ابن فلاح بدمشق بعد أن أظهر ولاءه للفاطميين قبل دخول ابن فلاح الشام عن طريق المكاتبات التى كانت بينه وبين جوهر كما بين الدوادارى ، ثم ترجيح عزله كسياسة اتبعها ابن فلاح فى القضاء على نفوذ فلول الإخشيدية بالشام ومن ثم انغماسه فى مقدمات ثورة دمشق الثالثة ثم انسلاخه عنها .

ويتصل بكل هذا ما انفرد به أيضا الدوادارى والمقريزى عن مقتل فاتك غلام ملهم . فرواية المقريزى عن هذه الواقعة (٨٥) فيها من الاضطراب ما حذا بالدكتور الشيال – محقق اتعاظ الحنفا – إلى التعليق عليها بالكلام الذى ذكرناه فى موضعه (٨٦) ؛ وتعليق المحقق هنا مناسب للمقـام ، إلا أن الدوادارى (٨٧) يمدنا بالتتابع المعقول لواقعة قتل فاتك – بغض النظر عن ترتيب الأحداث لديه وعند المقريزى ، فيما يتصل بتاريخ سقوط كل من الرملة وطبرية ، وهو ما لم نأخذ به – وفى روايته إثبات لعدم وجود ملهم نفسه فى طبرية ، إذ أن الأحداث التالية تشير عنده إلى وجود ملهم فى حوران (٨٨) ، وهـو نفس

---

(٨٥) فى : (ج) ، (د) .

(٨٦) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٣٥٢ – ٣٥٣ [فى تفسير (د)] .

(٨٧) فى : (د د) ، (هـ هـ) ، (و و) ، (ز ز) .

(٨٨) راجع : (هـ هـ) .

ما يذكره المقريزى فى بعض روايته المضطربة (٨٩) . ولا يقابل هـذا من قيمة النصين اللذين أوردهما ابن الأثير وابن خلدون وذكرا فيهما أن جعفر بن فلاح لما توجه إلى طبرية بعد استيلائه على الرملة رأى ملهما - وهو عندهما ابن ملهم - قد أقام الدعوة للمعز ، فسار عنها ابن فلاح إلى دمشق (٩٠) ؛ ولا نرى ثمـة تعارضا فى هذا ، فالذى أخذنا به هو استيلاء ابن فلاح على الرملة فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، وهو نفس الشهر الذى دانت فيه طبرية بالطاعـة للفاطميين ، وما بين هذا التاريخ وتاريخ رجوع ابن فلاح إلى لرملة ثم إلى طبرية كما أثبتنا أيضا يكون ملهم إما قد سار عن طبرية إلى حوران مخلفا وراءه فاتكا غلامه نيابة عنه بها ، أو كان فى حوران نفسها بينما فاتك بطبرية نيابة عن كافور الإخشيدى ، كما يذكر الدواداري (٩١) والمقريزى (٩٢) ، أى أن كافورا - قبل وفاته - ولى فاتكا على طبرية ، وهو غلام لملهم - أحد ولاة الإخشيدية فى حوران والبثنية - ومن المنطق ألا يصدر عن التابع شىء إلا باسم المتبوع ، وهو ما يفسر روايتى ابن الأثير وابن خلدون من إقامة الدعوة للمعز بطبرية ، بمعنى أن ما صدر عن فاتك من إقامة هذه الدعوة إنما كان باسم ملهم مولى فاتك ، وهو الأرجح لدينا .

ويتصل بهذه الأحداث أيضا ما انفرد به الدواداري والمقريزى مرة أخرى فيما ذكراه عن كل من محمد بن عصودا وظالم بن موهوب العقيلى . فالمتتبـع النصوص لديهما يجد تعارضا فى تحديد المكان الذى كان فيه ظالم بالذات وقت

---

(٨٩) راجع : (د) .

(٩٠) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٣ ؛ العبر ، ج ٤ ، ص ٤٨ (على التوالي) .

(٩١) فى : (د د) .

(٩٢) فى : (م) .

أحداث حوران والبثنية ووقائع الفتح الثانى لدمشق . فما ذكره الدوادارى عن بنى عقيل كولاة للإخشيدية بحوران والبثنية يدل على وجود كل من ملهم وظالم بن موهوب بهذه الجهات فى الوقت الذى قتل فيه فاتك غلام ملهم وقبل إنفاذ ابن فلاح مرة وفزارة وجانبا من عسكره لمحاربة بنى عقيل هناك (٩٣) ، كما يدل كلامه على وجود محمد بن عصودا بدمشق إبان وقائع الفتح الثانى لدمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، إلى جانب إشارته مرة أخرى إلى وجود ظالم فى حوران وقت هزيمة بنى عقيل بها (٩٤) . فى حين نجد لدى المقريزى تناقضا فى نصوص روايته ، فهو يذكر أولا ما يشير إلى وجود ملهم وظالم بن موهوب فى حوران قبل أن يأتى على خبر اغتيال فاتك غلام ملهم (٩٥) ؛ ثم يذكر ثانيا محمد بن عصودا كواحد من رؤساء دمشق عندما نشب القتال بين أهل دمشق وابن فلاح فى الفتح الثانى لدمشق (٩٦) ؛ بينما يشير فى الوقت نفسه إلى ما يفهم منه وجود محمد بن عصودا وظالم بن موهوب فى حوران والبثنية وقت هزيمة بنى عقيل بها (٩٧) ، ويذكر أخيرا ما يدل على وجود محمد بن عصودا وظالم ابن موهوب بدمشق لما استولى ابن فلاح على دمشق فى الفتح الثانى (٩٨) .

ولا شك فى الخلط الذى وقع فيه المقريزى فيما يتعلق بالمكان الذى كان فيه

---

(٩٣) في : (هـ هـ) ، (ز ز) .

(٩٤) في : (ط ط) .

(٩٥) في : (د) .

(٩٦) في : (ز) .

(٩٧) في : (ح) .

(٩٨) في : (ط) .

محمد بن عصودا وظالم بن موهوب حين دارت الوقائع فى كل من حوران ودمشق فى تلك الآونة . والنصوص صريحة لدى الدوادارى فى تحديد وجود كل من هاتين الشخصيتين ، فالأول كان بدمشق حين استولى ابن فلاح عليها فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، بينما كان الثانى فى حوران وقت أن دارت المعارك بين بنى عقيل وبين فزارة ومرة ، وما ذكره الدوادارى يتفق ومنطق الأحداث ووقوعها فى هذين المكانين ، وهو يؤكد ما ذكره الدوادارى أيضا من أن ظالما العقيلى قد توجه إلى القرامطة بالأحساء يحثهم على المسير إلى الشام ، ولما انهزمت بنو عقيل أولا من حوران . . . وردفه ابن عصودا (٩٩) ، الذى انتقم لمقتل أخيه إسحق بعد الفتح الثانى لدمشق كما يذكر المقريزى نفسه (١٠٠) ، وهو الذى سبق أن أشار أيضا إلى محمد بن عصودا كواحد من رؤساء دمشق فى تلك الآونة ، فى حين ألمح بالمثل إلى ظالم بن موهوب كواحد من ولاة بنى عقيل على حوران والبثنية من قبل الإخشيدية ، وهو ما كنا ذكرناه منذ قليل .

ومن الممكن أن نفسر ما وقع فيه المقريزى من خلط فى هذا الصدد وفى غير ذلك من المواضع التى مر بنا ذكر البعض منها ومالم نذكره ، بأن المقريزى كان قد انتهى من مسودة كتابه ولم تتح له الفرصة لإعادة صياغتها وترتيبها ، ومما يدل على هذا كثرة البياض بأصل مخطوطة اتعاظ الحنفا مما يشير إلى أنه كان سيضيف معلومات أخرى مكان الأسطر التى تركها بدون كتابة .

---

(٩٩) راجع : (ط . ط) .

(١٠٠) فى (ح) .

وقد أشار إلى بعض هذا الدكتور الشيال محقق الجزء الأول من الاتعاظ عن مخطوطة طوب قبو سراى (١٠١).

ولا نترك هذا الجانب من الموضوع دون أن نشير أيضا إلى الاختلاف الذى وقع فى روايتى الدوادارى والمقريزى فى ذكرهما ولاة بنى عقيل من قبل الإخشيدية فى حوران والبثنية فى ذلك الوقت ، فهم عند الدوادارى مروان وظالم وملهم (١٠٢) ؛ بينما استبدل المقريزى بمروان شبيبا إلى جانب ظالم وملهم (١٠٣) . ولكن هذا الاختلاف سواء كان الاسم مروان أو شبيبا لن يغير شيئا فيما نحن بصدده من دراسة حول الموضوع ، إذ أن كل ما يهمنا هو ما حاولنا إثباته من وقوع أحداث حوران والبثنية فى الفترة الواقعة بين مقتل فاتك - والذى رجحنا تاريخا له بالرابع من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ - ونزول ابن فلاح بالشماسية فى التاريخ الذى أثبتنا أنه يوافق يوم السبت الحادى عشر من نفس الشهر (١٠٤) ؛ وفى كل هذا دلالة على انبساط النفوذ الفاطمى على المنطقة الجنوبية من جند دمشق التى يقع فيها إقليم حوران (١٠٥) بطريق التبعية أولا ثم بطريق السيف ثانيا ، وهو ما يمكن أن نستخلصه من النصوص التى أوردها كل من الدوادارى والمقريزى فى هذا الصدد والتى مرت بنا هنا منذ قليل .

---

(١٠١) راجع على سبيل المثال من تعليقات الدكتور الشيال فى هذا الصدد : اتعاظ الحنفا ء ج ١ ، ص ١٢٧ ، ١٨ .

(١٠٢) فى : (٨٨) .

(١٠٣) فى : (د) .

(١٠٤) راجع فى هذا التاريخ ما فات هنا من قبل ، ص ٢٧٨ .

(١٠٥) راجع خريطة أجناد الشام .

هذا ، وتشير النصوص التى أوردناها هنـــا أيضا عن الدوادارى (١٠٦) والمقريزى (١٠٧) إلى اكتساح العرب من فزارة ومرة الموالين للفاطميين وكذلك العساكر المغاربة التى أنفذها معهم ابن فلاح فى جند دمشق إلى أقصى الشمال منه حتى شارفوا أرض حمص . ولكن روايتهما لا تعنيان تمكن هذا النفوذ فى تلك الأماكن ، إذ لا يمثل ذلك سوى مجرد غارة شنها العرب والمغـــاربة فى ملاحقتهم لبنى عقيل حتى هذه الجهات ، أى أن الأماكن الواقعة إلى الشمال من دمشق وحتى جند حمص - حيث أملاك إمارة حلب الحمدانية فى الجنـوب - لم تشهد انبساط النفوذ الفاطمى عليها بصورة فعليـــة وذلك حتى استقرار الأمر للفاطميين بدمشق بعد ١٧ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، وهو تاريخ استيـــلاء ابن فلاح على المدينة فى آخر الأمر ، ومن الممكن تحديد الاعتراف بتلك السيطرة فى الأطراف الشرقية والشمالية منها فى جنـد دمشق بشهر المحـرم سنة ٣٦٠ هـ ، وهو تاريخ القبض على ابن أبى يعلى فى نفس الشهر عند مدينة تدمر - الواقعة بجند حمص - كما تشير بعض النصوص (١٠٨) .

أما عن إمارة الحمدانيين فى الشمال ، فلا تشير المصادر جميعها أية إشارة تدل على أى نوع من الاحتكاك الحربى بين القوة الغازية الجديدة وبين الحمـدانيـين فى جندى حمص وقنسرين . ولكن هذه المصادر تشير إلى نوع من التبعية الإسمية دان بها الحمدانيون للفاطميين فى عام ٣٥٩ هـ . فبعد عصيان قرعويه - غلام سيف الدولة - على أبى المعالى ابن سيده فى عام ٣٥٧ هـ ، فى الوقت الذى كان فيه

---

(١٠٦) فى : (ز ز) .

(١٠٧) فى (و) .

(١٠٨) راجع : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٣ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ص ٤٨ .

أبو المعالى بميافارقين ثم عودته إلى حلب فى رمضان سنة ٣٥٨ هـ استعدادا لمقاتلة قرعويه ـ وهو ما كنا أشرنا إليه من قبل (١٠٩) ـ تذكر المصادر مثل ابن الأثير (١١٠) وأبى الفدا (١١١) وابن كثير (١١٢) والمقريزى (١١٣) وقوع الصلح بين قرعويه وأبى المعالى فى عام ٣٥٩ هـ ، وينفرد ابن الأثير بتحديد التاريخ بشهر ربيع الآخر من السنة . إلا أن ابن تغرى بردى (١١٤) ينفرد كذلك بتحديده شهر ربيع الأول من عام ٣٦٠ هـ تاريخا لوقوع هذا الصلح بينهما . وقد ربط جميع من ذكرنا الآن من القدامى بين هذا الصلح وبين إقامة كل من أبى المعالى وقرعويه الخطبة للمعز العلوى فى حمص وحلب وأعمالهما ، بينما لم يذكر ابن تغرى بردى سوى حلب .

ومن المعقول أن نأخذ بالتاريخ الذى ذكره القدامى وخالفوا فيه ابن تغرى بردى ليكون هو التاريخ الأرجح لاعتراف الحمدانيين فى الشام بهذه التبعية الإسمية للفاطميين ، إذ أن الحوادث التى شهدتها بلاد الشام فى ذلك الوقت تؤيد هذا الاتجاه . فقد رأينا من قبل أن ابن فلاح كان قد أنفذ حملة بقيادة غلامه فتوح إلى أنطاكية فى ربيع الأول سنة ٣٦٠ هـ (١١٥) ، وقد يبدو الوهلة الأولى

(١٠٩) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٠٢-١٠٣

(١١٠) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤١ .

(١١١) المختصر ، ج ٢ ، ص ١١١ .

(١١٢) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٨ .

(١١٣) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

(١١٤) النجوم ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

(١١٥) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٤٦ ، ٢٨٥ .

أن هذا يعزز ما قال به ابن تغرى بردى وينفى - بالتالى - روايات بقية القدامى، إلا أن إنفاذ مثل هذه الحملة التى قطعت الطريق إلى انطاكية مارة بجندى حمص وقنسرين - حيث إمارة حلب الحمدانية - كان يتطلب بلا شك نوعا من الوفاق بين الفاطميين والحمدانيين حتى لا تلق ما يعوقها فى مسيرها على شكل مصادمات لابد وأن تقع بينها وبين الحمدانيين ، خاصة وأن الاتفاقيـــة التى فرضها البيزنطيون على حلب فى صفر سنة ٣٥٩ ﻫ (١١٦) (ديسمبر سنة ٩٦٩ م) تنص فى بعض بنودها على أنه « إن ورد عسكر إسلامى يريد غزو الروم منعه قرعويه ، وقال له : امض من غير بلدنا ، ولا تدخل بلد الهدنة ، فإن لم يسمع أمير ذلك الجيش ، قاتله ومنعه . وإن عجز عن دفعه ، كاتب ملك الروم . . . لينفذ إليه من يدفعه (١١٧) » . ولا تشير المصادر العربية القديمة أو مراجع التاريخ البيزنطى إلى استنجاد قرعويه بالبيزنطيين فى الوقت الذى عبر فيه الجيش الفاطمى بقيادة فتوح أراضى الإمارة الحمدانية بهدف الاستيلاء على أنطاكية من يد الروم . هذا علاوة على أن تجهيز مثل هذه الحملة كان يتطلب الوقت الكافى لإعدادها حتى تسير وهى فى كامل عدتها ومعها آلات الحصار التى نصبت حول أنطاكية ، فهى لم تكن مجرد جيش يسير فى عدة خفيفة - مثل السرية التى أنفذها ابن فلاح إلى الإسكندرونة (١١٨) - وهو ما يدل عليه ما ذكره القدامى من حصار أنطاكية ، واستمراره خمسة شهور . وبالإضافة إلى كل هذا ، فقد مر بنا أن ابن فلاح كان مشغولا فى الفترة من المحرم سنة ٣٥٩ ﻫ إلى ذى الحجة

---

(١١٦) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٢٨ .

(١١٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(١١٨) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ١٤٦ ، ٢٨٦ .

منها بأحداث دمشق وما جرى بين هذين التاريخين من وقائع فى الرملة وطبرية وحوران والبثنية ، ولو لم يكن هناك نوع من المهادنة - وهو ما يمثله هنا تلك التبعية التى أعلنها كل من أبى المعالى وقرعويه - بين الحمدانيين والفاطميين حتى شهر ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، وهو الشهر الذى شهد أحداث حوران والبثنية وانسياح السرايا الفاطمية مع عرب فزارة ومرة حتى مشارف أرض حمص فى تعقبهم لفلول بنى عقيل - لما صدهم ذلك فى أغلب الظن عن عبور حدود جند حمص وشن مجرد غارة على الأراضى الجنوبية لإمارة حلب الحمدانية . وهذا يعنى أن ابن فلاح - بعد أن وصلته بلا شك أنباء اعتراف الحمدانيين بالتبعية للفاطميين - كان يترقب الفرصة المواتية للاحتكاك المباشر بالبيزنطيين ، ولم يتأت له ذلك إلا بعد أن خطب الحمدانيون للمعز فى إمارتهم مما أتاح له الفرصة أخيراً لإنفاذ حملة فتوح صوب أنطاكية دون عائق يصدها فى الطريق إليها .

ولا يحتمل أن ينهض ابن فلاح سريعا فى نفس الشهر والسنة اللذين أعلن فيهما أبو المعالى وقرعويه الخطبة للمعز فى حلب - مثلما نص ابن تغرى بردى على إقامتها - وينفذ جيوشه بعتادها الثقيل إلى أنطاكية للأسباب التى أوردناها الآن ، وإنما المعقول أن يتهيأ لذلك خلال فترة شهدت أحداثا منعته من التعجيل بإنفاذ تلك الحملة . وقد هيأ لنا المستشرق كنار Canard تبريرا آخر معقولا للأخذ بما أورده غير ابن تغرى بردى من القدامى ، اذ هو يفسر ذلك أيضا بتواصل حصار الفاطميين لأنطاكية بدون مقاومة (١١٩) . ولا شك أن المقصود بذلك هو أولا امتناع الحمدانيين عن التعرض للجيش الفاطمى المحاصر

(١١٩) Hist. de la Dyn. de Hamd., p. 679.

لأنطاكية بقيادة فتوح للأسباب التى ذكرناها أيضا ؛ وثانيا لاقتصار البيزنطيين على مدافعة الحصار الفاطمى من داخل أنطاكية نفسها وعدم انجادها من الخارج إلا بما كان يسير إليها من إمدادات من الإسكندرونة (١٢٠) ، إذ كانوا مهتمين بالدرجة الأولى بصراعهم ضد الروس فى حدودهم الشمالية (١٢١) .

كما تهيء لنا قصة القبض على الشريف ابن أبى يعلى عند تدمر وهو يشتد هاربا إلى بغداد ، شاهداً آخر على ما كان عليه الفاطميون والحمدانيون من وفاق فى تاريخ سابق على شهر ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، إذ تقع تدمر - كما هو معروف فى بادية الشام بجند حمص حيث ممتلكات الحمدانية فى جنوب إمارتهم ، وإلا كان الشريف ابن أبى يعلى فى جوار الحمدانيين أو لاجئا إليهم كما تقول بلغة العصر ، ولما أتيح لابن فلاح أن يضع يده عليه .

وعلى هذا ، يكون التاريخ الذى حدده ابن الأثير ، وهو ربيع الآخر سنة ٣٥٩ هـ ، هو التاريخ الأرجح لإعلان الخطبة للمعز بكل من حمص وحلب

---

(١٢٠) قارن : المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

(١٢١) Finlay, History of the Byzantine Empire, pp. 320 et seq. ; Vasiliev, L'Empire Byzantine, pp. 422 - 3 ; Diehl et Marçais ; Le Monde Oriental, pp. 471 - 2 ;
أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٤ ؛ رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٤٦ — ٤٧ ؛
Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 261 - 2 ;
أرشيبالد لويس ، القوى البحرية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ص ٣٠٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (بدون تاريخ ؛ عمر كمال ، مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٤١ — ٤٢ ؛ وله أيضا : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١١٨ .

وأعمالها ، وهو نفس التاريخ الذى اصطلح فيه كل من أبى المعالى بن سيف الدولة ابن حمدان وقرعويه . هذا على الرغم من أن ابن العديم - مؤرخ حلب - لم يذكر إقامة هذه الخطبة سواء فى عام ٣٥٩ هـ أو عام ٣٦٠ هـ ، فى حين ينص فى حوادث سنة ٣٦٣ هـ على أن سعد الدولة أبا المعالى « استولى على حلب سنة ثلاث وستين ، ووصله فى شهر ربيع الأول رسول العزيز وأبو القاسم (١٢٢) أحمد بن إبراهيم الرسى من مصر فأقام الدعوة له بحلب فى هذه السنة (١٢٣) » . وفى هذا النص خطأ تاريخى واضح ، إذ أن العزيز لم يتول الخلافة فى مصر إلا فى سنة ٣٦٥ هـ كما هو معروف (١٢٤) .

أما عن أهم مدن ساحل كورة أو جند دمشق ، فهى طرابلس وبيروت وصيدا . وليس فى المصادر التى بين أيدينا أية إشارة تفيد شيئا عن الوجود الفاطمى فى مصر فى هذه المدن سواء بطريق الفتح أو إعلان التبعية فى الفترة الممتدة من المحرم سنة ٣٥٩ هـ - وهو تاريخ إقامة أول خطبة للمعز بدمشق كما مر بنا فى أكثر من موضع - إلى شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ الذى دخل فيه المعز القاهرة قادما من المغرب . إلا أن النصوص لدى بعض القدامى تشير فى حوادث سنة ٣٦٣ هـ وما بعدها إلى الوجود الفاطمى فى المدن التى ذكرناها مما يدل على إعلانها الولاء والطاعة للفاطميين بعد أن نجح ابن فلاح فى السيطرة على دمشق

---

(١٢٢) كذا بالمتن عند ابن العديم ، ولا محل لواو المعية هنا .

(١٢٣) زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(١٢٤) يبدو أن ثمة خطأ مطبعيا لم يتنبه إليه الدكتور الدهان - محقق الزبدة - عند مراجعته لأصول الكتاب وقت طبعه ، أو أن المخطوطة الأصلية لزبدة الحلب نصت فعلا على العزيز وفات المحقق تصويبها .

نهائيا فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ على أقل تقدير أو فى المحرم سنة ٣٦٠ هـ وهما الشهر والسنة اللذان ارتأى بعض القدامى أن الأمر استقر فيها تماما لابن فلاح بدمشق وذلك بعد أن قبض على الشريف ابن أبى يعلى ولفيف من الأحداث ورؤسائهم من الذين شاركوا فى الفتن التى شهدتها دمشق ضد الفاطميين(١٢٥).

فقد ذكر ابن القلانسى تجدد ثورة أهل دمشق فى عام ٣٦٣ هـ لما نزل بهم مرة أخرى من عسف جند المغاربة وعيثهم بالبلد فى ولاية القائد أبى محمود إبراهيم بن جعفر قائد المعز، مما دفع الخليفة الفاطمى - بعد أن تواترت إليه أنباء تلك الفتنة - إلى أن يكتب « إلى القائد ريان الخادم والى طرابلس يأمره بالمسير إلى دمشق لمشاهدة حالها وكشف أمور أهلها والمطالعة بحقيقة الأمر فيها، وأن يصرف القائد أبا محمود عنها . فامتثل القائد ريان الأمر فى ذلك، وسار من طرابلس، ووصل إلى دمشق (١٢٦) » . كما يشير ابن القلانسى قبل ذلك بقليل إلى أن الحال انتهت فى دمشق إلى ذلك « إلى أن تجددت ولاية القائد ريان الخادم عقيب هذه الفتنة فى بقية سنة ٣٦٣ (١٢٧) »، ثم يذكر الأحداث بعد وصول ريان الخادم تحت عنوان : « ولاية ألفتكين المعزى لدمشق فى بقية سنة ٣٦٣ (١٢٨) »، مما يدل على وصول ريان إلى دمشق فعلا قادما من طرابلس فى عام ٣٦٣ هـ . ويتفق معه ابن عساكر فى إيراد هذا التاريخ، إلا أنه ينص على أن ريان قدم إلى دمشق من مصر لا من

---

(١٢٥) راجع ما فات هنا من قبل، ص ١٤٣ — ١٤٤ .

(١٢٦) ذيل تاريخ دمشق، ص ١٠ .

(١٢٧) نفس المصدر .

(١٢٨) نفس المصدر، ص ١١ .

طرابلس (١٢٩) . هذا ، بينما يسوق ابن الأثـــير (١٣٠) والدواداري (١٣١) وابن خلدون (١٣٢) والمقريزي (١٣٣) خبر وصول ريان من طرابلس فى حوادث سنة ٣٦٤ هـ ، وإن كان ابن الأثير يفتتحه فى حوادث سنة ٣٦٣ هـ ويواصل الكلام عنه مستطردا ـ فى حوادث نفس السنة ـ ليدل على تواصل الاضطرابات حتى جمادى الأولى سنة ٣٦٤ هـ (١٣٤) ، ولا يحدد الشهر الذى دخل فيه ريان دمشق وعزل القائد أبى محمود ، فى حين أن الدواداري والمقريزي ينصان أيضا على وقوع الفتن فى عام ٣٦٣ هـ واستمرارها حتى سنة ٣٦٤ هـ ، وإن لم يذكر الدواداري تاريخ وصول ريان من طرابلس إلى دمشق وعزل القائد أبى محمود، بينما يتفق المقريزي مع ابن الأثير فى دوام الفتن حتى جمادى الأولى سنة ٣٦٤ هـ ويزيد عليه وعلى الدواداري فى تحديد عزل القائد أبى محمود بشهر شعبان من السنة (١٣٥) .

ويؤيد أيضا نزول أفتكين على دمشق واستيلاءه عليها فى عام ٣٦٤ هـ لا فى

---

(١٢٩) تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، من المرجح أن ابن عساكر ينقـــل عن ابن القلانسى بعض معلوماته ؛ راجع فى هذا : المقدمة التى كتبها المستشرق آمدروز بالإنجليزية فى نهاية كتاب ابن القلانسى .

(١٣٠) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(١٣١) الدرة المضية ، ص ١٦٩ .

(١٣٢) العبر ، ج ٤ ، ص ٥١ .

(١٣٣) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ٢١٤ .

(١٣٤) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(١٣٥) الدرة المضية ، ص ١٦٢ ، ١٦٦ — ١٦٩ ؛ اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢١١ — ٢١٤ (على التوالى) .

عام ٣٦٣ هـ - كما ذكر ابن القلانسى - أن أفتكين كان مشغولا فى سنة ٣٦٤ هـ نفسها بالمشاركة فى الصراع الناشب بين الديلم والأتراك فى العراق (١٣٦) ؛ كما يحدد الدوادارى وصول أفتكين بظاهر دمشق فى شعبان سنة ٣٦٤ هـ (١٣٧) ، وهو نفس الشهر الذى عزل فيه أبو محمود على يد ريان الخادم ، والذى حدد به المقريزى أيضا وصول أفتكين إلى دمشق (١٣٨) .

إلا أنه لا يهمنا من كل هذا سوى تحديد وجود ريان الخادم بطرابلس من قبل الفاطميين ، إذ أن هذه الأحداث كلها تغطى فترة تتجاوز ما نتناوله هنا بالدراسة . فالشاهد - من كل ما مر بنا الآن - أن طرابلس كانت تابعة للفاطميين بعد قدوم المعز إلى مصر وبعد أن تمكن الفاطميون من استرداد الشام مرة أخرى . ولكن يبقى تحديد تبعيتها فى تاريخ سابق على عام ٣٦٣ هـ ، وهو أمر من الصعب تحديده على الرغم مما يفهم من كلام الشيخ طنوس الشدياق من وجود التبعية للفاطميين بسواحل لبنان - بما فيه طرابلس وبيروت وصيدا فيما يبدو - اعتبارا من عام ٣٦٠ هـ (١٣٩) ، ولكن كلامه يجب ألا يؤخذ على علاته نظرا لأنه لا يحدد مصادره ، خاصة وأن القائم على نشر كتابه قد حذر من الانسياق وراء ما سجله الشيخ طنوس من معلومات (١٤٠) .

---

(١٣٦) راجع : الصابى ، رسائله ، ص ١٠ وما بعدها ، و هـ ١ فى ص ١٠ ، ص ٢٦٣ وما بعدها ، و هـ ١ فى ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٧ ، هـ ١ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ وما بعدها (حوادث سنة ٣٦٤) .

(١٣٧) الدرة المضية ، ص ١٦٩ .

(١٣٨) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

(١٣٩) الشيخ طنوس بن يوسف الشدياق ، أخبار الأعيان فى جبل لبنان ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ ، بيروت ١٩٥٤ م .

(١٤٠) منير وهيبه الخازن ، فى (الشدياق ، أخبار الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨) .

إلا أن الدكتور عمر كمال يبين بحق أن المصادر لا تسعفنا بتحديد تاريخ بعينه لبدء السيطرة الفاطمية على سواحل الشام بصورة عامة ، ويرجح أن الفاطميين مدوا سلطانهم فى تلك الفترة على المراكز الساحلية حتى طرابلس على الأقل ، ويستدل على ذلك بما سقناه منذ قليل عن كل من ابن القلانسى وابن الأثير فيما يتعلق بولاية ريان الخادم لطرابلس ، كما يضيف ـ نقلا عن متى الرهاوى ـ أن حنا تزيمسكس ذكر أن القوات الإسلامية التى قاومته فى طرابلس كانت قوات إفريقية أى فاطمية (١٤١) وما ذكره تزيمسكس هنا كان قد ضمنه رسالة إلى أشوط الثالث ملك أرمينية يبين فيها وصفا للحملات العسكرية التى قام بها على سواحل الشام والمناطق الداخلية منه (١٤٢) ، وهى الحملات التى شنها الإمبراطور البيزنطى فى عام ٣٦٤ هـ / ٩٧٥ م ، ومنها نستدل على الوجود الفاطمى فى كل من طرابلس وبيروت وصيدا (١٤٣) ؛ كما يضيف الدكتور عمر كمال أن امتداد الحكم الفاطمى على المراكز الساحليه فى الشام كان مسألة طبيعية نظراً لقوة البحرية الفاطمية فى عهد المعز (١٤٤) مستشهداً فى ذلك بالمقريزى (١٤٥) الذى ذكر أن الأسطول الفاطمى فى عهد المعز كان يتجاوز ستمائة

---

(١٤١) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(١٤٢) راجع ترجمة لنص رسالة حنا تزيمسكس إلى أشوط الثالث ملك أرمينية وتقديم الدكتور عمر كمال له فى : نفس المرجع السابق ، ص ١٦٣ — ١٧١ (الملحق الأول) .

(١٤٣) راجع : يحيى ، تاريخه ، ص ١٤٦ (بيروت وطرابلس) ؛ ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤ (صيدا وبيروت وطرابلس) ؛ الدوادارى ، الدرة المضية ، ص ١٧٠ (بيروت) ، ص ١٧١ (طرابلس) ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢١٨ (بيروت وطرابلس) ، ص ٢٢٠ (طرابلس) ، ص ٢٢٢ (بيروت وطرابلس) ، ص ٢٣٠ (طرابلس) .

(١٤٤) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٧٨ .

قطعة (١٤٦) . ولكن كلام الدكتور عمر كمال ينصب هنا على امتداد الأسطول الفاطمي وقت وجود المعز فى مصر ، وهو ما يفهم أيضا من نص المقريزى الذى ذكر قبل ذلك بقليل : « وقويت العناية بالأسطول فى مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب الحربية (١٤٧) » .

ولكن دور الأسطول الفاطمي - بصورة عامة - فى الفترة التى سبقت وصول المعز إلى مصر لا يزال دورا غامضا لم تكشف عنه المصادر بوضوح خاصة ماكان من العمليات التى قام بها خلال مسير الجيوش الفاطمية فى الشام واستيلائها على المدن الداخلية فيه، هذا باستثناء ما ذكره كل من ابن الأثير(١٤٨) وابن كثير (١٤٩) من تسيير خمسة عشر مركبا من مصر نجدة ليافا المحصورة بعد تراجع القرامطة عن مصر فى شهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ كما أشرنا من قبل (١٥٠) ؛ وهو نفس ما أشار إليه ابن خلدون (١٥١) وإن لم يحدد عدد المراكب ؛ وكذلك ما أورده المقريزى فى حوادث شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ من موافاة الأسطول الفاطمى من المغرب وإقلاعه إلى الشام حيث أسر وغنم (١٥٢) بدون أن يشير إلى المدن الساحلية بالشام التى نزل عليها هذا الأسطول .

---

(١٤٦) مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٧٨ ، هـ ٢ .

(١٤٧) الخطط ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

(١٤٨) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٣ .

(١٤٩) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٩ ؛ وراجع أيضا ما فات هنا من قبل ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(١٥٠) راجع فى هذا التاريخ ما فات هنا من قبل ، ص ٣١٤ — ٣١٥ ، ٣٢٢ .

(١٥١) العبر ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

(١٥٢) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٣١ .

وكل هذا يؤدى بنا إلى ترجيح أن طرابلس وبيروت وصيدا قد دانت بالطاعة للفاطميين بعد أن تمكن ابن فلاح من دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ، أو فى المحرم سنة ٣٦٠ هـ، وأن هذه السيطرة لا بد وأن تكون قد انحسرت بصورة مؤقتة منذ شهر ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ عندما استولى القرامطة على دمشق وتبع ذلك بالتالى سقوط المدن الساحلية الشامية فى أيديهم - باستثناء يافا - وذلك حتى شهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ، وهو تاريخ تراجع القرامطة عن مصر؛ ويدل على انحسار هذه السيطرة على مدن الساحل فى الفترة التى حددناها أن القرامطة تمكنوا من الإيقاع بذلك الأسطول الذى كان جوهر قد أنفذه إلى يافا (١٥٣) فى حدود شهر ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ، واستولى على ثلاثة عشر مركبا منه. ومن المستبعد أن يكون للقرامطة أسطول يعمل فى البحر المتوسط فى ذلك الوقت، إذ كانت حملتهم على الشام ومصر بطريق البر كما لا يخفى؛ ولكن أرشيبالد لويس يمدنا بتفسير معقول لذلك عندما يذكر أن المدن الساحلية السورية تعاونت مع القرامطة فى إلحاق الهزيمة بأسطول جوهر المذكور قرب يافا (١٥٤). ولا شك فى أن المدن الساحلية التى يشير إليها أرشيبالد لويس - وإن لم يحددها - كانت هى نفس المدن التى انحسر عنها النفوذ الفاطمى بعد استيلاء القرامطة على دمشق وغيرها من المدن الداخلية. كما ظل استمرار هذا النفوذ مشكوكا فيه حتى شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ وما بعده؛ وهو التاريخ الذى رجحنا فيه تسيير الأعصم - بعد عودته إلى الشام من الأحساء - المراكب المشحونة بالمقاتلة إلى تنيس وغيرها من سواحل مصر

---

(١٥٣) انظر الهامشين رقم ١٤٨ و ١٤٩ بهذا الفصل.

(١٥٤) القوى البحرية، ص ٣٠٠.

فى الوقت الذى تأهب فيه المسيير إلى مصر مرة ثانية (١٥٥) كما يذكر المقريزى (١٥٦) ، وهى المراكب التى قال عنها أرشيبالد لويس أيضا أن سفنا سورية هاجمت مدينة تنيس فى الدلتا (٩٧٢ م) فى الوقت الذى هدد فيه القرامطة مصر بالغزو مرة أخرى (١٥٧) ، وهذا يفسر أيضا ما ذكره المقريزى عن مراكب القرامطة المشحونة بالمقاتلة من أنها كانت سفنا تابعة لمدن الساحل الشامى التى كانت فى قبضة القرامطة فى ذلك الوقت .

على كل حال ، نخرج من هذا العرض الذى قدمناه فى هذا الفصل عن مدى طبيعة السيطرة الفاطمية على الجهات والمدن الداخلية والساحلية التى لم تذكرها المصادر فى خط سير الحملة الفاطمية إبان المرحلة الأولى لفتح الشام بأن جند فلسطين قد دان بالتبعية للنفوذ الفاطمى بعد سقوط الرملة فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ ، فاعترفت مدينة بيت المقدس بهذه التبعية ، كما شهد شهر ذى الحجة هذا أيضا سقوط كل من غزة وعسقلان فى يد ابن فلاح ، وهو نفس الشهر الذى دانت فيه كل من عكا وصور — فى جند الأردن — للنفوذ الفاطمى .

أما جند دمشق ، فمن المرجح أن النفوذ الفاطمى انتظم أيضا حوران والبثنية فى حدود شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، بينما تأكد هذا النفوذ فى شهر ذى الحجة من نفس السنة بعد الإيقاع ببنى عقيل هناك ، فى حين اعترفت الأطراف الشمالية والشرقية فى جند دمشق بسيطرة الفاطميين فى المحرم سنة ٣٦٠ هـ . أما المدن الساحلية بهذا الجند ، فمن الصعب تحديد بداية

---

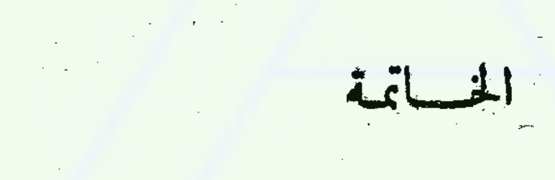
(١٥٥) راجع ما فات هنا من قبل ، ص ٣١٧ .

(١٥٦) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٨٨ — ١٨٩ .

(١٥٧) القوى البحرية ، ص ٣٠٠ .

السيطرة الفاطمية على كل من طرابلس وبيروت وصيدا ، وإن كان من المرجح أن ذلك قد تم مباشرة بعد استيلاء ابن فلاح نهائيا على دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ أو فى المحرم سنة ٣٦٠ ﻫ .

أما عن العلاقات بين الفاطميين والحمدانيين ، فلم تشهد هذه المرحلة الأولى - من غزو الفاطميين للشام فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ ﻫ إلى دخول المعز القاهرة فى رمضان سنة ٣٦٢ ﻫ - أى صدام عسكرى بين الطرفين ، فى حين اعترفت إمارة حلب الحمدانية بالتبعية الإسمية للفاطميين فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٩ ﻫ حينما أعلنت الخطبة للمعز فى كل من حمص وحلب وأعمالهما .



الخاتمة



الخـــاتمـة

لم يكن فتح الفاطميين لمصر ـ ومن ثم الشام ـ مجرد فكرة طرأت على أذهان خلفائهم الأوائل بعد نجاحهم فى تأسيس دولة لهم بإفريقية فى عام ٢٩٦ هـ ، ولكنها كانت نتيجة طبيعية ومنطقية لتلك السياسة التى أخذوا بها أنفسهم قبل نزوحهم من سلمية بالشام إلى شمالى إفريقية ، والتى تتلخص أولا فى محاولة إقامة دولة لهم ، ثم بسط سيطرتهم على مناطق النفوذ العباسى . وقد نجح الفاطميون مرة ثانية فى سلخ أثمن ممتلكات الخلافة العباسية فى كل من مصر والشام بعد ما يقرب من نصف قرن منذ إقامتهم لدولتهم فى إفريقية . وقد ساعدهم على ذلك تلك الأوضاع التى كانت سائدة فى مصر والشام إبان العقد السادس من القرن الرابع الهجرى .

ففى مصر ، أصبحت الأمور مهيأة تماما للفاطميين لكى يوجهوا ضربتهم الأخيرة ويستولوا على الديار المصرية وينهوا حكم الإخشيديين بها ، بعد أن مرت مصر بظروف سياسية واقتصادية قاسية أنهكت قواها ، علاوة على ما لاقته من ضربات فى الخارج كادت تفصل عنها مناطق نفوذها فى الشام ؛ بل لقد وقع جنوبى ووسط الشام فعلا تحت السيطرة الإسمية للقرامطة الذين فرضوا عليه قدرا من المال يؤديه لهم كل سنة .

أما فى الشام ، فقد كان فى حالة مخاض أعدته هو الآخر لتقبل أية قوة فتية تنهى حالة الانحلال السياسى والحربى الذى شهدته البلاد فى الفترة التى سبقت مباشرة شروع الفاطميين فى فتحه فى نهاية عام ٣٥٨ هـ ، إذ توزعته قوتان من الداخل تتمثلان فى إمارة الحمدانيين القائمة فى شماله ، والنفوذ الإخشيدى فى

وسطه وجنوبه ؛ بينما ثمة قوتان تدقان بعنف أبواب حدوده من الشمال ومن الجنوب ، بما ينبىء بقرب وقوع بلاد الشام بأكملها بين شقى رحى ما بين القوتين الخارجتين ، وهما البيزنطيون على حدوده الشمالية ، والقرامطة المندفعون إليه من بلادهم هجر بشرقى الجزيرة العربية .

وكانت إمارة الحمدانيين بعد وفاة مؤسسها سيف الدولة بن حمدان قد بلغت من الضعف درجة عظيمة ، فى الوقت الذى أصبح فيه البيزنطيون قوة يعتد بها فعملوا على اجتياح الشام من شماله ، ونجحوا أخيرا فى بسط سيطرتهم على إمارة حلب الحمدانية ، وبلغت تلك السيطرة ذروتها بعد الاتفاقية المهينة التى فرضها البيزنطيون على حلب فى عام ٣٥٧ ه ، بينما أرجأ البيزنطيون جولتهم التالية للاستيلاء على الشام جميعا نظراً لانشغالهم بحرب أضدادهم على حدودهم الشمالية ، وهى الجولة التى شرع فيها البيزنطيون فى استكمال مشروعهم الكبير لاسترداد سورية والأراضى المقدسة وضمها إلى مناطق نفوذهم كما كان عليه الحال قبل الفتح العربى الأول للشام فى أوائل القرن الأول الهجرى ؛ وهو موضوع لم نتعرض له بالدراسة هنا لأنه يتصل بالحقبة التى تتجاوز الفترة التى نعنى بدراستهـــا .

أما النفوذ الإخشيدى فى وسط وجنوبى الشام ، فقد بدأ يشهد هو الآخر بوادر احتضاره على يد القرامطة الذين أشرنا إليهم الآن ، بينما لم يؤخر مصرع هذا النفوذ نهائيا سوى انشغال القرامطة بالأمور الداخلية فى بلادهم ، وهى الأمور التى دفعتهم إلى الاكتفاء بفرض أتاوة عليه فى آخر سنة ٣٥٧ ه والعودة فى مفتتح سنة ٣٥٨ ه إلى بلادهم الاحساء التى لم يلبثوا أن انفصلوا عنهـــا فى

عام ٣٦٠ ه متوجهين إلى الشام مرة أخرى لاستعادة نفوذهم الضائع بعد استيلاء الفاطميين على وسطه وجنوبه .

وقد اصطدم الفاطميون عند فتحهم للشام بالقوة الأولى فى الجنوب وهى قوة الإخشيديين ، ثم تعاملوا سريعا مع البيزنطيين فى أقصى الطرف الشمالى الغربى من الشام ؛ بينما قاتلوا القرامطة فى وسطه وجنوبه . أما الحمدانيون ، فقد سارعوا إلى الاعتراف بالسيطرة الإسمية للفاطميين على إمارتهم فى عام ٣٥٩ ه، ولم يحتكوا بهم حربيا إلا فى فترات لاحقة ليست من موضوع هذه الدراسة .

وكان لاختلاف المؤرخين القدامى فى رواية قصة فتح الفاطميين الشام فى مرحلته الأولى أثره الكبير فى غموض التسلسل المنطقى للأحداث ، مما أدى بالتالى إلى صعوبة الدور الذى تصدى له المحدثون فى تتبع هذه الوقائع بصورة منطقية أيضا . إلا أن الدراسة التى تناولنا من خلالها عرض الموضوع من وقت أن دخل الفاطميون الشام فى آخر سنة ٣٥٨ ه حتى تقهقرهم عنه على يد القرامطة فى أواخر سنة ٣٦٠ ه وإلى دخول المعز لدين الله القاهرة فى رمضان سنة ٣٦٢ ه ، انتهت إلى نتائج قد يصح الاطمئنان إليها لإعادة بناء الموضوع بعد مقارنة وتحليل نصوص الروايات المختلفة لدى المؤرخين القدامى ، خاصة منها ما أورده كل من يحيى الأنطاكى والدوادارى والمقريزى فى جانب ، وابن عساكر وابن الأثير والصفدى وابن تغرى بردى وغيرهم فى جانب آخر . ولعل أهم النتائج هى ما يلى :

دخل الفاطميون الشام فى حدود أواخر شهر ذى القعدة سنة ٣٥٨ ه أو أوائل شهر ذى الحجة منها ، واستولوا على الرملة - قصبة فلسطين - فى أوائل

ذى الحجة أيضا ، وسقطت بالتالى المدن الداخلية والساحلية لجند فلسطين أو اعترفت بالتبعية للفاطميين ، خاصة مدينة بيت المقدس التى تدل الشواهد على أنها دانت بهذه التبعية قبل سقوط الرملة فى يد ابن فلاح ، بينما تأكدت بعد الاستيلاء عليها .

أما فى الأردن ، فلم يكن سقوط عاصمته طبرية بطريق القتال ، وإنما هى اعترفت بسلطان الفاطميين فى الوقت الذى كان فيه ابن فلاح فى طريقه إليها ، وذلك فى نفس شهر ذى الحجة المذكور ، وتبع ذلك إعلان ولاء المدن الساحلية لكورة الأردن .

وأما دمشق ، فقد مر فتحها والاستيلاء عليها نهائيا بمرحلتين : كانت الأولى عندما استولى عليها الفاطميون فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ أو فى الأيام الأولى من شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، وأقاموا بها أول خطبة المعز لدين الله فى يوم الجمعة ٦ المحرم سنة ٣٥٩ هـ ؛ أما المرحلة الثانية والأخيرة ، فهى تمكن ابن فلاح من دمشق بعد أن دخلها أخيرا فى يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ . وقد تخلل الفترة من المحرم سنة ٣٥٩ هـ إلى ذى الحجة منها أحداث تؤيد ماخلصنا إليه من وجود مرحلتين لفتح الفاطميين لدمشق ، فقد ثار بها أهلها أول ثوراتهم ضد الفاطميين فى يوم الجمعة ١٣ المحرم سنة ٣٥٩هـ، ثم وقع أول صلح بين الطرفين بعد يومين،أى فى يوم الأحد ١٥ منه.وفى نفس هذا اليوم الأخير أيضا ، اندلعت ثورة الدماشقة الثانية ، ثم تحاجز الطرفان فى تربص،على حين بقى الفاطميون بدمشق . ثم سار ابن فلاح إلى الرملة فى تاريخ يصعب تحديده تماما لكى يستصفى ممتلكات الإخشيدية هناك،وتوجه بعد ذلك إلى طبرية للقضاء نهائيا على ولاة الإخشيدية ، فقتل فاتكا غلام ملهم العقيلى فى حدود

اليوم الرابع من شهر ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، ثم أنفذ سراياه ومن والاه من بنى فزارة ومرة إلى حوران والبثنية للإيقاع ببنى عقيل هناك . وكان أهل دمشق قد ثاروا ثورتهم الثالثة فى يوم الخميس الثانى من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ وابن فلاح بطبرية ، فسار إليها بعد واقعة اغتيال فاتك فوصل إلى مشارفها ونزل الشماسية جنوبيها فى يوم السبت ١١ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، هذا فى الوقت الذى كانت فيه سراياه التى كان قد بعثها مع بنى فزارة ومرة قد أوقعت تماما ببنى عقيل فى حوران والبثنية وطاردوهم إلى أرض حمص ونزلوا فى عودتهم على دمشق فى يوم الأربعاء ٨ ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ حيث لحقوا بطلائع ابن فلاح ، بينما دار القتال بين سرايا وطلائع ابن فلاح وبين الدماشقة فى اليومين التاليين الخميس والجمعة ٩ و ١٠ ذى الحجة ، ثم توالت الأحداث والوقائع بين الجيوش الفاطمية مجتمعة وبين أهل دمشق حتى يوم الخميس ١٦ من ذى الحجة ، فاتفق الطرفان على الصلح الثانى والأخير فى نفس اليوم ، ثم دخل ابن فلاح دمشق فى يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ .

وتشير الشواهد هنا — على هذا — ، إلى أن المناطق الداخلية مثل حوران والبثنية قد دانت بالطاعة للفاطميين فى حدود شهر المحرم سنة ٣٥٩ هـ ، بينما تأكدت تبعيتها فى شهر ذى الحجة من نفس السنة ، هذا فى الوقت الذى لم يبسط فيه الفاطميون نفوذهم على المدن الساحلية حتى طرابلس — فى جنند دمشق — حتى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ أو المحرم سنة ٣٦٠ هـ .

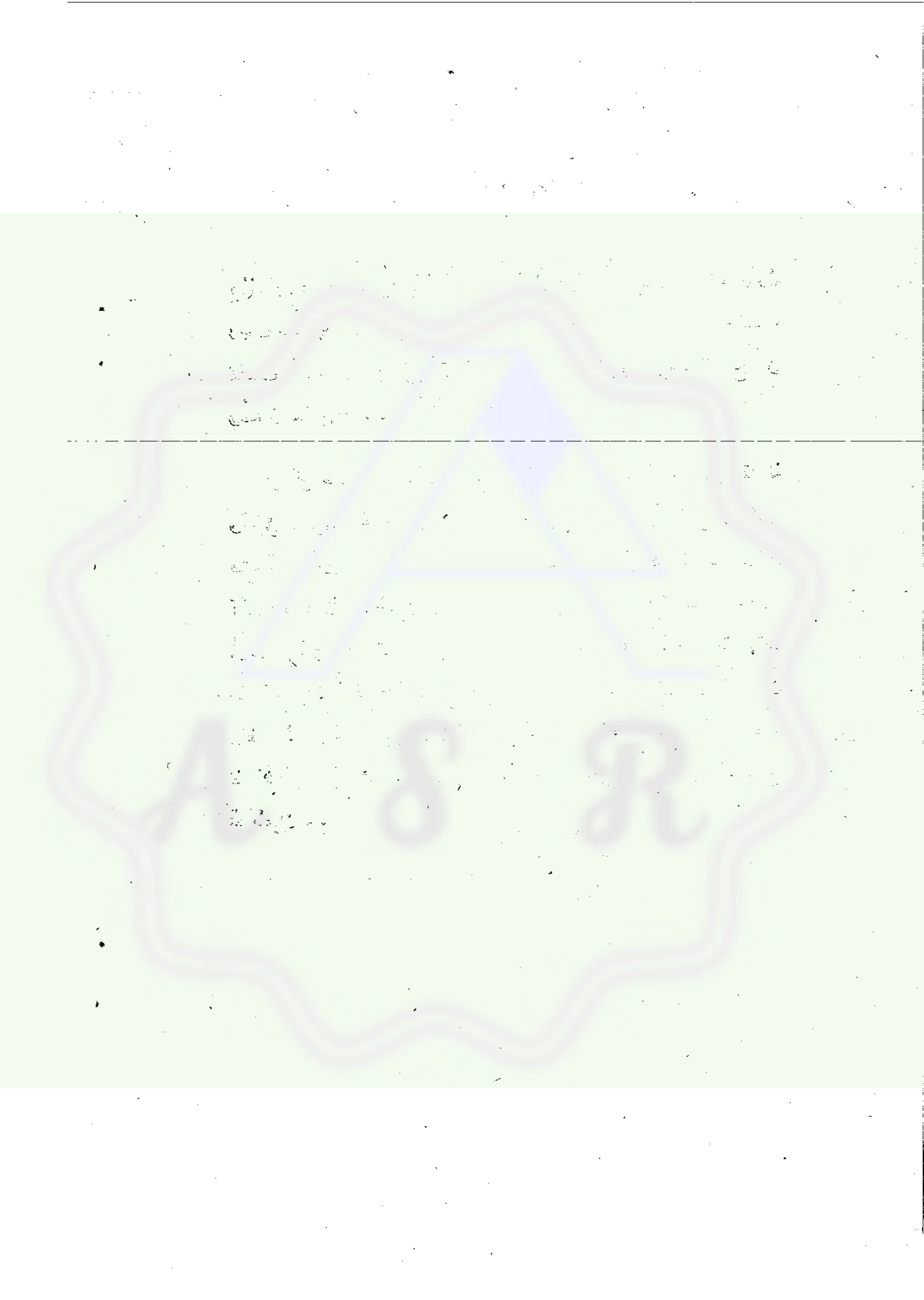
ولم يشرع الفاطميون فى الاحتكاك بالبيزنطيين إلا بعد أن أعلنت إمارة حلب الحمدانية الخطبة للمعز فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٩ هـ ، وبعد استقرار

الأمور نهائيا لابن فـــلاج بدمشق فى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ ، فكان تسييره الجيوش إلى أنطاكية فى أواخر ربيع الأول سنة ٣٦٠ هـ ، لكى يستدعيهـــا برسالة وصلت إلى القائد فتوح غلامه فى أول رمضان سنة ٣٦٠ هـ بعــد أن وصلته الأخبار بخروج القرامطة من الأحساء وعزمهم على التوجه إليه لقتاله .

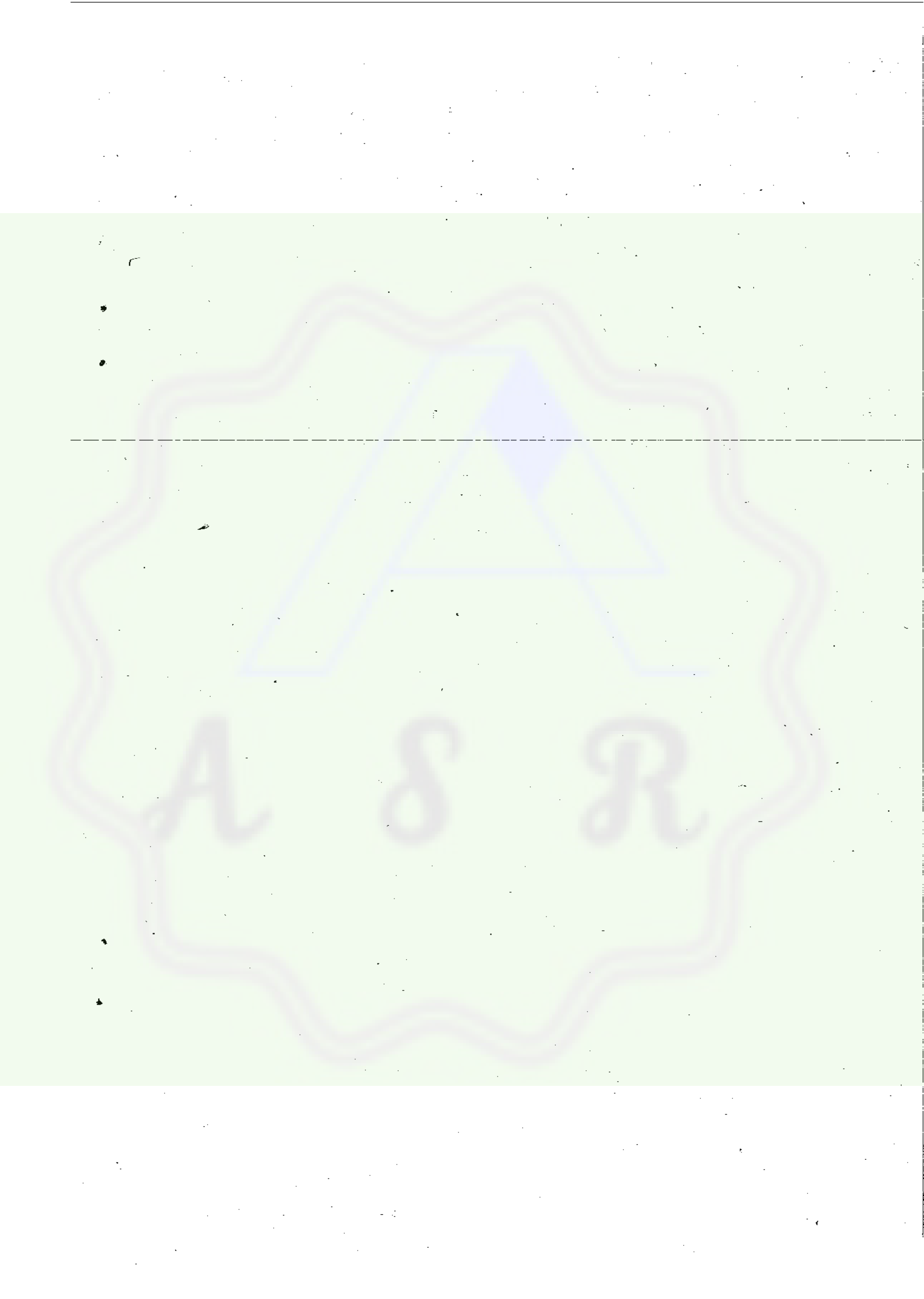
وكان خروج القرامطة من الأحساء فى تاريخ من الصعب تحديده ، ولكنهم وصلوا إلى الكوفة فى شهر شعبان سنة ٣٦٠ هـ ، بينما رحلوا عنها إلى الرحبة التى نزلوا بها فى أواخر رمضان أو أوائل شوال من نفس السنة ، ثم غادروها فى أواخر شوال ووصلوا إلى دمشق فى يوم الخميس ٦ من ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ فأوقعوا الهزيمة بعسكر الفاطميين واستولوا على دمشق فى نفس اليـــوم . ثم توجه القرامطة إلى الرملة فاستولوا عليها فى أواخر شهر ذى القعــــدة أيضا ، وحاصروا يافا فى أوائل ذى الحجة من نفس السنة . وفى العشر الأخير من نفس الشهر ، كبس القرامطة القلزم ، بينما استولوا على الفرما فى أوائل المحرم سنة ٣٦١ هـ ، ووصلوا إلى عين شمس فى العشر الأول من المحرم نفسـه ، ثم نشب القتال على خندق القاهرة فى يوم الجمعة مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ حتى يوم الأحد الثالث منه ، وانسحب القرامطة فى ليل هذا اليوم بعد هزيمتهم حيث توجهوا وزعيمهم الحسن الأعصم إلى الرملة . وفى يوم الإثنين تالية - ٤ ربيع الأول - أنفذ جوهر جيشين بريين استولى أحدهما على الرملة فى العشر الأول من نفس الشهر وذلك بعد رحيل الأعصم عنها إلى بلاده الأحساء ، فى حـــين توجه الجيش الثانى إلى يافا لتخليص المغاربة المحصورين بها . ورجع الأعصم من الأحساء فى أواخر شعبان - أو أوائل رمضان - سنة ٣٦١ هـ ، واستولى على الرملة ، وسير فى شهر رمضان المذكور أسطولا إلى السواحل المصرية ؛

بينما داوم على بعث جنوده فى الأراضى المصرية فيما بين رمضان ٣٦١ ﻫ وأول رجب سنة ٣٦٢ ﻫ . ثم بدأت مرحلة جديدة ـ ليست من موضوع هـذا الكتاب ـ بدخول المعز لدين الله الفاطمى القاهرة فى يوم الأربعاء السابع من رمضان سنة ٣٦٢ ﻫ .

على كل حال ، كانت هذه هى أهم النتائج التى أمكن استخلاصها من مقارنة وتحليل النصوص المختلفة لدى المؤرخين القدامى ؛ ومنها نتبين أن المرحلة الأولى لفتح الفاطميين الشام قد واجهت رد فعل عنيف رفع لواءه القرامطة الذين تمكنوا من إرغام الفاطميين على التخلى سريعا عن فتوحهم ببلاد الشام بصورة أزعجت المعز لدين الله وهو بالمغرب ، فسار لطيته إلى مصر فدخلها لتبـدأ صفحة جديدة من تاريخ الشام تتميز بمعاودة الاحتكاك الحربى بين الفاطميين والقرامطة ، وكذلك بينهم وبين البيزنطيين ، تمكن بعده الفاطميون من مـد نفوذهم الفعلى على الشام ، فيما يمكن أن نطلق عليـه المرحلة الثانية لفتـح الفاطميين له .



المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

أولا : المصادر

ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، الجزرى)

* الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزءا ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأزهرية المصرية ، القاهرة ١٣٠١ هـ .

الإصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى ، المعروف بالكرخى)

* مسالك الممالك ، نشر دى غويه M. J. De Goeje ، ليدن ، ١٩٢٧ م .

ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله)

* الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية (وهو الجزء السادس من كتابه : كنز الدرر وجامع الغرر) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .

البغدادى (عبد القادر بن عمر)

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شرح الكافية التى هى بمقاصد القواعد وافية ، أربعة أجزاء ، الطبعة الأولى ، المطبعة الميرية ببولاق ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

البلاذرى (أبو الحسن)

ه فتوح البلدان ، عنى بمقابلته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان ، الطبعة الأولى ، المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ١٣٥٠ ﻫ - ١٩٣٢ م .

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

ه النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزءا ، منها ١٢ جزءا طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٩ م - ١٩٥٦ م ؛ والجزء الثالث عشر ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٣٩٠ ﻫ - ١٩٧٠ م ؛ والجزء الرابع عشر ، تحقيق جمال الدين عرز وفهيم محمد شلتوت ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩١ ﻫ - ١٩٧٢ م ؛ والجزء الخامس عشر ، تحقيق إبراهيم على طرخان ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٢ ﻫ - ١٩٧٢ م ؛ والجزء السادس عشر ، تحقيق جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٢ ﻫ - ١٩٧٢ م .

الثعالبى (أبو منصور عبد الملك النيسابورى)

ه يتيمة الدهر ، أربعة أجزاء ، الطبعة الأولى ، مطبعة الصاوى ، مصر ١٣٥٢ ﻫ - ١٩٣٤ م .

ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد)

ه رحلة ابن جبير ، نشر وليم رايت William Right ، تحقيق

دى غويه M. J. De Goeje ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل Brill ، ليدن Leyden ١٩٠٧ م .

الجوذرى (أبو على منصور العزيزى)

ه سيرة الأستاذ جوذر ، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر (بدون تاريخ) .

ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على بن محمد)

ه المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، المطبوع منه سبعة أجزاء ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٥٧ هـ - ١٣٥٩ م .

ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى)

ه كتاب صورة الأرض ، قسمان فى مجلد واحد ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (بدون تاريخ) .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)

ه كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، سبعة أجزاء ، بولاق ١٢٨٤ هـ .

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر)

ه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ستة أجزاء ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٨م للاجزاء الأربعة الأولى والجزء السادس ، وسنة ١٩٤٩م للجزء السادس) .

الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، التركماني)

* دول الإسلام ، جزءان ، الطبعة الثانية ، سلسلة مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ١٣٦٤ هـ و ١٣٦٥ هـ .

ابن سعيد (على بن موسى ، الأندلسى)

* المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق زكى محمد حسن وشوقى ضيف وسيدة إسماعيل كاشف ، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، القاهرة ١٩٥٣ م ؛ وطبعة جست Guest ، ليدن ١٨٩٨ م .

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)

* تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

ابن الشحنة (محب الدين أبو الفضل محمد)

* الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، نشر يوسف إليان سركيس المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٩ م .

ابن شداد (عز الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)

* الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامى الدهان ، القسم الأول (تاريخ مدينة دمشق) ، دمشق ١٩٥٦ م .

الصابى (أبو إسحق إبراهيم بن هلال بن زهرون)

* المختار من رسائل الصابى ، نقحه وعلق حواشيه الأمير شكيب أرسلان ، الجزء الأول ، بعبدا (بلبنان) ١٨٩٨ م .

ابن الصباغ (الحسن)

• الجزء من فضائل الإسكندرية ، مخطوطة مصورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، تحت رقم ٧٧٩ م .

الصفدى (صلاح الدين)

• أمراء دمشق فى الإسلام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

الصولى (أبو بكر محمد بن يحيى)

• أخبار الراضى بالله والمتقى بالله (أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣ هـ) من كتاب الأوراق ، عنى بنشره ج. هيورث دن J. Heyworth Dunne ، مطبعة الصاوى ، مصر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م .

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير)

• تاريخ الأمم والملوك ، ١١ جـزءا ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة ١٣٢٦ هـ.

ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ، المولى ، الصاحب)

• زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر وتحقيق سامى الدهان ، ثلاثة أجزاء دمشق ، ١٩٥١ م ، ١٩٥٤ م ، ١٩٦٨ م .

ابن عذارى المراكشى

• البيان المغرب فى أخبار المغرب ، جزءان ، مكتبـة صادر ، بيروت ١٩٥٠ م .

عريب بن سعيد (القرطبى)

• صلة تاريخ الطبرى ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة ١٣٢٦هـ.

ابن عساكر (ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين)

• التاريخ الكبير - المعروف بتاريخ دمشق - ، طبع منه حتى الآن سبعة أجزاء ، الخمسة الأولى منها بمطبعة روض الشام ، ١٣٢٩هـ، ١٣٣٠هـ ، ١٣٣١ هـ ، ١٣٣٢ هـ (للجزئين الرابع والخامس) ؛ والجزءان السادس والسابع بمطبعة الـترقى ، دمشق ١٣٤٩ هـ و ١٣٥١ هـ .

العكبرى (أبو البقـاء)

• ديوان ابن الطيب المتنبى ، المسمى بالتبيان ، فى شرح الديوان ، ضبطه وصححه مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، أربعة أجزاء ، القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .

أبو الفـدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل)

• كتاب المختصر فى أخبار البشر ، جزءان ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة (بدون تاريخ) .

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة)

ه ذيل تاريخ دمشق ، نشر هـ. ف. آمدروز H. F. Amedroz ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على)

ه صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزءاً ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ = ١٩١٥ م .

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى)

* البداية والنهاية فى التاريخ ، ١٤ جزءا ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف ، المصرى) .

ه كتاب الولاة وكتاب القضاة، نشر رفن جست Rhuvon Guest، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .

المتنبى (أبو الطيب)

ه ديوان أبى الطيب المتنبى . نشر عبد الوهاب عزام ، القاهرة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .

مجير الدين الحنبلى (أبو اليمن ، قاضى القضاة)

ه الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، قدمه محمد بحر العلوم ، جزءان ، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها فى النجف الأشرف ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسن بن على)

٥ كتاب التنبيه والإشراف ، نشر دى غويه M. J. De Goeje، مطبعة بريل Brill ، ليدن Leyden ١٨٩٣ م .

* مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ ، جزءان ، المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .

مسكويه (أبو على أحمد بن محمد)

٥ كتاب تجارب الأمم ، نشر هـ . ف . آمدروز H. F. Amedroz، جزءان ، مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر المحمية ، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م و ١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م ٥

المقدسى البشارى

* أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦ م .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)

* كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ .

٥ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، مخطوطة طوب قبو سراى (مكتبة سراى أحمد الثالث باستانبول) ، ومنها صور شمسية محفوظة بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية تحت رقم ٢٠ م .

وقد تم نشرها فى ثلاثة أجزاء جزءان ؛ الأول : بتحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ؛ والثانى والثالث:

بتحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القــاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م
و١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
وهناك طبعة أقدم للجزء الأول أيضا بتحقيق جمال الدين الشيال،
القاهرة ١٩٤٨ م (عن طبعة المستشــرق بونز Hugo Bonz ،
القدس ١٩٠٩ م ؛ عن النسخة الخطية التي كانت محفوظة في مكتبة
جوتا بألمانيا تحت رقم ١٦٥٢)

* إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر محمد مصطفى زيادة وجمال الدين
الشيال ، الطبعة الثانية المنقحة ، طبعة لجنة التأليف والترجمـــة
والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ م .

ابن نباتة (أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل ، الفارقى ، الخطيب).
* ديوان خطب ابن نباته ، شرح الشيخ طاهر الجـــزائرى ،
بيروت ١٣١١ هـ .

النعمان (أبو حنيفة بن محمد المغربى ، القاضى)
* دعائم الإسلام، تحقيق آصف على فيظى ، ج ١، القاهرة ١٩٥١م.

* المجالس والمسايرات ، مخطوطة محفوظة بمكتبة جامعة القــاهرة
برقم ٢٦٠٦٠ ؛ ومنها قطعة نشرها وحققها فرحات الدشراوى
تحت عنوان « قضيــة إقريطش فى عهد المعـز لدين الله » ، فى :
حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثانى (١٩٦٥ م) ، تونس
١٩٦٥ م .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، الرومي ، البغدادي)

* معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، نشر دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٣٧٤ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م .

يحيى بن سعيد (الأنطاكي)

* صلة كتاب سعيد بن بطريق (الموسوم بكتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ، نشر لويس شيخو ، والبارون كارادي فو ، والزيات ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٩ م .

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ، المعروف بابن واضح)

* تاريخ اليعقوبي ، ثلاثة أجزاء ، نشريات المكتبة المرتضوية في النجف ، مطبعة الغري ، النجف ١٣٥٨ هـ .

اليماني (محمد بن محمد)

* سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي - صلوات الله عليه وآله الطاهرين - من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقاده . نص إسماعيلي نشره المستشرق و. إيفانوف مع نص آخر تحت عنوان : « مذكرات في حركة المهدي الفاطمي » ، في: مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني (ديسمبر ١٩٣٦ م) ، القاهرة ١٩٣٦ م . ص ٨٩ - ١٣٤ .

ثانيا : المراجــــع

١ - المراجع العربية والمترجمة

إبراهيم أحمد العدوى

- إقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى ، فى : المجلة التاريخية المصرية ، منشورات الجمعية المصــرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثالث ، العدد الثانى (أكتوبر ١٩٥٠ م) ، القــاهرة ١٩٥٠ م ، ص ٥٣ - ٦٨ .
- الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ، القــاهرة ١٩٥٧ م .
- الدول الإسلامية وإمبراطورية الروم ، الطبعة الثانيـــة ، القاهرة ١٩٥٨ م .

أحمد إبراهيم الشريف = (انظر : حسن أحمد محمود)

أحمد أمين

- المتنبى وسيف الدولة ، فى : مجلة محاضرات المجمع العلمى العربى ، ج ٣ ، القســم الأول (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م ، ص ٧٥ - ٩١ .

أحمد مختار العبادى

- سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، فى : صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ - ٢ (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م) ، مدريد ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧م. ص ١٩٣ - ٢٢٦ .

- (بالاشتراك مع السيد عبد العزيز سالم) تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب ، بيروت ١٩٦٩ م .

- (بالاشتراك مع السيد عبد العزيز سالم) تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام ، بيروت ١٩٧٢ م .

أسد رستم

- الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٦ م .

أومان

- الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، دار الفكر العربى ، القاهرة (بدون تاريخ) .

بروكلمان (كارل Carl Brockelmann)

- تاريخ الشعوب الإسلامية ، ٢ ، الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٤ م .

بكر (C. H. Becker)

- الإخشيد ، فى : دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة العربية

المترجمة ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٣٣ م ص ٥١٢ - ٥١٤ .

جمال الدين الشيال

- تاريخ مصر الإسلامية ، جزءان ، الإسكندرية ١٩٦٧ م .

حسن إبراهيم حسن

- (بالاشتراك مع طه أحمد شرف) المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٨م .

حسن أحمد محمود

- (بالاشتراك مع أحمد إبراهيم الشريف) العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، نشر دار الفكر العربى ، القاهرة (بدون تاريخ) .

حسين أمين

- من تاريخ العراق فى العصر البويهى ، فى مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، المجلد السابع عشر (١٩٦٣ م) . ص ٤٥ - ٦٤ .

رنسيان (ستيفن)

- الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة ١٩٦١م.

زامباور (إدوارد ، فون Edward von Zambaur)

- معجم الأنساب العربية والأسرات الحاكمة ، أخرجه زكى محمد حسن وآخرون ، جزءان ، القاهرة ١٩٥١ م و١٩٥٢م.

سامى الكيالى

* سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، القاهرة ١٩٥٩ م .

سليم عبد الحق

* مسرح بصرى وقلعتها ، فى : مجلة الحوليات الأثرية السورية ، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف فى الجمهورية العربية السورية ، المجلد الرابع عشر (١٩٦٤ م) ، مطبعة الشرق ، دمشق ١٩٦٤ م ، ص ٥ – ٢٢ .

السيد عبد العزيز

* طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ، نشر دار المعارف بمصر مطابع رمسيس ، الإسكندرية ١٩٦٧ م .
* دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى ، بيروت ١٩٧٠ م .
* (انظر أيضا : أحمد مختار العبادى) .

سيدة إسماعيل كاشف

* مصر فى عصر الإخشيديين ، القاهرة ١٩٥٠ م .

شوقى ضيف

* المدارس النحوية ، ج ١ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ م .

طنوس بن يوسف الشدياق (الشيخ)

* أخبار الأعيان فى جبل لبنان ، بيروت ١٩٥٤ م .

طه أحمد شرف = (انظر : حسن إبراهيم حسن) .

عارف تامر

- القرامطة (أصلهم . نشأتهم . تاريخهم . حروبهم) ، دار الكاتب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد (بدون تاريخ).

عبد الرحمن البرقوقي

- شرح ديوان المتنبي ، أربعة أجزاء ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

عبد القادر الريحاني

- تاريخ دمشق العمراني ، لمحة عامة في تطور المدينة العمرانى خلال العصور ، في : مجلة الحوليات الأثرية السورية ، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية ، المجلد الرابع عشر (١٩٦٤ م) ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٦٤ م . ص ٢٣ - ٥٤ .

عبد الكريم غرايبة

- العرب والأتراك ، دراسة لتطور العلاقات بين الأمتين خلال ألف سنة ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

عبد المنعم ماجد

- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، جزءان ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٣ م و ١٩٥٥ م .
- (بالاشتراك مع علي البنا) الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي

فى العصور الوسطى ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٠ م .

* ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، التاريخ السياسى، ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر،الإسكندرية ١٩٦٨م.

على إبراهيم حسن

* تاريخ جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ، الطبعة الأولى ، مطبعة حجازى ، القاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م .

على البنـــا = (انظر : عبد المنعم ماجد)

عمر كمال توفيق

* مقدمات العدوان الصليبى ، الإمبراطور يوحنــا تزيمسكس وسياسته الشرقية (٩٦٩ - ٩٧٦) ، نشر دار المعارف بمصر، الإسكندرية ١٩٦٦ م .

* تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، الإسكندرية ١٩٦٧ م .

فازيلييف (أ. أ)

* العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، نشر دار الفكر العربى ، القاهرة (بدون تاريخ) .

فتحى عثمان

* الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ، ثلاثة أجزاء ، طبعة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة (بدون تاريخ) .

لسترنج (كى Guy Le Strange)

* بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

لويس (أرشيبالد Archibald R. Lewis)

* القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة (بدون تاريخ)

محمد جمال الدين سرور

* النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر ، ١٩٥٧ .

* سياسة الفاطميين الخارجية ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ .

محمد عبد الله عنان

* الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .

محمد كرد على

* غوطة دمشق ، مطبوعات المجمع العربى بدمشق ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

محمد مختار .

* كتاب التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية

بالسنين الإفرنكية والقبطية ، الطبعة الأولى ، المطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية ، ١٣١١هـ.

مصطفى جـــواد

✡ شرح ديوان المتنبي لابن عدلان لا للعكبري ، في : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الثاني والعشرون ، الجزء الأول والثاني (كانون الثاني وشباط ١٩٤٧ م - صفر وشهر ربيـع الأول سنة ١٣٦٦ هـ) ؛ ونفس المجلد ، الجزء الثالث والرابع (آذار ونيسان سنة ١٩٤٧ م - شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة ١٣٦٦ هـ) ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .

مصطفى الشكعـة

✡ سيف الدولة الحمداني ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، القاهرة ١٩٥٩ م .

ميتز (آدم Adam Mitz)

✡ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضـة في الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، جزءان ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م و ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

ناصف اليـــازجي

✡ كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، جزءان ، بيروت ١٣٠٥ هـ .

اقـــولا زيادة

☆ الرحالة العرب (ضمن مجموعة الألف كتاب ، رقم ٩٧) ،
نشر دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٦ .

ثانيا : المراجع غير العربية

Baynes (Norman H.) and Moss (H. St. L.B.)
= Byzantium, Oxford 1948.

Bosworth (C. F.)
= Military Organization under the Buyids of Persia and Iraq, in : Oriens, vols 18 — 19 (1965—66), Leiden 1967. pp. 143 — 67.

Canard (Marius)
= Sayf al Daula, Alger 1934.
= Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, t. I, Paris 1953.
= Al-Awasim, in : Encyclopaedia of Islam (new edition), vol. I, Leiden 1960. pp. 761 - 2.

Deihl (Charles)
= Byzance, Grandeur et Décadence, Paris 1930.

Deihl (Charles) et Marçais (Georges)
= Histoire du Moyen Age, t. III, Le Monde Oriental De 395 A 1081, Paris 1936.

Dozy (R.)

= Supplément aux Dictionnaires Arabes, 2 Vols, 3 éme ed., Leyde, Paris, 1967 .

Elisséeff (Nikita)

= La Description de Damas d' Ibn ' Asakir, Damas 1959 .

Finlay (George)

= History of the Byzantine Empire, From Dccxvi To Mlvii, London 1906 .

Gibb (Sir Hamilton A. R.)

= The Caliphate and the Arab States, in : A History of the Grusades, ed . Kenneth M. Setton , University of Pennsylvania Press, Philadelphia 1958.

Haurt (CL.)

= Histoire des Arabes , t. I, Paris 1912 .

Haig (Lt. – Colonel Sir Wolseley)

= Comparative Tables of Muhammadan and Christian Dates, London 1932 .

Hitti (Philip K.)

= History of Syria, New-York 1951.

Honigmann (E.)

= Al - Thughur, in : Encyclopaedia of Islam, vol. IV, Leiden , London, 1960. pp. 738 - 9.

Jorga

= The Byzantine Empire (tran. form the the French by Allen H. Powlers), London 1907.

Lane- Poole (Stanley)

= A History of Egypt in the Middle Ages , 5 th ed. , London 1936 .

Le Strange (Guy)

= Palestine under the Moslims, Beirut 1965 .

Marçais (Georges) = (see : Diehl)

Moss (H. St. L. B.) = (see : Baynes)

O'Leary (De Lacy)

= A Short History of the Fatimid Khalifate , London 1923 .

Oman (Charles)

= A History of the Art of War in the Middle Ages, 2 vols, London 1924 .

Ostrogorsky (George)

= History of the Byzantine State (translated by Joan Hussey), Oxford 1956.

Sadruddin (Muhammad)

= Saifuddaula, Lahore 1930

Vasiliev (A. A.)

= Histoire de l'Empire Byzantine (trad. du Russe par P. Brodin et A. Bourguina), 2 vols, Paris 1932.

— The Struggle with the Saracens (887 - 1057), in : Cambridge Medieval History, vol. IV, Cambridge 1934. pp. 138 — 52.

تصويب الأخطاء (*)

الصفحة	السطر	خطـــأ	صواب
ب	٣	العنواى	العنوان
ج	١١	العلمية الغامضة	العلمية عن الفاطميين فى مصر والشام ـ أنسب من دراسة هذه الفترة
٣	٨	عن يد	من يد
٥	٢	راردهم	راودهم
٧	هـ ٨	راجع .... الخ	(أضف فى آخر الهامش): ص ١٥٠ .
١٢	٩	عما أفرده	إلا ما أفرده
١٣	٥	سنة ٣٦ هـ	سنة ٣٦٠ هـ
١٥	١٤	للقوة	القوة
٢٥	هـ ١ س٢ به	والتهت	والتهمت
٢٩	هـ ١٤ س٤ به	كور الشام	كور أو أجناد الشام
٣٤	هـ ٣٠ س٥ به	ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله حمدان	ناصر الدولة ... ابن حمدان
٣٧	هـ ٤٠ س١ به	خرج على	خرج من
٤٥	١١	٩٤ م	٩٤٦ م

(*) أدرجنا هنا أهم الأخطاء التى وقعت خلال الطبع ، وتركنا بقيتها لفطنة القارىء ونعتذر له سلفا .

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٤٧	بقية الهامش س٥ من أسفل	سنة ٣٣هـ	سنة ٢٣٦ هـ
٥٢	٥	ويبدر	ويبدو
٥٩	١٣	حى انتهائها	حتى انتهائها
٦٢	٦	لميزة	المميزة
٦٣	٩	بمظر	بمظهر
٦٤	٩	٣٢٠ هـ	٢٣٠ هـ
٦٦	١٨هـ	(٨١)	(١٨)
٦٧	١٣	م	مر
٦٧	١٨	الطبيه	الطبيعى
٦٨	٢	٢٤٠ هـ	٤٣٠ هـ
٦٩	بقية الهامش ، س(٨) به	بلغ الدمشق	بلغ الدمستق
٧٠	هـ٢٣س الأخير به	العالم	العواصم
٧٣	هـ٢٧س الأخير به	نارطم	نادلهم
٧٤	٣	(تاريخ غير واضح)	سنة ٣٣٨ هـ
٧٤	٦	(تاريخ غير واضح	سنة ٣٣٩ هـ
٧٤	هـ ٢٩ س ٧ به	Sate	State
٧٥	هـ ٣٦ س ٧ به	إحدهما	إحداهما

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطــأ	صواب
٧٥	ﻫ ٣٦ س ٩ به	والبيع	والبيع
٧٥	ﻫ ٣٦ س ١٠ به	المنابر	المنابر
٧٧	٢	(تاريخ غير واضح)	٣٤٠ ﻫ
٧٧	٣	(تاريخ غير واضح)	- ٩٥٢ م
٧٧	٤	(تاريخ غير واضح)	٩٥٢
٧٨	٤	(تاريخ غير واضح)	٣٣٧ ﻫ
٧٨	ﻫ ٣٤ س الأخير به	رعشا	مرعشا
٧٩	ﻫ ٤٤ س ٣ به	ص ٥٥	ص ١٥٥ .
٧٩	ﻫ ٤٤ س ٧ به	« روج	سروج
٨٣	٣	أبا فرا	أبا فراس
٨٦	٥	ا قبل	المقبل
٨٧	ﻫ ٦٥ س ٤ به	ويرجبع كنار	ويرجح كنار
٩١	٢	(تاريخ غير واضح)	٣٣٩ ﻫ
٩١	أول بقية الهامش	ويرجح	ويرجح
٩٥	٥	سيف الدولة	غلام سيف الدولة
١٠٢	ﻫ ١٢٣ س ٣ به	الاستلاء	الاستيلاء
١٠٢	ﻫ ١٢٣ س ١٠ به	فيما أشير إليه بالهامش رقم (٥٠)	عند الإشارة إلى الهامش رقم (٥٠)، ص ١٢٨ .
١٠٩	٥	(تاريخ غير واضح)	(٣١٥ ﻫ)

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطـــأ	صـواب
١١١	هـ ٨ س ٥ به	Vasilicv	Vasiliev
١١٦	٦	(تاريخ غير واضح)	٣٥٠ هـ / ٩٦١ م
١٢٠	٣	(تاريخ غير واضح)	٣٣٣ هـ
١٢٢	٣ من أسفل الصفحة	والمرابطة	والمرابطة
١٢٣	١٤	(تاريخ غير واضح)	إلى ٣٥٠ هـ /
١٢٤	٢	أثرة	أثره
١٢٤	١٢	تزيمسكس	تزيمسكس
١٢٦	٥	إمبراطور	إمبراطوراً
١٢٦	٦	الإمبراطورا	الإمبراطور
١٢٦	٨	فتوسه	فتوحه
١٢٦	١٠	(تاريخ غير راضح)	(٩٧٦ -
١٢٦	١٤	الثغرر	الثغور
١٣١	عنوان الفصل السابع	انبساط . . . بالشام	انبساط . . . بالشام إبان المرحلة الأولى من الفتح
١٣٦	٩	الحوادث	حوادث
١٣٨	هـ ١٤ س ٢ به	(٤١) وما بعدها	(١٤١) وما بعدها ، ص ٢٧٦ وما بعدها
١٤٠	١٥	جـ ل	جبل
١٤٢	٢	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ هـ

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٤٣	٣٤٨ هـ س الأخير به	رقم ١٠١	رقم ١٠١، ص ٢٥٤ - ٢٠٧
١٤٤	٣٧٨ هـ س الأخير به	رقم ١١٤	رقم ١١٤، ص ٢٦٣ - ٢٦٤
١٤٤	٣٩٠ س الأخير به	رقم ١٠١	رقم ١٠١، ص ٢٥٧ - ٢٥٨
١٥٢	٢	الثواريع	التواريخ
١٥٤	٩	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ هـ
١٥٦	١٦	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ هـ
١٥٧	آخر المتن	سعادة بن حيار	سعادة بن حيان
١٥٧	٩٨ هـ س ١ به	(سعاد بن حيان)	(سعاد بن حبان)
١٥٩	١٤	(تاريخ غير واضح)	٣٦٢ هـ
١٦٠	٨	٣٦ هـ	٣٦٠ هـ
١٦٠	١٠٩ هـ	(رقم الهامش)	(١٠٩)
١٦٢	٦	(تاريخ غير واضح)	٣٦١ هـ
١٦٣	١٣	٢٦١ هـ	٣٦١ هـ
١٦٦	١٣٤ هـ	(رقم الهامش)	(١٣٤)
١٦٨	٢	٢٦٠ هـ	٣٦٠ هـ
١٧٨	١	De Lacy O'lreary	De Lacy O'leary
١٧٩	١ و ١٤	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ هـ
١٨٠	٤	ذي الحة من سنة ٣٠٨ هـ	ذي الحجة من سنة ٣٥٨ هـ
١٨١	٤	نحـ و	نحو

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطـــأ	صـواب
١٨١	١٢	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ ه
١٨١	الأخير بالمتن	المستشر	المستشرق
١٨٣	٧	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ ه
١٨٣	١٠	فى ١ ذى الحجة	فى ١٠ ذى الحجة
١٨٣	ه ٥٥ س ٣ به	(١٥٧)	(١٥٧) ، ص ٢٨٢
١٨٤	١	الأثير	ابن الأثير
١٨٤	ه ٥٨ س ٣ به	(١٥٨)	(١٥٨) ، ص ٢٨٣
١٨٤	ه ٦٠ س ١ به	التنوذ	النفوذ
١٨٥	١٢	(تاريخ غير واضح)	٣٦٢ ه
١٨٦	٦	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ ه /
١٨٨	١	د ن	دون
١٩١	٣	مستأسا	مستأنسا
١٩١	٤	اعتما ا	اعتمادا
١٩٢	٤	أوحز	أوجز
١٩٣	٥	أبو تعلب	أبو تغلب
١٩٣	ه ١٣١ س ٤ به	بالفصل السادس	بالفصل السادس، ص ٢٢٥
١٩٤	٢	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ ه
١٩٤	٦	يختيـــار	بختيـــار
١٩٤	٩	أتبـــا ها	أتباعها

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطـــأ	صـواب
١٩٤	١٣٢٣هـ س ٣ به	بالفصل السادس	بالفصل السادس، ص٣٢٧
١٩٥	٩	ابن خلـكان (٢٤٠)	ابن خلـكان (١٤٠)
١٩٥	١٤٢هـ س ٤ به	السادس	السادس، ص٣٢٧ - ٣٢٨
١٩٦	آخر المتن	ستدعاء	باستدعاء
١٩٨	١٠	(تاريخ غير واضح)	/ ٩٧١ م
١٩٨	١٦٦هـ س ٢ به	المذكورة	المذكورة ، ص ٢٢٦
١٩٩	١٧١هـ س ٢ به	بالفصل السادس	بالفصل السادس ، ص ٢٢٦ - ٣٢٧
٢٠٠	١	غ ايبة	غرايبة
٢٠١	آخر المتن	فبراهم	فنراهم
٢٠٢	١٢	بحامية	بحامية
٢٠٣	٧	ورجا ه	ورجاله
٢٠٣	٨	بقية	بقيه
٢٠٣	١٠	عل	على
٢٠٤	٧	(تاريخ غير واضح)	٣٦١ هـ
٢٠٤	٨	أثـــار	أشار
٢٠٤	٩	Gstou	Gaston
٢٠٤	١٩٦هـ س ٣ به	المؤلف	المؤرخ
	و س الأخير به	العباره	العبارة ، ص ٣٣٨

تصويت الأخطاء

الصفحة	السطر	خطــأ	صـواب
٢٠٥	٢	للقى	لتلقى
٢٠٥	٥	العارك	المعارك
٢٠٥	٢٠٤ هـ س ٣ به	بالفصل السادس	بالفصل السادس ، ص ٢٣١ - ٢٣٢
٢٠٥	٢٠٥ هـ س ٤ به	بالفصل السادس	بالفصل السادس، ص٣٠٦
٢٠٦	٣	يذكران	يذكران أن
٢٠٦	٤	٣٦ هـ	٤٦٠ هـ
٢٠٦	١٢	كذلك أن	كذلك إلى أن
٢٠٨	٣	(تاريخ غير واضح)	٣٦١ هـ
٢٠٩	٢	سعا ة بن حيان	سعادة بن حيان
٢١١	٣	تاريخا هو	تاريخا هو ٣
٢١٣	١٣	الإشاوة	الإشارة
٢٢١	٧	معاصوة	معاصرة -
٢٢١	٩	هـذا	هـذا -
٢٢١	٢ من أسفل	الفتح	الفتح
٢٢٢	٣	بتعرض	يتعرض
٢٢٢	٤	ا صادر لم تركر	المصادر لم تركز
٢٢٣	٦	الـكثيريـ	الـكثيرين
٢٢٤	٩	ـتضمن	تتضمن

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطـأ	صواب
٢٢٥	٧ و ٨	عبد الله	عبيد الله
٢٢٦	٢	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ ﻫ
٢٢٦	٩	عبد الله	عبيد الله
٢٢٦	آخر المتن	(تاريخ غير واضح)	٢٥٩ ﻫ
٢٢٧	١١	ورافت	ووافت
٢٢٨	١٠	الرملة	الرملة
٢٢٨	١٧ و ١٩	(تاريخ غير واضح)	٢٥٩ ﻫ
٢٢٩	١١	(تاريخ غير واضح)	٣٥٨ ﻫ
٢٢٩	١٣	عو . ه	عوده
٢٢٩	١٦	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ ﻫ
٢٢٩	ﻫ ١٥ س ٢ به	الفصل	الفصل، ص ٢٥٣ - ٢٥٨
٢٣١	٢	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ ﻫ
٢٣٢	١	مايوعو	مايدعو
٢٣٣	٤	أناوة	أتاوة
٢٣٤	٤	مشق	دمشق
٢٣٤	٥ و ٦	(تاريخ غير واضح)	١٥ ربيع الآخر سنة ٣٥٨ ﻫ /
٢٣٤	٩ و ١٠	(تاريخ غير واضح)	٣٥٨ ﻫ
٢٣٤	آخر المتن	واستاب . . . (كذا)	واستناب . . . (كذا)

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٢٣٦	١١ و ١٤	(تاريخ غير واضح)	٣٥٨ ﻫ
٢٣٧	١	(تاريخ غير واضح)	٣٥٧ ﻫ
٦٢٧	١٩	ـطرد	لطرد
٢٤٠	١١ و ١٦	(تاريخ غير واضح)	٥٥٨ ﻫ
٢٤١	١٠	ننقـل	ننتقـل
٢٤٣	٦	فى ـعه	فى سعة
٢٤٣	آخر المتن	(تاريخ غير واضح)	٣٥٧ ﻫ
٢٤٥	٢	وجود	وجوده
٢٤٦	٢	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ ﻫ
٢٤٦	١٢	هـذ السنة	هـذه السنة
٢٤٨	١١	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ ﻫ
٢٤٨	١٥	لم ـذكر	لم يذكر
٢٥٢	العنوان	تاريخ	تاريخ
٢٥٣	١٤	فرارة	فزارة
٢٥٣	ﻫ ٨٧ س ١ به	السابع	السابع ، ص ٣٤٩
٢٥٣	ﻫ ٨٨ س ٣ به	الأرض المطمنة	الأرض ، المطمئنة
٢٥٤	٥	انزمت	انهزمت
٢٥٥	أول بقية الهامش	(غوطة ،	(غوطة دمشق ،
٢٦١	ﻫ ١١٠	(رقم الهامش)	(١١٠)

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطــأ	صـواب
٢٦٢	١٧	اللجو	اللجوء
٢٦٢	آخر المتن	سفير	سفيراً
٢٦٣	٨	لمخرج	لنخرج
٢٦٥	١٣	« فرجـ »	« فرجع »
٢٦٧	١١	ويبتوا	ويبقوا
٢٦٧	١٥	تبعنا	اتبعنا
٢٦٨	٧	د ئمــا	دائمــا
٢٦٨	٩	خلطاً	خلطاً
٢٧٠	١٤	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ هـ
٢٧١	١٢	أبو فلاح	ابن فلاح
٢٧٣	١٣١ هـ س ٢ به	السابع	السابع ، ص٣٦٦-٣٦٧
٢٧٣	١٣٥ هـ س ٢ به	المابع	السابع ، ص٣٦٧-٣٦٨
٢٧٨	٥	تـضم	تنضم
٢٧٩	١٦	وناولهم	وتناولهم
٢٧٩	١٧	غا يتهم	غالبيتهم
٢٨١	٢	أواخر شهور	أواخر شهر
٢٨١	١٨	د شق	دمشق
٢٨٢	٨	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ هـ
٢٨٢	٩	شيئـ	شيئـاً

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٢٨٣	٤	٩ ٣ ه ٠٠٠ حقيقة	٣٥٩ ه ٠٠٠ حقيقة
٢٨٣	٨	بعض	ببعض
٢٨٣	١٤ و ١٥	ـ سنة ٠٠٠ روايته	ـ سنة ٠٠٠ روايته ـ
٢٨٣	١٦	(تاريخ غير واضح)	ذى الحجة سنة ٣٥٨ ه
٢٨٤	٣	(تاريخ غير واضح)	٣٥٩ ه
٢٨٥	٤ أسفل المتن	د شق	دمشق
٢٨٧	١	ـ وثه	حدوثه
٢٨٧	٥	نف ه	نفسه
٢٨٧	١١	وابن الشحـ ة	وابن الشحنة
٢٨٧	ه ٦٠، س ١ به	رقم(١٢)بالفصل السابع.	رقم (١٢٠) بالفصل السابع ، ص ٣٧٨ .
٢٨٨	الثانى أسفل المتن	(تاريخ غير واضح)	٩٧١ م
٢٨٩	١	(تاريخ غير واضح)	ـ ٩٧١ م
٢٩٢	١	فيدكر	فيذكر
٢٩٣	٥	أما ابن تغردى بردى	أما ابن تغرى بردى
٢٩٤	١	رفص	رفض
٢٩٥	٧	يفيم	يفهم
٢٩٥	آخر المتن	اقتناف القتال	استئناف القتال
٣٠١	١	فلم نزل	فلم تزل

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطـــأ	صـواب
٣٠٢	١٧	استولو	استولوا
٣٠٢	آخر المتن	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ هـ
٣٠٥	هـ ١٨١ س ٢ به	فقرات .	فقرات ، ص ٣٤٥ وما بعدها .
٣٠٦	٨	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ هـ
٣٠٦	هـ ١٨٣ س ٤ به	بالفصل السابع .	بالفصل السادس ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .
٣٠٨	هـ ١٨٧ س ٣ به	بالفصل السابع ... رقم (٢٢٩) .	بالفصل السادس ... رقم (٢٢٩) ، ص ٣٣٢ .
٣٠٩	٢	من الاحـ اء	من الأحساء
٣٠٩	٦	متنه	متنه
٣١١	٩	برحوع	برجوع
٣١١	٩	(تاريخ غير واضح)	٣٦١ هـ
٣١٣	١	(تاريخ غير واضح)	٣٦١ هـ
٣١٣	١٩	يتص	ينص
٣١٦	آخر المتن	يافا	يافا -
٣١٦	هـ ٢٠٦ س ٢ به	السابع .	السابع ، ص ٣٨٤
٣١٧	الثالث من أسفل	الأخريبان	الأخريان
٣١٨	٦	(تاريخ غير واضح)	٣٦٢ هـ

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطــأ	صواب
٣١٩	٤	حاضرا . ومشاهدا	حاضرا ، ومشاهدا
٣١٩	٧	فم إلا	الا
٣١٩	٨	ـن ... كما .	فن ... كما
٣٢٢	رقم الصفحة	٢٢٢	٣٢٢
٣٢٢	٦ من أسفل	العتر	العشر
٣٢٣	رقم الصفحة	٢٢٣	٢٢٣
٣٢٤	٥ و٦ أسفل المتن	من قبل قبل	من من قبل
٣٢٥	رقم الصفحة	٢٢٥	٣٢٥
٣٢٦	٢	المكانبة	المكانبة
٣٢٧	آخر المتن	عل	على
٣٢٨	٤	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ هـ
٣٢٨	٤ من أسفل	وهو ماكادوا	هو ماكادوا
٣٢٩	١	تجـ للحقائق	تجاوز للحقائق
٣٢٩	٣	تحصنا	متحصنا
٣٢٩	٩	(تاريخ غير واضح)	٢٦٠ هـ
٣٢٩	٣ من أسفل	اسة لاء	استيلاء
٣٣٠	٧	مصادرهما ،	مصادرهما ،
٣٣٠	٨	وسقرطها	وسقوطها
٣٣٠	٢ من أسفل	سنة ٣٦ هـ بعد أن	سنة ٢٦١ هـ بعد أن

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٣٣٤	رقم الصفحة	٢٣٤	٣٣٤
٣٣٤	١٢	(تاريخ غير واضح)	٣٠٣ هـ
٣٣٥	٢	ـناه	عناه
٣٣٦	١٥	(تاريخ غير واضح)	٣٦٢ هـ
٣٣٧	٢٣٦ هـ	———	(يوضع ابن عذارى قبل أبى الفدا مباشرة)
٣٣٧	هـ ٣٢٦ س ١٠ به	التاريخ الذى أشار اليه	التاريخين اللذين أشارا اليهما
٣٣٨	٥	لبابك ين	لنالكين
٣٤٢	هـ ٢ س ١ به	دمشق وهى	دمشق
٣٤٤	هـ ٩ س ٢ به	والحليل	والخليل
٣٤٥	٦	مير	مسير
٣٤٧	١١	صور حت	صور حب
٣٤٧	١٢	بريد بلد الرم	بريد بلد الروم
٣٤٧	هـ ١٢ س ١ به	نرجم	ترجم
٣٤٨	٣ أسفل المتن	وأوائل	أو أوائل
٣٥١	٣	انتثرت	انتشرت
٣٥٢	١	فلم	(يحذف هذا اللفظ)
٣٥٢	٣	فابكا	فاتكا
٣٥٢	٧	فيول : ووكان بحران	فيقول : ووكان بحوران

تصويب الأخطاء

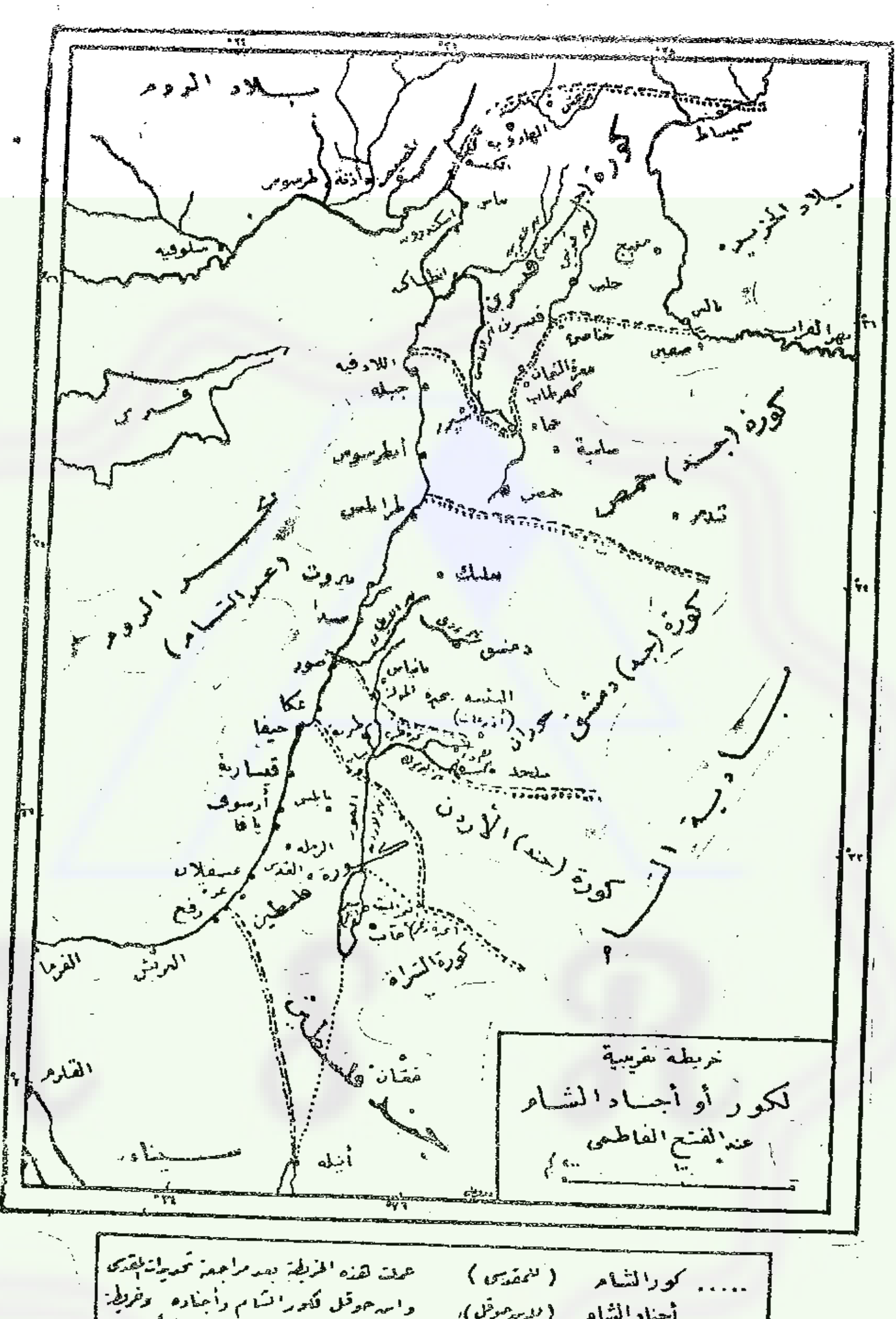
الصفحة	السطر	خطــأ	صواب
٣٥٣	١	ام قتول	امقتول
٣٥٧	٣	الغاربة	المغاربة
٣٥٧	٦	لما يينه	لما بينه
٣٥٧	٩	المشتان	الفشتان
٣٥٨	٤	فانكا	فاتكا
٣٥٩	٢ من أسفل المتن	فانك	فاتك
٣٦٠	٢	فامكا	فاتكا
٣٦٠	٩	هما	هنا
٣٦٠	١٠	حرران	حوران
٣٦١	٥	تدمر	تدمر
٣٦٢	٥	٢٥٩ هـ ... من السعب	٣٥٩ هـ ... من الصعب
٣٦٢	٣ من أسفل المتن	وأصحابه .	وأصحابه ،
٣٦٤	١	ابن فلاح نير	ابن فلاح سهر
٣٦٨	١٢	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ هـ
٣٦٨	١٢	ويعقل	ولا يعقل
٣٦٩	٣	وقضا ه	وقضاته
٣٧٠	٢ من أسفل المتن	وظ لم بن موهوب	وظالم بن موهوب
٣٧١	٢	كولاه	كولاة
٣٧١	١٠	رؤ اه	رؤساه

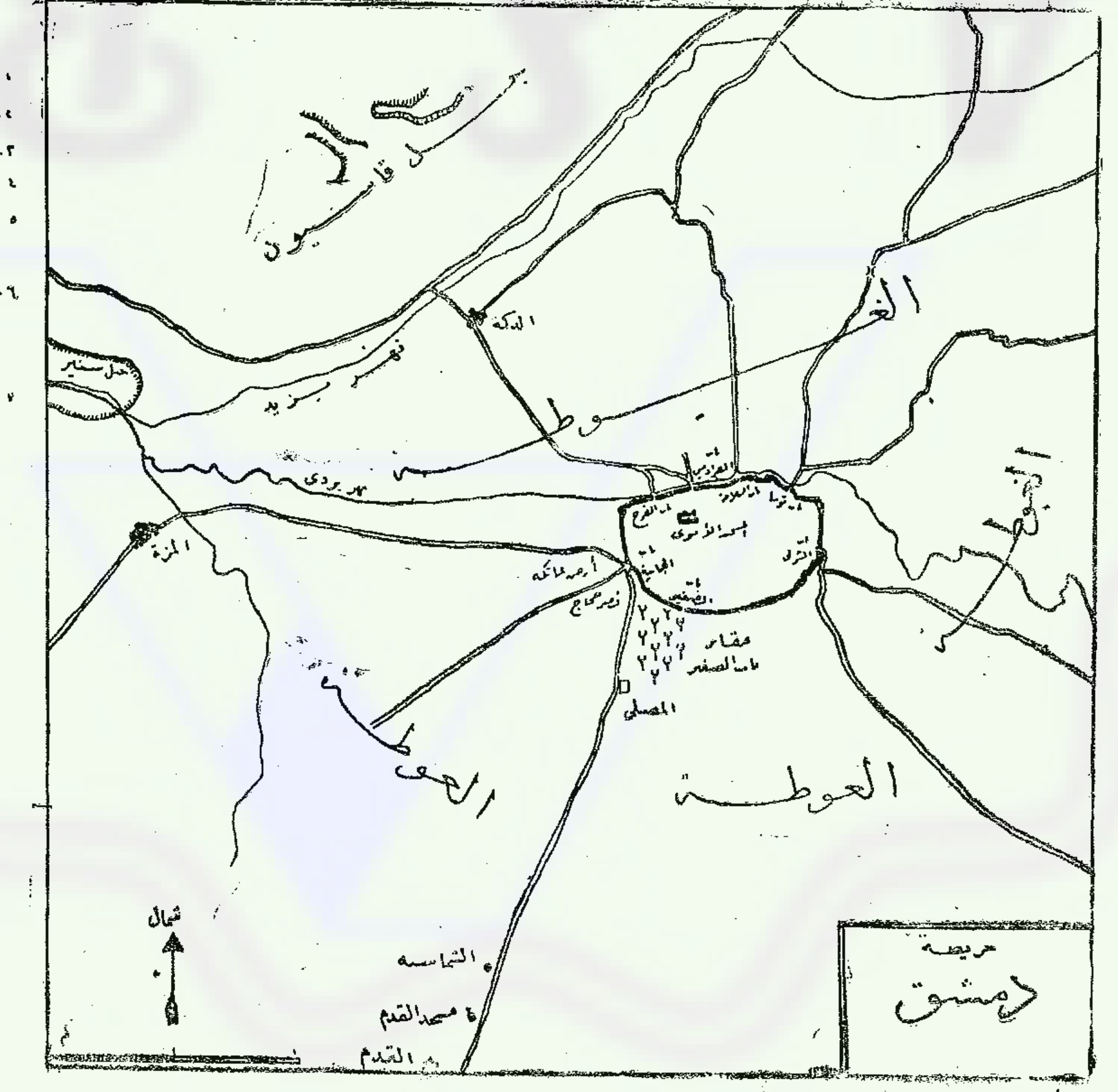
تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطـــأ	صـواب
٣٧٢	١٠	روءساء	روساء
٣٧٤	٢	انسياج	انسياح
٣٧٤	٤	روايتها	روايتها
٣٧٤	١٢	اقبض	القبض
٣٧٤	١٥	اة رة الغازية	القوة الغازية
٣٧٧	٥	وانسياج	وانسياح
٣٧٧	٦	املول	اقلول
٣٧٧	٩	ا فرصه	الفرصه
٣٧٧	١٤	بعنادها الثقيل	بعتادها الثقيل
٣٧٨	٨	عتكات	عتلكات
٣٨٠	١٣	(تاريخ غير واضح)	٣٦٣
٣٨١	٤	ليدل على تواصل	ليدل على تواصل
٣٨١	ه ١٢٩ ش ١ به	ص ٢٠٢ ، ومن	ص ٢٠٢ . ومن
٣٨٢	١٠	ولكن يـقى	ولكن يبقى
٣٨٣	ه ١٤٥	(سقط الهامش فى الطبع)	(ضع ما يلى بعد الهامش رقم ١٤٤) : (١٤٥) (فى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٩٣) .
٣٨٥	٣	(تاريخ غير واضح)	٣٦٠ ه

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	خطـأ	صـواب
٣٨٥	٧	انح ار	انحسار
٣٩١	٤ من أسفل	أ-دته	أعدته
٣٩١	٣ من أسفل	آ ءى	تنءى
٣٩٢	٩	فى عام ٣٥٧ هـ	فى عام ٣٥٩ هـ
٣٩٣	١٤	(تاريخ غير واضح)	٣٦٢ هـ
٣٩٣	١٥	ا ؤرخين ا قدامى	المؤرخين القدامى
٣٩٤	١٤	(تاريخ غير واضح)	ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ وقد
٣٩٥	٤	فانك	فاتك
٣٩٥	١٢	فانفق الطرفان	فاتفق الطرفان
٣٩٥	٣ من أسفل	(تاريخ غير واضح)	حتى ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ


خريطة تقريبية
لكور أو أجناد الشام
عند الفتح الفاطمى
بلاد الروم
بلاد الجزيرة
سميساط
طرسوس
أذنة
المصيصة
سلوقية
الإسكندرونة
أنطاكية
منبج
حلب
بالس
قنسرين
صفين
نهر الفرات
معرة النعمان
حماة
سلمية
اللاذقية
جبلة
قبرس
أنطرسوس
طرابلس
حمص
تدمر
كورة (جند) حمص
بحر الروم (بحر الشام)
بيروت
بعلبك
صيدا
دمشق
صور
بانياس
عكا
حيفا
قيسارية
أرسوف
يافا
نابلس
الرملة
عسقلان
غزة
رفح
العريش
الفرما
كورة (جند) دمشق
حوران
كورة (جند) الأردن
كورة (جند) فلسطين
كورة الشراة
بادية الشام
أيلة
سيناء
القلزم
كورالشام (للمقدسي)
أجناد الشام (لابن حوقل)
عواصم الكور أو الأجناد
عملت هذه الخريطة بعد مراجعة تحديدات المقدسي
وابن حوقل لكور الشام وأجناده وخريطة
حدود الشام للدكتور عبد المنعم ماجد فى أطلسه



عملت هذه الخريطة بعد مراجعة

١. ابن حوقل، صورة الأرض، القسم الأول، ص ١١٦.

٢. ابن جبير، الرحلة، ص ٢٨١-٢٨٢، ٢٨٩.

٣. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، القسم الأول، ص ٣٦.

٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٤٤، ح ٣.

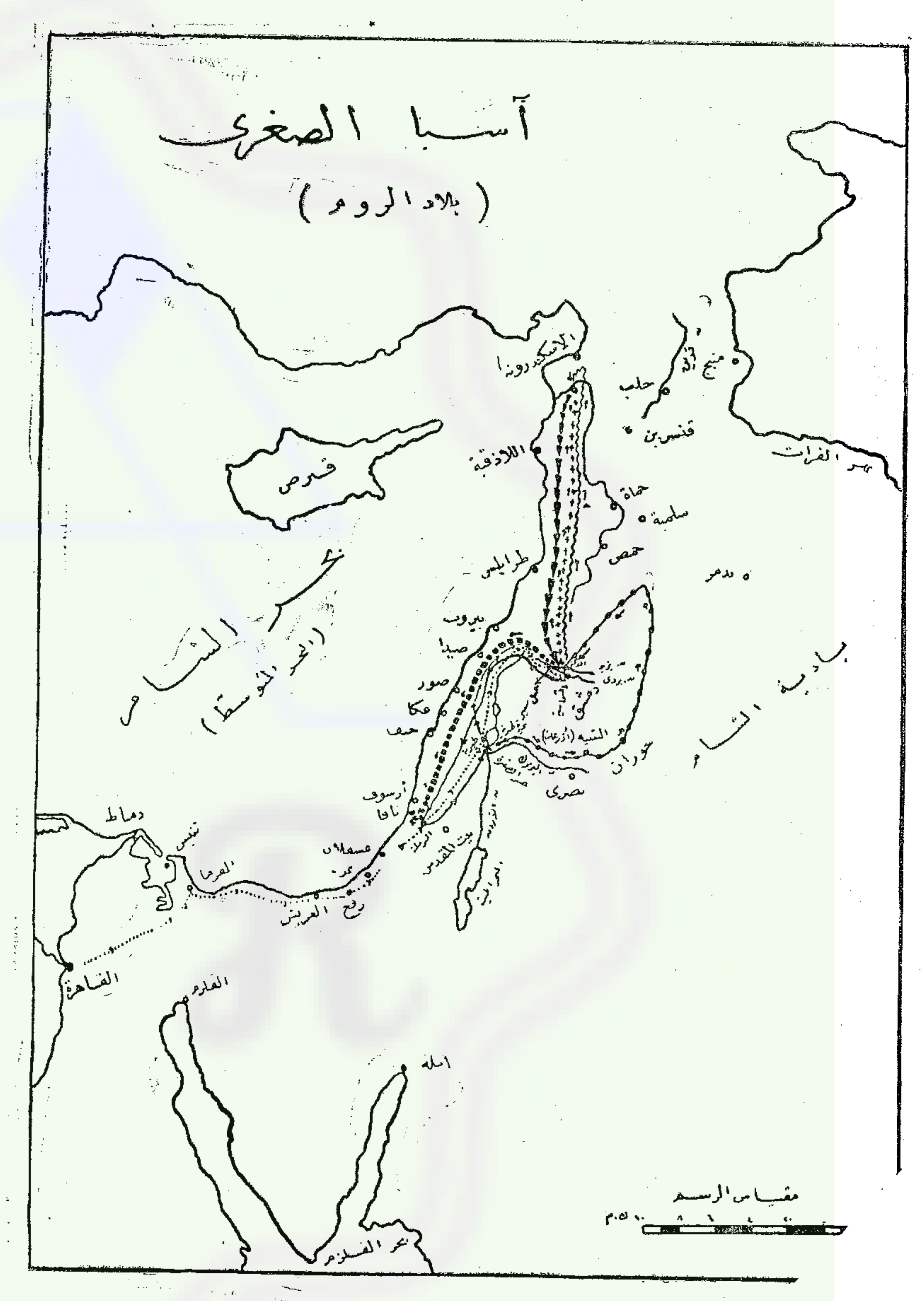
٥. محمد كرد علي، غوطة دمشق، ص ١٦، ٢٣، ٤٤، ٢١١، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٣٠ (وخريطة غوطة دمشق المرفقة).

٦. Elisséeff (Nikita), *La Description de Damas d'Ibn ʿAsākir*, pp. 172, n. 7, 245, n. 1 (et Carte des environs de Damas jointe au texte).

٧. عبد القادر الريحاوي، تاريخ دمشق العمراني، في مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد الرابع عشر (١٩٦٤م)، اللوح رقم ٢ (دمشق القديمة)، مع النظر في اللوح رقم ٣ (مخطط مدينة دمشق في العصر المملوكي)، ورقم ٤ (المخطط الحديث لمدينة دمشق).

المصطلحات

- خط سير ابن فلاح حتى الاستيلاء على دمشق في المحرم ٣٥٩ هـ
- رجوع ابن فلاح إلى الرملة ثم إلى طبرية
- خط سير بني فزارة ومرة وسرايا ابن فلاح إلى حوران والثنية وإلى مشارف أرض حمص حتى نزولهم على دمشق في ذي الحجة ٣٥٩ هـ.
- عودة ابن فلاح إلى دمشق ونزوله بالشماسية في ذي الحجة ٣٥٩ هـ.
- حملة فتوح على أنطاكية في ربيع الأول ٣٦٠ هـ.
- خط سير عساكر ابن فلاح من دمشق إلى مشارف الإسكندرونة ورجوع فلولهم إلى أنطاكية
- عودة حملة فتوح إلى دمشق بعد فشل حصار أنطاكية
- انهزام بقايا الفاطميين من دمشق إلى الرملة وسواها - مع عساكر ابن حيان - إلى يافا



فتح الفاطميين للشام

(خط السير التقريبي لحملة جعفر بن فلاح)

عملت هذه الخريطة بعد مراجعة

١ المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٥٤ ، ٦٤ ، ١٩٦
٢ الإصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٥٥ - ٧٥
٣ ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١٠٢ ، ١٥١ ، ١٦٥ - ١٦٩
٤ ابن الشحنة ، الدر المنتخب (انظر ، الفهرس في حرفي الثاء والعين)
٥ ياقوت ، معجم البلدان ، (مادة العواصم) .
٦ Canard, Sayf al Daula, PP. 37-8, 41-8, (et carte pour servir à l'histoire du regne de Sayf al Daula jointe au texte), idem, Hist. de la Hamd, PP. 226-7, 916 et seq
٧ Honigmann (E.), Al-Thughūr, in Ency of Islam, vol IV, PP. 138-9
٨ Canar, Al-'Awāsim, in Ency of Islam (new edition), vol. 1, PP. 761-2
٩ لسترنج (كي) ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٦٠ - ١٦٤
١٠ ماهر والنبا ، الأطلس التاريخي (خريطة رقم ٤ بلاد الجزيرة وأرمينية ، وخريطة رقم ٥ بلاد الشام .
١١ فتحي عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية ، الكتاب الأول (في الظروف التاريخية والجغرافية) ، ص ٢٢٢ - ٢٧٥ ، ٢٨٦ - ٢٩٦

المصطلحات
△ العواصم
□ الثغور الجزرية
• الثغور الشامية
⊡ الثغور الجزرية الشامية
⚠ ثغر جزري ثم شامي ضم إلى العواصم

العواصم والثغور الشامية والجزرية
عند الفتح الفاطمي للشام

المحتويات

فتح الفاطميين للشام

د. درويش النخيلي

مؤسسة الثقافة الجا